المعجم التاريخي

للغة العربية

وثائق ونماذج

د. محمد حسن عبد العزيز

أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

عضو لجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

إهـــــــداء ٢٠٠٨
دار الكتب و الوثائق القومية
القاهرة

المعجم التاريخي

للغة العربية

وثائق ونماذج

كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة
للناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
لصاحبها
عبد القادر محمود البكار

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار
الكتب والوثائق القومية - إدارة الشئون الفنية

عبد العزيز ، محمد حسن .
المعجم التاريخي للغة العربية : وثائق ونماذج / محمد
حسن عبد العزيز - القاهرة ، دار السلام ، ٢٠٠٨م .
٤١٦ ص ؛ ٢٤ سم .
تدمك ٢ ٦٠٩ ٣٤٢ ٩٧٧
١ - اللغة العربية - معاجم .
٢ - اللغة العربية - تاريخ .
أ - العنوان .
٤١٣

دار السلام
للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة
ش.م.م

تأسست الدار عام ١٩٧٣م وحصلت على جائزة أفضل ناشر للتراث لثلاثة أعوام متتالية ١٩٩٩م ، ٢٠٠٠م ، ٢٠٠١م في عشر الجائزة تتويجًا لعقد ثالث مضى في صناعة النشر

جمهورية مصر العربية - القاهرة - الإسكندرية
الإدارة : القاهرة : ١٩ شارع عمر لطفي موازٍ لشارع عباس العقاد خلف مكتب مصر للطيران عند الحديقة الدولية وأمام مسجد الشهيد عمرو الشربيني - مدينة نصر
هاتف : ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +) فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي - هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس - مدينة نصر - هاتف : ٢٤٠٥٤٦٤٢ (٢٠٢ +)
المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر - الشاطبي بجوار جمعية الشبان المسلمين
هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)
بريديًا : القاهرة : ص.ب ١٦١ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩
البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

المعجم التاريخي

للغة العربية

وثائق ونماذج

تأليف

د. محمد حسن عبد العزيز

أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة

عضو لجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع

عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى صاحب السمو الشيخ

الدكتور سلطان محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى للاتحاد وحاكم إمارة الشارقة

إن مَكْرُمَتَكم الغالية بتوفير مقر لمشروع المعجم التاريخي ، وبرصد ميزانية دائمة لإنجازه - جعلت الحلمَ المستحيلَ حقيقةً ، والأملَ البعيدَ قريبًا .

إنها تحكي مكرمات الخلفاء والأمراء والحكام الذين نهضوا بالعلم ، ورَعَوا أهله عبر تاريخ العلم وسيرة العلماء في كل أنحاء المعمورة ، وتُحيي الإحساس بالانتماء إلى الأمة العربية ولغتها الشريفة ، في عصر يتهدد هُويتنا بالضياع .

المؤلف

* * *

وشعورًا بأهمية الموضوع وما للغتنا الجليلة القدر من واجب في أعناقنا قامت الدار بطباعة هذا الكتاب على نفقتها ، وتسجل بهذه المناسبة عظيم شكرها لصاحب السمو الدكتور / **سلطان محمد القاسمي** حفظه الله - تعهدَه بإنجاز مشروع المعجم التاريخي الذي يبرز عراقة لغتنا الجميلة .

الناشر

المحتويات

مقدمة ١١

جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة لوضع معجم تاريخي للغة العربية ٢٥

أولًا : مرسوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ٢٧

ثانيًا : معجم فيشر ٢٨

ثالثًا : دورة مجمعية خاصة بالمعجم التاريخي ٣٦

رابعًا : عرض وتعليق على بعض البحوث المجمعية ٣٩

- المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل ٣٩
- المعجم الكبير للمجمع يُغني عن المعجم التاريخي اللغوي ٦١

تجارب سابقة لوضع معجم لغوي تاريخي ٧٣

أولًا : معجم أكسفورد التاريخي : بحوث ونماذج ٧٥

- القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي ٧٥
- اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوي تاريخي ٩٢
- منهج معجم أكسفورد في معجمة اللغة الإنجليزية على أسس تاريخية ١١٩
- نماذج مختارة من مواد معجم ١٢٣

THE SHORTER OXFORD ENGLISH DICTIONARY ON HISTORICAL PRINCIPLES

ثانيًا : المعجم التاريخي للغة الفرنسية ١٣٩

DICTIONNAIRE HISTORIQUE DE LA LANGUE FRANÇAISE

جهود اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لوضع معجم تاريخي للغة العربية ١٦٣

أولًا : التعريف باتحاد المجامع ولجنة المعجم التاريخي ١٦٥

ثانيًا : من أعمال لجنة المعجم التاريخي ١٧٤

- مذكرات عن منهج المعجم التاريخي للغة العربية ١٧٤
- تقرير عن المنهج العلمي المقترح لعمل المعجم التاريخي وما دار حوله من نقاش وما كتب عنه من ملاحظات ١٩٥
- مقترحات وردت في أثناء مناقشة المنهج العلمي للمعجم أو في التقارير التي كتبت عنه ٢٠٠
- برنامج دراسي مقترح لإعداد محررين للمعجم التاريخي للغة العربية ٢٠١
- سيرة ذاتية وعلميّة لعلماء اللُّغة والمتخصِّصين في المُعجميَّة ٢٠٣

ثالثًا : عرض وتعليق على بعض البحوث المقدمة من أعضاء لجنة المعجم ٢٠٥

- النشر الإلكتروني للنصوص العربية ٢٠٥
- مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية ٢١٢
- ملاحظات على « مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية » ٢٢١
- تصور عام في التدريب على قضايا المعجم العربي التاريخي ٢٣٤
- في مفهوم المعجم التاريخي ٢٣٥

نماذج توضيحية لمواد مختارة للمعجم التاريخي للغة العربية ٢٤٣

أولًا : تطور دلالات الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم ٢٤٥

ثانيًا : نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصادرها ٢٨٢

- كلمة لا بد منها (مغامرة محسوبة) ٢٨٢
- قطار ٢٨٧
- ذرة ٢٩٢
- سياسة ٣٠٠
- زُنَّار ٣٢٢
- ترجمان (بفتح التاء وضمها) ٣٢٢
- وزير وزارة ٣٣٠
- الحاجب والحجابة ٣٥١

- حكومـة ٣٦٣

المصادر والمراجع ٣٧٣

خاتمـــة المطـــاف ٣٨٥

أولًا : التغير اللغوي وطبيعته ٣٨٧

ثانيًا : قصة المعجم التاريخي بين الأمل والعمل ٤٠٠

ثالثًا : صناعة المعجم آليًا ٤٠٦

* * *

مقدمة

المعجم التاريخي للغة العربية :

- المعجم التاريخي للغة العربية مشروع لغوي علمي تنهض بإنجازه هيئة (المعجم التاريخي للغة العربية) وهي هيئة ذات شخصية اعتبارية مستقلة تابعة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، ومقرها القاهرة .

- اللغة العربية ليست بدعًا بين اللغات العالمية في حاجتها إلى معجم تاريخي ، بل هي أحوج لأنها أطول عمرًا ، وأوسع ساحة ، وأغنى تراثًا ، وهي إحدى اللغات العالمية التي استخدمتها شعوب مختلفة الأعراق والثقافات واللغات .

- المعجم التاريخي للغة العربية ديوان للعربية يضم بين دفتيه ألفاظها وأساليبها ، ويبين تاريخ استعمالها أو إهمالها ، وتطور مبانيها ومعانيها عبر العصور والأصقاع ، ويقدم مدخلًا لغويًا للحضارة العربية والإسلامية .

- تنشئ هيئة (المعجم التاريخي للغة العربية) دائرة علمية يعمل بها مئات من العلماء والأدباء واللغويين تكون جامعة لإعداد مئات من الباحثين والمحررين . وتحدث تطورًا شاملًا في الدراسات التاريخية والثقافية واللغوية بالكشف عن تراث العربية الذي لم ينشر أو لم يقرأ بكامله ، وعن معارف متعددة الأنحاء لم تكن متاحة من قبل .

قصتي مع المعجم التاريخي :

لم يكن اهتمامي بالمعجم التاريخي وليد مشروع اتحاد المجامع اللغوية العلمية بإنشاء مؤسسة (المعجم التاريخي للغة العربية) عام ٢٠٠٤م ، بل يعود إلى ما يزيد على ثلاثة عقود حين كنت محررًا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وكنت أعمل آنذاك بالمعجم الكبير ، وقد شدني موضوع المعجم التاريخي حين توافرت لي فرصة الاطلاع على قرارات المجمع ومناقشاته حوله ، بل توافرت لي فرصة أخرى للاطلاع

على مشروع المستشرق الألماني أ . فيشر بكل وثائقه ، ومنها جذاذاته ، ومكتبته النفيسة التي أهداهما إلى المجمع .

واستمر اهتمامي بالمعجم حين قمت بتدريس مادة (علم اللغة التاريخي) بكلية دار العلوم ، ثم بكلية التربية بالمدينة المنورة .

وفي المدينة المنورة بدأت مشروعي الخاص بعلم اللغة التاريخي ، وقد رأيت – آنذاك – أن أولى خطوات العمل فيه وأهمها هي البحث في التغير اللغوي في المباني والمعاني بين عصرين أو أكثر من عصور اللغة العربية . وقد آثرت أن تتم المقارنة بين اللغة العربية في العصر الجاهلي وعصر البعثة المحمدية . لقد أدى نزول القرآن إلى تغيرات شاملة في ثقافة المجتمع الجاهلي وقيمه ، ومن ثم ظهرت لغة جديدة تبشر بمجتمع جديد في ثقافته وقيمه ، وإن لم تقطع الصلة تمامًا بماضيه .

بدأت العمل بالدراسات العليا بإعداد الباحثين للكتابة في علم اللغة التاريخي . . ثم اخترت لإحدى طالباتي النابهات (هي الآن د . صباح حلبي) موضوع (تطور الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم) ليكون موضوع رسالتها للماجستير .

وكانت الرسالة التي أجيزت عام ١٩٨٨م – فيما أعلم – أول عمل علمي يدرس التغير اللغوي من خلال النصوص بين عصرين من تاريخ اللغة العربية ، وقد أجمع أعضاء لجنة المناقشة والحكم على غزارة مادته ودقة منهجه ، وارتياده مجالًا بكرًا . فاستحقت صاحبته درجة الماجستير بتقدير ممتاز .

عدت إلى مصر بعد انتهاء إعارتي ، واسْتُبْعِد علم اللغة التاريخي من مقررات القسم وفتر اهتمامي بالبحث فيه ، وشُغلت باللغة العربية المعاصرة ومشكلاتها .

وفي عام ١٩٩١م بدأ اهتمامي بعلم اللغة التاريخي ينشط من جديد فجعلت بعض بحوث طلابي بمرحلة الماجستير تدور في مجاله .

ومن بين الرسائل التي أُنجزت بإشرافي رسالة الماجستير التي أعدها الباحث (هو الآن د . شعبان قرني) بعنوان (الألفاظ الخاصة بنظام الأسرة بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم) والتي أجيزت عام ١٩٩٦م .

شرفني اتحاد المجامع باختياري عضوًا بلجنة المعجم التاريخي في سبتمبر ٢٠٠٤م ، وشاركت في أعمالها منذ هذا التاريخ ، وكلفتني اللجنة بوضع تصور لمنهج العمل بالمعجم التاريخي .

قدمت تصوري للمنهج بعنوان (مذكرات عن منهج المعجم التاريخي) تتضمن العناصر الآتية : عصور اللغة العربية ، مستوى اللغة المدروسة ، مستويات الاستعمال ، ترتيب المواد والمداخل ، الوحدات المعجمية ، المعنى في المعجم التاريخي (مفهومه ، طرق شرحه ، التغير الدلالي) ، مصادر المعجم ، البحث والتدريب ، اللجان العلمية المختصة .

وتضمنت المذكرات كذلك عددًا من الإجراءات التي يجب إنجازها قبل العمل في جمع مادة المعجم وتحريرها ؛ ومنها :

- اختيار الرموز والمختصرات المقترح استخدامها .
- التعريف بالمصطلحات المستخدمة في المعجم .
- إعداد قائمة أولية بالجذور المستعملة والمهملة وما يشتق منها بالمقابلة بين معجمين ؛ أحدهما قديم كاللسان مثلًا ، والثاني حديث كالمعجم الوسيط ليتسنى التعرف بشكلٍ مبدئي على حجم المعجم ، وتوزيع المواد بين العاملين فيه .
- إعداد قائمة بالكلمات المعرَّبة والدخيلة .
- وضع قواعد أو ضوابط للتعامل مع الكلمات المتعددة المعنى (المشترك اللفظي – والأضداد ، وما ليس كذلك) .
- وضع قاعدة للتعامل مع الكلمات الوظيفية المختص منها والمنقول .
- وضع قاعدة لتعريف الكلمات المركبة والمنحوتة والعبارات المسكوكة والاصطلاحية .
- ترجمة بعض مواد من المعاجم اللغوية التاريخية كمعجم أكسفورد والمعجم الفرنسي للاسترشاد بها ، والانتفاع بمادتها .
- استكمال قائمة المصادر والوثائق المقترحة لجمع المادة بالإضافة إلى القوائم الإرشادية التي جاء ذكرها بالمشروع .
- وضع كراسة الإرشادات التي سوف يستخدمها المحررون والمراجعون في جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحريرها . (انظر ص ١٧٤ – ٢٠٠)

بعث الأمين العام للاتحاد الدكتور كمال بشر بهذه المذكرات إلى أعضاء لجنة المعجم ؛ فكتبوا عنها تعليقات ضافية وضعتها في اعتباري حين وضعت تقريرًا عنها وعن المناقشات التي دارت حولها قدمته أمام لجنة المعجم فأقرته ، وشُكلت لجنة

رباعية لاستكمال خطة العمل بالمعجم برئاسة الأمين العام وبعضويتي وعضوية الدكتور أحمد الضبيب ، والدكتور إبراهيم بن مراد ، والدكتور علي القاسمي .

واجتمعت اللجنة في أبريل ٢٠٠٦م وقسمت العمل بين أعضائها على أن تجتمع في أكتوبر ٢٠٠٦م لمناقشة ما أنجزه أعضاؤها من أعمال .

وقد كانت مشكلة تمويل الهيئة التي ستقوم بإنجاز المعجم هي أعظم المشكلات ، وقد نجح الاتحاد بمعاونة مجمع القاهرة بكل أجهزته وقياداته بالاتصال بسمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي أمير الشارقة ، وإقناعه بجدوى هذا المشروع العربي العظيم ، واتُّفِق على تنظيم مؤتمر علمي بجامعة الشارقة لعرض المشروع للبحث والنقاش .

انعقد المؤتمر في ١٧ ، ١٨ ديسمبر ٢٠٠٦م برعاية الشيخ سلطان القاسمي بالشارقة ، وكان مؤتمرًا بلغ غاية بعيدة من النجاح .

وفي المؤتمر ألقيت بحوث عدة تتناول بعض الجوانب الخاصة بوضع المعجم ، وقد أشرت إلى عناوينها في (ص ١٧٣) وعلقت على بعضها في (ص ٢٠٥ - ٢٤٢) .

واستكمالًا لدور مجمع القاهرة الرائد في وضع المعجم التاريخي ، وتجلية كل ما يتصل بوضعه - رأى أن يكون موضوع مؤتمره في دورته الثانية والسبعين ٢٠٠٦م هو (المعجم التاريخي للغة العربية) ودعا أعضاءه وغيرهم من العلماء واللغويين إلى الكتابة في المحاور الآتية :

١ - المعالجة الحاسوبية للمعجم التاريخي .

٢ - التجارب العالمية الأخرى لوضع معجم تاريخي .

٣ - عصور اللغة العربية ومصادر المعجم .

٤ - قضايا خاصة ببنية المعجم التاريخي : مادة المعجم ، مستويات الاستعمال ، الوحدات المعجمية ، الترتيب ... إلخ .

وكان مؤتمرًا حافلًا بالبحوث فقد ألقيت فيه تسعة عشر بحثًا . (انظر في عناوينها ص ٣٦ ، ٣٧) .

يقول المثل السائر : الرائد لا يكذب أهله :

لقد كانت تجربة العمل بلجنة المعجم التاريخي ثرية حقًّا ، وحرصي على نجاح

اتحاد المجامع في وضعه يدفعني دفعًا إلى أن أقول في مقدمتي هذه ما وقر في ضميري ووجداني من رأي أو تقدير للطريقة التي عالج بها الاتحاد موضوع المعجم حتى الآن ، وفيما أسهم به المجمعيون وغيرهم من الباحثين في دورة مجمع اللغة بالقاهرة والتي خصصها للمعجم التاريخي ، وفي البحوث والتقارير التي قدمها أعضاء اللجنة الرباعية المنبثقة عن لجنة المعجم .

قد يصيبني التوفيق فيما رأيت وقدرت وقد يخطئني ، وهذا من طبائع الأعمال ، والمشروع فائز في الحالين ، وحسبي أنني أرضيت ضميري .

إن الاتحاد بالطريقة التي عمل بها ويعمل بها الآن في مشروع المعجم لا يتوقع منه بحال من الأحوال أن يضع المعجم . وحسب الاتحاد ما أنجزه من دور ، بإحياء فكرة المعجم ووضع النظام الخاص بهيئته ، وبإضفاء الشرعية عليها ، وبتدبير التمويل والرعاية له ، وهي أعمال جليلة حقًّا تشهد بفضل أعضائه وبريادتهم .

أما وضع المعجم فهو دور آخر ، المعجم الحديث علم وصناعة ، علم يقوم على آخر ما أنجزته العلوم اللغوية من معارف ، وصناعة تقوم على متطلبات الصناعة وتقنياتها . ويستلزم مشاركة فعالة بين اللغويين وغيرهم من العلماء والخبراء في المعلوماتية ، والمعالجة الآلية للنصوص جمعًا وتصنيفًا وتحليلًا وتحريرًا ونشرًا .

وما أقوله لا يغض من قدر هؤلاء العلماء أعضاء الاتحاد ولا ينقص من أعمالهم ، فهم أشياخنا في العلم وروادنا في هذا المشروع العظيم ، ولكن المرحلة القادمة تتطلب جيلًا جديدًا يتمكن بحكم السن والطاقة والخبرة بالتقنيات الحديثة – من قيادة العمل مع مئات من العلماء والخبراء والمحررين في مختلف العلوم – وإدارته بنجاح واستمرار .

وقد كنت أتوقع – في تقديري – أن تعالج البحوث المعروضة على المؤتمر ما عول عليه المجمع من عقده من الكتابة في المحاور التي أعلنها ، والتي روعي في اختيارها حاجة المعجم إلى معالجتها ، لقد كانت أغلب البحوث تتناول القضايا العامة في المعجم : مفهومه ، أهميته ، تاريخه ... إلخ ومن ثم كانت فائدتها تعريفية وإعلامية فحسب .

وعلى سبيل التمثيل لم يكتب أحد في المحور الأول (المعالجة الحاسوبية للمعجم التاريخي) على بالغ أهميته ، وكُتب بحث واحد عن (التجارب العالمية الأخرى لوضع معجم تاريخي) عالج فيه صاحبه التجربة الإنجليزية ، وقد سبق أن عرضها

إسماعيل مظهر في ترجمته لمقدمة معجم أكسفورد ١٩٤٥م ، وعالجها بإسهاب الدكتور داود حلمي في كتابه الرائد (المعجم الإنجليزي) ، كما لم تهتم بقية البحوث بالمجال الرابع (قضايا خاصة ببنية المعجم التاريخي) .

وفي تقديري أيضًا أن البحوث التي قدمها أعضاء اللجنة الرباعية بمؤتمر الشارقة والتقارير التي وضعوها كلها أعمال علمية رفيعة المستوى والغاية ، من لغويين أكفاء متمرسين بالعمل اللغوي بعامة ، والمعجمي بخاصة ، ولكنها بدأت من حيث بدأ البحث في منهج المعجم الذي قدمته في مذكرات عام ٢٠٠٤م ، وكنت أتوقع أن تستكمل عناصر البحث التي انتهى إليها تقريري الذي أقرته لجنة المعجم . كما أنها ركزتْ البحث في الجوانب النظرية - في أغلب الأحوال - دون أن تعطي أهمية كبيرة للمشكلات التي ذكرتها في مذكراتي عن المنهج وتقريري عنه .

وفي اجتماع اللجنة الرباعية بالشارقة كان الخلاف شديدًا بين أعضائها ، ومما طال فيه الخلاف أن لجنة المعجم قد استقر أمرها على تسمية عصور اللغة العربية وعددها ومسوغات الأمرين ، ولم يكن موضوعيًا - في تقديري - أن تُنكر هذه العصور أو يعاد النظر فيها .

وثمة موضوع آخر استغرق وقتًا طويلًا من الجدل وهو (مدونة المعجم) أو مصادره ، أتضم كل نصوص اللغة العربية في كل عصورها وأقطارها ؟ [دعا إلى ذلك أحد أعضاء اللجنة] أم نكتفي بعينات كبيرة منها تُختار بطريقة ذات دلالة إحصائية مناسبة من حيث الزمان والمكان ؟ (وكان هذا رأيي الذي فصلته في مذكرتي عن مصادر المعجم ورأي الدكتور القاسمي أيضًا) . (وانظر ص ١٨٩ ، ٢٢٢ - ٢٢٤) .

الموقف الراهن :

في الدورة الحادية والسبعين لمؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة ألقيت في ٢١/ ٣/ ٢٠٠٥م محاضرة بعنوان (المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل) قلت في مستهلها :

إن إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية يحتاج إلى مئات من العلماء واللغويين ومئات من المحررين والمراجعين والمحوسبين ، ويتطلب جهازًا إداريًا عالي الكفاءة ، ويستنفد نفقات ضخمة قد تبلغ بضع ملايين ، وقد يستغرق إنجازه عشرات من

السنين . أعلم هذا كله علم اليقين ، ولكن لا ينبغي أن يصرفنا ذلك عن الأمل في إنجازه ، وعن شق الطرق إليه .

لنتمسك بأمل ولو كان بعيدًا ، ولنمسك بخيط ولو كان ضعيفًا ، ولنهتد بضوء ولو كان خافتًا .

واليوم من عام ٢٠٠٧م حدثت أمور أجدها مبشرة بعمل أرجو أن يكون قريبًا لتحقيق آمالنا في وضع المعجم التاريخي للغة العربية .

تكفل سمو الشيخ الدكتور سلطان القاسمي أمير الشارقة بإعداد مقر دائم لهيئة المعجم بالقاهرة وبتدبير ميزانية دائمة لإنجازه .

وكان اتحاد المجامع قد أقر النظام الأساسي لهيئة المعجم ، وأنجزت لجنة المعجم عددًا من البحوث والتقريرات التي تتناول عناصر المنهج العلمي للمعجم ، وبقي أن يشكل الاتحاد المجلس العلمي الذي سيناط به وضع المعجم بعد أن توقفت أعمال لجنة المعجم (انظر في أسباب هذا التوقف ص ١٧٢) وشُغل مكتب الاتحاد بالبحث عن المبنى المناسب ، ونرجو ألّا يطول انتظارنا .

وبعدُ ، فما زال أملي في إنجاز المعجم حاضرًا ، وما زال عملي من أجله متواصلًا ، بغض النظر عما آل إليه الحال في اتحاد المجامع ، من الاكتفاء بما تم إنجازه بمنهج العمل بالمعجم ، ومن الانشغال بالبحث عن مبنى مناسب للمشروع .

قلت في بداية هذه المقدمة أن لي مشروعي الخاص للبحث في علم اللغة التاريخي والذي يقع العمل بالمعجم التاريخي في مجاله ، وقد كانت مشاركتي في العمل بهيئة المعجم حافزًا على استئناف مشروعي الذي بدأت فيه منذ ثلاثة عقود ، فعند بداية مشاركتي في هذا العمل الجليل كونت (مجموعة بحث) ، من تلامذتي من المعيدين والمدرسين المساعدين بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم ومن الباحثين الآخرين المسجلين لدرجة الماجستير والدكتوراه ، وخططت لهم أن يكتبوا رسائلهم في المعاجم بعامة وفي المعجم التاريخي بخاصة . ووفقني الله – في أثناء عملي رئيسًا للقسم – إلى تدبير بعثتين إلى إنجلترا فاز بأولاهما المدرس المساعد أشرف محمد علي الذي أعددته ليسجل لدرجة الدكتوراه في (إحدى مشكلات اللغة العربية المعاصرة وعلاجها باستخدام الوسائل الآلية) ونال الثانية المدرس المساعد صفوت علي صالح ، وأعددته لتسجيل درجة الدكتوراه في (المدونة اللغوية Corpus Linguistics للعربية) . وكان

غرضي من ذلك أن يعملا في هذه المنطقة البكر من الدراسات اللغوية والتي أحرزت فيها الجامعات البريطانية تقدمًا باهرًا . وأملي أن يعودا إلى وطنهما ليحدثا الطفرة التي أرجوها في الدراسات اللغوية العربية .

وفي الوقت نفسه كان تلميذي المعيد : المعتز بالله السعيد قد شرع في إعداد رسالته للماجستير بعنوان (مدونة معجم عربي معاصر : معالجة لغوية حاسوبية) وأوشك الباحث أن يتمها هذه الأيام .

وثمة رسائل أخرى تعالج موضوعات في إطار ما سبق معالجة آلية .

ونال المعجم التاريخي نصيبه من هذا المشروع ، فاخترت من الباحثين المهتمين بالمعاجم من ينهض بمعالجة بعض قضاياه ، ومن بين هؤلاء الباحثين :

١ - الباحث : مصطفى صلاح ورسالته للماجستير عن (الشاهد في المعجم التاريخي) .

٢ - الباحث : مصطفى يوسف ورسالته للماجستير عن (ترتيب مواد المعجم التاريخي ومداخله) .

٣ - الباحث : أحمد عطية ورسالته للماجستير عن (المهمل والمستعمل من الألفاظ بين العصرين الجاهلي والإسلامي) .

وكلها - كما هو واضح من عناوينها - تعالج النواحي الإجرائية التي لم تأخذ حقها من بحوث المجمعيين وغيرهم ممن كتبوا عن المعجم التاريخي ومن مخطط هذه الرسائل فصول تعالج نماذج من جذور مختارة للمعجم ، وبهذا نصل إلى المعالجة الكاملة المتوقعة لمداخل المعجم وفقًا للمنهج المقترح ونستكمل المرحلة التطبيقية التي بدأتها بالنماذج الثمانية .

وثمة توجه آخر لا يقل أهمية عما سبق يتصل بأعمال أولية ينبغي القيام بها قبل الشروع في العمل بالمعجم ، وقد أشرت إلى بعضها في (ص : ١٣) من هذه المقدمة ؛ ومنها :

- عمل قوائم بجذور المعاجم الكبرى قديمة أو حديثة ومشتقاتها . ومما أنجزناه في ذلك قائمة لمعجم لسان العرب وأخرى للمعجم الوسيط .

- عمل فهارس ، للاستعانة بها في جمع المادة وتوثيقها . ومما أنجزناه بهذا الخصوص

عشرة دواوين من الشعر الجاهلي وديواني أبي نواس ولزوميات أبي العلاء المعري .

• عمل قوائم لأسماء الشعراء والعلماء والنحاة والمؤرخين والفلاسفة وغيرهم ممن يتردد ذكرهم في مدونة المعجم . وقد أنجزنا هذا العمل ، وبابه مفتوح لإضافة أسماء أخرى إليه .

وفي مخططتي أن يستمر هذا العمل ، وفي تقديري أنها تهدف إلى :

• إنجاز أعمال يمكن الاستفادة منها في وضع المعجم التاريخي .

• تدريب الباحثين على العمل المعجمي بكل مراحله جمعًا وتصنيفًا وتحريرًا ونشرًا ، والاعتماد في ذلك على الوسائل الآلية ، وتسخيرها لحل مشكلات العربية . وبكل تأكيد سوف يكون لهؤلاء الباحثين دور في العمل بالمعجم التاريخي .

هذه سبيلي في العمل من أجل البحث اللغوي بعامة والبحث في المعجم التاريخي بخاصة أرجو به خدمة لغتنا الشريفة وكتابة تاريخها الطويل ، وإحياء هويتنا العربية التي يهددها الضياع ، وحفز همم الباحثين وطلاب العلم إلى العمل من أجل لغتهم .

هذا الكتاب

منذ بداية عملي بلجنة المعجم التاريخي راودتني فكرة أن أضع كتابًا يحكي قصته ، منذ أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة مرسوم إنشائه عام ١٩٣٢م إلى اليوم .

وكنت آنذاك قد جمعت كل ما يتصل بالمعجم من بحوث وتقريرات تضمنتها محاضر جلسات المجمع ، ومن بحوث أخرى نُشرت قبل اعتزام اتحاد المجامع وضع المعجم . وأشرفت على ترجمة مقدمة المعجم الفرنسي وعلى نماذج مختارة من مواده ومن مواد معجم أكسفورد التاريخي ، بالإضافة إلى ما قدمته أمام لجنة المعجم من تقريرات ، وما ألقيته بمجمع القاهرة والشارقة من بحوث ، وما علقت به على بعض البحوث التي قدمها أعضاء لجنة المعجم ، وبذلك توافرت لدي وثائق هذا المشروع العظيم .

وقد لاحظت منذ مشاركتي في أعمال هذه اللجنة ، ومتابعتي لما ألقي في مؤتمر الشارقة ومؤتمر مجمع القاهرة من بحوث وما جرى حولها من نقاش أن كل الذين تحدثوا عن المعجم أو كتبوا توقفوا فحسب عند الجوانب التعريفية للمعجم ، ولم يتطرق أحد من هؤلاء أو أولئك إلى الجوانب الإجرائية في وضعه ، أو يقدم نموذجًا لما

يمكن أن يكون عليه . وقد دفعني هذا دفعًا إلى اقتحام تلك العقبة الكئود التي وقفوا أمامها ، وارتياد تلك المنطقة الشائكة التي تجنبوا الدخول إليها .

بدأت العمل في اختيار النماذج ، وجمع مادتها وتحليلها وكتابة تاريخها على ثلاث مراحل استغرقت سنتين ، أرخت في المرحلة الأولى للكلمات : قطار وذرة وسياسة ، وفي المرحلة الثانية أرخت لكلمتين ؛ هما : زُنّار وترجمان ، وفي المرحلة الثالثة أرخت للكلمات : وزير وحاجب وحكومة . وقد راعيت في اختياري للنماذج الثمانية أن تكون ممثلة لأنواع متعددة من التغير ولأشكال مختلفة من المعالجة . وقد احترست عند تقديمها وقلت :

إنها مادة صالحة لاستغلالها في تحرير مداخل في المعجم التاريخي المزمع إنجازه ولاختبار منهجه . وليست نماذج لمداخله . ومع ذلك فهي تكشف من خلال النصوص وعبر الأزمان والأصقاع عما حدث لمبانيها ومعانيها من تغير ، وهو بغية المعجم وغاية مستعمليه منه . وتكشف كذلك عن تصوري لمنهج العمل بالمعجم وبالإجراءات المتخذة لإنجازه .

وبهذين الأمرين : الوثائق والنماذج تحدد مضمون هذا الكتاب وهيكله – وهو في مبلغ علمي أول كتاب في العربية يعالج هذا الموضوع الفريد ، ويجمع بين هذين الأمرين ؛ الوثائق والنماذج .

الكتاب إذًا من قسمين أولهما عن الوثائق التي تحكي قصة التفكير فيه عام ١٩٣٢م والمحاولات التي بذلت لوضعه إلى اليوم ، والثاني عن النماذج الثمانية التي تكشف عن طبيعة التغير الحادث في مبانيها ومعانيها وعن المنهج المستخدم في علاجها .

يتضمن القسم الأول قسم الوثائق ثلاثة مباحث : أولها : عن جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة في وضع المعجم التاريخي ، والثاني : عن جهود اتحاد المجامع اللغوية في وضعه ، والثالث : عن التجارب السابقة .

ويتمثل القسم الثاني في مبحث واحد تحت عنوان (نماذج توضيحية لمواد مختارة للمعجم التاريخي للغة العربية) .

يعالج المبحث الأول من مباحث القسم الأول جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويتضمن الوثائق الخاصة بمرسوم إنشاء المجمع وتضمنه القرار بوضع المعجم التاريخي وكل القرارات والبحوث والمناقشات التي جرت حول معجم فيشر ، ويتضمن قائمة

بالبحوث المجمعية التي تناولت موضوع المعجم التاريخي في الدورة الواحدة والسبعين والثانية والسبعين (المخصصة له) والدورة الثالثة والسبعين .

ويتضمن كذلك نصًّا لمحاضرتي التي ألقيتها في مفتتح الدورة الحادية والسبعين بعنوان (المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل) وهي أول محاضرة في موضوعها . ونصًّا آخر لمحاضرة الدكتور ناصر الدين الأسد التي ألقاها في مؤتمر الدورة الثانية والسبعين بعنوان (المعجم الكبير يُغني عن المعجم التاريخي) وتحمل المحاضرة - كما هو واضح من عنوانها - رأيًا مختلفًا تمام الاختلاف عما هو مستقر بين أعضاء المجمع واتحاد المجامع من ضرورة وضع معجم تاريخي للغة العربية ، وكان هذا غرضي من نشرها ، وقد علقت عليها بما يكشف عن طبيعة المعجم التاريخي واختلافه عن المعجم الكبير في الشكل والموضوع ، وأبنت عن ضرورة المضي في وضع المعجم التاريخي .

ويعالج المبحث الثاني (جهود اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لوضع معجم تاريخي للغة العربية) .

يتصدر المبحث تعريف باتحاد المجامع الذي تأسس عام ١٩٧١م ، وبالمجامع التي يضمها ، وبأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها .

ويتضمن المبحث نص القرار الذي أصدره بإنشاء هيئة المعجم التاريخي للغة العربية في إبريل ٢٠٠٤م ، ولمحة موجزة عن النظام الأساسي للهيئة ، وعن الأجهزة العلمية التي ستتكفل بوضعه كما يتضمن تعريفًا بلجنة المعجم التي أوكل إليها القيام بأعمال المجلس العلمي إلى حين تشكيله وتشكيل لجانه ، وباللجنة الرباعية التي أوكل إليها استكمال المنهج العلمي للمعجم .

ومن وثائق الاتحاد التي حرصت على تسجيل نصِّها : المذكرات التي قدمتها عن منهج المعجم التاريخي ، والتي كانت أول عمل قدم إلى لجنة المعجم لمعالجته ، والتقرير الذي قدمته عما دار حول هذه المذكرات من نقاش ، وما كتب عنها من تقريرات ، والتقرير الخاص ببرنامج اقترحته لإعداد محررين للمعجم ، ونموذج للسيرة الذاتية لعلماء اللغة والمتخصصين في المعجمية .

وفي نهاية المبحث عرض موسع لبعض البحوث المقدمة من أعضاء لجنة المعجم ، وتعليقي على ما تضمنته من أفكار وهذه هي عناوينها :

- النشر الإلكتروني للنصوص العربية . للدكتور أحمد الضبيب .
- مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي . للدكتور علي القاسمي .
- ملاحظات على الخطة العلمية للمعجم التاريخي . للدكتور إبراهيم بن مراد .
- تصور عام في التدريب على قضايا المعجم التاريخي . للدكتور إبراهيم بن مراد .
- في مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته . للدكتور إبراهيم بن مراد .

أما المبحث الثالث (تجارب سابقة لوضع معجم لغوي تاريخي) فيتضمن النصوص الآتية :

١ - ترجمة مقدمة معجم أكسفورد التاريخي التي نهض بها الأستاذ إسماعيل مظهر ونشرها بمجلة المقتطف عام ١٩٤٥م .

٢ - البحث الرائد الذي كتبه الأستاذ إسماعيل مظهر عن (اللغة العربية وحاجتها إلى معجم تاريخي) والذي نشره بمجلة (المجلة) عام ١٩٦٠م والذي ذيله بالجزء الخاص بمادة (أخذ) من معجم فيشر ، وقد راجعت هذا الجزء ووثقت شواهده وعزوتها إلى مصادرها .

٣ - ترجمة مادة Cant من معجم أكسفورد التاريخي والتي نهض بها الدكتور داود حلمي وذيل بها دراسته الموسعة التي بلغت مائة صفحة عن هذا المعجم .

٤ - ترجمة مقدمة المعجم التاريخي للغة الفرنسية ، وبعض نماذج من مواده قامت بها الباحثة سارة صلاح الدين ، وقد أشرفت على الترجمة وحررت الصيغة النهائية لها .

٥ - ترجمة نصوص مختارة من معجم أكسفورد التاريخي المختصر نهض بها بإشرافي ومراجعتي تلميذاي أشرف محمد علي ، وصفوت علي صالح المدرسان المساعدان بكلية دار العلوم .

أما القسم الثاني فيتمثل في مبحث واحد : (نماذج توضيحية لمواد مختارة للمعجم التاريخي للغة العربية) .

وقد صدرته بفصل من رسالة تلميذتي الدكتورة صباح حلبي عن (تطور الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم) والتي أجيزت عام ١٩٨٨م والتي أعدها بداية مشروعي للبحث في المعجم التاريخي .

يعالج هذا الفصل لفظ (اللّٰه) من حيث مدلوله في الشعر الجاهلي ، ومن حيث

مدلوله في القرآن الكريم ، ويبين في النهاية تطور مدلول اللفظ بينهما .

أما صلب المبحث فقد كان النماذج الثمانية التي اخترتها للبحث . وقد بينت في مقدمتها أنها مستخلصة من نصوص تنتمي إلى عصور اللغة العربية الخمسة ، وأن مصادرها أشبه بأن تكون مدونة صغرى تعد مثلًا في تنوعها وشمولها للمدونة الكبرى المقترحة للمعجم .

وأوضحت الإجراءات التي اتخذتها في الاستشهاد والتوثيق والتحرير ، وقد ذيلت المبحث بقائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في استخلاص مادته وتفسيرها .

وفي (خاتمة المطاف) أوجزت القول في ثلاثة عناصر كبرى تمثل أهم نتائج البحث :

أولها : (التغير اللغوي وطبيعته) :

وهو الهدف الأكبر الذي يسعى المعجم التاريخي إلى بيانه ؛ أوضحت مفهوم التغير ، والتقسيمات العديدة لمظاهره ، وطبيعته من خلال تحليل لغوي لما يحدث لكلمة (صلاة) وكيف تغير معناها من عصر الجاهلية إلى العصر الإسلامي ، وذكرت السمات أو المكونات الفارقة بين المعنيين ، وانتقلت من ذلك إلى النماذج الثمانية مؤرخًا لما حدث لمبانيها ومعانيها من تغير عبر العصور ، مع الاستشهاد على استعمالاتها المتعددة بشواهد موثقة من الشعر والنثر . ولم أكتف بدلالة النصوص ، بل استعنت بآراء العلماء مؤرخين وأدباء ولغويين وفلاسفة في وضع تاريخ لها يوازي ما تدل عليه النصوص ، مع عناية خاصة بمعانيها الاصطلاحية .

والثاني : (قصة المعجم التاريخي بين الأمل والعمل) :

أوجزت فيه قصة المعجم منذ بدأ التفكير في وضعه حتى اليوم ، ووقفت طويلًا عند جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة واتحاد المجامع اللغوية ، وما بذلاه من جهود لإنجازه ، وأبديت رأيي في الطريقة التي يعمل بها الاتحاد ، وبموقفي من البحوث التي جرت حول منهج المعجم .

والثالث : (صناعة المعجم آليًا) :

أوضحت عند نقدي للطريقة التي يعمل بها الاتحاد أن من دواعي الأمل في إنجاز

المعجم التاريخي تطور الوسائل الآلية لمعالجة المعاجم من حيث جمع المادة وتحريرها ونشرها ، وأنه لا مندوحة من الاعتماد على هذه الوسائل والاستعانة بخبرائها ، وأوضحت كذلك التباين الواضح بين ما وصلت إليه الصناعة المعجمية في الغرب من تقدم هائل في كل مراحل الصناعة المعجمية ، وما عليه الموقف العربي من توقف عند جمع المادة فحسب دون معالجتها . ومع استعانتي ببعض المدونات المتوافرة في جمع مادة النماذج الثمانية فقد تبين لي أنها غير كافية بل قاصرة ، وبها أخطاء توجب الحذر من اعتمادها ، وتوجب الرجوع إلى المصادر الورقية لتوثيق مادتها .

وبعدُ فهذا كتابنا ينطق بما بذلناه من جهد في بحث موضوعه وإعداد وثائقه ونماذجه نقدمه لقرائنا الكرام ثمرة دانية نبتغي به وجه الحق في الدرس اللغوي بعامة وفي المعجم التاريخي بخاصة .

والله من وراء القصد وبه نستعين

د. محمد حسن عبد العزيز
أستاذ علم اللغة بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة
عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة
عضو لجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع

رمضان الكريم ١٤٢٨هـ / سبتمبر ٢٠٠٧م

* * *

المعجم التاريخي للغة العربية

جهود مجمع اللغة العربية بالقاهرة لوضع معجم تاريخي للغة العربية

أولا : مرسوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية .

ثانيا : معجم فيشر .

ثالثا : بحوث مجمعية عن المعجم التاريخي .

- في الدورة الواحدة والسبعين .
- في الدورة الثانية والسبعين .
- في الدورة الثالثة والسبعين .

رابعا : عرض وتعليق على بعض البحوث المجمعية .

- المعجم التاريخي بين الأمل والعمل .

د. محمد حسن عبد العزيز

- المعجم الكبير يغني عن المعجم التاريخي .

د. ناصر الدين الأسد

أولا

مرسوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية

جاء في مرسوم إنشاء المجمع في المادة الثانية الخاصة بأغراض المجمع :

أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها . (١٤ شعبان ١٣٥١هـ - ١٣ ديسمبر ١٩٣٢م) .

* * *

ثانيا معجم فيشر

صدر مرسوم بتعيين الأعضاء العاملين بالمجمع في أكتوبر ١٩٣٣م وكان من بينهم المستشرق الألماني أ . فيشر من جامعة ليبزج .

وقد عرض فيشر على أعضاء المجمع مشروعه لإعداد معجم للغة العربية .

وفي الجلسة السادسة عشرة من الدورة الثانية للمجمع في مارس ١٩٣٥م صدر عن لجنة المعجم القرار الآتي :

« اجتمعت لجنة المعجم ، ونظرت في تقرير الأستاذ فيشر الخاص بوضع نظام مفصل لتأليف المعجم اللغوي التاريخي ، وفي أثناء البحث علمت اللجنة أن الأستاذ فيشر كاد يفرغ من عمل معجم لغوي تاريخي لخمسة القرون الأولى من الهجرة في نفس الغرض الذي تبحث فيه اللجنة ، فاقترح حضرة الأستاذ نلينو ، عضو اللجنة ، أن ينتفع المجمع بعمل الأستاذ فيشر ، ويختصر به وقتًا طويلًا وجهدًا عظيمًا في تأليف المعجم اللغوي التاريخي بأن تتولى وزارة المعارف طبع معجم الأستاذ فيشر على نفقتها بإشرافه وبمساعدة موظفين يعاونونه في الطبع والتصحيح والمراجعة والتحرير النهائي ، وباتفاق الوزارة معه على الطريقة التي تكفل له الإقامة والراحة في مصر مدة إشرافه على طبع هذا المعجم » .

وقد وافقت اللجنة على اقتراح الأستاذ نلينو بالإجماع ، وقررت أن يقدِّم الأستاذ فيشر كراسة تشمل بعض مواد المعجم مصنفة على مثاله للاطلاع عليها .

وفي الجلسة الثالثة والثلاثين من الدورة نفسها تُلي محضر للجنة المعجم ، وهذا نصه :

« دار البحث في هذه الجلسة في معجم الدكتور فيشر الذي يرغب في طبعه ، وقد كتب حضرة الدكتور فيشر ملحقًا بتقريره الأول . وقد قرئ هذا الملحق في

الجلسة ، ويمكن تلخيص المناقشات فيما يأتي :

أ - **موضوع المعجم :**

هذا المعجم خاص بألفاظ اللغة العربية الأدبية الواردة في دواوين الشعر ، ونصوص النثر الفني وغير الفني ، والقرآن (على اختلاف الروايات) ، والحديث . أما المصطلحات فلا يذكر منها إلا ما يتعلق بالعلوم العربية كالنحو ، والصرف ، والعروض والقوافي ، ومصطلح الحديث .

ب - **مزايا هذا المعجم :**

١ - إن كلمات معجم حضرة الدكتور فيشر مأخوذة مباشرة من النصوص العربية ، مع الإشارة إلى المصادر المأخوذة منها .

٢ - إن هذا المعجم يبين نشوء الكلمة بحسب وجودها التاريخي .

٣ - إنه يظهر منه أن الكلمة كثيرة الاستعمال أو نادرة .

٤ - إنه يبين اختلاف دلالات الكلمات بحسب اختلاف الأقطار التي تستعمل فيها .

٥ - يمتاز بحسن ترتيب المادة وفروعها ليسهل الاهتداء إلى المقصود منها ، وليعرف تاريخ تطور الكلمة في الدلالة على المعاني المختلفة .

٦ - وإن ما فيه من الشواهد وما أشار إليه من المراجع المختلفة يرشد الباحث إلى المعنى الحقيقي للكلمة الذي لا يجده في المعجمات التي تخلو من الشواهد .

٧ - يشرح ويبين المعنى الحقيقي لبعض الكلمات الواردة في بعض المصادر العربية التي عجز عن تفسيرها مؤلفو المعاجم القديمة ، لعدم معرفتهم باللغات السامية وعادات بعض الأمم التي كانت تجاور العرب .

جـ - **مقترحات في المعجم :**

١ - إذا كان هناك خلاف في رواية كلمة في أحد المتون القديمة ، ولم يمكن الحكم على أصح الروايات ؛ فلا بد من ذكر الرواية الأخرى مع الإشارة إلى الراوي .

٢ - وضع حضرة الدكتور فيشر في أكثر جزازاته ترجمة للكلمة العربية باللغتين الألمانية والإنكليزية ، وترى اللجنة أن تترجم الكلمات العربية باللغتين الإنكليزية والفرنسية .

د - جزازات أخرى :

ذكر حضرة الدكتور فيشر في المصادر التي رجع إليها دواوين الشعراء والمولدين من بعد القرن الثالث الهجري . وهذا القسم في الجزازات لا يدخل في المعجم الذي اقترح المجمع طبعه في مصر ، ولكن حضرة الأستاذ فيشر سيقدمها إلى المجمع لينتفع بها في معجمه الكبير .

واقترح حضرة الأستاذ الجارم بعد ذلك أن يرسل للمجمع بعض صفحات من هذا المعجم في الصيف ، لتكون نموذجا منه يطلع عليه حضرات الأعضاء ، فوافق حضرة الدكتور فيشر على ذلك » .

وفي الجلسة الخامسة والثلاثين من الدورة نفسها عُرض تقرير فيشر ، وهذا نصه :

أ - جمعت :

١ - كل الكلمات بلا استثناء التي :

١ - في دواوين امرئ القيس . النابغة الذبياني . عنترة . طرفة . علقمة . زهير بن أبي سلمى . الأعشى . الطرماح . الطفيل الغنوي . جران العود . ذي الرمة .

٢ - في ديوان أشعار الهذليين باعتناء (Kosegarten ، Follhousen)

٣ - في المفضليات .

٢ - كل الكلمات تقريبًا التي :

١ - في ديوان أوس بن حجر .

٢ - في حماسة أبي تمام .

٣ - في حماسة البحتري .

٤ - في المقامات الحريرية .

٣ - كل الكلمات غير المشهورة التي :

١ - في دواوين عبيد بن الأبرص . عامر بن الطفيل . المتلمس . الحطيئة . عمرو ابن قميئة . عروة بن الورد . قيس بن الخطيم . حاتم الطائي . عمرو بن كلثوم . الحارث بن حلزة . لبيد بن ربيعة . الخنساء . أمية بن أبي الصلت . حسان بن ثابت . سلامة بن جندل . الشماخ . أبي ذؤيب الهذلي . أبي كبير الهذلي . القطامي .

القحيف العقيلي . أبي دهبل الجمحي . مزاحم العقيلي . عمر بن أبي ربيعة . الكميت . الهاشميات . ابن قيس الرقيات . كُثير عزة . أبي العتاهية . الفرزدق . جرير . الأخطل . العجاج . رؤبة بن العجاج .

٢ – في بعض شعر أبي العلاء المعري وأبي نواس .

٣ – في الأصمعيات .

٤ – في مجمع الأمثال للميداني .

٥ – في صحيحي البخاري ومسلم .

٤ – كلمات كثيرة :

١ – في الكامل للمبرد .

٢ – في سيرة النبي ﷺ لابن هشام .

٣ – في كتاب المغازي للواقدي .

٤ – في التاريخ للطبري . وفي غيرها .

ب – وجمعت :

١ – كل الاصطلاحات النحوية التي في كتاب سيبويه وفي المفصل للزمخشري .

٢ – الاصطلاحات الخاصة بالحديث وبنقد أسانيد الأحاديث .

جـ – قصدي من هذا المعجم :

قصدي أن أضمن معجمي كل اللغة العربية الأدبية الخاصة بزمان الجاهلية ، وبثلاثة القرون الأولى بعد الهجرة ؛ ففي هذه القرون نشأت اللغة العربية الفصيحة ، وازدهرت ، وبلغت حد الكمال .

وأرى لتحقيق غرضي هذا أن أتمم ذخيرة جزازاتي بأن أجمع أيضًا كل الكلمات المهمة التي تشتمل عليها أشعار كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، وكتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، مما لا يوجد في الدواوين ومجموعات الشعر المذكورة آنفًا ، وهي التي قد خزنت ألفاظها في جزازاتي .

وكذلك كلمات ديوان نابغة بني شيبان الذي لم يطبع إلَّا قبل ثلاث سنين ، وديوان كعب بن زهير الذي في (هلة) في نسخة مخطوطة . وأرى أن أراعي أيضًا

دواوين أشهر الشعراء المولدين ؛ مثل بشار بن برد ، والعباس بن الأحنف ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، وابن الرومي ، وابن المعتز ، والمتنبي ، وأبي فراس . ومع أن لغتهم غير فصيحة فإنهم كانوا في القرنين الثاني والثالث من الهجرة . أما أبو نواس والمتنبي وأبو العلاء المعري فقد ذكرت فيما تقدم بيانه أني قد جمعت كلمات كل ديوان المتنبي وعدة أشعار لأبي العلاء المعري ولأبي نواس .

ومن البديهي أن ألتفت أيضًا إلى كتب الحديث للترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه والدارمي . ولحسن الحظ لست محتاجًا أن أجمع كلماتها من مصادرها ، فإن الأستاذ فنسنك قيدها كلها بحسب الترتيب الهجائي في فهرسه (Concordance) .

د – نظام العمل في تحرير المعجم :

« سأصنف المعجم بمقتضى القواعد التي قد قررتها لجنة المعجم إن ساعدني موظفان أو ثلاثة يعينونني في اقتباس الألفاظ من المصادر وترتيبها ، وفي تحرير المعجم النهائي ، ويمكنني إتمام تصنيف المعجم وطبعه في ست سنين . وأقترح أن ينشر المعجم جزءًا فجزءًا ، وفي كل جزء ١٢٠ صفحة . ومن رأيي أنه يمكنني نشر الجزء الأول في آخر سنة ١٩٣٦م » .

وبعد تلاوة التقرير دار نقاش حول أهمية المعجم الذي يرغب فيشر في إعداده ، وعن الجزازات التي جمعها ، وكيف يستفيد المجمع منها لا سيما وقد أشار المستشرق نلينو إلى أن جزازاته قيمة . وقد آثر صاحبها أن يهديها إلى المجمع ، ليكون طبع هذا المعجم في زمن وجيز إحدى مفاخر هذا المجمع .

وقد انتهت الجلسة بتقديم أجل الشكر إلى الدكتور فيشر على رغبته في إهداء جزازاته إلى المجمع ، والسعي إلى دعوته للإقامة بمصر ستة شهور كل سنة ليخدم العربية بتحرير معجمه .

وفي الدورة الثالثة للمجمع ١٩٣٦م وفي الجلسة الثانية وُزِّع نموذج لمعجم فيشر على أعضاء المجمع لدراسته .

وقد دار نقاش طويل حول هذا الموضوع لا تتسع أوراق هذا الكتاب لتفصيلاته ، وقد لخصه الأستاذ محمد شوقي أمين في بحثه المعنون بـ (مثال أخذ من معجم فيشر) والذي نشر في العدد (٤٢) من مجلة المجمع في نوفمبر ١٩٧٨م . استعير هنا عبارته ، يقول :

« وحين عرض النموذج على لجنة أُلفت للبحث في شأنه قدم رئيس المجمع اقتراحًا بأن يُطبع المعجم وأن يتولى الدكتور فيشر تصحيحه بمصر ، على أن يحل ما يرده من استدراكات الأعضاء محل النظر والتقدير ، وأن يعاونه من أعضاء المجمع من يتفق الرئيس معهم .

ونوقش الاقتراح في جلسة للمجمع ، فوافقت عليه غالبية الأعضاء ، وعارض فيه من عارض ، وامتنع من إبداء الرأي من امتنع . وإن المتتبع للمناقشات حول المعجم ونموذجه ليتبين له أنه قد أبديت عليه ملاحظات ، وافترقت فيه آراء .

كان من رأي الشيخ إبراهيم حمروش أن استدراكات الأعضاء قد لا يُعمل بها ، وماذا يكون الأمر حين يغض الطرف عنها ، وإن إقرار المجمع لطبع المعجم التزام بصحة ما فيه . وإن في المعجم تفصيلًا لا حاجة إلى الكثير منه ، فهناك معانٍ متداخلة لا متغايرة ، ولا يصح جعلها فصولًا قائمة بذاتها ، فليس بصواب أن يكون الأخذ في الحرب فصلًا من معاني « أخذ » ، ومن خلاف الصواب اعتبار أخذ بمعنى « نوّم » في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وإنما المعنى : لا تغلبه .

وكان من رأي الأستاذ أحمد العوامري أن هناك ملاحظات عامة يجب استخلاصها وإظهار المؤلف عليها ، حتى يعمل بها فهناك شواهد لا تؤدي معنًى جديدًا ، فيحسن حذفها ، وهناك شواهد مقتضبة لا يفهم المراد منها إلّا بالرجوع إلى أصولها ، وهناك ألفاظ غريبة وأعلام غير مشهورة فيحسن تفسيرها .

وكان من رأي الأستاذ أحمد الإسكندري أن هناك شواهد لا داعية إليها ، واستشهادات على أفعال قياسية ، وأن ثمة مسألة ذات بالٍ ، وهي أن النموذج لم يذكر إلا الشواهد على المعاني الأصلية ، ولم يميز بين الحقيقة والمجاز ، ولو فرّق بين استعمالات الكلمات في أقوال الشعراء لكان له الشأن العظيم .

وقال الشيخ عبد القادر المغربي : إن من أمثلة ما تجب ملاحظته النقط الدينية ، مثل ذكر حديث « **إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » في معاني « أخذ » الحقيقية ، وبدهي أن أخذ الله للظالم ليس من باب الحقيقة في شيء ، وإنما هو مجاز أو كناية عن الاستيلاء .

أما الأستاذ علي الجارم فكان رأيه أن تفصيل المعاني المتداخلة تبيين لاختلاف

الأساليب ، والمعجمات غير العربية تُعني بذلك كل العناية ، فتفصل بين أخذ الكتاب وأخذ الأسير وأخذ الرأي مثلًا ، فإذا أخذنا بهذا النسق فتحنا أبواب اللغة للناس ، وسهلنا عليهم تذوق الألفاظ في أحسن مواقعها في الاستعمال .

وقال الأستاذ ماسنيون : إن النموذج يذكر شواهد النادر والغريب وغيرهما ، فيثبت أقدم شاهد للمعنى المشروح ، والمعجم الذي يؤرخ للكلمات ومعانيها يجب أن يعني بإثبات الشواهد القديمة عليها ، سواء أكانت معروفة ظاهرة أم كانت من الغريب المجهول . واللجنة المؤلفة لمعاونة الأستاذ فيشر ستبدي له آراءها ، وحبه للصواب سيغريه بدرس تلك الآراء ، ولكن هذا لا يسلبه حقه في اختيار ما يراه من ناحية الترتيب والتهذيب ، والفصل بين أصول المعاني وفروعها ، والتفرقة بين الحقائق وعوارضها فذلك كله موكول إليه . لا تريده اللجنة على شيء منه .

وقال الأستاذ نلينو : لعل الأستاذ فيشر لا يوافق على المعاونة إذا كان معناها إلزامه التغيير والتبديل ، فهو المسؤول عن نظام معجمه ، بيد أنه بالضرورة يتقبل المقترحات تقبل النصيحة لا تقبل الأمر .

ويمضي الأستاذ شوقي أمين في متابعة ما حدث لمعجم فيشر قائلًا : « وتنفيذًا للقرار المعجمي السالف الذكر أصدر رئيس المجمع قرارًا بتأليف اللجنة التي يُعهد إليها معاونة الدكتور فيشر في مراجعة معجمه ، عند تقديمه للطبع . ولكن القرار وقد صدر سنة ١٩٣٦م – ظل معلقا غير معمول به حتى سنة ١٩٣٨م – وربما كانت في المناقشات التي أجملنا طرفًا منها سر هذا التعليق » .

على أن الدكتور فيشر أوشك في سنة ١٩٣٨م أن يقدم الجزء الأول في معجمه للطبع ، فلما عرض ذلك على المجمع ، تقرر إعفاء لجنة المعاونة من مهمتها ، وترك أمر المعجم لمؤلفه ، يُطبع باسمه ، وعليه تبعته .

وهكذا مضى الدكتور فيشر في عمله في المعجم ، مستقلًّا به ، وما هي إلَّا أن نشبت الحرب العالمية ، فحالت بينه وبين العودة إلى القاهرة ، وكان قد غادرها صيفًا ، وبذلك تعذرت مواصلة العمل في المعجم ، بعد أن أعد الدكتور فيشر مقدمته والجزء الأول منه ، حتى آخر مادة « أبد » وراجع بعض تجارب الطبع .

وفي سنة ١٩٤٩م توفي الدكتور فيشر ، فعرض رئيس المجمع اقتراحًا بأن يطبع هذا القدر الذي تتمثل فيه طريقة المؤلف ومنهجه وبيان مراجعه ، كما يحتوي

النموذج الواضح لمواد المعجم وأسلوب صياغتها وتفصيل معانيها ، فهو بذلك صورة صحيحة للنحو الذي كان يريد المؤلف أن يخرج عليه معجمه ، ولا يعوزه إلَّا ما عساه يعن أثناء المراجعة . وما لبث المجمع أن وافق على هذا الاقتراح فأخرج المجمع ذلك القدر مطبوعًا مرتين .

وقد كنت اعتزم نشر هذه الجزازات التي جعلها الأستاذ شوقي أمين عنوانًا لبحثه . ولكن حال دون ذلك أمران ، الأول أنه نشرها بخط فيشر ، وفي قراءتها صعوبة ، والثاني أن الأستاذ إسماعيل مظهر ، وقد كان من معاوني فيشر قد سبق بنشرها مضمنةً في بحث بعنوان (اللغة العربية وحاجتها إلى معجم تاريخي) نشرته مجلة (المجلة) ، السنة الرابعة ، أبريل ١٩٦٠م وهذا البحث وثيقة بالغة الأهمية في موضوعنا ؛ ولهذا آثرنا نشره في كتابنا هذا .

* * *

ثالثا

دورة مجمعية خاصة بالمعجم التاريخي

أدرك المجمع – مع ما بذله من جهود في إعداد معجم تاريخي للغة العربية – أن وضع مثل هذا المعجم يستلزم استقصاء نصوص النثر والشعر في مختلف العصور والبيئات ، وتسجيل ما ورد فيها من ألفاظ ودلالات ، وهذا ما لم تتهيأ كل أسباب بعدُ .

واعتذر الدكتور مدكور في مقدمة الجزء الأول من المعجم الكبير الذي نشر عام ١٩٧٠م عن إخراج معجم (فيشر) ، وآثر أن يمضي في استكمال المعجم الكبير .

وبقرار اتحاد المجامع اللغوية العربية بإنشاء (مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية) عاد موضوع المعجم التاريخي ليدرس من جديد .

وقد احتضن مجمع القاهرة اتحاد المجامع منذ نشأته ١٩٧١م واختار أعضاءُ المجامع المجمعَ مقرًا له ، ورئيسه رئيسًا له ، وأمينه العام أمينًا له .

وقد دعم المجمع مشروعات الاتحاد ، وفي مقدمتها مشروع المعجم التاريخي بكل سبيل مادي ومعنوي .

وفي هذه الأثناء أُلقيتُ بقاعة محاضرات المجمع محاضرة بعنوان (المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل) ، وكانت المحاضرة من أعمال مؤتمر المجمع في دورته الواحدة والسبعين .

وفي مؤتمر المجمع الحافل في دورته الثانية والسبعين ٢٠٠٥م – ٢٠٠٦م أُلقيتْ البحوث الآتية في قاعة المحاضرات بالمجمع .

- حول المعجم التاريخي للغة العربية . د . كمال بشر .
- المعجم التاريخي للغة العربية . أ . أحمد شفيق الخطيب .
- المعجم التاريخي للغة العربية في ضوء متغيرات الألفية . د . عبد العزيز عثمان التويجري .

- المعجم العلمي وشروط إنجازه العلمية . د . عبد الرحمن الحاج صالح .
- المعنى في المعجم التاريخي للغة العربية . د . عبد الكريم خليفة .
- المعجم التاريخي العربي (متع) قضاياه ، وطرق إنجازه . د . محمد رشاد الحمزاوي .
- أساس البلاغة شبه معجم تاريخي في عصره . د . محمد بن محمد بنشريفة .
- ملاحظات عامة حول مصادر اللغة العربية (الفصحى) القديمة والمتوسطة . د . رئيف جورج خوري .
- الشواهد في المعجم التاريخي . د . علي القاسمي .
- نحو مشاركة جماهيرية في جمع متن المعجم التاريخي للغة العربية . د . صادق عبد الله أبو سلمان .
- على خطى المعجم التاريخي للغة العربية . د . عبد الهادي التازي .
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية . د . عوض بن حمد القوزي .
- المعجم التاريخي ومتطلبات المثقف المعاصر . د . محمود فهمي حجازي .
- أغاليط في تاريخنا الأدبي . د . محمد إحسان النص .
- اللغة المصطلحية في المعجم التاريخي . د . عباس الصوري .
- المعجم التاريخي للعربية : ماهيته ، ودوافع تصنيفه ، ومتطلباته وبذوره التراثية . د . صادق عبد الله أبو سليمان .
- العربية منذ العصر التمهيدي (المعروف بالجاهلي) . أ . علي رجب المدني .
- التجربة الإنجليزية في المعجم التاريخي ، وتحديات العنصر البشري . د . عبده الراجحي .
- المعجم الكبير للمجمع يُغْني عن المعجم التاريخي للغة العربية . د . ناصر الدين الأسد .

واستمر اهتمام أعضاء المجمع في دراسة موضوع المعجم التاريخي ، وفي أثناء

الدورة الثالثة والسبعين ٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م ألقيت البحوث الآتية :

١ - وأمثلة أخرى للمعجم التاريخي [١] . د . محمد حسن عبد العزيز .

٢ - مصطلح مَجْمَع والمصطلحات المرادفة والمقاربة له معنًى (دراسة في تأصيل المصطلح) . د . صادق عبد الله أبو سليمان .

٣ - إنشاء مدونة المعجم التاريخي ، أبرز التحديات التي تواجهها مجامع اللغة العربية واتحادها [٢] . د . علي القاسمي .

ويسعدني أن أسجل هنا نص محاضرتي التي ألقيتها في إحدى جلسات المؤتمر في دورته الحادية والسبعين ، ويسعدني كذلك تسجيل محاضرة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد في أثناء انعقاد مؤتمر المجمع الثاني والسبعين بعنوان (المعجم الكبير يغني عن المعجم التاريخي اللغوي ؛ لأنها تحمل وجهة نظر معارضة لإعداد المعجم التاريخي ، وسوف يعقبها تعليقي عليها .

* * *

(١) هذا البحث هو الثاني لي في تقديم نماذج للمعجم التاريخي ، قدمت فيه نموذجين ؛ هما : كلمة (زُنَّار) و (ترجمان) ، أما البحث الأول فقد أُلقي في مؤتمر الشارقة بعنوان (المعجم التاريخي منهج وأمثلة) ، قدمت فيه ثلاثة نماذج ، هي : (قطار) و (ذرة) و (سياسة) .

(٢) هذه المحاضرة جزء من تقرير موسع قدمه الدكتور القاسمي للجنة العلمية بعنوان (خلاصة مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية) .

رابعا

عرض وتعليق على بعض البحوث المجمعية

المعجم التاريخي للغة العربية بين الأمل والعمل

د . محمد حسن عبد العزيز
عضو مجمع اللغة
العربية بالقاهرة ، مؤتمر المجمع ،
الدورة (٧١) ، ٢١ / ٣ / ٢٠٠٥م

أنا أعلم أن إنجاز معجم تاريخي للغة العربية عمل جبار أشبه ببناء الهرم ، مع الفارق طبعًا بين هرم من الأحجار وآخر من المعارف ، وأعلم أن كثيرًا من العالمين بأمره المقدرين لحاجاته ، يسرفون على أنفسهم ، ويستريحون إلى اليأس .

وقد يقال - وهذا صحيح - إن إنجازه يحتاج إلى مئات من العلماء واللغويين ، ومئات من المحررين والمراجعين والمحوسبين ، ويتطلب جهازًا إداريًا عالي الكفاءة ، ويستنفد نفقات ضخمة قد تبلغ بضع ملايين ، وقد يستغرق إنجازه عشرات من السنين . أعلم هذا كله علم اليقين ، ولكن لا ينبغي أن يصرفنا ذلك عن الأمل في إنجازه ، وعن شق الطرق إليه .

لنتمسك بأمل ولو كان بعيدًا ، ولنمسك بخيط ولو كان ضعيفًا ، ولنهتد بضوء ولو كان خافتًا إلى الذين يئسوا من إخراج المعجم التاريخي للغة العربية بعد أن بشروا به وشرعوا فيه ، وإلى الذين يتطلعون إلى المستقبل العلمي الزاهر للأمة العربية ، وإلى الذين يعملون ولا يفترون في خدمة اللغة العربية الشريفة والدين الإسلامي الحنيف ، أهدي هذه الأوراق لعلها تكون خطوة على الطريق .

العربية وحاجتها إلى معجم تاريخي :

استقر في وجدان العرب والمسلمين عبر تاريخ طويل وحتى عهد قريب حبهم الشديد للغة العربية ودفاعهم عنها ، يصفونها بأجمل الصفات ويعزون إليها أوفى

المزايا . أليست العربية لغة القرآن الكريم ولغة العلم والفن ، ووعاء الثقافة العربية والإسلامية طوال خمسة عشر قرنًا ؟!

يقول عنها أحد المستشرقين المعاصرين : إن اللغة العربية لغة متميزة ، عاشت خمسة عشر قرنًا لم تتغير في أثنائها تغيرًا جوهريًّا ، إنها غالبًا ما تكسب ولم تخسر ألبتة . إنها كفينوس ولدت وافية الجمال ، واحتفظت بهذا الجمال على الرغم مما أصابها بمرور الأيام ، لقد استطاعت أن تعبر عن الشيء وما يقابله ، لقد عرفت بالبساطة البالغة والتعقيد الشديد بالوجدان الصوفي وبالانغماس في الدنيوية ، بالتوقد والانطفاء . لقد امتلأت حيوية في عصور بهائها ، وواصلت طريقها في عصور محنتها في حالة أشبه بالبيات الشتوي . ولكنها حين نهضت من رقادها بدت كما كانت من قبل قوية فتية . قد يقال إن وراء ذلك عوامل دينية واجتماعية وهذا صحيح . ولكن قدرتها على الانتشار واحتفاظها بخصائصها وبحيويتها وبكمالها راجع إلى بنيتها ذاتها . وهذا مما يميزها على غيرها من اللغات .

وصلت إلينا اللغة العربية عن آبائنا كاملة ، وصلت إلينا لغة علم وفن وحياة ، بقواعدها النحوية والصرفية المنضبطة ، وبمعجمها الثري . ورثنا هذه اللغة بفصيحها وبلهجاتها وبدخيلها وبمعربها ، بمقيسها وبمسموعها ، وتلقيناها عنهم مضبوطة المباني غنية المعاني ؛ حتى لنكاد - في يومنا هذا - ننطقها كما نطقها العرب الأوائل ، ونفهمها فهما كاملًا أو مقاربًا .

هذا وجه من وجوه العربية ، وثمة وجه آخر تصوره الفقرة التالية .

اقتصرت المعاجم العربية على جمع المفردات وتقرير معانيها ، واختلاف معانيها باختلاف مبانيها ، وهو عمل جليل الفائدة ثابت الأثر منذ وضعوه حتى اليوم . بيد أن شعراء العرب وأدباءهم وعلماءهم وفلاسفتهم بله طبقات المجتمع الأخرى قد أدخلوا على معاني هذه الألفاظ معاني جديدة استخدموها لأغراضهم الفنية والعلمية والحياتية ، وعربوا ألفاظًا فارسية ويونانية وهندية احتاجوا إليها حين اتصلوا بحضارة الفرس والروم والهند وشعوب أخرى ، وحين ترجموا علومهم وتأثروا بثقافاتهم . وبكل أسف لم يدخل كثير من هذه المعاني أو المعربات معاجم اللغة أو مصنفاتها الأخرى ، وظلت متناثرة فيها يتناقلها الأدباء والعلماء . وتحفظها الأوراق فحسب . فإذا ما أردت الرجوع إلى تاريخ ما أحدثوه من جديد أعيتك الحيل ورجعت بغير شيء محقق .

هذه اللغة بهذه الأوصاف وبهذا التراث وعبر تاريخها الطويل وفي كل مكان وصلت إليه من المحيط إلى المحيط لا شك في حاجتها إلى معجم تاريخي يكون ديوانًا شاملا لمفرداتها ولمعاني مفرداتها ولأساليب استعمالها ، وكيف تنقلت من مبنى إلى مبنى ومن معنى إلى معنى حتى وصلت إلينا .

ولن يكون هذا المعجم لهذا فحسب ، بل سيكون خزانة لأفكار أهلها ولمشاعرهم ، ولما أنجزوه من تقدم علمي ، ولما قاموا به من دور في الحياة الإنسانية .

إن اللغة العربية ليست بدعًا بين اللغات العريقة في حاجتها إلى معجم تاريخي ، بل هي أجدر ، فهي أطول عمرًا وأوسع ساحة وأغنى تراثًا . وهي إحدى اللغات العالمية التي استخدمتها شعوب عديدة مختلفة الألوان والألسنة . وهي تحتفظ بتراث شعوب آثرتها على لغاتها القومية الحية : تكتب بها علومها وتعبر بها عن وجدانها .

وفي هذه الأيام التعسات تتعرض العربية لهجمة شرسة من أعدائها ومن بعض أهلها على حد سواء تبغي إتيانها من قواعدها ، وتتهمها بالعجز والقصور عن التعبير عن حياتنا الإنسانية والفكرية . وتستبدل بها غيرها في مؤسساتنا التعليمية والعلمية .

واللغة هي عنوان الهوية وخزانة الماضي وإرهاصات المستقبل . وهي آخر المعاقل والثغور الباقية بعد أن أحكم الغرب سيطرته على حياتنا السياسية والاجتماعية والفكرية .

إن هذه الأيام المصيرية في حياة الأمة العربية أنسب الأيام لبداية هذا المشروع العلمي الجليل ، لنؤرخ لماضينا التليد ، ونحيي في وجداننا كل عوامل التحدي والنهوض .

وإذا كان الجيل الأول العظيم الذي أنشأ هذا المجمع الخالد جعل المعجم التاريخي للغة العربية هدفًا من أهدافه . وشرع في وضعه واختط له منهجًا وجمع له جمعًا وحالت دون إنجازه حوائل . فنحن اليوم مطالبون باقتفاء أثره وإدراك غايته ولن نسلم - إن لم نفعل - من الحكم علينا بالتفريط في الأمانة التي حملناها ورضيناها في الحفاظ على العربية وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وبشؤون الحياة .

المعجم التاريخي خلق جديد ابتدعه الأوروبيون منذ قرن من الزمان . وهو عمل جليل نبيل جدير بكل أمة تحافظ على هويتها ، وتحيي ماضيها ، وتثري حاضرها

ومستقبلها وحقيق بها أن تنفق في سبيله غاية المستطاع ومنتهى الجهد والمال .

المعجم التاريخي للغة العربية سيكون مؤسسة علمية ينهض بتأليفها مئات من العلماء والأدباء واللغويين . وجامعة يلتحق بها مئات من الباحثين والمحررين والمساعدين .

المعجم التاريخي للغة العربية سيحدث ثورة في الدراسات التاريخية واللغوية . وسيكشف للباحثين عن كنوز كانت مدفونة وعن معارف لم تكن متاحة من قبل .

المعجم التاريخي للغة العربية ليس فحسب ديوانًا للعربية يضم بين دفتيه مفرداتها وأساليبها : مبانيها ومعانيها ، ما استخدم منها وما أميت أو هجر ، ما حدث لها من تغير عبر الأزمان والأصقاع ، بل سيكون كذا ديوانًا لتاريخ العرب والمسلمين ، ديوانًا للأحداث الكبرى من فتوح وحروب وهجرات وكوارث ، ديوانًا لحياتهم الاجتماعية بنظمها وبمظاهرها المادية والروحية ، ديوانًا لأفكارهم ومشاعرهم ، ديوانًا لعلومهم ، ومعارفهم وخبراتهم ، ديوانًا لعلاقتهم بالشعوب الأخرى ولتأثيرهم فيها وتأثرهم بها . ولا نبالغ إن قلنا : المعجم هو الوجه الآخر للحياة الإنسانية بكل تجلياتها المادية والروحية .

تعالج هذه الأوراق أحد الجوانب الرئيسية في صناعة المعجم التاريخي للعربية ، وهو الجانب العلمي المنهجي . ومن ثم أجد من الضروري أن أتعرض للقضايا الآتية التي تكشف عن هذا الجانب .

التجارب السابقة في صناعة المعجم التاريخي بعامة ، وسأعالج هنا موضوع معجم أكسفورد التاريخي للإنجليزية والمعجم التاريخي للغة الفرنسية .

والتجارب السابقة في صناعة المعجم التاريخي للغة العربية ، وسأعالج هنا موضوع مجمع اللغة العربية ومعجم (فيشر) وجهود جمعية المعجمية بتونس .

وفي النهاية سأقدم ملخصًا لأهم الأسس المنهجية التي أقترحها لإنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ، وهي الآن في معرض التحليل والمناقشة .

معجم أكسفورد التاريخي :

معجم أكسفورد التاريخي هو أول معجم في العالم يسجل مفردات اللغة : مبانيها ومعانيها ، ويعالجها معالجة تاريخية .

وهو - في إيجاز - يغطي مفردات اللغة الإنجليزية تغطية كاملة لم يسبق لها مثيل في تاريخ اللغات . فهو يذكر مع كل كلمة معانيها عبر التاريخ موضحة بشواهد مؤرخة من سنة ١١٥٠م حتى صدور آخر طبعة له عام ١٩٧٠م . ولقد تم جمع ما يزيد على ٥,٠٠٠,٠٠٠ بطاقة دونت عليها الكلمات وشواهدها مقتبسة من أكثر من ٥٠٠٠ مؤلف في مختلف العصور . سجل المعجم منها ١,٨٢٧,٣٠٦ شاهد لتوضيح ٤١٤,٨٢٥ مادة هي كل مواد المعجم .

ويتقصى المعجم حياة الكلمة في اللغة الإنجليزية ، واللغات المتصلة بها ليسجل تاريخ دخول الكلمة في الاستعمال ، ويبين نمو كل معنى من معانيها وصلاتها التاريخية بمعانيها الأخرى ، ويسجل كذلك الكلمات التي أميتت أو هجرت ، ويحدد آخر استعمال لها تثبته الشواهد في جمل أو عبارات واضحة . ويبين كذلك طرق الهجاء المختلفة للكلمة عبر القرون منذ أول مرة ظهرت فيها اللغة الإنجليزية ويضيف إلى ذلك المعلومات التي تقدمها عادة المعاجم الحديثة ؛ مثل : الإشارة إلى الهجاء المقبول ، والنطق السائد وطريقة استعمال الطبقات الاجتماعية والمهنية المختلفة للكلمة ، وما أصابها من هبوط وصعود مع بيان واضح لما أصاب مبنى الكلمة من تغيرات عبر الزمن .

وهذه الأمور جميعًا ، كما يقول أحد المؤرخين لهذا المعجم :

لم تجتمع لمعجم واحد من قبل ولا من بعد ، فلم يحدث في تاريخ أي لغة من اللغات أن سجلت في معجم يدنو من درجة كمال معجم أكسفورد للغة الإنجليزية ، كما أن معظم المعاجم التي صنعت بعده مدينة له .

إن هذا المعجم بحق يعد عملًا من أعظم ما أنتج العقل البشري .

يتصدر المعجم مقدمة ضافية تحكي قصته الفريدة ، وتحدد بدقة وتفصيل مادته ، ومنهجه ، والإجراءات التي اتخذت لإنجازه ، وقد أصبحت هذه المقدمة دستور كل معجمي يتطلع إلى وضع معجم لغوي تاريخي ، وقد ترجم جزءًا منها إسماعيل مظهر نشره في مجلة المقتطف عام ١٩٤٥م بعنوان (القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي) ودرسها دراسة شاملة عميقة الدكتور داود حلمي في كتابه (المعجم الإنجليزي) .

الخلفية الحضارية لمعجم أكسفورد :

يبدأ الدكتور داود عرضه المفصل لمعجم أكسفورد بالحديث عن الخلفية الحضارية للمعجم ، ويقرر أن معجم أي لغة يعكس التطور الاجتماعي للمتحدثين بها عبر العصور ، ويبين مدى ارتباط اللغة بثقافة أهلها ، ويستشهد على ذلك بأن معجم أكسفورد بدأ العمل به في عصر من أخصب عصور التاريخ البريطاني وأحفله بالحوادث العظام ؛ إذ شهد انتصارات إنجلترا العسكرية في أوروبا واحتلالها لمستعمراتها في آسيا وأفريقيا وتأسيس الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، وتسنمها مركز الصدارة في الحياة الاقتصادية والسياسية في العالم ، وشهد كذلك التطورات الكبرى في المجتمع الإنجليزي نفسه ، إجراءات الإصلاح الاجتماعي والسياسي ، وقيام مجتمع راقٍ على أسس ديمقراطية ، وشهد كذلك التطور العلمي الشامل في كل العلوم والتقدم المتسارع في الصناعة والتكنولوجيا وبخاصة في مجال الاتصالات ، وشهد كذلك انتشار اللغة الإنجليزية في العالم فأصبحت اللغة العالمية الأولى ، بل وشهد توحدها في الجزر البريطانية نفسها فيما يعرف بـ (Standared English) .

وفي كل مجال من المجالات السابقة ظهرت الحاجة إلى آلاف من الكلمات الجديدة تلاحق هذه التطورات الشاملة .

إن تأثير المخترعات العلمية ووسائل الحياة العصرية في اللغة لا يتوقف على مدى أهميتها فحسب ، بل على مدى تأثيرها في مسار البشرية والكلمات ليست إلّا رموزًا يستخدمها الإنسان ويحملها مقاصده ، والكلمات هي مقياس دقيق لفكر الإنسان في كل زمان ومكان . والمعجم يسير جنبًا إلى جنب مع تقدم المعرفة . إن ظهور كلمة جديدة في اللغة وتسجيل المعجم لها هو في الغالب تاريخ ظهور شيء مستحدث أو تجربة جديدة أو مفهوم مبتدع ، أو تغير طرأ على حياة الناطقين بها .

إن المعجم اللغوي يزودنا بشواهد على حياة الإنسان وعلى ما يطرأ عليها من تغيرات .

إن ظهور كلمة مثل (railway) و (Locomotive) في حوالي سنة ١٨٣٥م تسجل أن السكة الحديد ظهرت في هذا التاريخ .

الخلفية اللغوية لمعجم أكسفورد :

كان للدراسات اللغوية التي قامت على أسس تاريخية وتمت في النصف الأول من القرن التاسع عشر أثرها الملموس في دراسة اللغة بعامة وصناعة المعجم بخاصة ، وتجدر الإشارة هنا إلى أبي المعاجم الإنجليزية (صمويل جونسون) وإلى لمحته العبقرية في مقدمة معجمه حيث قال : « من الممكن جمع معاني الكلمة وتسجيلها وترتيبها ترتيبًا تاريخيًا مع ذكرها في شواهد » .

وجاء بعده (ريتشارد سون) ١٧٧٥م – ١٨٨٥م فصنع في عام ١٨٣٦م معجمًا جديدًا من نوعه اتبع فيه المنهج التاريخي الحديث آنذاك ، والمعجم لا يتضمن تعريف الكلمات فقط ، بل يعالج أيضًا معاني الكلمة المختلفة وتغيرها مع العناية بتسجيل تطور استعمالاتها في مراحل تاريخية متعاقبة وذلك بتسجيل الشواهد المبينة لذلك .

بيد أن معجم (ريتشاردسون) لم يفِ بما يتوقعه الباحثون في المعجم اللغوي ، ومن ثم أخذت الجمعية الفيلولوجية البريطانية على عاتقها تحقيق هذا العمل . وفي عام ١٨٥٨م قررت الجمعية الشروع في صنع المعجم اللغوي التاريخي ، وقد استغرق إعداده قريبًا من سبعين عامًا ؛ إذ صدر عام ١٩٢٨م بعنوان :

A New English Dictionary on Historical Drinciples in ten volumes

وأعيد إصداره سنة ١٩٦١م تحت عنوان :

The Oxford English Dictionary in twelve volumes

كما صدر له ملحق من جزء واحد يحتوي على الكلمات والمعاني الجديدة التي دخلت اللغة الإنجليزية بين ١٩٣٣م و ١٩٦١م فضلًا عن الإضافات والتنقيحات التي ألحقت بالأجزاء الأصلية بالإضافة إلى قائمة الكتب التي اقتبست منها شواهد المعجم الأصلي .

ومعجم أكسفورد بالإضافة إلى أنه ثمرة جهد عشرات من العلماء واللغويين على رأسهم ؛ ترنش وفورنيفال وكولريدج وموري كان ثمرة جهد عشرات من المساعدين والمراجعين ومئات من المتطوعين بلغ عددهم ما يقرب من ثمانمائة متطوع في كل من بريطانيا والولايات المتحدة أسهموا بدافع من حبهم للغتهم في جمع مواد المعجم والشواهد الدالة على وجودها واستعمالاتها المختلفة عبر التاريخ وتسجيلها في بطاقات موحدة الشكل والبيانات زودتهم بها إدارة تحرير المعجم .

أهداف المعجم :

الهدف الرئيسي لمعجم أكسفورد هو جمع كل كلمة وما يتصل بها من عبارات اصطلاحية عرف أنها استعملت في القرن الثاني عشر الميلادي ، وعلاجها معالجة تاريخية في مبناها ومعناها . والاستشهاد على ذلك بشواهد مناسبة ، ولا يكتفي بتسجيل الكلمات الفصحى المستعملة في الأدب والمحادثة ، المتداولة منها والمهجورة ، بل يحتوي أيضًا على المصطلحات العلمية والفنية ، وعلى بعض الاستعمالات اللهجية والعامية .

وكان من ثمرات هذا المعجم إعادة النظر في كثير من القواعد والأحكام الفيلولوجية ، وتوفير مادة موسوعية عن الإنجليزية وغيرها من اللغات وما بينها من علاقات ، أضف إلى ذلك أنه أصبح المرجع الأكبر المعتمد عليه في معرفة منهج العمل في المعجم بعامة والمعجم التاريخي بخاصة .

خطة العمل بالمعجم :

مر العمل في الإعداد للمعجم وفي إنجازه بمراحل عديدة ، واستغرق وقتًا طويلًا حتى استقرت خطة العمل ، ومن أهم معالم هذه الخطة .

١ - إعداد قوائم بالكتب والوثائق التي تستخلص منها مادة المعجم .

٢ - تحديد عصور اللغة الإنجليزية التي ستقوم على أساسها المقابلة ؛ وهي : الإنجليزية القديمة Old English من القرن السابع الميلادي حتى عام ١١٠٠م ، والإنجليزية الوسيطة Middle English من ١١٠٠م - ١٤٥٠م والإنجليزية الحديثة Modern English من ١٤٥٠ حتى وقت إعداد المعجم .

٣ - وضع قواعد يسترشد بها محررو المعجم في جمع المادة وتصنيفها ، بعد أن عرضت غير مرة على العلماء واللغويين لتنقيحها وتعديلها ، وتتعلق هذه الإرشادات بطريقة كتابة الشواهد في الجذاذات المعدة سلفًا ، وما تتضمنه من مادة لغوية ومعلومات للتوثيق ، وبطريقة جمع الشواهد وما ينبغي أن يتوافر في الشاهد من شروط .

٤ - إعداد معجم موجز كخطوة تمهيدية للمعجم الجديد لتقدير طبيعة العمل في كل مرحلة من مراحله .

منهج اختيار مواد المعجم :

إن الثروة المعجمية لأي لغة حية واسعة الانتشار ذات مستوى حضاري رفيع كالإنجليزية ليست كمًا ثابتًا تحوطه الحدود من كل جانب ، ومن ثم كان استيعاب مفردات اللغة وامتلاك ناصيتها أمرًا صعب التحقيق .

رأى (موري) محرر المعجم أن اللغة الإنجليزية تشتمل على نواة أو كتلة مركزية General Mass تحتوي على آلاف من الكلمات الأصلية بعضها فصيح مكتوب وبعضها عامي منطوق ، أما الكثرة الغالبة من هذه النواة المركزية فهي مزيج من اللغتين الفصحى والعامية ، وهي الكلمات التي ربما لا يستعملها الجميع ولكن يفهمونها . ويرتبط بهذه النواة المشتركة مجموعات أخرى من الكلمات تقل درجة التشابه بينها وبين النواة كلما ابتعدت عنها واقتربت من العامية الفئوية والمهنية وبالمصطلحات العلمية التي تشترك في استعمالها كل الأمم المتمدينة وباللغات الحية لبلاد وشعوب أخرى .

وعلى هذا فدائرة اللغة الإنجليزية لها مركز محدد واضح المعالم ، ولكن ليس لها محيط محدد بوضوح .

وفي إطار هذا المفهوم لمادة اللغة الإنجليزية يعالج معجم أكسفورد كل الكلمات المتداولة في الحديث أو في الأدب أو ما في مستواهما من مفردات ، فضلاً عن مصطلحات العلوم والفنون ، ومفردات العامية الفئوية أو الحرفية .

وخلاصة الأمر أن معجم أكسفورد يعرض تاريخ ومعنى الكلمات الإنجليزية المستعملة في الوقت الحاضر أو التي عرف أنها استعملت منذ منتصف القرن الثاني عشر .

منهج تصنيف مفردات اللغة الإنجليزية :

عند معالجة معجم أكسفورد صنفت مفردات اللغة الإنجليزية إلى :

- كلمات أساسية Main Words
- كلمات ثانوية Subordinate words
- كلمات مجمعة Combinations

يعني بالكلمات الأساسية كلمات مختلفة الأشكال ؛ كلمات أحادية البنية من مقطع واحد هو جذرها مثل Theatre ، أو من مقطع واحد ولاصق أو أكثر مثل

ويدخل في هذا النوع الكلمات المركبة مثل Afternoon من amphitheatrically و after و noon والعبارات المركبة من أكثر من كلمة ولكنها تعالج على أنها كلمة واحدة مثل forget-me-not اسمًا لزهرة .

ويعني بالكلمات الثانوية مفردات تعد أشكالًا أخرى للكلمات الأساسية ، ومن أمثلتها الكلمات ذات الهجاء المختلف عن الهجاء المشهور للكلمات الأساسية ؛ مثل :

Inflection ، وهي كلمة أساسية ، وشكلها الثانوي Inflexion وتكتب الأولى ببنط أسود ، والثانية ببنط مخالف .

ويعني بالكلمات المجمعة الكلمات المكونة من كلمات بسيطة ، احتفظت كل كلمة منها بهجائها ، وتربطها وحدة المعنى ؛ مثل white elephant وتعني (هدية غير مرغوب فيها) ومعناها الحرفي (فيل أبيض) وثمة تفاصيل هامة عرضها الدكتور داود في كتابه عن معالجة هذه الأنواع الثلاثة من الكلمات ، وبخاصة الكلمات الأساسية من حيث طرق إثبات هويتها ، ومعالجتها إيتومولوجيًا ، وتعدد معانيها ولا يتسع الوقت لهذا بكل أسف .

معنى الكلمة :

يعني المعجم ببيان المعنى الأصلي للكلمة وبيان ما يطرأ عليه من تغيير ويسجل معاني الكلمة ويرتبها ترتيبًا رقميًا مسلسلًا وفق تواريخ حدوثها . ولما كان تغير المعاني غالبًا ما يسير في خطوط متفرعة وأحيانًا متوازية وضعوا نظامًا رقميًا متعددًا للإشارة إلي هذا التفريع أو التوازي .

أما إذا كانت الكلمة مقترضة من لغة أخرى حدد معناها الأصلي في لغتها ثم في اللغة الإنجليزية تغير أم لم يتغير .

الشواهد :

توضح الشواهد شكل الكلمة ومعانيها المختلفة . ويستشهد على حالها – إن كانت مستعملة – بأمثلة توضح ذلك . أما إذا كانت مماتة فيستشهد عليها بآخر استعمال لها ، وتوضع الشواهد عقب كل معنى مباشرة وفق حدوثها التاريخي .

وثمة شروط في الشواهد وفي عددها وطريقة الاستشهاد بها في المعجم لا يتسع الوقت للحديث عنها .

النطق :

يسجل نطق الكلمة السائد في وقت إعداد المعجم وكذلك هجاؤها السائد . وتسجل المعلومات الخاصة بالنطق في المراحل السابقة لهذا النطق .

ولا يتسع الوقت كذلك للحديث عن القواعد التي يسجل النطق وفقًا لها .

المعجم التاريخي للغة الفرنسية :

من أكبر المعاجم التي أرخت للغة الفرنسية ، ومن أحدثها وأكثرها بساطة وتنظيمًا (المعجم التاريخي للغة الفرنسية) Dictionnaire Historique de la Langue Franoise الذي ألفه ألان راي وتريستان أورداه وآخرين .

● يضم المعجم الكلمات الفرنسية المستخدمة الآن ، والكلمات الأخرى المندثرة عبر تاريخ الفرنسية منذ عام ٨٤٢م من خلال شواهد موثقة منسوبة إلى فترة محددة .

● يؤرخ المعجم لهذه الكلمات ويبين معانيها المختلفة وكيف كانت تستخدم عبر الأزمان .

● يؤرخ للتغيرات التي حدثت لمبانيها ومعانيها .

● يبين وجود التأثيرات المتبادلة بين اللغة الفرنسية واللغات الأخرى التي لها علاقة تاريخية بها .

وهذا القدر من البيانات هو المتفق على وجوب توافره ليكون المعجم تاريخيًا ، ولكن مؤلفي المعجم أضافوا إلى ذلك بيانات جديدة .

فقد ألفوا مقالات موسوعية ضافية عن اللغات التي لها علاقة بالفرنسية ، يقول المؤلفون : لقد أرفقنا بالمواد التي تفسر تاريخ الكلمات مقالات تحليلية عن اللغات : القطلانية والأوستانية والإيطالية والألمانية واليونانية واللاتينية والإنجليزية .... إلخ والعائلات اللغوية : الهندية الأوربية ، والجرمانية ، والرومانية ... إلخ ذات الصلة بالفرنسية .

وألفوا مقالات موسوعية أخرى عن بعض المفاهيم اللغوية التي لها علاقة بتاريخ اللغة ؛ مثل : الاقتراض ، اللغة الاصطلاحية ، الصور البلاغية ... إلخ .

وفي ملحق المعجم قائمة مستفيضة توضح للقارئ المعنى الدقيق للمصطلحات المستخدمة في المعجم .

كما استعان المؤلفون بالرسوم البيانية في مواضع عديدة ، وهي – كما يقولون – لا تزين المعجم فحسب بل تجسد العلاقات القائمة بين المباني والمعاني عبر الزمن .

ليس هذا المعجم إلا حلقة من حلقات تاريخ اللغة الفرنسية فقد سبقته معاجم تاريخية كبرى ؛ مثل :

- Le Robert historique.
- Le grand Larousse de la langue Francoise.

وسبقته أعمال عظيمة في علم التأصيل أو الإتيمولوجيا ، وبخاصة أعمال (فريدرخ ديز ، وارتربرج) والتحليلات الرائعة للاتينية لأرنو ومايه .

بيد أن وفرة هذه المراجع صعبت الأمر على مؤلفيه ؛ إذ لم تكن معالجاتها وافية أحيانًا ، ولم تكن سهلة التناول ؛ لهذا كانت موضع نقد وتمحيص من ناحية . وإخضاعها لطريقة المعالجة التي جرى عليها المؤلفون باستخدام رموز في مفتتح المداخل وفي مفتتح تفريعاتها تصف المادة بسهولة ودقة وتشير إلى ما يحتويه المدخل أو التفريع من معلومات وأحكام .

وعلى سبيل المثال : يشير الرمز [L] أو [G] داخل معين أسود إلى أن الكلمة المفسرة كلمة موروثة شفاهًا من اللاتينية العامية التي كان يتحدثها الغاليون [L] أو الجرمان أو الفرنسيكان [G] .

توضح الفقرة الأولى من المدخل تاريخ ظهور الكلمة في اللغة الفرنسية ، أي تاريخ أول شاهد معروف ورد في نص ما . كما تلقي الضوء على صورتها الأصلية ، والمراحل التي مرت بها ، حيث يرجع إلى أصلها في الهندية الأوربية في الأغلب . مع بيان طريق وصولها من خلال ما ذكره العلماء الذين درسوا الآداب الفرنسية القديمة في عصر النهضة وما كتبه لغويو القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر .

إن أقدم المصادر التي رجع إليها المؤلفون تعود إلى عام ٨٤٢م فيما عرف بأقسام ستراسبورج ، وإلى عام ٩٨٠م فيما عرف بآلام المسيح وفي عام ١٠٨٠م فيما عرف بأنشودة (رولان) وهي مرحلة يصعب توضيح تاريخها بدقة . بيد أن الأمر أصبح أكثر وضوحًا ودقة بعد ظهور الطباعة . وبظهورها وبظهور الصور الوسيطة للغة الفرنسية (القرن الخامس عشر والسادس عشر) أصبح التاريخ أيسر وأدق .

اللغة والثقافة :

لم يكن الهدف الأوحد أن يكتب مؤلفو المعجم تاريخ اللغة الفرنسية منذ أوليتها حتى اليوم فحسب ، بل أن يكتبوا أيضًا تاريخ المجتمع الفرنسي وثقافته من خلال اللغة التي كان يستعملها .

جاء في مقدمة المعجم تلك الكلمة الجميلة الجامعة : إن مولد العالم من خلال الكلمات هو الموضوع الرئيسي لمعجمنا .

ففي مجال العلاقة بين شعوب أوروبا وثقافاتها يتشكل بالكلمات تاريخ أوروبا المتشعب ، وتاريخ الهجرات والغزوات والكوارث التي وقعت فيه ، والتأثيرات المتبادلة والتفاعلات بين الشعوب واللغات بالإضافة إلى مواقف الناس من قبول المعنى أو رفضه ، موته أو إحيائه على مر ألفي عام أو ثلاثة .

أما المغامرة الكبرى فتتعلق باللغة الفرنسية نفسها ، فبعد الاندثار الغامض للغة الغالية ، وبعد البدايات المتعثرة لأقدم اللهجات الرومانية للغاليين استمرت اللغة الفرنسية القديمة والوسيطة على مر ألف عام - منذ نهاية القرن العاشر حتى القرن السادس عشر - ثم اعقبتها اللغة الفرنسية الكلاسيكية فالحديثة داخل أوروبا منذ القرن السادس عشر وإلى خارج الحدود الأوربية بعد ذلك .

إن التعالق الوثيق بين اللغة والثقافة والأفكار والمشاعر تكشفه لنا أدوات التعبير والتواصل . وكما يقول المؤلفون : أدوات لقول الحقيقة وأخرى للكذب ، أدوات للمدح وأخرى للذم ، أدوات للإقناع وأخرى للخداع ، لغة السلطة ولغة المؤسسات التجارية الجامدة ، اللغة المعسولة واللغة اللاذعة ، اللغة الراقية واللغة الهابطة . هذا كله أوردناه في المعجم لنستدل به على الطاقة التي لا تنضب للكلمات . وقد نتصور أننا نستخدم الكلمات ، والحق أنها هي التي تقودنا بفضل ما تحمله من طاقة تعبيرية ، إن الكلمات خزانة لا حدود لها للطاقة .

إن وراء ما أحصاه المعجم من كلمات وما قدمه من معارف تكمن أفكار ومشاعر مجتمعات بشرية متعاقبة ، تحمل تراثًا انفعاليًا وروحيًا هائلًا حاولنا استدعاءه في هذا المصنف ، إن مفردات اللغة الفرنسية منذ القدم تحمل لنا - نحن الفرنسيين - كنوز ماضينا المشترك .

مجمع اللغة ومعجم (فيشر) :

كان الوعي بحاجة العربية إلى معجم تاريخي مبكرًا عند إنشاء المجمع ١٩٣٤م فمرسوم إنشائه نص على أن من أغراض المجمع « أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها : وفي دور الانعقاد الأول ألفت لجنة لتنفيذ الفقرة السابقة الخاصة بالمعجم التاريخي ، وكان من أعضاء المجمع الذين شاركوا في أعماله آنذاك المستشرق الألماني (فيشر) الذي شرح لأعضاء المجمع كيف وضعت الأمم الأوروبية معاجمها التاريخية ، وأبان عن حاجة العربية إلى معجم تاريخي ، بل قدم بحثًا ضافيًا شرح فيه طريقة العمل فيه فوافق عليه وشرع المجمع يعد العدة لوضعه .

وفي دور الانعقاد الثاني رأى (فيشر) أن يخص مصر بمعجمه الذي كان قد بدأ في التفكير فيه وفي وضع خطته وفي تأليفه منذ عام ١٩٠٧م ، وأن يهب المجمع جذاذاته التي جمع فيها مفردات الكتب التي رجع إليها من مأثورات العصر الجاهلي والثلاثة القرون الأولي بعد الإسلام .

وقد قدم إلى المجمع نموذجًا لمعجمه هو الثلث الأول من مادة (أخذ) مشفوعًا بمراجعه ورموزه ودليل المراجعة .

ونوقش النموذج مناقشة مستفيضة فوافقت عليه غالبية الأعضاء ، ومن ثم أصدر رئيس المجمع قرارًا بتأليف لجنة لمعاونة الدكتور (فيشر) في مراجعة معجمه ، وكلف المجمع عددًا من المساعدين لقراءة الكتب وجمع غريبها ونقل شواهدها في جذاذات على نمط خاص . وعهد إلى الأستاذ إسماعيل مظهر الإشراف على هذا العمل .

وبعد عامين وفي نهاية دورة عام ١٩٣٨م كان قد أعد تقرير شامل عما تم إنجازه ، عرض على هيئة المجمع فأقرته بحذافيره .

وسافر الأستاذ (فيشر) في صيف ١٩٣٩م إلى ألمانيا ، وقامت الحرب العالمية ، ولم يعد إلى مصر ثانية ، ومن ثم تعذرت مواصلة العمل في المعجم . ومع ذلك كان قد أعد وهو في مصر مقدمته والجزء الأول منه حتى آخر مادة (أبد) وراجع بعض تجارب الطبع .

وفي سنة ١٩٤٩م توفي (فيشر) ورأى المجمع أن يطبع ما أعده وراجعه من المعجم ونشر عام ١٩٦٧م .

وقد نشر إسماعيل مظهر في (مجلة المجلة) التقرير السالف الذي يتضمن قواعد العمل في وضع المعجم ، كما نشر الثلث الأول من مادة (أخذ) .

وقص محمد شوقي أمين بمجلة المجمع العدد ٤٢ قصة هذا المعجم وصور الثلث الأول من مادة (أخذ) بخط (فيشر) نفسه ، والذي سبق ونشره إسماعيل مظهر .

وفي الجزء المنشور من معجم (فيشر) تحدث عن تفكيره في تأليف معجم كبير للغة العربية الفصحى يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر . وعن عرض مشروعه على مؤتمرات المستشرقين الأممية وعلى الجهات المعنية بألمانيا نفسها ، وعن موافقة الحكومة المصرية على السماح بإتمام عمله بالقاهرة وتحمل نفقات طبعه ، وتكاليف إقامته ، وتعيين مساعدين له لجمع مادته وتصنيفها ومراجعتها .

ومما هو جدير بالنظر هنا أن ما نشره (فيشر من معجمه ليس معجمًا تاريخيًا بالمعنى المعروف ، بل كان - كما قال سلفًا - معجمًا كبيرًا للغة العربية الفصحى ......) .

أما المجمع فقد وضح في تقديره وعند مناقشة التقرير المقدم عن منهج العمل بالمعجم أن العمل الذي يريد الاضطلاع به يتناول جميع ألفاظ اللغة العربية والوقوف على أوجه استعمالها . ولما كان معجم (فيشر) قد تكفل بالتاريخ للعصر الجاهلي وللقرون الثلاثة الأولى من الإسلام ، فعلى المجمع أن يستكمل العمل في الفترة التالية التي أرخ لها (فيشر) وهي فترة طويلة تبلغ حوالي عشرة قرون ، وبهذا يكون المعجم تاريخيًا بالمعنى العلمي الدقيق . وبوفاة (فيشر) توقف العمل بالمعجم تمامًا . وفي عام ١٩٦٤م يعتذر الدكتور إبراهيم مدكور عن النهوض بالمعجم التاريخي الذي شرع المجمع في وضعه قائلًا : وضع معجم تاريخي للعربية يستلزم استقصاء نصوص النثر والشعر في مختلف العصور والبيئات ، وتسجيل ما ورد فيها من ألفاظ ودلالات ، وهذا ما لم تتهيأ كل أسبابه بعد . ويتطلب تضافر جهود شتى وزمنًا غير قصير ... إن معجمًا تاريخيًا في اللغة العربية أضحى هدفًا نسعى إليه ونرجو أن يتحقق يومًا .

وفي مقدمة الجزء الأول من المعجم الكبير الذي نشر عام ١٩٧٠م يقول إبراهيم مدكور : « منذ ربع قرن تقريبًا أخذ المجمع نفسه بوضع معجم كبير يساير الزمن ويتمشى مع فن التأليف المعجمي الحديث . أخذ نفسه بذلك يوم أن يئس من إخراج

معجم (فيشر) التاريخي الذي تعاقد عليه قبل هذا ببضع سنين ، وحاول جاهدًا أن يقف على أصوله دون جدوى » .

وهكذا أعلن المجمع عن عجزه عن إنجاز المعجم التاريخي للغة العربية ، وآثر أن يؤلف المعجم الكبير . وليس المعجم الكبير بحال معجمًا تاريخيًا وإن استشهد أحيانًا بشعر بعض المولدين ؛ كبشار والبحتري وأبي العلاء والمتنبي وابن الرومي ، وببعض المحدثين ؛ مثل : البارودي وشوقي وحافظ .

وفي المقدمة التي نشرت للمعجم يجيب (فيشر) عن سؤال افترضه . كيف يجب أن يكون معجم اللغة العربية الفصحى ملائمًا للتطور العلمي في العصر الحاضر ؟

يقول : يجب أن يشتمل المعجم على كل كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة ، وأن تعرض على حسب وجهات النظر السبع الآتية :

التاريخية Historical والاشتقاقية [التأصيلية] Etemological والتصريفية Flexional والتعبيرية (الدلالية) Semasiological والبيانية Phraseological والأسلوبية Stylistic .

ووجهة النظر التاريخية أكثر الوجهات السالفة قيمة ؛ وذلك لأنه إذا أخذنا اللغة على أنها دائمة التطور ، فلا شك أن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص ، ويجب أن يوضع هذا التطور التاريخي بمقتضى ما لدينا من وسائل ، ولأن الوسائل قاصرة ، وقد تكون المصادر متعارضة وغير وافية ؛ فينبغي تقييد كل كلمة وعبارة وصلت إلينا فعلًا والانتفاع بها ، وإن كان هذا لا يعني ضرورة إثبات كل الشواهد ، بل يجب الاقتصار على الشواهد ذات الأهمية في تصوير الأطوار التاريخية للكلمة . كالحال مع ورود الكلمة لأول مرة ، أو لآخر مرة ، أو لاندثارها وحلول مرادف لها .

ويجب أن تقيد - على حسب الترتيب التاريخي بين أقدم الشواهد وأحدثها - المواضع التي يتبين منها أنها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة .

ويقول عن الناحية التعبيرية أو الدلالية : تتناول الناحية التعبيرية تحقيق معنى الكلمة أو معانيها ، وفي حالة وجود عدة معانٍ ترتب هذه المعاني على حسب علاقاتها التاريخية والعقلية ومن ثم يراعي :

● يعد دائمًا المعنى الأول لكلمة لها عدة معان ، ذلك الذي يؤخذ من اشتقاق

الكلمة (معنى الجذر - المعنى المشترك بين كل مشتقاتها) .

● عند ترتيب المعاني يقدم المعنى العام على الخاص ، والمعنى الحسي على المعنى العقلي ، والمعنى الحقيقي على المجازي . كما ينص على المعنى الاصطلاحي للكلمة ، وبيان ما يرادفها أو يقابلها . مع ملاحظة أن الفارق بين المعاني المتقاربة يرجع كثيرًا إلى أسباب تاريخية أو جغرافية بحتة . بمعنى أن كلمة ما قد تدل على معنى معين في زمان ومكان ، وتدل عليه كلمة أخرى في زمان ومكان آخر .

● أما النواحي الأخرى لنظريته المعجمية فنحيل القارئ إليها ؛ إذ لا يتسع الوقت للحديث عنها .

ومن خلال نظرنا المتأني لما نشره (فيشر) من باب الألف حتى مادة (أبد) والثلث الأول من مادة (أخذ) نقرر مطمئنين أن المعجم الذي اعتزم (فيشر) نشره ليس معجمًا تاريخيًا بالمعنى الدقيق ، وأن الرجل كان واضح القصد حين أشار إلى أن معجمه هذا ليس المعجم الذي عزم المجمع على إخراجه ، وأن معجمه - كما يستدل من عنوانه - معجم تاريخي للغة الآداب العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، أي : حتى منتهى ما وصلت إليه اللغة العربية الفصحى من الكمال .

ويتحدث (فيشر) عن مصادر معجمه ويقول : يتناول المعجم بقدر الإمكان بحث تاريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربية مبتدئًا بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النمارة من القرن الرابع الميلادي ومنتهيًا بالقرن الثالث الهجري ، أعني أنه يتناول الكلمات الموجودة في القرآن الكريم والحديث والشعر والأمثال ، والمؤلفات التاريخية والجغرافية وكتب الأدب والكتابات المنقوشة والمخطوطات على أوراق البردي وعلى النقود .

وقد اعتمد (فيشر) على ٢٦٤ مصدرًا ومرجعًا عربيًا و ٢٦ مرجعًا استشراقيًا . وبعض هذه المراجع معاجم أو قوائم ألفاظ .

جمعية المعجمية بتونس :

وفي عام ١٩٨٩م تعقد (جمعية المعجمية) بتونس ندوة تدور بحوثها حول (المعجم العربي التاريخي : قضاياه ووسائل إنجازه) .

وفي كلمة الافتتاح يقول رئيس الجمعية : قررنا أن ننظر في قضية من أهم القضايا

التي لها صلة وثيقة بتراثنا وحاضرنا ومستقبلنا ونعني بذلك المعجم التاريخي العربي .

ويرى أن المعجم العربي التاريخي أصبح ضرورة لا غنى عنها في عصر الإعلاميات والتوثيق والمعلومات المتنوعة ، لا سيما بعد مرور نصف قرن على قبر مشروع (فيشر) سنة ١٩٤٩م ، وقناعة اللغويين العرب بأن المعجم التاريخي العربي مسؤولية علمية وثقافية وحضارية قد آن الأوان للعناية بها تنظيرًا وتطبيقًا ولإنجازها بالتعاون مع كل المؤسسات العلمية المعنية .

ويحدد وجه الضرورة في إنجازه بأنه ذاكرتنا اللغوية والثقافية والحضارية المنظمة التي تضبط رصيدنا الفكري ، وتكون مرجعنا العلمي الأمين في كل ما يتصل بلغتنا وحياتنا ، ومدونة النصوص الثابتة التي تقوم حجة تاريخية لا جدال فيها .

وبأنه المقياس الذي يمكن أن نقيس عليه لقضايا أساسية وعلمية وأدبية وجمالية .

وبأنه الأداة التربوية المركزية التي تسمح لنا بتصور وظائف المعجم الأخرى التي تنشأ منه ومن مادته ومناهج ترتيبه لتكون في خدمة المستفيدين منه .

ويشير إلى أن هذه الندوة تعتبر الخطوة الأولى في سبيل إنجاز المعجم التاريخي العربي ، وهي بمثابة وقفة الخبرة والتأمل والبناء والنقد في المستوى النظري والتطبيقي .

ويعد بأن يكون عام ١٩٩٠م نقطة الانطلاق في نطاق الجامعة التونسية لإنجاز المعجم ، لا سيما من حيث استقراء مصادره ومراجعه وإقرار مكتبته ، ووضع مناهجه وتقنياته اللسانية والمعجمية ، وتركيز بنيته الإدارية . ويشير في نهاية افتتاحيته إلى دعم وزارة الثقافة والإعلام ووزارة التعليم العالي والبحث العلمي بتونس للمشروع .

ويضم العددان الخامس والسادس من مجلة المعجمية وقائع الندوة وبين دفتيهما ما يزيد على عشرين بحثًا يدور معظمها حول المعجم التاريخي : مفهومه ومنهجه ووظيفته ومحتواه ... وقضايا أخرى متصلة به .

وبكل أسف ليس لديَّ معلومات عما تم في مشروع المعجم التاريخي العربي الذي تحدث عنه رئيس جمعية المعجمية ، وهل توقف أم ما زال مستمرًا ، ولعل الدكتور إبراهيم بن مراد يفيدنا بهذا الخصوص .

أهم الأسس المنهجية لعمل معجم تاريخي للغة العربية :

استخلصت هذه الأسس من مراجعتي المتأنية المتعمقة فيما سلف من معاجم

تاريخية وتجارب ، ومما كتب عن المعجم التاريخي في علم المعجمية وعلم اللغة التاريخي ، ومما توافر لي من خبرة في المعجم الكبير الذي اشتغلت في إعداده عند إنشائه . وأعرض عليكم الآن ملخصًا للتقارير التي وضعتها بهذا الخصوص :

١ - اللغة المؤرخ لها في المعجم هي اللغة الفصحى المكتوبة المشتركة في جميع الأقطار التي تستخدم العربية اليوم أو استخدمتها قبلًا ، وفي كل الأزمان منذ العصر الجاهلي حتى اليوم .

٢ - المراحل الزمنية المختارة للمقارنة هي العربية في العصور الآتية :

العصر الجاهلي ، العصر الإسلامي من ظهور الإسلام حتى سقوط دولة بني أمية ، العصر العباسي من بداية دولة بني العباس حتى سقوط بغداد ٦٥٦ هـ ، عصر الدول والإمارات من نهاية العصر العباسي حتى نهاية الدولة العثمانية ، عصر النهضة الحديثة من القرن الثالث عشر الهجري حتى اليوم .

٣ - بداية التأريخ من نصوص تنتسب إلى العصر الجاهلي مع تأصيلات سامية .

٤ - ترتب مواد المعجم حسب جذورها (أصولها) الحرف الأول فالثاني فالثالث . على ما جرى عليه المعجم الكبير ، مع مراعاة منهجه في توزيع فروع الجذر من الأفعال والأسماء ، وفي معالجة المعربات .

٥ - الوحدات المعجمية المدروسة هي على سبيل الحصر .

- الكلمات حوامل المعنى (الإشاري أو المجرد) .
- الكلمات الوظيفية .
- الكلمات المنحوتة والمركبة .
- العبارات السياقية والاصطلاحية .

٦ - مداخل المعجم الجذور لا الكلمات ، ثم تتفرع من الجذور المشتقات والمصادر .

٧ - تراعى الاعتبارات التي تهتم بها المعاجم الحديثة من حيث :

- شيوع الاستعمال أو ندرته .
- نظرة المستعملين إليه من حيث الإباحة أو الحظر .

- الإطار الاجتماعي للاستعمال ؛ من لغة العامة ، من لغة الخاصة ... إلخ .
- نسبة اللفظ إلى زمن بعينه .
- نسبة اللفظ إلى مستوى خاص : معياري أو تراثي ... إلخ .
- نسبة اللفظ إلى قطر بعينه : مصري ، مغربي .... إلخ .

٨ - الشروط التي ينبغي أن تتوافر في الشواهد .

٩ - الطريقة التي ترتب بها المعاني المتعددة للفظ ، وطرق التغير الدلالي .

١٠ - طرق تعريف الكلمات ، وشرح المعاني .

١١ - مصادر المعجم الأساسية أو الثانوية ، المباشرة أو المساعدة .

١٢ - إعداد المحررين والمساعدين والمراجعين ، والبرامج المقترحة لتأهيلهم للعمل بالمعجم التاريخي .

سادسًا :

هذا جهد المقل فيما يتصل بالمخطط العلمي لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية عكفت عليه شهورًا طويلة ، وضعتها في تقارير علمية ستعرض على اللجنة العلمية الموكل إليها مراجعتها وإقرارها ، ومن المقترح أن تعرض على العلماء والمؤرخين واللغويين لإبداء الرأي فيها ، ويسعد أمانة المجمع أن تتلقى مقترحاتكم بهذا الخصوص .

وثمة أسس أخرى ما تزال قيد البحث ؛ ومنها :

- وضع كراسة الإرشادات التي يستخدمها المحررون والمراجعون في جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحريرها ونشرها .
- اختيار رموز الاستعمال .
- تعريف المصطلحات المستخدمة في المعجم .
- إعداد قائمة إرشادية بجذور اللغة العربية وما يشتق منها : المستعمل منها والممات من معجمين أحدهما قديم والآخر حديث .
- إعداد قائمة المصادر والوثائق المعتمدة لجمع المادة .

ولا ينبغي أن يغيب عن بالنا الإشارة إلى أن هذا العمل الجبار محفوف بالمخاطر والمصاعب من كل أنحائه ، ويكفي أن أشير هنا فحسب إلى أمرين :

١ - اتساع الفترة الزمنية لحياة اللغة العربية منذ أوليتها حتى الآن ، واتساع المكان الذي عاشت فيه ، وتعدد ثقافات الشعوب التي استخدمت العربية .

٢ - ندرة التجارب التي عالجت اللغة العربية تاريخيًا ، وندرة الدراسات التأصيلية عنها .

* * *

المراجع

• أمين (محمد شوقي) ، من التراث المعجمي : مثال (أخذ) من معجم فيشر ، مجلة المجمع ، مجلد ٤٢ .

• حلمي السيد (د . داود) ، المعجم الإنجليزي بين الماضي والحاضر ، جامعة الكويت ، ط١ ، ١٩٧٨م .

• فيشر ، المعجم اللغوي التاريخي ؛ القسم الأول ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٦٧م .

• مجمع اللغة العربية ، محاضر الجلسات ، الدورة ٢ ، الجلسات ١٦ ، ٣٣ ، ٣٥ ، الدورة ٣ ، الجلسات ١ ، ٢ ، ٨ ، ١٢ ، الدورة ٥ ، الجلسة ١٢ ، الدورة ٧ الجلسة ٦ ، الدور ١٦ ، الجلسة ٢ .

• مظهر (إسماعيل) ، القواعد الأساسية في تأليف معجم تاريخي ، مجلة المقتطف ، ١٩٤٥م .

اللغة العربية وحاجتها إلى معجم تاريخي ، مجلة المجلة ، ١٩٦٠م .

• مدكور (د . إبراهيم) ، مجمع اللغة العربية في ثلاثين عامًا .

• Alain Rey, Dictionnaire Historique Dela Langue Françise .

* * *

المعجم الكبير للمجمع يُغني عن المعجم التاريخي اللغوي

للأستاذ الدكتور/ ناصر الدين الأسد (*)

كان المستعرب الألماني أوغست فيشر – أحد الأعضاء الأوائل في مجمع فؤاد الأول للغة العربية منذ تأسيسه – هو صاحب فكرة إصدار معجم لغوي تاريخي . تقدم بها إلى المجمع في أول اجتماعاته فوافق عليها المجمع ، ورحب بها ، قال في مقدمة معجمه (١) : « قررت الحكومة المصرية في خريف هذه السنة (١٩٣٦م) بناءً على اقتراح مجمع اللغة العربية في القاهرة – ووزير المعارف حينذاك هو الأستاذ محمد عَلُّوبة – السماح لي بإتمام العمل في معجمي في القاهرة ، وأن تتحمل نفقات طبعه ، وقد تجلَّى كرمها في تحملها تكاليف إقامتي في القاهرة طوال أشهر الشتاء من كل سنة إلى أن يتمَّ معجمي ، وكذلك في السماح لي بمساعدة مصري (٢) وبعدد من الشبَّان المصريين يعملون قرّاءً ونساخين ، رغبةً منها في إنجاز العمل . كما هيأت للمجمع خلال سنتين شراء عدد وافر من الكتب التي كانت تنقصه وكنت أنا في حاجة إليها من أجل عملي ... » .

ولكن هذه المرحلة من عمله في المعجم في سنة ١٩٣٦م التي وصفها بسنة « التطور السعيد » (٣) سبقتها مراحل متعددة وصفها في المقدمة كان أولها في مطالع القرن العشرين قال (٤) : يرجع تفكيري في تأليف معجم كبير للغة العربية الفصحى يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر إلى العُشر الأول من القرن الحالي ، وقد عرضت أمري هذا لأول مرّة على الرأي العام في سنة ١٩٠٧م في باسل (Basel) (على) المستشرقين الألمان ... (وجاء في القرار) : تكلم الأستاذ الدكتور أ . فيشر من لبسك عن مشروع معجم عصري للغة العربية الفصحى . . ولقد عرضت مشروعي للبحث من جديد في المؤتمرين الأمميين للمستشرقين اللذين عُقدا في كوبنهاكن سنة ١٩٠٨م وفي أثينا سنة ١٩١٢م ، ووافقت اللجنة المختصة في كوبنهاكن بالإجماع على القرار

(*) أُلقيت هذه المحاضرة في الجلسة العشرين من جلسات مؤتمر المجمع في دورته الثانية والسبعين ، يوم الأربعاء ٢٩ من صفر سنة ١٤٢٧هـ ، الموافق ٢٩ مارس ٢٠٠٦م .

(١) (ص ٣١) من المقدمة .

(٢) هو : إبراهيم إبراهيم يوسف (ص : ٣٤) .

(٣) (ص ٣١) .

(٤) (ص ٢٩) .

الآتي : « ترحب اللجنة الإسلامية لمؤتمر المستشرقين الأممي الخامس عشر بمشروع أ .فيشر الذي يرمي إلى تأليف معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر ... »

فالمعجم الذي أراده فيشر - هو كما وصفه في العبارات السابقة - « معجم كبير للغة العربية الفصحى يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر » وهو « معجم عصري للغة العربية الفصحى » وهو « معجم للغة العربية الفصحى يلائم روح العصر » وليس في هذه الأوصاف وصف أنه « تاريخي » .

وقد وضَّح السبب في تأكيده لهذه الأوصاف بقوله للمستشرقين الألمان في باسل سنة ١٩٠٧م [١] : « إن المعجمات العربية الموجودة التي ألَّفها الغربيون - وبخاصة تلك التي عالجت اللغة العربية الفصحى لعهدها القديم - لا تفي بحال من الأحوال بالمطالب العلمية ؛ وذلك لأسباب أخطرها أنها لم تعتمد على كتب الأدب الموجودة ، بل نشأت من المعجمات التي ألَّفها العرب وإن كانت هذه قيمة جدًّا ... »

فهو يريد إذن معجمًا كبيرًا لا يقتصر على ما في المعاجم العربية السابقة من مادة لغوية ، ولكنه يريد أن يرجع أيضًا إلى كتب الأدب الموجودة وإلى القرآن الكريم وكتب التفسير والحديث النبوي وأوراق البردي العربية القديمة . وقد وضَّح ذلك بقوله : إن عددًا من تلامذته العلماء الألمان وعدوه بالمساعدة « فأخذ برگْستريسر (Bergstrasser) على عاتقه بحث القرآن من ناحيته اللغوية ، أما شَخْت (J.Schacht) فأخذ على عاتقه بحث صحيح مسلم . وأخذ گْرومن (A.Grohmann) على عاتقه بحث أوراق البردي العربية القديمة . ووعدني كرنكو (F.Krenkow) بمساعدته جملة ... » [٢] .

وقد استعمل فيشر في وصفه لمعجمه كلمة « تاريخي » ونثر هذه الصفة - بالإضافة إلى العنوان - في مواضع متفرقة من هذه المقدمة . ولكنه أطلق الكلمة إطلاقًا دون أن يقرنها بما يَحُدُّها ، بل جعلها في ثنايا كلام آخر يفهم منه أنه يقصد جمعًا مستقصيًا للألفاظ في محيطها التاريخي التراثي المستعملة في كتب المعارف والعلوم العربية والإسلامية ، وعدم الاقتصار على ما ورد في المعاجم المؤلفة منذ « العين » إلى المعاجم الحديثة التي غالبًا ما يعتمد بعضها على بعض ، وينقل لاحقها من

(١) (ص ٣) من المقدمة . (٢) (ص ٣٠ - ٣١) .

سابقها مع إضافات أو تصحيحات قليلة . فهو القائل [١] « إن النقص المهمَّ في المعجمات التي صنَّفها العرب يرجع إلى أنَّ مصنِّفيها ما كانوا يجمعون كلَّ مفردات اللغة العربية ، بل كانوا يجمعون الفصيح منها فقط ، ومنتهى الكمال لمعجم عصري أن يكون معجمًا تاريخيًا (!!) ويجب أن يحوي المعجم التاريخي كل كلمة تُدوولت في اللغة . فإن جميع الكلمات المتداولة في لغة ما لها حقوق متساوية فيها ، وفي أن تُعرض وتستوضح أطوارها التاريخية في معجماتها (!!) ولكن المعجمات العربية بعيدة كل البعد عن وجهة النظر هذه ؛ إذ إنها لا تعالج الناحية التاريخية لمفردات اللغة ، بل تقتصر على إيضاح الاتجاه النموذجي لها ، أعني أن مصنفيها إنما أرادوا التفرقة الدقيقة بين الفصيح من العربية وغير الفصيح ، وذلك بوضع قانون للاستعمال الصحيح للكلمات . ويدل هذا الاتجاه – دون شك – على إحساس لغوي دقيق عند اللغويين ، ولكنه عاق القوة الحيوية الدافعة في اللغة عن التقدم والتوسع .

فهو يرى أن المعجميين القدامى اكتفوا بجمع ما هو فصيح أو ما اعتقدوا أنه وحده هو الفصيح ، وهو يريد في معجمه جمع كل الألفاظ الواردة في كتب التراث على أساس أنها جميعها لغة عربية .

ويزداد الأمر وضوحًا حين تقرأ قوله [٢] : وتغاضى علماء اللغة من العرب عما عدا ذلك من الأدب العربي ، على الرغم من أنه كان للعرب منذ العصور القديمة آداب نثرية دنيوية بديعة ، تتجلى مثلًا في قصص البطولة لأيام العرب ، وكتاب السيرة لابن هشام وكتاب المغازي للواقدي ، وكتاب تاريخ الرسل والملوك للطبري وغيرها من كتب الأدب القديمة ، وقد حوى هذا الأدب المنثور كلمات وتراكيب كثيرة لا أثر لها في القرآن الكريم أو الحديث الشريف أو الشعر القديم ، وهو من بعض النواحي يقدِّم لنا صورة من اللغة العربية القديمة أحسن مما يقدمه الشعر ؛ ذلك أن تقيد الشعر بالوزن والقافية يميل به إلى البغي على اللغة الواضحة الطبيعية .

وهو القائل جامعًا بين كلمتي « كبير » و « تاريخي » في صفة المعجم [٣] : « من أجل ذلك كله كانت الرغبة ملحة في إصدار معجم عربي كبير جديد ، وهذا ما أشار إليه المرسوم الخاص بإنشاء مجمع للغة العربية ؛ إذ تنص المادة الثانية على أن يقوم

---

(١) (ص ٧) من المقدمة .
(٢) (ص ١٥) من المقدمة .
(٣) (ص ٢٢) من المقدمة .

المجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية « فكيف إذًا يجب أن يكون معجم اللغة العربية الفصحى ملائمًا للتطور العلمي للعصر الحاضر ؟ الجواب : يجب أن يشتمل على كل كلمة - بلا استثناء - وجدت في اللغة ، وأن تعرض على حسب وجهات النظر السبع التالية : التاريخية ، والاشتقاقية ، والتصريفية ، والتعبيرية ، والنحوية ، والبيانية ، الأسلوبية » .

ثم يشرح مقصده من صفة « التاريخية » بقوله (١) : « فالوجهة التاريخية للكلمة تجاوز كل وجهات النظر هذه في القيمة ؛ ذلك لأنه إذا أخذنا اللغة على أنها دائمة التطور . فلا شك أن لكل كلمة تطورها التاريخي الخاص ، ويجب أن يوضح هذا التطور التاريخي بمقتضى ما لدينا من وسائل ، وهذه الوسائل قاصرة ، ونحن - في الواقع - ملزمون بأن نقتصر على استغلال موارد ومصادر كثيرًا ما تكون متعارضة وغير وافية ، ومن شأن المسائل التاريخية أن البحث فيها عرضة للنقص قل أو كثر ؛ لذلك وجب الحرص والعناية بتقييد كل كلمة وعبارة وصلت إلينا فعلًا والانتفاع بها ، وليس معنى هذا أن من الضروري إثبات كل الشواهد التي وردت على كلمة ما في المعجم ؛ إذ إن هذا قد يؤدي إلى البلبلة عند إثبات كلمة كثيرة التداول ، كما يتطلب تطويلًا لا موجب له . بل يجب الاقتصار على إثبات الشواهد ذات الطابع الخاص ، أعني تلك التي تدل بحال من الأحوال على الأطوار التاريخية للكلمة إلّا أنه للتحقق من استخراج هذه الشواهد ذات الطابع الخاص لا بد من إمكان مراجعة كل المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة ؛ فإنه بهذا وحده يمكن تحديد قيمة كل شاهد لمعرفة الأطوار التاريخية العامة للكلمة وتراكيبها » .

وهذا كلام طويل يوهم بأنه يفسر معنى « الوجهة التاريخية » ولكنه لا يلبث في النهاية أن يعود بنا إلى حيث بدأنا دون أن نخرج بطائل ، وخاصة قوله : « وفي شأن المسائل التاريخية أن البحث فيها عرضة للنقص قل أو كثر ؛ لذلك وجب الحرص والعناية بتقييد كل كلمة وعبارة وصلت إلينا فعلًا والانتفاع بها .... » .

وما نجده - أيضًا - في هذه المقدمة عن « الترتيب التاريخي » و « تطور الكلمة » قوله (٢) : « والأهمية العظمى - مهما تكن الحال - هي للموضع الذي وردت فيه الكلمة في آداب اللغة لأول مرة (!!) ولكن يجب ألّا يعزب عن البال أن كل كلمة

---

(١) (ص ٢٢) من المقدمة . (٢) (ص ٢٣) من المقدمة .

قد بقيت مدة طويلة في أفواه الناس قبل أن تجد لها مكانًا في الكتب ، وكما يجب أن يُعنى ببدء (!!) تطور الكلمة كذلك من واجب اللغوي العناية بآخر (!!) تطورها ، وهل لاقت موتًا في الزمن القديم أو الحديث ، أو اندثر معنى من معانيها ، واستعيض عنها بمرادف لها – ويجب أن تقيد – على حسب الترتيب التاريخي بين أقدم الشواهد وأحدثها – المواضع التي يتبين منها أنها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ، ولكن هذه الطريقة تتطلب حتمًا من القارئ أن يكون ملمًّا من قبل بتاريخ آداب اللغة العربية ، واقفًا على تاريخ حياة الناظمين والناثرين من أبنائها ، وبذا يكون في مقدرته أن يدرك النتائج اللازمة في التطور التاريخي للكلمة ومعانيها ، ويحسن حين الاستشهاد بمؤلف أو كتاب غير معروف أن يذكر عصره في اختصار » .

ولكنه لم يبين لنا كيف « يجب أن يُعنى ببدء تطور الكلمة ، كذلك من واجب اللغوي العناية بآخر تطورها » وكذلك لم يبين لنا كيف « يجب أن تقيد – على حسب الترتيب التاريخي بين أقدم الشواهد وأحدثها – المواضع التي يتبين منها أنها تقدم أوضح صورة من التطور التاريخي للكلمة ... » .

وربما كان أوضح فهم لهذا الكلام أن المقصود منه هو ترتيب المصادر التي نَستخرج منها الكلمات « ترتيبًا تاريخيًّا » وليس ترتيب الكلمات نفسها : فنأخذ الكلمة الواردة في النقوش الجاهلية ونضعها في مادتها ، ثم نشير إلى ما بعد النقوش من أقدم الشعر الجاهلي مثل الشعراء الأوائل الذين ذكرهم محمد بن سلام من أصحاب البيت والبيتين والثلاثة ، ثم نتتبع الكلمة في شعر شعراء الجاهلية بحسب تسلسل وجودهم – إذا أمكن ذلك – إلى المخضرمين فالأمويين فالعباسيين حتى القرن الثالث ، وبعد المخضرمين أو معهم نشير إلى آيات القرآن الكريم والحديث الشريف التي وجدت فيها الكلمة نفسها ، ثم نتتبعها في خطب الخلفاء الراشدين ، وفي كتب التفسير في القرن الأول ، وفي كتب الفقه ، وهكذا في سائر الموضوعات من كتب الأدب والتاريخ والجغرافيا والرحلات خلال القرون الثلاثة الأولى بحسب تسلسل مؤلفي تلك الكتب خلال القرن الأول فالثاني فالثالث .

وهذا أمر ميسور بعد تفريغ تلك المصادر عن طريق الحاسوب ، أو الحاسب الآلي ، والإشارة إلى المصادر التي وردت فيها الكلمة بحسب ترتيبها الزمني ، أي ترتيب المصادر وليس الترتيب الزمني للكلمة ، وقد يفيد الترتيب الأول معنى الترتيب الثاني أحيانًا .

ولكن هذا الفهم لا ينطبق على الجزء الذي بقي لنا من المعجم الذي صنعه فيشر وسماه المعجم « التاريخي » فإذا أخذنا كلمة « أوابد » من مادة « أبد » في ذلك المعجم [1] وجدنا أنه بدأ في الإشارة إليها بشعر الأخطل ، فذي الرمة ، فالنابغة ، فالأعشى ، فأمية ، ثم عاد إلى الأخطل ، فكتاب النهاية ، فكتاب الميداني ، فالمفضليات ، فعدي بن زيد ، فذي الرمة (مرة ثانية) فأبي كبير الهذلي ، فكثير ، فزهير .

فليس في هذا شيء من الترتيب التاريخي ، وهو مخالف لما فهمناه من كلامه ، ويتطابق مع المعاجم العربية التي تنثر الشواهد والمصادر دون أدنى ترتيب تاريخي . فليس فيه من جديد في هذه المادة سوى أنه رجع إلى كتاب النهاية وكتاب الميداني !!

وقد ذهبت مقدمة المعجم الكبير إلى تأثر فيشر بمعجم أكسفورد ، وذلك في قولها : [2] « ويظهر أن معجم أكسفورد التاريخي الذي نشر قبل مولده بقليل كان مثله الأعلى ، فشاء أن يطبق منهجه في اللغة العربية ... » .

وقد طال بحثي عن معجم يسمى « معجم أكسفورد التاريخي » فلم أجد له أثرًا ولا ذكرًا في الحقيقة وفي الواقع والذي بين أيدينا عنوانه « معجم أكسفورد الإنجليزي » أو « معجم أكسفورد للغة الإنجليزية » (Dictionary The Oxford English) بغير وصف أنه تاريخي وقد صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٣٣م ، وهي بعد مولد فيشر بسنوات طويلة ، وبعد بدء تفكيره في المعجم بنحو ثلاثين سنة ، فقد أوردنا قوله : « يرجع تفكيري في معجم كبير للغة العربية الفصحى يفي بالحاجات العلمية للعصر الحاضر أو العشر الأول من القرن الحالي (أي القرن العشرين) وقد عرضت أمري هذا لأول مرة على الرأي العام في سنة ١٩٠٧م في باسل على المستشرقين الألمان » .

ومع ذلك فلا بد أن نستدرك أن التفكير في بريطانيا في معجم أكسفورد بدأ منذ سنة ١٨٥٧م ثم توالى العمل فيه ، وفي جمع مادته ، والإضافات المتلاحقة إلى تصورات منهجه وترتيبه ، في خطوات ومراحل شرحتها مقدمة المعجم شرحًا مفصلًا

---

(١) ص ٤٥ وما بعدها من المعجم نفسه .

(٢) تصدير معجم فيشر .

إلى أن صدر كاملًا في طبعة أولى سنة ١٩٣٣م . وما بين يدي وأنا أكتب هذه الكلمة هي إعادة طبع لتلك الطبعة الأولى سنة ١٩٦١م ، وقد كتب على غلافها أنها Reprint فهل اطلع فيشر على هذا المعجم قبل صدور طبعته الأولى وفي أثناء تجميع مادته ؟ أو ربما كانت قد صدرت منه طبعات تجريبية ناقصة رآها فيشر فاستفاد منها وتأثر بها ، ولكنه يقينًا لم يتأثر في منهج معجمه بمعجم أكسفورد للغة الإنجليزية بعد صدوره في طبعته الأولى سنة ١٩٣٣م .

وإذا حاولنا أن نستخرج من مقدمة معجم أكسفورد منهجه شق علينا الأمر ، لطول تلك المقدمة التي عنيت بالتتبع التفصيلي لسير العمل في المعجم وذكر العاملين فيه بأسمائهم وألقابهم ومناصبهم وبيان إسهاماتهم في خطوات العمل ومراحله . ثم نجد في ثنايا تلك المقدمة الطويلة من حين إلى حين إشارات متناثرة عابرة موجزة إلى جزء من طبيعة المعجم ومنهجه . وربما كان التصدير Preface الذي سبق المقدمة قد تضمن نصًا يفي بالغرض ، هو : « إن الهدف من هذا المعجم أن يقدم في تسلسل ألفبائي الألفاظ التي كونت مجموع المفردات الإنجليزية من زمن أقدم السجلات (الوثائق) حتى اليوم الحاضر ، مع جميع الحقائق المتصلة بها من حيث : شكلها (صيغتها) ، تاريخ معناها ، لفظها (نطقها) ، اشتقاقاتها وأصل تاريخها » ثم أشارت المقدمة في عدة مواضع إلى وجوب احتواء المعجم للاقتباسات والشواهد من النصوص المستعملة فيها الكلمة ، منسوبة إلى قائليها أو كاتبيها مع ذكر زمنهم .

أما المعجم الكبير الذي أصدر مجمع اللغة العربية بالقاهرة الطبعة الأولى من جزئه الأول سنة ١٩٥٦م ، فيمتاز بالوضوح الواضح في مقدمته التي كشفت عن منهجه بالعبارات الآتية :

« والمجمع يعرض عليك المنهج الذي رسمه لوضع هذا المعجم ، وهو كما سترى يسير لا تكلف فيه ، كما أنه في الوقت نفسه أدق ما يمكن أن يتخذ من المناهج :

١ - يبدأ في كل مادة بذكر أصلها أو أصولها في اللغات السامية ، إن كانت تمت إليها بصلة .

٢ - تُرتب المادة حسب المعاني الكبرى لها مع التدرج من المدلولات المادية إلى المدلولات المعنوية .

٣ - يُستشهد على ألفاظ المعجم بنصوص من الشعر والنثر على اختلاف

العصور ، وترتب الشواهد ترتيبًا تاريخيًّا بقدر الإمكان .

٤ – إذا استتبع شاهد توسعًا في النص ليمكن فهمه ، أو لأن النص نادر غريب ، فليس بهذا التوسع بأس .

٥ – ترد الكلمات المأخوذة من لغات أجنبية ، قديمة أو حديثة ، إلى أصولها الأجنبية .

٦ – يذكر ما ليس بد من ذكره من الأعلام ، ويفسر تفسيرًا موجزًا ، أو في شيء من التبسيط حسبما تقتضيه الحال .

٧ – تذكر أسماء البلاد والأماكن في شيء من الاقتصاد ، بحيث لا يهمل ما يتردد ذكره في النصوص الأدبية من جهة ، وبحيث لا يصبح المعجم معجمًا جغرافيًّا من جهة أخرى .

٨ – تذكر المراجع حين لا يكون من ذكرها بد ، فأما إذا كان الاستغناء عنها ممكنًا فلا حاجة إلى الإطالة بذكرها .

٩ – يُشكَل ما ليس من شكله بدٌّ لأوساط المثقفين ، وتضبط بعض الكلمات بالنص على طريقة القدماء حين تدعو الضرورة إلى ذلك .

١٠ – يذكر من المجاز ما شاع في الشعر والنثر حتى أصبح مشبهًا لما يسميه أصحاب البيان وعلوم اللغة بالحقائق العرفية ، فليس من سبيل إلى فهم كثير من النصوص القديمة إلَّا بهذا .

١١ – لا يعتمد من الحديث إلَّا على ما ورد في أصل صحيح ، ويُذكر الحديث كله ، إلا إن يشتد طوله ، فيقتصر منه على ما يجزي ويغني » .

وحين نسترجع ما استخلصناه من مناهج « المعجم اللغوي التاريخي » لفيشر ، و « معجم أكسفورد للغة الإنجليزية » ، و « المعجم الكبير » لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، نجد أن هذا المعجم الكبير قد وضع لنفسه منهجًا أوضح من منهجي المعجمين السابقين عليه ، وأكثر تفصيلًا ، وأقرب منهما إلى أن يكون معجمًا تاريخيًّا ، مع أن مقدمته نصت على نفي أن يكون معجمًا تاريخيًّا حين ذكرت ما يلي :

« وقد قرر المجمع – أول ما قرر – حين أراد الأخذ في وضع هذا المعجم أنه لن يكون معجمًا تاريخيًّا للغة العربية ؛ لأن المعجم التاريخي يحتاج إلى أعمال تمهيدية

لم يؤخذ فيها بعد ، فليس بد لوضعه من استقصاء نصوص الشعر والنثر على اختلاف عصورها وبيئاتها وتسجيل ما في هذه النصوص من الألفاظ ، وتسجيل الأوقات التي استعملت فيها ، واستخراج ما ينتجه ذلك من الأحكام العامة التي اقتضاها التطور بالقياس إلى معاني الألفاظ وصورها على اختلاف العصور ، وهو جهد كما ترى يحتاج إلى أن يفرغ له عدد غير قليل من الباحثين المختصين الذين يحسنون العلم بأصول اللغات ومناهج تطورها ، حسب اختلاف العصور واختلاف البيئات وتباين الظروف المحيطة بالأجيال التي تتداول لغة من اللغات » .

وهذه الأعمال التمهيدية التي ذكرت المقدمة أن المعجم التاريخي يحتاج إليها لم تتيسر للمعجمين السابقين أيضًا ، فليس فيهما استقصاء خصوص الشعر والنثر على اختلاف عصورها وبيئاتها « وتسجيل ما في هذه النصوص من الألفاظ ، وتسجيل الأوقات التي استعملت فيها .... » ؛ لأن ذلك لم يكن ممكنًا بالعمل اليدوي للأفراد ، قبل الحاسوب والتوسع في استعمالاته ، مع أنه حشد لمعجم أكسفورد أعداد وافرة من العاملين على مختلف أنواعهم ، ولم يخصص للمعجم الكبير إلَّا أقل القليل منهم ، وجمعت له أموال لم ينل المعجم الكبير إلَّا ما استطاع المعجم أن يرصده .

● ولو طبق منهج المعجم الكبير بتفصيلاته كلها التي ورد ذكرها في مقدمته ، وقد طبق بعضها أو أكثرها فيما صدر من أجزاء .

● ولو جمعت له المظان المختلفة من النقوش الجاهلية إلى قصص أيام العرب إلى كلام سجع الكهان وخطب حكماء العرب وشعر شعرائهم في جاهليتهم ، مرورًا بعهد الوحي وصدر الإسلام إلى الزمن الذي يقرره مجلس المجمع ومؤتمره ، واستعمل في ذلك الحاسوب مع خبراء متخصصين .

● لكان بين أيدينا معجمنا الكبير في طبعته الجديدة ، ولكان معجمًا تاريخيًا بحق دون أن نسميه كذلك ، ولتحقق لنا بأقل من التقديرات المالية والإدارية التي اشتملت عليها بعض الدراسات عن المعجم التاريخي التي هولت الأمر ، ورأت أن ما عند غيرنا خير مما عندنا في حين كنا السابقين في إصدار معجم تاريخي لغوي هو معجمنا الكبير الذي لا يحتاج إلَّا إلى مراجعة واستكمال تطبيق أسس منهجه التي نص عليها في مقدمته .

أما الدراسات اللغوية واللسانية فهي أمور مهمة ، ولكنها لا تدخل في صميم المعجم ولا يحتملها ، وربما كان من الخير أن تنشر في كتب منفصلة تصدر عن المعجم من خارجه ، كما هو الشأن في الكتب والأطالس التي تصدرها دوائر المعارف (الموسوعات) الكبرى .

والله سبحانه أعلم وهو الهادي سواء السبيل

وقد علقت على المحاضرة بقولي : « أستاذي الجليل الدكتور ناصر الدين الأسد ، أنا سعيد بالاستماع إلى هذه المحاضرة القيمة حقًّا ، الممتعة حقًّا ، مع أنني أخالفك في موضوعها تمام المخالفة ، وأقول موجزًا : لا يُغني المعجم الكبير عن المعجم التاريخي للغة العربية ؛ فهما عملان مختلفان في مادتهما ومنهجهما .

مادة المعجم الكبير هي - غالبًا - اللغة العربية الفصحى حتى نهاية عصر الاستشهاد ؛ مأخوذة أساسًا من معاجم العربية القديمة ومن مصادر أخرى كالقرآن والحديث ، مع الاعتداد ببعض المولد والمحدث والمعرَّب بعد عصر الاستشهاد .

أما منهجه فلا يتسع الوقت للحديث عنه ، وهو - بإيجاز - يخالف مناهج القدماء في عرض المادة وفي سهولة البحث فيه ، ودقة الشرح والتعريف ... إلخ ولكنه ليس معجمًا تاريخيًّا لمجرد استشهاده ببعض أشعار المولدين والمحدثين .

والدكتور إبراهيم مدكور ﷺ في تصديره للمعجم الكبير نفى أن يكون المعجم تاريخيًّا ، وقال في تفسير ذلك : « لأن المعجم التاريخي يحتاج إلى أعمال تمهيدية لم يؤخذ فيها بعدُ ... » .

والمعجم الكبير مع استشهاده ببعض المولد والمحدث لا يذكر شيئًا فيما يتصل بالتطور اللغوي للمباني والمعاني من مبنًى إلى مبنًى ومن معنًى إلى معنًى بتغير العصور والمواطن .

والمعجم التاريخي يسجل نصوص العربية منذ أقدم عصورها إلى أحدثها ، ولا يقتصر على لون معين منها ولا وقت محدد ولا مكان محدد .

كما أنه يسجل ما حدث من تغير في بنية هذه النصوص ومعانيها .

وأنا أخالف أستاذي أيضًا فيما ذكره عن معجم أكسفورد وعن مقدمته الضافية وهو أول معجم تاريخي في اللغات الإنسانية ، وقد ظهر أول مرة تحت عنوان :

A New English Dictionary on Historical Principles in ten volumes

عام ١٩٢٨م ، ثم أعيد نشره في عام ١٩٣٣م ، ثم في عام ١٩٦١م بعنوان

The Oxford English Dictionary in twelve volumes

ثم اختصر ، وظهر في عدة نشرات .

ثم قلت :

وفي مؤتمر العام الماضي ألقيت محاضرة بعنوان (المعجم التاريخي بين الأمل والعمل) بينت في نهايتها كيف يكون المعجم الذي نأمل في وضعه تاريخيًا .

وأنا في هذه الأيام مشغول بالبحث في أمثلة أقدمها تطبيقًا على المنهج الذي اقترحته لهذا المعجم .

ومن الكلمات التي اخترتها الكلمة (قطار) وقد تبين لي بعد تعقب استعمالها فيما توافر لدي من مصادر ، وفيما استشرته من مدونات – أن كلمة (قطار) وردت في الشعر الجاهلي بمعنيين :

- جمع قطرة ، والقطر : ما قطر من الماء وغيره .
- جمع من الإبل ونحوها تسير في نسق .

ولم يتبين لي أي المعنيين أسبق .

وتواصل استعمالها في العصور التالية بهذين المعنيين . ثم ظهر لها في هذه الأثناء معنًى ثالثٌ هو : عدد من العبيد أو المحبوسين يسير في نسق .

وبين عامي ١٨٥٢م و ١٨٥٤م عرفت مصر السكة الحديد وأنشئ أول خطوطها بين الإسكندرية والقاهرة ، وترجم اللفظ الإنجليزي locomotive بالكلمة قطار ، ومن المراجع التي ظهر فيها هذا الاستعمال ما جاء في كتاب (علم الدين) لعلي باشا مبارك ١٨٨٣م فقد كتب مقالاً عن السكة الحديدية ذكر فيه (القطار) يعني به المركبات الحديدية التي تسير على قضبان ، وتنقل المسافرين والبضائع ، وذكر فيه (الباخرة) ، أي القاطرة التي تجر العربات ؛ لأنها تسير بالبخار ، ثم ظهرت في أيامنا هذه تعبيرات عديدة تعكس بعض المعاني المجازية مثل قطار الرحمة ، وقطار السعادة ، وقطار الحياة ... وفاتها قطار الزواج ... إلخ .

فهذا مثال للتطور الدلالي لكلمة قطار عبر العصور .

هذا ما ظهر لي في أول الأمر ، وسأعاود البحث حتى أستوفي جوانبه ، وفي نهاية تعليقي أشكر أستاذي الجليل أن أتاح لي فرصة الحديث إليكم في الفرق بين المعجم التاريخي والمعجم الكبير ، وأن ألمس عن قرب حاجة الناس إلى التعريف بالمعجم التاريخي من خلال أمثلة تكشف عن مادته ومنهجه .

* * *

المعجم التاريخي
للغة العربية

تجارب سابقة لوضع معجم لغوي تاريخي

أولا : معجم أكسفورد التاريخي : بحوث ونماذج .

- القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي .

أ. إسماعيل مظهر

- اللغة العربية وحاجتها إلى معجم تاريخي .

أ. إسماعيل مظهر

- منهج معجم أكسفورد في معجمة المعجم الإنجليزي .

د. داود حلمي السيد

- نماذج مختارة من مواد معجم :

The Shorter oxford English Dictionary on Historical Principles.

ثانيا : المعجم التاريخي للغة الفرنسية : المقدمة ونماذج مختارة .

أولا

معجم أكسفورد التاريخي : بحوث ونماذج

القواعد الأساسية في تأليف معجم لغوي تاريخي [1] المقتطف نوفمبر ١٩٤٥م

تألفت لجنة بمجمع فؤاد الأول للغة العربية سميت لجنة المعجم ، اجتمعت ونظرت في أنواع المعاجم التي تحتاج إليها اللغة العربية ، وبخاصة المعجم اللغوي التاريخي الذي يجمع شتات المفردات التي استعملت في اللغة منذ عصور الجاهلية إلى الآن ، وبيان المعاني التي تعاقبت على الألفاظ في الاستعمال اللغوي مرتبة بحسب العصور ، وإظهار المعاني الحقيقية من المعاني المجازية ، إلى غير ذلك من الأشياء التي تجعل ذلك المعجم سجلًا للغة وتاريخ ألفاظها ، وتطور معانيها ، والفصل بين الفصيح والمولد والمعرب والمنقول من اللغات الأخرى . وكان الأستاذ الدكتور أ . فيشر قد بدأ في كتابة معجمه اللغوي التاريخي الذي انتهى به إلى آخر القرن الثالث الهجري ، ونقل جزءًا من جزازاته إلى مصر ، ولا تزال محفوظة بدار المجمع ، فاتجهت النية إلى أن يعقب المجمع على عمل الأستاذ فيشر فيبدأ معجمه بالقرن الرابع الهجري إلى الآن . ولهذا الغرض كلفت بأن أضع تقريرًا عن الطريق التي تتبع ، والخطوات التي تتخذ للبدء في تأليف هذا المعجم ، فلم أجد طريقة أجدى من الرجوع إلى مقدمة معجم أكسفورد اللغوي التاريخي لاستخلص منها القواعد التي جرى عليها مؤلفوه والطرق التي اتبعوها ، فاستخلصت من تلك المقدمة تقريرًا قدمته للجنة المعجم في أوائل سنة ١٩٣٩م ثم استقلت من المجمع في صيف ذلك العام . وظل العمل في هذا المعجم العظيم ، الذي لا يجمع شتات لغتنا غيره ، واقفًا عند هذا . فإذا نشرت على صفحات المقتطف ما استخلصت من مقدمة معجم أكسفورد في هذا الظرف ، فإني إنما أفعل ذلك وكلي أمل في أن يُشَمِّر المجمع عن ساعده

---

(١) مستخلصة من مقدمة معجم أكسفورد الحديث للغة الإنجليزية ، ومقدمة إلى لجنة المعجم بمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

ويرسل دعواه إلى العالم العربي كله ليؤيده في هذا الجهد الذي سوف يكون إذا تم ، سجلًا للغة وتاريخ مفرداتها وعاملًا يؤيد جامعة العرب . وعندي أن أعظم ما تخدم به جامعة العرب شيئان : معجم لغوي تاريخي ، ومَعْلَمَة كبرى ، أي دائرة معارف تجمع إلى العلوم والآداب الحديثة ، آداب العرب وتاريخهم . شيئان من أعظم مقومات الجنسية العربية . مصر ، بتأييد العرب ، أقدر الأمم العربية على الاضطلاع بهما .

إسماعيل مظهر[١]

بدأ العمل في معجم أكسفورد التاريخي الحديث في سنة ١٨٥٩م ، وتم طبعه في ١٩ من أبريل سنة ١٩٢٨م ، فكأن العمل فيه قد استغرق قرابة سبعين عامًا . ولم يشرف طبعه على التمام حتى كانت نسخه قد نفدت ، فأعيد طبعه ، وظهرت طبعته الثانية في سنة ١٩٣٣م فزيد إليها ملحق يكمل ما استدرك على الطبعة الأولي . ولقد نال القائمون بهذا العمل الفذ من التشاريف ، ما يجدر أن يصدر عن شعب يعرف قدر لغته ويعرف أن اللغة جزء لا يتجزأ من القومية . فقامت الأقاديميا البريطانية بصك مُدَلَّاة نقشت عليها صورة أول من قام على تحرير هذا المعجم من العلماء تخليدًا لذكراه ، وأضفيت الألقاب العلمية على كثير ممن تولوا العمل فيه ، وكان لهم في تحريره أثر رئيس .

وكان السبب الذي حدا علماء اللغة من الإنجليز إلى القول بضرورة تأليف معجم جديد على قواعد جديدة شعورهم بأن معاجم اللغة الإنجليزية ، منذ بداءة القرن السابع عشر ، كانت تقصر عن إدراك أغراض الأدباء وأهل العلم باللغة والفنون ، وأن الزمن كلما تقدم بالأدب الإنجليزي ازدادت المعاجم قصورًا عن إدراك أغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها ، حتى لقد شبه معجم « كودري » Cawdrey الذي طبع في سنة ١٦٠٤م إلى جانب معجم أكسفورد الحديث بالبرة إذا قيست بشجرة البلوط العظيمة .

ولقد كان السبب الأول في عظم ما تجد من فرق بين تلك البرة الدنيئة وتلك الشجرة العظيمة ، دخول ثلاثة مبادئ جديدة في تأليف المعجمات الإنجليزية : فإن مؤلفي المعاجم كانوا قد عكفوا على الطريقة القديمة في جمع المفردات الغريبة التي

---

(١) عالم وأديب ولغوي ، أصدر مجلة (العصور) ، وهي مجلة علمية أدبية ، اختير عضوًا بالمجمع عام ١٩٦١م ، وتوفي عام ١٩٦٢م .

لا تعرض لعامة الناس ، على اعتبار أن ما بقي من الكلمات هي من البيان والتداول بحيث لا ينبغي أن تدخل في معجم اللغة الإنجليزية ، ولكن عدل عن هذه الطريقة في القرن السابع عشر ، وأخذت المعاجم تتسع لكثير من الألفاظ التي كان يُرى أن إثباتها غير ضروري . وفي القرن الثامن عشر ألف جامعو المعاجم طريقة إثبات جميع الألفاظ التي يمكن أن تتداول في اللغة .

أما الخطوة التالية لهذه فقد خطاها الأديب الكبير « جونسون » Johnson إذ عمد إلى إثبات الشواهد التي توضح التعريفات الموضوعة للألفاظ وتؤيدها ، ثم أعاد النظر في معجمه وأضاف إليه - في ملحق - كل الألفاظ التي كان قد أهملها ، وأثبتها بشواهدها . وأكمل هذا البناء العلامة اللغوي « رتشاردسون » Richardson بخطوة ثالثة هي التوضيح التاريخي للألفاظ ، واتباعًا لهذه الطرق وجب أن يكون المعجم الكامل للغة الإنجليزية ، كتابًا من أضخم الكتب العالمية ، ومن العجيب أن معجم « رتشاردسون » لم ينل ما يستحق من التفات العلماء ؛ وربما كان ذلك لنقص ما في طريقته . ولقد أمضي نحو أربعين سنة منذ أن ظهر الجزء الأول من معجمه في « المعلمة الجامعة » Fncyclopaedia Metropolitana قبل أن تقبل الجمعية اللغوية النظرية التاريخية في وضع المعجمات قبولًا تامًّا ، وكذلك لم يؤثر طبع معجم « رتشاردسون » مستقبلًا عن تلك المعلمة في سنة ١٨٣٦م - ١٨٣٧م أي أثر في المعجميين (أي مؤلفي المعاجم) Lexicographers الذين ظلوا يتبعون نفس القواعد التي اتبعها « جونسون » في إنجلترا ، و« وبستر » في أمريكا . ومن العجيب أن تلك الثروة الهائلة من القواعد التي أتى بها « رتشاردسون » لم يُنتفع بها ، وظلت غير مستخدمة في أغراض اللغة ، في حين أنها كانت مستودعًا طبيعيًّا خصبًا يمد كل من فتش في جوانبه بجواهر لغوية حديثة وقديمة ، وتضاف إلى ما جمعه « جونسون » وأتباعه .

كانت الخطوة التالية بعد تلك الأربعين من السنين التي مضت على ظهور معجم « رتشاردسون » حتى اقتنعت الجمعية اللغوية بضرورة اتباع المبدأ التاريخي في تأليف المعجمات ، أن عهدت الجمعية إلى لجنة مؤلفة من ثلاثة من أعضائها بأن يجمعوا الألفاظ الإنجليزية غير المسجلة في المعجمات ، وأن يقدموا بذلك تقريرًا عند انعقاد الجمعية في شهر نوفمبر من سنة ١٨٥٧م ، وكان السبب في ذلك أن الجمعية أرادت أن

تثبت في ملحق للمعاجم جميع الألفاظ التي أهملها « جونسون » و« رتشاردسون » .

غير أن هذه اللجنة لم تقدم تقريرها إذ ذاك . ولكن أحد أعضائها وهو الأسقف « ترنش » Trench قرأ جزءًا من كلمة ألفها في « بعض النقائص في المعجمات الإنجليزية » في الخامس من نوفمبر سنة ١٨٥٧م ، وأجل تقديم تقرير اللجنة إلى الثالث من شهر ديسمبر التالي . فأعطى هذا التأجيل فرصة طيبة للأسقف « ترنش » لكي يقرأ الجزء الباقي من كلمته على الجمعية في اليوم التاسع عشر من نوفمبر من تلك السنة ، فأصدرت الجمعية قرارًا على أثر سماعها تلك الكلمة (تضمن أنها طلبت من أسقف وستمنستر أن يطبع كلمته الثمينة المفيدة وأنه وافق على قرار اللجنة) فطبعت تحت العنوان الآتي :

On some deficiencies in our English Dictionaries Being the substance of two papers read before the philological society " Nov. 5 and Nov. 19, 1857. By Richard Chenevix Trench, D.D. Dean of Westminster.

ويقول كاتب المقدمة في معجم أكسفورد الحديث أنه بالرغم من مضي ثلاثة أرباع قرن (١٩٢٨م) على ما كتب الأسقف « ترنش » ، وبالرغم من تقدم البحوث والدراسات الإنجليزية في أثناء ذلك ، فإن ما ارتأى الأسقف « ترنش » من آراء ، لا يزال حافظًا لقيمته العلمية باعتباره أساسًا لما يجب أن يكون عليه المعجم الكامل للغة الإنجليزية . ثم قال حرفيًا : « ولا يقرأ أحد (ما كتب ترنش) حتى يدرك على أية صورة من الجلاء والبيان استطاع أن يستشف كل التفاصيل التي ألف على مقتضاها معجم الجمعية ، وكانت جميعها على التحقيق نتيجة للمذهب التاريخي الذي جعله الأساس الثابت المعقول لعمل المعجم » .

وقبل أن أنتقل إلى الكلام في شيء آخر ، آمل أن توصي لجنة المعجم بهذا المجمع الموقر بالحصول على هذا البحث الذي اتخذ أساسًا لوضع معجم أكسفورد الحديث ، لعلنا بدرسه نفيد من العلم ما لا يتيسر لنا بدراسة هذه المقدمة وحدها ، وأقترح الاتصال بالأستاذ « جب » بجامعة أكسفورد وتكليفه الحصول على نسخة منه وإرسالها إلينا .

في الثالث من شهر ديسمبر التأمت الجمعية اللغوية ، وقرئ عليها تقرير اللجنة التي عهد إليها البحث في « نقائص المعاجم الإنجليزية » فقررت حفظه واستعاضت

عن بحثه بأن قررت أنه سوف يعرض على الجمعية عما قريب مشروع كبير لتأليف معجم حديث كامل للغة الإنجليزية ؛ ذلك بأن بحث الأسقف « ترنش » كان قد اقنع الجمعية بما تضمن من آراء ومقترحات ، وأبان أنه لا معدى للجمعية عن القيام بتأليف معجم حديث ، إذا هي أرادت أن تكفي حاجة اللغة الإنجليزية .

ولم تضع الجمعية وقتًا في تنفيذ الفكرة الجديدة ، ولم تستخف بضخامة العمل التي هي مقدمة عليه ، ولا بعدد السنين التي تلزم لإكماله ، بل بالتي ينبغي أن تنفق قبل البدء به . وفي السابع من شهر يناير ١٨٥٨م أصدرت الجمعية القرارات الآتية .

١ - يُستعاض عن الملحق الذي أقرت الجمعية تأليفه تعقيبًا على المعاجم الإنجليزية المأثورة ، بتأليف معجم حديث للغة الإنجليزية بإشراف الجمعية اللغوية .

٢ - يُعهد بعمل المعجم إلى لجنتين : الأولى لجنة أدبية تاريخية : والثانية اشتقاقية ، وفي حالة الشك في حقيقة أية مادة ، يكون حكم اللجنة الأدبية التاريخية نهائيًا ومقبولًا (وكانت اللجنة الأولى مؤلفة من ثلاثة أعضاء والثانية من عضوين) .

٣ - تشكر الجمعية جميع الذين اشتركوا متطوعين للعمل مع « لجنة الألفاظ غير المسجلة » وتطلب مساعدتهم ومساعدة متطوعين آخرين للعمل الجديد . ويتلو ذلك ثلاثة قرارات إدارية لا حاجة لنا بذكرها هنا ؛ لأنها تتعلق بالطبع وتمويل المشروع بأموال الجمعية وغير ذلك .

ومما هو ثابت في القرار الثالث ، نجد أن - « لجنة الألفاظ غير المسجلة » ، كانت قد نجحت نجاحًا كبيرًا أثناء حياتها القصيرة ، في إذكاء روح الاهتمام بعمل اللجنة وفي تطوع مساعدين يعملون على تنفيذه . وأشار إلى ذلك الأسقف « ترِنشْ » في بحثه الذي ألمعنا إليه ، فأثبت في نهايته كلمات تشجيع فقال : « وإني لأذكر أن ستة وسبعين متطوعًا قد انضموا فعلًا إلى اللجنة ، مطالبين بتعيين نصيبهم من العمل . وأن واحدًا وعشرين ومائة من المؤلفين الإنجليز قد وزعت مؤلفاتهم على هؤلاء المتطوعين ، وقد اختص في حالات عديدة متطوع منهم بكامل المؤلفات الصادرة عن مؤلف بعينه . وأزيد على ذلك أن واحدًا وثلاثين عملًا كاملًا قد وردت إلى اللجنة حتى الآن » - ثم يقول كاتب مقدمة معجم أكسفورد الحديث : « وبهذا وضع نظام القراء المتطوعين الذين لولا مساعدتهم الفعالة ، لما تم استجماع المادة اللازمة لتأليف معجم الجمعية اللغوية ، اللّهم إلَّا بمبالغ طائلة من المال وأحقاب مديدة من

الزمن ، لو لم يوفرها المتطوعون لاستحال إنجاز العمل » .

ومضى زمن قبل أن أتيح للجمعية نشرُ تفاصيل عملها العظيم ، ففي سنة ١٨٥٩م نشرت مقترحات لنشر معجم إنجليزي حديث تقوم به الجمعية اللغوية . وقد يتضح من هذا المنشور مبلغ ما أنفق في تصميم هذا المعجم من الاستعماق في الدرس والتفكير ، واختتم بذكر الأسس التي سيقوم عليها المعجم ، وقد اكتفى كاتب المقدمة بذكر الأول والرابع منها باعتبارهما لب الموضوع ؛ وهما :

١ - أن الحاجة التي ينبغي أن تتوفر في أي معجم ، أن يتضمن كل كلمة استعملت في آداب اللغة التي يتناولها .

٢ - في معالجة كل لفظ بذاته ، يجب أن تتبع الطريقة التاريخية بغير استثناء .

ويتضمن المنشور عدا ذلك إرشادات للمتطوعين من جمّاعي الألفاظ بحسب ما اتفق عليه في اللجان الأدبية والتاريخية والاشتقاقية ، ثم تنظيمات آلية وعملية (تتبع في تدوين الألفاظ) ويتلو ذلك كله قوائم الكتب (أي المراجع) تدل كل قائمة منها على مقدار ما بذل في وضعها من جهد ومشقة . وقد نظمت كالآتي :

الأولي : قائمة بالمراجع الإنجليزية المطبوعة من سنة ١٢٥٠م إلى سنة ١٥٢٦م .

الثانية : قائمة بمراجع العصر الثاني ، أي من سنة ١٥٢٦م إلى سنة ١٦٧٤م .

الثالثة : قائمة بمراجع العصر الثالث ، أي من سنة ١٦٧٤م إلى سنة ١٨٥٨م .

ولقد روعي في اختيار هذا التقسيم حادثان تاريخيان ؛ الأول : طبع العهد الجديد (الأناجيل) بالإنجليزية في سنة ١٥٢٦م ، والثاني : وفاة الشاعر ملتن Milton في سنة ١٦٧٤م . ويرجع هذا الاختيار إلى « هنري كولردج H.Coleridge » ، غير أنه وقع أيضًا عن مصادفة ، أن هذين التاريخيين هما مبدأ الزيادة العظمى في مفردات اللغة الإنجليزية ، فأقرّا واتبعا في تبويب المؤلفات بحسبهما .

وبدأ عمل المتطوعين يثمر ويؤتي أكله ، ويزود اللجنة بمادة تعمل على بحثها وتحقيقها ، ففي شهر أبريل من سنة ١٨٥٩م نشرت الجمعية تقريرًا يتضمن أسئلة عن معالجة بعض المعضلات الاشتقاقية وكثير من العبارات الصعبة في الكتب الإنجليزية القديمة ، ووزعته على أعضاء الجمعية وعلى المراسلين العاملين في المعجم ، وطلبت منهم تأويلها . ولقد قام « كولردج » باستخلاص ما له قيمة علمية من الردود التي

تلقتها لجنة المعجم ، والتي رئي أنه من المفيد أن تطبع وتنشر ، وتَقدَّم بهذه الخلاصة إلى الجمعية اللغوية في بحث عنوانه : « محاولات لتبيان أصول بعض الكلمات الصعبة والعبارات الغامضة عند كتاب الإنجليز . وفي العاشر من شهر نوفمبر من تلك السنة نفسها قدم » كولردج ، وكان قد عُيِّن محررًا للمعجم ، تقريرًا عن « معجم الجمعية » المراد تأليفه ، فكان من نتائجه أن أصدرت الجمعية في الثامن من ديسمبر ثلاثة قرارات :

الأول : تأليف لجنة تضع قواعد يسترشد بها محرر المعجم .

الثاني : تأليف اللجنة من سبعة علماء لوضع هذه القواعد .

الثالث : الترخيص للجنة بطبع القواعد التي تضعها اللجنة ، وأن توزع نسخًا منها على أعضاء الجمعية . وأن تعين إحدى الليالي المخصصة لالتئام الجمعية ليناقش الأعضاء في تلك القواعد .

فأخذت اللجنة ، وبالحرى أخذ « كولردج » بالنيابة عنها ، توًّا في تحرير تلك القواعد ، ثم ناقشت فيها الجمعية متوسعة في بعضها مهذبة للبعض الآخر في جلسات عقدت في شهر ديسمبر من سنة ١٨٥٩م ، ويناير من سنة ١٨٦٠م ، ثم أعيد النظر فيها ونوقشت مرة أخرى في شهري أبريل ومايو من سنة ١٨٦٠م ، ثم طبعت نهائيًا بعنوان : « قواعد معجمية لغوية : أو الأسس التي ينبغي أن تراعى في تحرير المعجم الإنجليزي الحديث الذي تصدره الجمعية اللغوية » وهذا عنوانه في الإنجليزية :

Canones Lexicographic, or rules to be observed in editing the new English Dictionary of the Philological Society.

وقبل أن أنتقل إلى الكلام في مسائل أخرى أقرر أنه ينبغي لنا الحصول على هذه القواعد المعجمية اللغوية – لعلنا نسترشد بأشياء فيها تساعدنا على وضع قواعد في تأليف معجمنا ربما غابت عنّا ، وانتفع بها مؤلفو المعجم الإنجليزي ، ويمكن الحصول عليها إذا اتصلنا بالأستاذ « جب » بجامعة أكسفورد .

وكان العمل كلما تقدمت به السنون ، ازداد القائمون بأمر المعجم بصيرة بحقيقته وعظمته وضخامته . فإن محرره « هنرى كولردج » قد بدأ بتحرير جزء من حرف الألف في سنة ١٨٦١م ؛ ليكون مثالاً يحتذى في تحرير مواد المعجم . ولكن اتضح أن كل عمل من هذا القبيل ، إنما يكون سابقًا لأوانه حتى يتم جمع أكثر مواد

المعجم من المظان الأدبية واللغوية . وحتى بعد ذلك ، لا يمكن أن يكون تحرير المواد نهائيًّا وكاملًا ، وإنما يكون تمهيدًا لتحريرها بحيث يضاف إلى كل مادة ما يعثر عليه في المظان من الاستعمالات في أثناء قراءة الكتب المعتمد عليها والمتخذة أصولًا لجمع مواد المعجم . ومن هذا يتضح لنا أن معجما لغويًّا تاريخيًّا إنما هو عمل موصول أوله بآخره . فقد يحتاج محرر المعجم إلى إضافة استعمال لكلمة في مؤلف ظهر في آخر عصور اللغة ، ولا يكون لهذا الاستعمال مثيل فيما تقدم من الأزمان .

وفي ١٢ من يوليو سنة ١٨٦١م ، جمع « فورنيوال » Furnivall ، المحرر الذي عمل في المعجم بعد « كولردج » ، الذي مات في تلك السنة وله من العمر إحدى وثلاثون سنة ، أسماء الكتب التي قرئت حتى ذلك التاريخ ، فوقعت في قائمة عدد صفحاتها أربعة وعشرون ، ومما جاء فيها يتضح أن عدد الكتب التي قرئت من العصر الأول كان ١٤٣ كتابًا ، ومن العصر الثاني ٤٨٦ كتابًا ، ومن العصر الثالث ٨١ كتابًا .

وكان « كولردج » قبيل وفاته قد بدأ يجمع الألفاظ في قوائم سميت « أصول المقارنة » ؛ إذ بها يتضح مقدار العمل اللازم لكل حرف من حروف المعجم على حدة ، وما ينبغي أن يبذل في سبيل تحريره من كدٍّ ونصب ، حتى إذا أريد بعد ذلك توزيع الحروف المختلفة على عدد من المحررين ، أمكن توزيعها بحيث يتوازى عمل كل منهم على وجه التقريب . وكان يذكر في هذه القوائم التي سميت « أصول المقارنة » عدد الجزازات الخاصة بكل مادة بذاتها مع معرفة الشواهد المفرغة في تلك الجزازات وما هو متفق منها ، وما هو مختلف .

وفي أوائل سنة ١٨٦٢م تقدم « فورنيوال » محرر المعجم بمقترحات إلى الجمعية اللغوية قبلت برمتها وهذه هي :

١ - تأليف معجم صغير يكون تمهيدًا للمعجم الكبير ، ويُتخذ العمل فيه أصلًا جديدًا من أصول الموازنة يتناول كل العصور التي سيؤرخها المعجم الأعظم .

٢ - أن يكون المعجم الصغير مختصرًا للمعجم الكبير وأن يتناول النواحي النطقية والانتقادية والاشتقاقية وأصول الكلمات والبوادئ والكواسع Prefixes and Suffixes والتعريفات وما في بعض الكلمات من الجناس ، وأن يذكر مع كل مادة شاهد أو شواهد لا يتجاوز الواحد منها بضع كلمات مع ذكر التاريخ والمؤلف المأخوذ عنه

الشاهد . وذلك من المادة المستجمعة حتى ذلك التاريخ . فإذا كان ما جمع لم يذكر شواهد بعض المواد استعين على ذلك ببعض المصادر الوثيقة التي تكون في متناول المحرر ، وأضيف إليها كل الأمثال والمعاني التي يحتاج إليها .

٣ – أن يعهد المحرر حسب اختياره بالشواهد المستجمعة عنده إلى بعض المراسلين أو إلى بعض المتطوعين ، وأن يختار من يثق بهم ليكونوا معاونين له في تحرير هذا المعجم المختصر . وكانت الفكرة الأساسية في تأليف هذا المعجم المختصر ، هو التمهيد للمعجم الكبير ومرانة على العمل فيه .

في سنة ١٨٧٩م تولى « جيمس موري » James Murray تحرير المعجم . وكانت الجزازات المستجمعة من المظان المقروءة قد ازدادت وضخمت وأصبح من الضروري تنظيمها بحيث يمكن الاستفادة منها استفادة عاجلة عند الحاجة ، فمضى ينظمها ، وكوّن لها أماكن خاصة تتسع للجزازات مبوَّبة تبويبًا أبجديًّا ، وأنشأ لذلك مكتبًا Scriptorioum جمع إلى قماطر الجزازات موائد للتحرير ، وأخرى للمراجعة ، وعكف على تنظيم هذا العمل العظيم تنظيمًا يحقق الانتفاع بالمادة المجموعة ، مع الاقتصاد في الوقت قدر المستطاع .

وحتى عند بلوغ هذه المرحلة شعر القائمون على المعجم بأنهم في حاجة إلى قراء متطوعين فطبعت دعوة إلى العالم الإنجليزي في شهر أبريل سنة ١٨٧٩م بطلب المساعدة لإتمام « المعجم الإنجليزي الحديث » وسرعان ما تقدم إلى الجمعية ألف قارئ جدد ، وأخذ جمع المادة اللغوية بعد ذلك يسير بخطوات سريعة محققة النتائج .

ولقد اتبع في جمع مادة هذا المعجم طريقة نظمت على أساس عملي قام بتنفيذها المتطوعون ومساعدو التحرير ، وكان من البين بديًّا أن أول خطوة في سبيل تأليف معجم جديد للغة الإنجليزية هي استجماع شواهد وثيقة من الأدب الإنجليزي في خلال عصور اللغة المختلفة . وكان « جونسون » و « ريتشاردسون » قد انتقيا من المادة التي استجمعاها ، ومن الظاهر أن هذا الانتقاء ينبغي أن يكون له حدود عملية يسير بمقتضاها ، بصرف النظر عن سعة المادة التي ينتقى منها ، وفي هذه الحالة كان الإشراف على ما ينتقى من الشواهد أمرًا غير يسير . وكان الضمان الوحيد لعلاج هذه الصعوبة هي أن يكون من عناية القرّاء وقوة تمييزهم وسمو ذوقهم الأدبي ، ما يمكن أن يسد نقائص الآخرين .

ومن الإرشادات التي نشرت في سنة ١٨٥٨م وسنة ١٨٧٩م أمكن الوصول إلى اتساق في الأسلوب الذي يتبع في عرض الشواهد . فكل شاهد يكتب في جزازة هي عبارة عن ربع فرخ من الورق (ما عدا القرّاء الذين كانوا يستعملون ورقًا من عندهم ، فهؤلاء كانوا يكتبون على جزازات حيثما اتفق نوعها وسعتها) ، ولا تكون الجزازة كاملة إلّا باستكمال ثلاثة وجوه ؛ (الأول) : الكلمة المنتقاة وتكتب في الركن الأيسر العلوي من الجزازة (الثاني) : التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة ، وغير ذلك من البيانات الخاصة بالكتاب المأخوذ منه (الثالث) : الشاهد نفسه ، إما كاملًا وإما مختصرًا : بطريقة لا تعيبه فكانت الجزازة الكاملة مثلها كالآتي :

Britisher

1883, Freeman Impressions U.S. iv. 29. I always told my American friends that I had rather be called Britisher than an Englishman, if by calling me an Englishman they want to imply that they are not Englishmen themselves .

ومن أجل أن يسهل على القارئ تحرير الجزازة من غير أن يضطر إلى تكرار البيانات المذكورة في الوجه الثاني ، أي التاريخ والمؤلف والعنوان والصحيفة ... إلخ ، طُبعت هذه الأشياء على الجزازات ، وما على القارئ إلا أن يملأ فراغها مع نقل بعض الشواهد فقط ، ومع ملاحظة تقدير العدد اللازم من الجزازات لكل كتاب على ضوء حاجة العمل في كتب تماثله . كما أنه استعيض عن الطبع بطوابع توضع على كل جزازة وعليها البيانات اللازمة .

والطريقة التي أراها ناجحة في تذليل هذه الصعوبة هي أن نعمد إلى الأرقام فهي أسهل وأسرع ، فيطبع على الجزازة الكلمات الآتية وتملأ بأرقام كالآتي :

الكلمة	الكتاب	الفصل	التاريخ[1]	الصحيفة	السطر	الطبعة
أخذ	٣١٥	٢	س٣٢٠ ق٢	٢٢٠	١٢	مصر ١٩٤٠

والأرقام المعينة للمراجع تفرغ في قوائم يرجع إليها عند تحرير المادة .

وقد طلب في الإرشادات التي وزعت على القارئين مراعاة الأسس الآتية : (وكان ذلك فيما نشر سنة ١٨٧٩م) .

---

(١) س = سنة ، ق = قرن .

١ - ذكر شاهد لكلمة ترى أنها نادرة الاستعمال أو مهجورة أو قديمة المعنى أو خاصة أو استعملت بمعنًى خاص .

٢ - يُلتفت التفاتًا خاصًا للعبارات التي تظهر أو تتضمن الدلالة على أن اللفظ جديد ومستعمل ، أو أنه في حاجة إلى بيان أنه مهجور أو عهيد ، وبذلك يمكن تعيين تاريخ استعماله أو إغفاله .

٣ - ذكر عدد الشواهد بقدر المستطاع للكلمات العادية . وبخاصة عندما تستعمل لدلالة خاصة ، والرجوع إلى القرينة لتوضيح معناها أو ذكر ما يساعد على ذلك من الفُروض ومن الظاهر أن هذه القواعد تختلف درجات السهولة في تطبيقها باختلاف الكتب ، وأن مهمة بعض القراء قد يتفق أن تكون أكثر صعوبة وأوسع مدى من مهمة البعض الآخر ، حتى إذا تناول كل منهم كتبًا تتساوى من حيث الضخامة ، وكذلك كمية العمل والإنتاج ، فإنها تختلف اختلافًا كبيرًا . وفي كلا العهدين اللذين مرَّ بهما تأليف المعجم ، كان من بين القراء من هم المثلُ الأعلى في الإنتاج ، وقد تركوا في كل صفحة من صفحات المعجم أثرًا يمكن أن يلمسه كل من له خبرة خاصة بذلك . فهؤلاء من ناحية ، مع جيش عظيم من القراء الذين هم أقل منهم إنتاجًا وإتقانًا في العمل من ناحية أخرى ، استطاعوا أن يضخموا كمية الجزازات حتى ضاقت بها الأماكن التي خصصت لها في المكتب العظيم الذي أسسه الأستاذ « موري » . ومما يدلك على مقدار السرعة التي ازداد بها عدد الجزازات في العصر الذي بلغ فيه إنتاجها أعظم مبالغة ، عبارات نشرت ضمن تقرير تناول سير العمل جاء فيه :

في شهر مايو من سنة ١٨٧٩م ، تقدم إلى الجمعية ، تلبية للنداء التي نشرته في أواخر أبريل من السنة نفسها ١٦٥ قارئًا ، منهم ١٢٨ اختاروا الكتب التي يقرؤونها بأنفسهم ، فزُوِّدوا بالجزازات ، وهم عاكفون الآن على العمل . أما عدد الكتب التي وزعت فبلغ ٢٣٤ كتابًا .

وبعد مضي سنة على نشر هذا التقرير (١٨٨٠) ، بلغ عدد القراء ٧٥٤ عكفوا على قراءة ١٥٦٨ كتاب ، انتهى العمل في ٩٢٤ منها ، كما بلغ عدد الجزازات المطبوعة التي وزعت عليهم ٦٢٥,٠٣٥ ، انتفع منها بما لا يقل عن ٣٦١,٦٧٠ شاهد لغوي تاريخي . ومن هؤلاء القراء امتاز عدد بضخامة الإنتاج فتراوح ما أرسل منهم بين ٤٥٠٠,١١,٠٠٠ جزازة . وبمضي سنة أخرى ، أي في سنة ١٨٨١م

بلغ عدد القراء ٨٠٠ منهم ٥١٠ لا يزالون يعملون في جمع الشواهد ، وبلغ عدد الجزازات في تلك السنة ٨١٧,٦٢٥ والشواهد المنتفع بها ٦٥٦,٩٠٠ وبلغ عدد المؤلفين الذين جمعت مؤلفاتهم ليرجع إليها ٢٧٠٠ ، بلغ عدد عناوين الكتب ٤٥٠٠ .

أما تفاصيل هذا النشاط العظيم فقد أشير إليها في مقدمة الجزء الأول من المعجم ، كما أن قائمة كاملة تضمنت أسماء القراء ، والكتب التي قرؤوها في المدة الواقعة بين سنة ١٨٧٩م و١٨٨٤م مع ذكر عدد الشواهد التي استخلصها كل منهم ، قد ألحقت بخطاب الرئاسة الذي سمعته الجمعية اللغوية في سنة ١٨٨٤م . فإذا نظرت في هذه القائمة اتضح أن الاهتمام بشأن هذا المعجم في الولايات المتحدة قد ازداد بمر الزمن واحتفظ بطابعه . حتى لقد أشار مستر « موري » في خطاب الرياسة سنة ١٨٨٠م إلى ما كان من غيرة أهل الولايات المتحدة على العمل والنتائج التي أخرجوها فقال :

أما من حيث قراءة المراجع ، فإني لا أستطيع أن أقوم بواجب التقدير لما أبدى أصدقاؤنا في الولايات المتحدة من غيرة وعطف . فإن غيرتهم الصادرة عن حب صحيح للغتنا المشتركة وتاريخها ، والرغبة الكبيرة في إخراج معجم جدير بهذه اللغة ، جُمّاع ذلك قد ترك في نفسي أثرًا عميقًا لا يزول .

وإني لا أتردد في القول بأني قد آنست في الأمريكيين حبًا مثاليًا للغة الإنجليزية باعتبارها ميراثًا عظيمًا ورثناه عن أوائلنا ، وفخارًا بأن لهم صلة بذكرياتها المجيدة ، أشبه بذلك الفخار الذي يتيه به بحاثة فذ من اتصاله بآداب الإغريق الأقدمين . آنست ذلك فيهم بقدر ما آنست من ندرة تلك المشاعر بين الإنجليز نحو لغتهم . ومن هنا استنتج معتمدًا على قرائن عديدة ، أن الأمريكيين سيكون لهم القيادة العليا في البحوث الإنجليزية بعد مضي زمن ليس ببعيد .

ولا يقل عمل الذين تطوعوا في مساعدة التحرير شأنًا عن عمل القراء . ولو لم يقم هؤلاء بعمل سوى تصنيف ٣,٥٠٠,٠٠٠ جزازة من جزازات المعجم ، لكان في هذا العمل وحده من اقتصاد في الوقت والمال ، ما لا تقدر له قيمة حقيقية . ولكن الواقع يشهد بأنهم اشتركوا اشتراكًا فعليًا في تنسيق تحرير المعجم تنسيقًا ظهرت آثاره السريعة في إنجاز الجزء الأعظم من صفحاته .

واستمر العمل في المعجم بنشاط كبير حتى إن « هنري كولردج » قد تصور أنه من الممكن أن يخرج الجزء الأول من المعجم بعد سنتين من بدء العمل فيه ، أي حوالي

أوائل سنة ١٨٦٢م ، وقال : إنه لولا تواني بعض القراء لاستطاع أن يعين لاخراج الجزء الأول ميعادًا أقرب من هذا . ولكن الواقع أن بدء تكوين المواد الأولى من حرف الألف لم يبدأ إلّا في سنة ١٨٨٢م ، وأخذ العمل في المعجم يتم على النمط الآتي :

AB-1882-88

C-1888-93

D-1893-7

E-1888-93

F-1893-97

G-1897-1900

H-1897-99

والسبب في تداخل السنين في تحرير هذه الحروف أنه كان قد عهد إلى لجان مختلفة بتحرير مواد حروف بعينها

ومن أهم ما يلاحظ في تأليف المعجم قول كاتب المقدمة أن العمل الذي قام به المساعدون الرسميون كان له الأثر الرئيسي في جميع الأدوار التي قطعها القائمون بأمر المعجم بعد تنظيم العمل بالاعتماد عليهم ، فكان من نتيجة ذلك توالي الخطوات على النسبة الآتية :

IJK-1899-1901	L-1901-03	O-1902
O-1902-1904	M-1904-08	R-Re-1903-07
P-1904-06	S-SH-1908 14	N-1906-07 T
-T-1909-15	ST-1914-19	Re-Ry-1907-10
Wh-WO-1922-27	W-We-1920-23	Si-sq-1910-20
SU-SZ-1914-19	V-1916-20	
XYZ-1920-21	U-1921-26	
Wo-Wy-1927		

وظهر المعجم مطبوعًا أول مرة في سنة ١٩٢٨م .

إيضاحات عامة :

من الإيضاحات العامة التي ذكرت في مقدمة معجم أكسفورد الحديث ما يمكن الانتفاع به ؛ لأنه يتناول جهات عامة يستطاع تطبيقها على كل الحالات ، ومنها ما لا يمكن الانتفاع به ؛ لأنه يتعلق بخصائص اللغة الإنجليزية التي لا يشاركها فيها

لغة أخرى ؛ لهذا نلخص هنا ما نتوقع أن ننتفع به من الآراء التي اتخذت دعامة لتأليف هذا المعجم اللغوي التاريخي الذي يعتبر الآن الديوان الكامل للغة الإنجليزية .

إن مفردات لغة حية عظيمة الانتشار سامية الآداب فائقة الثقافة ، لا يمكن أن تصبح كمية ثابتة تحوطها حدود معينة . فإن تلك المجموعة الهائلة من الألفاظ والعبارات التي منها يتكون مفردات اللغة التي يتكلمها الإنجليز ، إنما تمثل لعقل أولئك الذين يريدون النظر فيها باعتبارها كلًّا محدود النواحي معين الأطراف ، منظر واحدة من تلك الكتل السديمية المعروفة عند الفلكيين ، والتي يكون فيها نواة نيِّرة تستبان بدقة ، مرسلة ضوءها إلى جميع ما يحوطها فيخترق مناطق يقل فيها الضوء ، إلى أخرى تلوح كأنها بِرقٌ كَمِد لا تكتنه له منتهى ولا غاية ، ثم تمتد كمدته متدرجة شيئًا بعد شيء حتى تغيب في الظلمات الحافة به ، من غير أن يدرك كيف غابت وكيف ابتلعتها تلك الظلمات .

فاللغة في تكوينها وحقيقتها يمكن أن توازن بواحدة من تلك العشائر الطبيعية التي يصنفها الحيوانيون والنباتيون والتي تتخذ فيها أنواع مثالية لتكون بمثابة النواة الجوهرية لقبيلة من قبائل الحيوان أو النبات ، في حين تتصل هذه الأنواع بأنواع أخرى ، تكون فيها تلك الصفات المثالية أقل ظهورًا ثم أقل ظهورًا ، حتى تختفي في النهاية عند حافة نلتقي عندها بصور انحرفت صفاتها عن الصفات المثالية ، ونزعت إلى الاندماج لا شعوريًا في قبائل مختلفة تحف بها في النظام الطبيعي ، أي إلى حيث يكون تحديد مركزها الحقيقي غامضًا ومشكوكًا فيه . ومن أجل أن يسهل الباحث الطبيعي مهمته في التصنيف ، يبدأ بوضع خط يحدد عنده تخوم شعب أو قبيلة من الأحياء ، بحيث يكون هذا الخط في خارج نطاق صورة معينة (حيوانًا أو نباتًا) أو في داخل نطاقها ، ذلك في حين أن الطبيعة لم ترسم مثل هذا الخط في ناحية من نواحيها ولم تقم ندًّا له في تضاعيفها . كذلك مفردات اللغة الإنجليزية ، فإن لها نواة أو بالأحرى كتلة مركزية مكونة من آلاف من الألفاظ لم يُطعن في إنجليزيتها ، ومن هذه الألفاظ جزء أدبي صرف ، وجزء آخر علمي صرف ، فأغلبية هذه الألفاظ أدبية علمية ، وهذه هي التي تدعي ألفاظ اللغة الأصلية ، غير أن هذه الألفاظ موصولة من جميع نواحيها بألفاظ أخرى تمضي أحقيتها في أن تسمي هذه التسمية تتضاءل شيئًا فشيئًا ، في حين أن تضاؤل أحقيتها في أن تكون من « الألفاظ الأصلية » يحرفها

نحو مجال آخر ، أي نحو اللهجات المحلية ، أو التحريف أو الكلام الاصطلاحي الذي يكون لبعض الطوائف والطبقات ، أو العبارات التجارية أو ما تواضع عليه بعض الشعب الاجتماعية ، أو المصطلحات العلمية التي يشترك في استعمالها كل الأمم المتمدينة ، واللغات التي يتكلمها أهل البلاد الأجنبية أو بعض الأمم الأخرى . ولن تقع في جماع ذلك على خط تعييني في جمع هذه الاتجاهات . فدائرة اللغة الإنجليزية لها مركز معروف تمام المعرفة محدد تمام التحديد . ولكن لن تقف له على محيط محدود ؛ ذلك في حين أن الاستفادة العملية من معجم ، ينبغي أن يكون لها بعض الحدود .

وإن معجمًا ما لا بد من أن يكون له منتهى وغاية . وهنا ينبغي للمعجمي أن يتشبه بالعالم الطبيعي فيرسم خطًّا أوليًا في موضع ما لكل اتجاه من اتجاهات الانفراج والتباعد .

ولقد رسم مؤلف مقدمة أُكسفورد شكلًا بيانيًا لألفاظ اللغة الإنجليزية على الصورة الآتية :

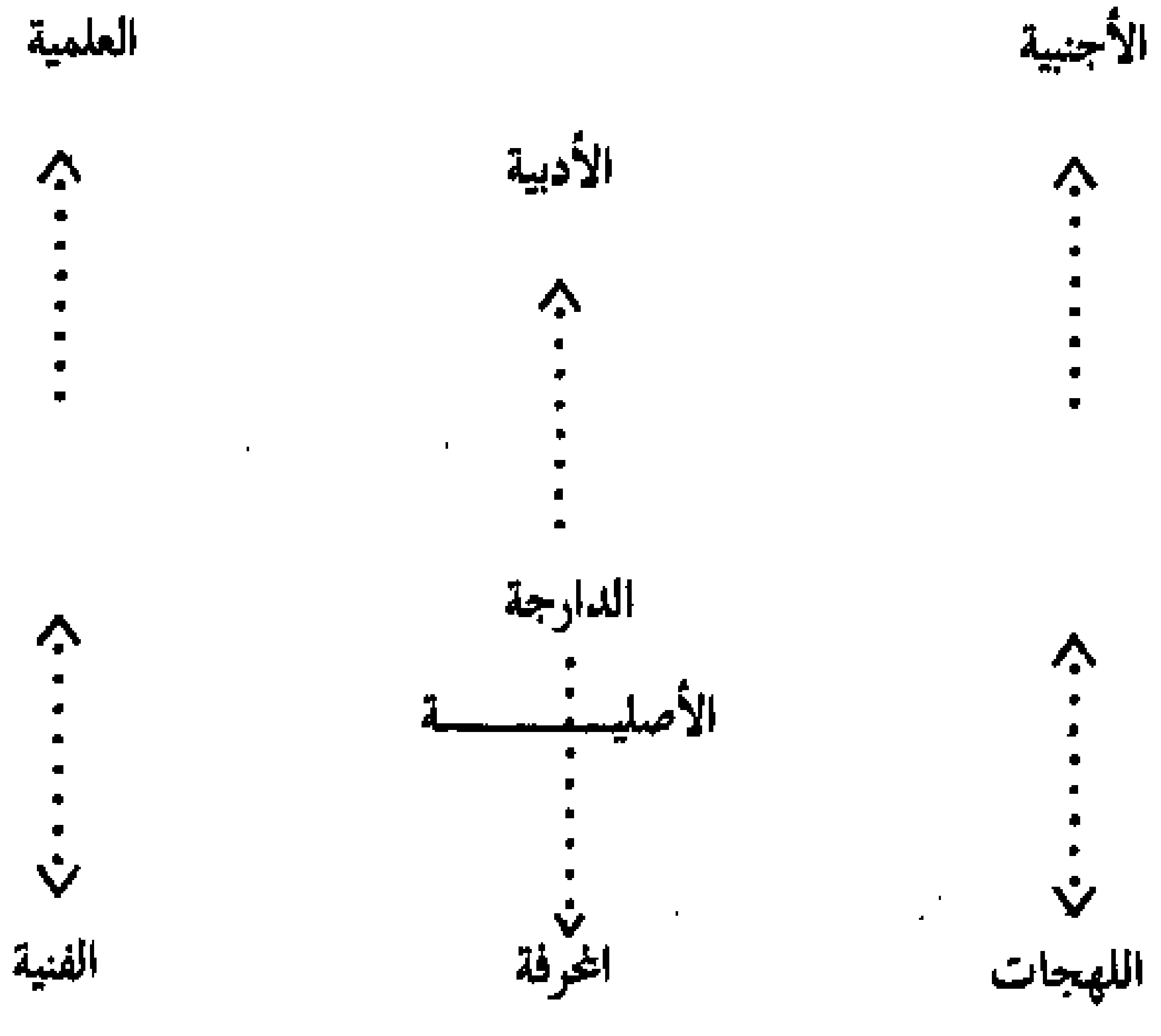

فمعجم جديد يؤلفه معجميون محدثون ، ينبغي أن يتضمن جميع الألفاظ العامة في الأدب والحديث (الكلام) ، وكذلك الألفاظ العلمية والفنية والحرفة ، وألفاظ اللهجات والألفاظ الأجنبية المستعملة في اللغة والتي درجت بها الألسن مما قارب مرتبة « الألفاظ العامة » للغة .

وبعد كل هذا ينبغي أن يعلم المعجمي أن الخط الذي رسمه لألفاظ اللغة سوف لا يرضي النقاد ذلك بأن مجال « الألفاظ العامة » يتسع بمقتضى اطلاع كل ناقد وبحوثه وأعماله ومعاشه من حيث إقامته في الريف أو المدن أو في بلاد أجنبية ، كما يضيق هذا المجال في النواحي التي لا صلة له عمليًا بها . فليست إنجليزية أي فرد هي الإنجليزية برمتها ؛ ولذا ينبغي للمعجمي أن لا يقتنع إلَّا برصد الجزء الأعظم من الألفاظ التي يستعملها كل فرد بذاته ، وهذا يفوق ، بما لا يمكن تقديره ، مجموع الألفاظ التي يستعملها فرد واحد .

بالإضافة إلى الألفاظ العامة للغة ، وبالإضافة إلى كل اتجاهات التوسع والتباين فيها ، تقع على عدد غير محدود من أسماء الأعلام مرتجلة ومنقولة تخرج عن دائرة الألفاظ المعجمية ، في حين أنها تمسها من آلاف النواحي التي تضفي على هذه الأسماء ، وبصورة أخص على النعوت والأفعال المستمدة منها ، قيمة معنوية تختلف بحسب الأحوال .

وفي هذه الحالة ينبغي أن نرسم حدودًا قد يزيد فيها أثر الاختيار أو يقل .

كذلك نجد أن للغة ناحية أخرى لا يمكن تحديد تخومها ، ذلك إذا نظرت إلى اللغة من حيث علاقتها بالزمان . فإن المفردات الحية للغة من اللغات ، لا تملك من صفة الاستقرار في تكوينها ، أكثر مما تملك من صفة التقيد بحدود تنتهي عندها .

فمفردات اللغة اليوم غيرها منذ قرن من الزمان ، وكذلك ستكون غيرها بعد قرن يمر من الآن . ذلك بأن عناصرها المكونة لا تفتأ في انحلال وتجدد مستمرين ولكنهما بطيئي الأثر . فالألفاظ القديمة يتولاها الإغفال فتصبح مهجورة أو ميتة . ذلك في حين أن الألفاظ الجديدة دائمة التغلغل في تضاعيف اللغة . وموت كلمة من الكلمات ليس من الأشياء التي يمكن تحديد زمانها تحديدًا تامًا . ذلك بأن موت اللفظ عبارة عن عملية اختفاء ، تستمر زمنًا متطاولًا ، لا يستطيع المعاصرون أن يدركوا نهايته .

فكلمة تستعمل في هذا العصر ، لا يمكن أن تهجر ، وإنما تموت بعض الكلمات بموت أجدادنا الذين كانوا يستعملونها .

وحتى بعد أن نكف عن استعمال كلمة ، فإن ذكراها تظل حية قائمة ، وتبقى معتبرة حية على اعتبار إمكان الرجوع إلى استعمالها . فإذا مات آخر من يحتمل أن يستعملها ، ماتت الكلمة .

ومن هنا نجد أن هنالك عددًا كبيرًا من الألفاظ يشك في أنها وحدة من الوحدات الحية في اللغة ، ذلك بأنها حية عند البعض ، ميتة عند آخرين ، ونرى من جهة أخرى أن ألفاظًا يمكن أن يكون لها حق الدخول في مجموعة المفردات المعترف بها في اللغة وهي ألفاظ يمكن أن يعود بعضها إلى التقبل والاستعمال ، بل هي من الألفاظ الكثيرة الدوران على ألسنة بعض المتكلمين وأقلام بعض الكاتبين ، وهي ليست من الإنجليزية الجيدة عند البعض ، أو هي ليست إنجليزية بحال ، عند البعض الآخر .

إذا اتبعنا طريقة تقسيم الألفاظ قسمين :

مستعمل ومهجور ، وجعلنا الفكرة في اللغة مقصورة على الألفاظ التي هي إنجليزية صرفة منذ البداية أو من عصر ما من العصور ، فإننا بذلك ندخل ناحية من موضوع بحثنا يكون استعراضنا فيها لطبيعة اللغة ناقصًا غير تام . وذلك بأننا نعرف مفردات العصور السالفة عن طريق المدونات التي تركها السلف ، ومقدار علمنا بها يتوقف على كمية ما يصل إلينا من هذه المدونات وإلمامنا بمحتوياتها .

وكلما كان رجوعنا إلى الماضي أبعد وأقصى ، نقصت هذه المدونات ، وقل محصول المفردات التي يمكن أن تقع عليها (يلاحظ هنا أن الحال في اللغة العربية الآن ربما كان على عكس ذلك تمامًا) .

وهذا المعجم ، مع خضوعه لكل الحالات التي يمكن أن تعتور تأليف معجم كامل للغة الإنجليزية ، سيتضمن تاريخ كل الكلمات المستعملة الآن ودلالتها ، والكلمات التي يمكن أن يعرف أنها كانت مستعملة منذ أواسط القرن الثاني عشر الميلادي .

وكان تعيين هذا العصر راجعًا إلى الرغبة في إهمال جميع الألفاظ التي استعملت في الإنجليزية القديمة أو الإنجلوسكسونية .

اللغة العربية وحاجتها إلى معجم لغوي تاريخي (*)

بقلم الأستاذ إسماعيل مظهر

قد يكون البلوغ إلى درجة عالية من الكمال فضيلة في عصر ، رذيلة في آخر . ذلك بمقتضى ما يقوم في عقلية الناس من معايير وأقيسة . يقيسون عليها معنى الكمال في الشيء الذي يصدرون فيه حكمهم بتلك المعايير أو الأقيسة . هذا ما ينطبق على اللغة العربية العظيمة تمام الانطباق ، فقد وصلت إلينا هذه اللغة عن آبائنا كاملة ، بقدر ما يكون الكمال مستطاعًا في الأشياء الإنسانية . وصلت إلينا لغة علم وأدب وفن ؛ انحدرت إلينا عنهم بقواعدها النحوية والصرفية عن أئمة النحو والصرف ، وبسماتها المنطقية وفقهها الأصيل عن أمثال ابن جني وابن فارس . ورثناها عن آبائنا بفصيحها ودخيلها ومعرَّبها ومنحوتها ومركبها من الألفاظ وبصيغها القياسية والسماعية ، وتسلمناها مضبوطة بالشكل ، وهو نوع من الإيجاز لا تشاركها فيه لغة أخرى من لغات الأرض ؛ حتى لقد نستطيع أن ننطق ألفاظها اليوم كما كان يلفظها العربي القح في بوادي جزيرة العرب ، لا من حيث الإمالة أو الإشمام أو النبر التي كانت من خصائص بعض القبائل ، ولكن من حيث الضبط الشكلي من فتح وكسر وضم وتشديد وتنوين . فقد يستطيع الكثيرون منا ، إذا أرادوا ، أن ينطقوا الآية الكريمة : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [مريم : ٣٠] كما كان ينطقها القرشي في عصر الرسالة . وصلت إلينا هذه اللغة محصورة في معاجم كبرى ، جمعت مفردات اللغة وضبطتها ، وشرحت معانيها ، وأتت على بعضها بشواهد لغوية من أقوال الفصحاء .

كان هذا جميعه من فضائل هذه اللغة في العصور التي ازدهرت فيها الحضارة العربية . ولكن مرت بهذه اللغة عصور رأى فيها الناس أن كمال هذه اللغة منقصة فيها . حتى لقد عمدوا إلى الدعوة إلى استعمال العامية الدارجة ، بدلًا من الفصيحة العالية ؛ ضجرًا منهم بها وتبرمًا من قواعدها وأصولها التي كان أساس حضارة العرب في خلال قرون عديدة . بل ودعا بعضهم إلى العدول عن استعمال الحروف العربية إلى اللاتينية ، شعورًا منهم بالنقص . وفرارًا من متاعب البحث والصبر عليه ،

(*) نشر هذا البحث في مجلة (المجلة) السنة الرابعة ، في أبريل ١٩٦٠.

واستجابة لما ثبت في وعيهم من الأخذ بأساليب الأقوياء الذين فرضوا على أهل العربية سلطانهم في خلال القرن التاسع عشر ، ومن ذلك العدول عن الحروف العربية إلى اللاتينية ، وهو أمر لو أخذنا به ، لتميّعت أصول آدابنا جميعًا ، بل اندثرت وبادت ، وليس وراء هذا مطلب لمستعمر .

اقتصرت المعاجم التي وصلتنا عن أسلافنا على جميع المفردات وإثبات معانيها ، واختلاف هذه المعاني باختلاف مبناها الشكلي ؛ وهو عمل ولا شك جليل الفائدة ثابت الأثر على الأجيال غير أن شعراء العرب وأدباءهم وعلماءهم وفلاسفتهم ، قد أدخلوا على معاني هذه الألفاظ معاني جديدة استخدموها أداء لأغراضهم الفنية ، فلم يدخل كثير من هذه المعاني معاجم اللغة ومظانهم ، فظلت متناثرة فيها ؛ يتناقلها الأدباء ويرويها الرواة ، فإذا أردت الرجوع إلى تاريخ الاستعمالات التي تواردت على الألفاظ ولم تحصرها المعجمات ؛ لأنها تدخل في باب المجاز أو الاستعمال العلمي ، لم تقع في معاجم اللغة على شيء من ذلك وإذن فاللغة العربية لغة محصورة من ناحية ، مشتتة من ناحية أخرى ، محصورة في المعاجم من حيث معانيها الحقيقية ، مشتتة من حيث المعاني المجازية التي تواردت عليها ، أو الاستعمالات العلمية والفلسفية والتصوفية أو غير ذلك ممّا نقلت إليه الألفاظ .

وقع هذا لكثير من اللغات الحية ، شرقية وغربية . وكان أدباء الإنجليز أول من شعروا بضرورة البحث وراء استعمالات الألفاظ وتبويبها بحسب العصور ؛ ليخرجوا بذلك صورة كاملة لتطور اللغة بتطور ألفاظها . كان ذلك على درجات ، أفضت كل درجة منها إلى الدرجة التي تليها ، فبدأوا بجمع المفردات وتعريفها تعريفًا يتفق ومعانيها الحقيقية ، من غير أن يلقوا بالًا إلى تطور معاني الألفاظ بتطور حاجة اللغة إلى المعاني المستحدثة ، والتي تكون قد دارت على أقلام الكتاب ، أدباء كانوا أو علماء . وفي أواسط القرن الماضي ، شرعوا يضعون القواعد التي يصنعون بها معجمًا لغويًا تاريخيًا يجمع شتات لغتهم ، ويظهر خطى التطور التي أصابت ألفاظها من حيث المعنى ومن حيث الاستعمال ، وعكفوا على ذلك زهاء ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، حتى استطاعوا أن يخرجوا معجمهم اللغوي التاريخي في سنة ١٩٢٨م ؛ فكان أول معجم ظهر على هذا النهج في تاريخ العالم ، وتبعهم في ذلك الفرنسيون والأمريكيون وغيرهم من الأمم التي يرى أهلها أن للغة قداسة

تستحق عناية الآباء والأبناء وما يدرج وراءهم من الأجيال .

كان السبب الذي حدا علماء اللغة من الإنجليز إلى القول بضرورة تأليف معجم جديد على قواعد جديدة ، شعورهم بأن معاجم اللغة الإنجليزية ، منذ بداءة القرن السابع عشر كانت تقصر عن سد حاجة الأدباء وأهل العلم باللغة والفنون ، وأن الزمن كلما تقدم بالأدب الإنجليزي ازدادت المعاجم قصورًا عن إدراك أغراضه والقيام على حاجاته بما يحقق الغرض منها حتى لقد شبه معجم « كودري » Cawdrey الذي طبع في سنة ١٦٠٤م إلى جانب معجم أكسفورد اللغوي التاريخي ، بالبزرة إذا قيست بشجرة البلوط العظيمة . وكانت الطريقة التي اتبعت في تأليف المعاجم الإنجليزية ترمي إلى الاقتصار على جمع المفردات الغريبة التي لا تعرض لعامة الناس ، استنادًا إلى أن ما يتبقى بعد ذلك من المفردات ، هي من البيان والتداول بحيث لا ينبغي أن تدخل في معاجم اللغة الإنجليزية .

أما الخطوة التالية فقد خطاها الأديب الكبير « صموئيل جونسون » إذ عمد إلى إثبات الشواهد التي توضح التعريفات الموضوعة للألفاظ وتؤيدها وأكمل هذا البناء العلامة اللغوي « رتشاردسون » Richardson بخطوة ثالثة ، هي : التوضيح التاريخي للألفاظ . ولهذا وجب أن يكون المعجم الكامل للغة الإنجليزية كتابًا من أضخم الكتب العالمية . وقد اضطلعت بذلك « الجمعية اللغوية » بجامعة أكسفورد ، وذلك على قواعد علمية استخلصت من تاريخ المفردات المستعملة في اللغة ، وقد حصرت هذه القواعد في مقدمة ذلك المعجم التاريخي ، نجتزئ منها بما يلي تبيانا للغرض الأساسي من تأليف معجم عربي على هذا المنهج القويم :

إن مفردات لغة حية عظيمة الانتشار سامية الآداب فائقة الثقافة ، لا يمكن أن تصبح كمية ثابتة تحوطها حدود معينة . فإن تلك المجموعة الهائلة من الألفاظ والعبارات التي منها يتكون مفردات اللغة التي يتكلمها الإنجليز ، إنما تمثل لعقل أولئك الذين يريدون النظر فيها باعتبارها كلًّا محدود النواحي معين الأطراف ، منظر واحدة من تلك الكتل السديمية المعروفة عند الفلكيين ، والتي يكون فيها نواة نيِّرة تستبان بدقة ، مرسلة ضوءها إلى جميع ما يحوطها فيخترق مناطق يقل فيها الضوء ، إلى أخرى تلوح كأنها يرقٌ كَمِد لا تكتنه له منتهى ولا غاية ، ثم تمتد كمدته متدرجة شيئا بعد شيء حتى تغيب في الظلمات الحافة به ، من غير أن يدرك كيف غابت

وكيف ابتلعتها تلك الظلمات . فاللغة في تكوينها وحقيقتها يمكن أن توازن بواحدة من تلك العشائر الطبيعية التي يصنفها الحيوانيون والنباتيون والتي تتخذ فيها أنواع مثالية لتكون بمثابة النواة الجوهرية لقبيلة من قبائل الحيوان أو النبات ، في حين تتصل هذه الأنواع بأنواع أخرى ، تكون فيها تلك الصفات المثالية أقل ظهورًا ثم أقل ظهورًا ، حتى تختفي في النهاية عند حافة نلتقي عندها بصور انحرفت صفاتها عن الصفات المثالية ، ونزعت إلى الاندماج لا شعوريًا في قبائل مختلفة تحف بها في النظام الطبيعي ، أي إلى حيث يكون تحديد مركزها الحقيقي غامضًا ومشكوكًا فيه . ومن أجل أن يسهل الباحث الطبيعي مهمته في التصنيف ، يبدأ بوضع خط يحدد عنده تخوم شعب أو قبيلة من الأحياء ، بحيث يكون هذا الخط في خارج نطاق صورة معينة (حيوانًا أو نباتًا) أو في داخل نطاقها ، ذلك في حين أن الطبيعة لم ترسم مثل هذا الخط في ناحية من نواحيها ، ولم تقم ندًّا له في تضاعيفها ، كذلك مفردات اللغة الإنجليزية ، فإن لها نواة أو بالأحرى كتلة مركزية مكونة من آلاف من الألفاظ لم يُطعن في إنجليزيتها ، ومن هذه الألفاظ جزء أدبي صرف ، وجزء آخر علمي صرف ، فأغلبية هذه الألفاظ أدبية علمية ، وهذه هي التي تُدعى ألفاظ اللغة الأصلية ، غير أن هذه الألفاظ موصولة من جميع نواحيها بألفاظ أخرى تمضي أحقيتها في أن تسمي هذه التسمية تتضاءل شيئًا فشيئًا ، في حين أن تضاؤل أحقيتها في أن تكون من « الألفاظ الأصلية » يحرفها نحو مجال آخر : أي نحو اللهجات المحلية ، أو التحريف أو الكلام الاصطلاحي الذي يكون لبعض الطوائف والطبقات ، أو العبارات التجارية أو ما تواضع عليه بعض الشعب الاجتماعية ، أو المصطلحات العلمية التي يشترك في استعمالها كل الأمم المتمدينة ، واللغات التي يتكلمها أهل البلاد الأجنبية أو بعض الأمم الأخرى . ولن تقع في جماع ذلك على خط تعييني في جمع هذه الاتجاهات . فدائرة اللغة الإنجليزية لها مركز معروف تمام المعرفة محدد تمام التحديد . ولكن لن تقف له على محيط محدود . ذلك في حين أن الاستفادة العملية من معجم ، ينبغي أن يكون لها بعض الحدود .

وإن معجمًا ما لا بد من أن يكون له منتهى وغاية . وهنا ينبغي للمعجمي أن يتشبه بالعالم الطبيعي فيرسم خطًا أوليًا في موضع ما لكل اتجاه من اتجاهات الانفراج والتباعد .

ولقد رسم مؤلف مقدمة أكسفورد شكلًا بيانيًا لألفاظ اللغة الإنجليزية على الصورة الآتية :

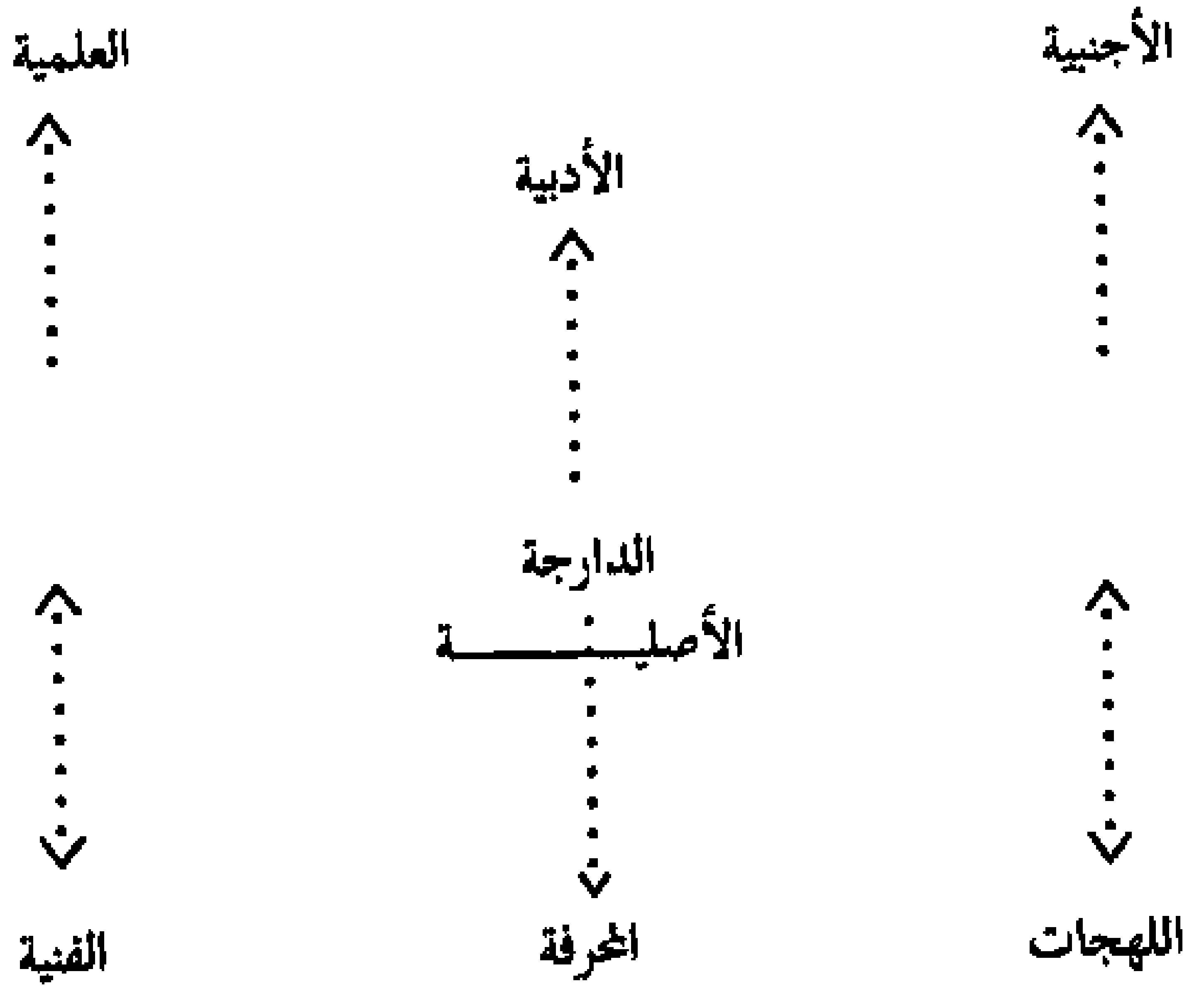

فمعجم جديد يؤلفه معجميون محدثون ، ينبغي أن يتضمن جميع الألفاظ العامة في الأدب والحديث (الكلام) ، وكذلك الألفاظ العلمية والفنية والمحرفة وألفاظ اللهجات والألفاظ الأجنبية المستعملة في اللغة والتي درجت بها الألسن مما قارب مرتبة « الألفاظ العامة » للغة . وبعد كل هذا ينبغي أن يعلم المعجمي أن الخط الذي رسمه لألفاظ اللغة سوف لا يرضي النقاد ذلك بأن مجال « الألفاظ العامة » يتسع بمقتضى اطلاع كل ناقد وبحوثه وأعماله ومعاشة من حيث إقامته في الريف أو المدن أو في بلاد أجنبية ، كما يضيق هذا المجال في النواحي التي لا صلة له عمليًا بها . فليست إنجليزية أي فرد هي الإنجليزية برمتها ؛ ولذا ينبغي للمعجمي أن لا يقتنع إلّا برصد الجزء الأعظم من الألفاظ التي يستعملها كل فرد بذاته ، وهذا يفوق ، بما لا يمكن تقديره ، مجموع الألفاظ التي يستعملها فرد واحد .

بالإضافة إلى الألفاظ العامة للغة ، وبالإضافة إلى كل اتجاهات التوسع والتباين فيها ، تقع على عدد غير محدود من أسماء الأعلام مرتجلة ومنقولة تخرج عن دائرة الألفاظ المعجمية ، في حين أنها تمسها من آلاف النواحي التي تُضفي على هذه الأسماء ، وبصورة أخص على النعوت والأفعال المستمدة منها ، قيمة معنوية تختلف

بحسب الأحوال . وفي هذه الحالة ينبغي أن نرسم حدودًا قد يزيد فيها أثر الاختيار أو يقل .

كذلك نجد أن للغة ناحية أخرى لا يمكن تحديد تخومها ؛ ذلك إذا نظرت إلى اللغة من حيث علاقتها بالزمان . فإن المفردات الحية للغة من اللغات ، لا تملك من صفة الاستقرار في تكوينها ، أكثر مما تملك من صفة التقيد بحدود تنتهي عندها . فمفردات اللغة اليوم غيرها منذ قرن من الزمان ، وكذلك ستكون غيرها بعد قرن يمر من الآن . ذلك بأن عناصرها المكونة لا تفتأ في انحلال وتجدد مستمرين ، ولكنهما بطيئي الأثر . فالألفاظ القديمة يتولاها الإغفال فتصبح مهجورة أو ميتة . ذلك في حين أن الألفاظ الجديدة دائمة التغلغل في تضاعيف اللغة . وموت كلمة من الكلمات ليس من الأشياء التي يمكن تحديد زمانها تحديدًا تامًا . ذلك بأن موت اللفظ عبارة عن عملية اختفاء ، تستمر زمنًا متطاولًا ، لا يستطيع المعاصرون أن يدركوا نهايته . فكلمة تستعمل في هذا العصر ، لا يمكن أن تهجر ، وإنما تموت بعض الكلمات بموت أجدادنا الذين كانوا يستعملونها . وحتى بعد أن نكف عن استعمال كلمة ، فإن ذكراها تظل حية قائمة ، وتبقى معتبرة حية على اعتبار إمكان الرجوع إلى استعمالها . فإذا مات آخر من يحتمل أن يستعملها ، ماتت الكلمة .

ومن هنا نجد أن هنالك عددًا كبيرًا من الألفاظ يُشك في أنها وحدة من الوحدات الحية في اللغة ، ذلك بأنها حية عند البعض ، ميتة عند آخرين ، ونرى من جهة أخرى أن ألفاظًا يمكن أن يكون لها حق الدخول في مجموعة المفردات المعترف بها في اللغة وهي ألفاظ يمكن أن يعود بعضها إلى التقبل والاستعمال ، بل هي من الألفاظ الكثيرة الدوران على ألسنة بعض المتكلمين وأقلام بعض الكاتبين ، وهي ليست من الإنجليزية الجيدة عند البعض ، أو هي ليست إنجليزية بحال ، عند البعض الآخر . إذا اتبعنا طريقة تقسيم الألفاظ قسمين : مستعمل ومهجور ، وجعلنا الفكرة في اللغة مقصورة على الألفاظ التي هي إنجليزية صرفة منذ البداية أو من عصر ما من العصور ، فإننا بذلك ندخل ناحية من موضوع بحثنا يكون استعراضنا فيها لطبيعة اللغة ناقصًا غير تام ؛ وذلك بأننا نعرف مفردات العصور السالفة عن طريق المدونات التي تركها السلف ، ومقدار علمنا بها يتوقف على كمية ما يصل إلينا من هذه المدونات وإلمامنا بمحتوياتها . وكلما كان رجوعنا إلى الماضي أبعد وأقصى ، نقصت

هذه المدونات ، وقل محصول المفردات التي يمكن أن تقع عليها [١] .

تظهرنا هذه الحقائق على أن اللغة العربية العريقة ليست بدعًا بين اللغات . وهي إذن في حاجة إلى معجم تاريخي . هذه الحاجة حاجة اللغة العربية إلى معجم لغوي تاريخي . لها في آدابنا تاريخ قريب ، ينبغي لنا أن نقصه في هذا الموطن من البحث ، لما قد نتوقع في قصه من فائدة ، إن لم تكن إلى ناحية اللغة ، فإلى ناحية التاريخ .

عني المرسوم الذي صدر بتأليف المجمع اللغوي بهذه الناحية ، فخصها بالفقرة الثانية من المادة الثانية من دستوره ، فنص في هذه الفقرة على « أن يقوم (المجمع) بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر بحوثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

ولما عدل هذا المرسوم بآخر ، احتفظ المشروع الجديد بهذا النص . أما أن يقوم المجمع بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، فأمر يحتاج إلى شرح وبيان .

المعاجم اللغوية التاريخية خلق جديد عكف على وضعه الأوربيون منذ قرن من الزمان . وفي الحق أنها ابتكار جديد ، جدير بكل أمة تحترم ذاتها وتحاول نشر ثقافتها اللغوية أن تنتحله وأن تنفق في سبيله غاية ما تستطيع من جهد ومال . وذلك بأن معجمًا لغويًا تاريخيًا إنما يكون بمثابة ديوان شامل للغة يجمع إلى مفرداتها أساليب الاستعمال فيها . والمعاني التي تنقلت فيها المفردات على مر السنين ، وتتالي الأجيال من المعنى الحقيقي إلى المجازي وضروب ما أصاب المجاز من تحوير في المعنى والاستعمال .

أما طريقة وضع هذه المعاجم فشاقة ؛ لأن وضعها يقتضي جمع الكتب التي ظهرت في عصور اللغة جميعها ما دامت لكُتّاب أو شعراء معروفين . وتبويبها بحسب أزمانها ، ثم العكوف على قراءتها قراءة مدققة . ونقل جميع الألفاظ العربية التي ترد بها والاستعمالات الجديدة التي تعرض للقارئ ، وبخاصة إذا كانت استعمالات مبتكرة تنقل اللفظ من معنًى إلى معنًى مجازًا ، وكذلك جميع الشواهد التي يرد فيها ذلك اللفظ شعرًا أو نثرًا ، مع ذكر المصدر والصحيفة التي ورد بها

---

(١) إلى هنا ينتهي المنقول عن مقدمة معجم أكسفورد اللغوي التاريخي .

وتاريخ طبع الكتاب إذا كان مطبوعًا وتعيين عصر المؤلف فقط إذا كان مخطوطًا .

هذه الطريقة تقتضي جمع ألوف من الكتب مخطوطة ومطبوعة وتوزيعها على قراء يجيدون اللغة العربية ليقوموا بتصفية ألفاظها على الطريقة التي شرحها ثم إفراغها في جذاذات ، ثم يعاد النظر في الجذاذات لترتب حسب حروف الهجاء ثم تبوب بعد ذلك بحسب الألفاظ لتجمع الجذاذات الواردة لكل كلمة معًا ، ثم تقرأ بعد ذلك ليستبعد منها المكررات أو المعاني المترادفة الواردة على أقلام كتاب مختلفين ، ثم يشرع في تحرير المادة مما استخلص من الجذاذات على ترتيب خاص » .

هذا الأسلوب ينافي نزعة المحافظين القائلين بأنه لا يحتج بقول عربي مهمًا كان فارهًا نِحريرًا إلَّا إذا كان من أهل عصور الفصاحة ؛ وعصور الفصاحة العربية تنتهي بالقرن الثالث الهجري . أما إذا أريد وضع معجم تاريخي للغة العربية يجمع شتات ألفاظها وأساليبها واستعمالاتها المختلفة منذ الجاهلية إلى الآن ، فلا شك في أن ما استعمل في عصور الفصاحة سوف يختلط بما استعمل المولدون ، وما استعمل المولدون (وهم الذين عقبوا على أهل الفصاحة) سوف يختلط بما استعمل المحدثون . ويعتقد المحافظون أن هذه كارثة عظمى ؛ لأن دخول لفظ جديد على اللغة بعد الذي استعمله العرب إلى القرن الثالث بمثابة هدم لبناء اللغة ، وضرب في أصولها بمعاول التخريب ؛ كأن اللغة في اعتبارهم ملك لأقوام بادوا ، لا ملك لمن يتكلمونها ويستعملونها .

على أن هذا الإغراق في المحافظة لا ينفي أن يكون من أغراض المجمع وضع معجم لغوي تاريخي للغة العربية . ومعنى أنه تاريخي يحتم أن تجمع جميع مفرداتها المستعملة في الكتب والدواوين والمعاجم . قديمة وحديثة ، ومنذ أول نشأتها إلى اليوم في سفر واحد . فلا مفر إذن من وضع هذا المعجم على القواعد التي انتحاها الإنجليز في وضع معجمهم وأخذها عنهم الفرنسيون والألمان .

في الدورة الأولى من دورات انعقاد مجمع اللغة العربية ، دار البحث في تنفيذ الفقرة الخاصة بتأليف المعجم اللغوي التاريخي . وتقدم الأستاذ « فيشر » الأستاذ المستشرق من جامعة « ليبزج » وعضو المجمع ، وشرح لأعضاء المجمع كيف أن كل الأمم الأوروبية أخذت تنتحي في وضع معاجمها منحًى جديدًا ، هو المنحى اللغوي التاريخي ، وفسر طريقة وضع هذا المعاجم ، فكلفه المجمع أن يضع في هذا الصدد

بحثًا مسهبًا . عرضه على المجمع فوافق عليه ، وشرع المجمع يعد العدة لوضع أساس هذا المعجم .

في أثناء دور الانعقاد الثاني للمجمع (١٩٣٥م) عرض الأستاذ « فيشر » أنه على استعداد لأن يهب إلى المجمع جميع جذاذاته التي جمع فيها مفردات الكتب التي وصلتنا عن مأثورات قرن جاهلي كامل ، والثلاثة القرون الأولى بعد الإسلام ، وهي عصور الفصاحة العربية ، وأنه على استعداد لأن ينقلها إلى مصر تلقاء شروط هي :

أولًا : أن يقوم الأستاذ « فيشر » بترتيب هذه الجذاذات .

ثانيًا : أن يشرف على إعادة تحريرها لتكون معدة للطبع .

ثالثًا : أن يعاونه موظفون يقومون بمراجعة الشواهد في الكتب التي جُمعت منها أصلًا ويحررون المادة من الجذاذات بإشرافه .

رابعًا : أن يقيم الأستاذ « فيشر » بمصر ستة أشهر من كل سنة للقيام بهذا العمل ، وأن يعطي مكافأة لنفقته في خلال المدة التي يقيمها في مصر .

خامسًا : أن تقوم وزارة المعارف (التربية الآن) بطبع معجم الأستاذ « فيشر » فيخرج في حلقات صغار كل حلقة فيها ١٢٠ صفحة مثلًا تعجيلًا في الانتفاع به ، وليكون مثلًا يحتذى في استخراج الألفاظ من الكتب التي ألفت في العصور التي تلت القرن الثالث الهجري ، أي حيث انتهى عمل الأستاذ « فيشر » .

وهنا انتهت مرحلة ، لتبدأ أخرى .

لقد وضح إذن لمجمع اللغة العربية أن العمل الذي يريد الاضطلاع به ، يتناول جميع ألفاظ اللغة والوقوف على أوجه استعمالها في مؤلفات تجمع من أول القرن الرابع الهجري إلى عصرنا هذا ، وهي فترة طويلة تبلغ حوالي عشرة قرون . ولما وضح لمجمع اللغة أن هذا العمل يستغرق وقتًا يمتد إلى عشرات السنين ، قر رأيه على أن يجيب الأستاذ « فيشر » إلى ما طلب ، ويشكره على هديته الثمينة ، لأنه بذلك يكون قد اقتصد وقتًا كان لا بد من أن ينفقه في بحث مؤلفات أربعة قرون قبل القرن الرابع . قرن في الجاهلية وثلاثة في الإسلام .

ولما كان معجم الأستاذ « فيشر » ، كما أسلفت ، إنما يتناول مصدر الفصاحة

العربية ، وهي العصور التي ظلت اللغة فيها مبرأة من آثار المولدين ، رأى بعض أعضاء المجمع رأيًا ، خالفهم فيه البعض الآخر .

رأى البعض أن يظل معجم الأستاذ « فيشر » مستقلًا عن بقية المعجم اللغوي التاريخي ، وإن كان جزءًا منه ، ليختص بجمع شتات الفصيح من الألفاظ والتراكيبة .

ورأى فريق آخر أن هذا المعجم ينبغي له أن يندمج فيما سوف يقوم المجمع بجمعه من ألفاظ العصور المتأخرة واستعمالاتها وشواهدها ، ليكون المعجم اللغوي التاريخي شاملًا . مستندين إلى أن تاريخ استعمال اللفظ يمكن الاستدلال منه على فصاحته فيما استعمل فيه . وبذلك يصبح هذا المعجم سجلًا كاملًا لألفاظ اللغة وديوانًا شاملًا لأساليبها على مدار العصور .

نقلت جذاذات الأستاذ « فيشر » إلى مجمع اللغة ، وما تزال به حتى الآن . وهنا بدأت مرحلة ثانية ، عقبت على المرحلتين الأوليين .

كان من الضروري أن يعاون الأستاذ « فيشر » فئة مختارة من الشباب ذوي الإلمام بالأدب ، يقرؤون الكتب ويجمعون غريب ألفاظها وينقلون شواهدها في جذاذات منظمة على نمط خاص . وبحكم وظيفتي في مجمع اللغة العربية إذ ذاك ، واختيار الأستاذ « فيشر » ، أشرفت عامين كاملين على هذا العمل العلمي اللغوي العظيم . ونشأ بيننا ضرب من الصداقة الصافية الكريمة ، كانت أساسًا لتعاون كامل ، وعكف المساعدون على القراءة وتبويب الجذاذات بحسب المؤلفات التي تُقرأ تمهيدًا لتصنيفها بحسب أوائل حروف الكلمات ، حتى إذا أشرفت دورة انعقاد المجمع في سنة ١٩٣٨م على الانتهاء ، كنا قد أعددنا تقريرًا شاملًا عن المعجم عرض على هيئة المجمع فأقرته بحذافيره . وسافر الأستاذ « فيشر » إلى ألمانيا في صيف سنة ١٩٣٩م ، وقامت الحرب العالمية ، ولم يعد إلى مصر ثانية ، فقد وافته المنية ، نهاية كل حي رحمه الله .

جاء في ذلك التقرير عن تصنيف هذا المعجم : أن يجمع ويكون (فيه) بمقتضى خير منهاج لعلم اللغة العصري (أ) جميع الألفاظ وصيغ الألفاظ والتراكيب والمعاني المختلفة للألفاظ الواردة في الكتب العربية التي لها أهميتها بين المؤلفات العربية القيمة ، أي في القرآن الكريم ، وفي الحديث النبوي الشريف ، وفيما

جادت به قرائح الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وأشعار المولدين نحو أبي فراس والمتنبي وأبي العلاء المعري والعباس بن الأحنف وابن الرومي وابن المعتز والبحتري وأبي نواس وعمر بن الفارض وغيرهم ، وفي مجامع الأمثال الفصيحة ، وفي أفخر كتب أيام العرب والسير والتواريخ وتراجم الرجال والنساء ، وفي أجود مجاميع الأدب ، وفي كتب كل فنون العلم الموثوق بها والمعتمد عليها ، وكذا في كتب البردي وفي الكتابات المنقوشة والكتابة التي على النقود . ولا يغفل عن قراءات القرآن الكريم والروايات الجيدة المخالفة للروايات الواردة في نصوص الكتب المطبوعة ، ولو أمكن أن يودع المعجم كلمات كل الكتب العربية بلا استثناء لكان حسنًا .

غير أن المؤلفات العربية أكثر من أن يمكن ملاحظتها ومراعاتها كلها ؛ فلذلك لا بد من أن يقتصر على أشهر الدواوين وكتب عِلية المؤلفين وثقات المصنفين : (ب) جميع الكلمات والتراكيب والمعاني التي وردت في خير المعاجم العربية الكبيرة نحو الصحاح والمخصص ولسان العرب وتاج العروس وغيرها ، وهي مفقودة في متون الكتب المذكورة في فصل (أ) على شرط أن لا يمسها ما يشهد بصحتها : (ج) الكلمات والتراكيب والمعاني التي تتضمنها تكملة « دوزي » للمعاجم العربية ، ولكن يلزم أن تراعي أيضًا البحوث الانتقادية « لفليشر » على هذا التصنيف : (د) الكلمات والتراكيب والمعاني المبينة في المجموعات والفهارس الأبجدية التي نشرها مستعربون ، منفردة أو ملحقة بمتون كتب ودواوين شعر طبعت باعتنائه نحو تصانيف « فنيان » و « فون كريمر » و « دينوية » و « بوفن » وغير هذه كثيرة يطول ها هنا تعدادها وليفهم أن الكلمات والتراكيب والمعاني التي تقدم الكلام عليها في فقرتي (ج) و (د) قد أثبتها المؤلفون المشار إليهم بشواهدها .

هذا عن مصادر البحث . أما طريقة جمع محتويات المعجم فتجري على الطريقة الآتية :

« يُفرد لكل كلمة وتركيب ، ومعنى جذاذة خاصة بها وفيها إلى اليمين (بين هلالين) الكلمة المخصوصة كما هي في المصدر الذي أُخذت منه ، وعلى اليسار عند الأفعال ماضيها ، وعند الأسماء واحدها مرفوعة وفي أعلى أصلها . وفيها علاوة على ذلك ذكر الجملة أو البيت الذي هي منه جزء أو كل إذا اقتضى الحال ذلك ، وتفسير الكلمة وذكر قائلها والمصدر مع رقم الصفحة والسطر في المنثور ورقم القصيدة

أو القطعة أو البيت في المنظوم » . وضرب على ذلك مثلًا بالمصراع الأول من البيت الأول من معلقة امرئ القيس : « قِفَا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزِلِ » هكذا :

وقف

(قفا) وَقَف

معروف لا يتعدَّى

امرؤ القيس : المعلقة بيت ١

بكى

(نبك) بكى

معروف

امرؤ القيس : المعلقة بيت ١

من

(مِن) مِن

من للتعليل : معروف

امرؤ القيس : المعلقة بيت ١

ذَكَرَ

(ذِكْرى) ذِكْرى

اسم لذكر بالقلب : معروف

امرؤ القيس : المعلقة بيت ١

حبيب

(حبيب) حبيب

بمعنى حبيبة أي محبوبة

امرؤ القيس : المعلقة بيت ١

نزل

(ومَنْزِل) منزل

مكان النزول : معروف

امرؤ القيس : المعلقة بيت ١

وقد تعلق هذا المنهج بشروط . جاء في ذلك التقرير الخطير :

« ومن البديهي أن لا منفعة من تقييد الكلمات المتداولة والكثيرة الدوران المرة بعد المرة . ولكن لا بد من أن تؤخذ من مصادر عدة ، ليعلم بإحكام دائرة استعمالها : ومدة تداول الألسن إياها ، ويفهم من هذا أنه يجب أن ترتب جميع الجذاذات بعد الفراغ من إعدادها بحسب الحروف الهجائية تمهيدًا لتصنيف المعجم » .

أما ترتيب المعجم ، فهذه طريقته :

١ - لا يكون الترتيب الأبجدي للمعجم على أسلوب الجوهري في إيراد الكلم على اعتبار أواخر أصوله ؛ بل يكون على اعتبار الحرف الأول والثاني ، كما هو ترتيب مجمل اللغة للإمام ابن فارس ، والمفردات في غريب القرآن للشيخ الراغب الأصفهاني ، وأساس البلاغة والفائق وكلاهما للإمام الزمخشري ، والمغرب في ترتيب المعرب للإمام المطرزي ، والمصباح للإمام الفيومي : ومحيط المحيط وقطر المحيط وكلاهما لبطرس البستاني ، وأقرب الموارد لسعيد الخوري الشرتوني ، ومختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي بترتيب محمود خاطر ، وغيرها .

٢ - يكون في كل مادة على وجه سهل المراس على كل مطالعي اللغة العربية : أولًا : جميع أبنية الأفعال ، وثانيًا : جميع أبنية الأسماء . ويتقدم كلا النوعين كل بناء مجرد وكل بناء مزيد فيه ... كذلك تتابع أبنية الأفعال في المعاجم وكتب الصرف المطبوعة في الأقطار العربية وكل واحد من هذه الأبنية الفعلية والاسمية يكون صدر فقرة منفردة في المعجم ويجب أن يضاف إلى أبنية ماضي الأفعال الثلاثية أبنية مضارعها . وإني أستحسن الطريقة التي قد سلكها صاحب أقرب الموارد في وصف هذه الأبنية وقد بينها في المقصد الأول بكتابه بالقول الآتي :

- الباب الأول : باب نصَرَ ينْصُر وعلامته (ن) .
- الباب الثاني : ضَرَب يضْرِب : (ض) .

- الباب الثالث : « قطَعَ يقطَع : (ع) .
- الباب الرابع : عَلِم يَعْلَم : (ل) .
- الباب الخامس : كرُم يكْرُم : (ر) .
- الباب السادس : حَسِبَ يحسِب : (س) وهو قليل .

وأرى أن تؤخذ هذه العلامات في تصنيف المعجم أو علامات تماثلها . ويجب ثانيًا أن يضاف إلى أبنية الأفعال الثلاثية أبنية مصادرها متتابعة . ويجب ثالثًا أن يضاف إلى الأسماء المفردة أسماء جموعها المتنوعة وأن أكثر اللغويين قد أغفلوا في معاجمهم الأبنية المقتبسة المطردة مثل اسم المرة واسم النوع ومصادر ما فوق الثلاثي واسم التفضيل وأفعال التعجب وجمع السلامة بقسميه للعلم بطريقة أخذها . والأحسن أن تذكر للاستئناس .

يضاف إلى ذلك قواعد أخرى لم تذكر في النهج السابق وهي :

١ – أن تضبط كل كلمات المعجم بغاية التدقيق ، إما بذكر مثال مشهور عقيبها ، وإما بالنص على حركات حروفها .

٢ – أن تثبت كل كلماته وتراكيبه ومعاني كلماته المختلفة بشواهد لها بأن يضاف إليها أسماء الأصول التي أخذت منها مع ذكر مؤلفيها أو شعرائها والصفحة والسطر أو القصيدة والبيت . أما الكلمات الكثيرة الدوران ، فيكفي أن يضاف إليها الشواهد المهمة الدالة على خواصها وزمن استعمالها ودائرته مزيدًا عليها علامة مصطلحية تشير إلى كثرة تكررها . وأما الكلمات القليلة الوجود فالأحسن أن تعدد كل المواضع التي وجدت فيها .

٣ – أن يوسم كل الشواهد التي أخذت من الشعر بنجمة أو علامة مثلها ليعرف من المعجم الفرق بين لغة النظم ولغة النثر .

٤ – أن ترتب الشواهد دائمًا بحسب تواريخ الأصول التي اقتبست منها ليظهر عند الاطلاع حياة الكلمات وتاريخها . ولا بد من ذكر عمر الأصول صراحة إذا اقتضى الحال ذلك حتى لا يبقى مجال للشك .

٥ – أن يجعل لكل من المعرّب والدخيل من الكلم علامة مصطلحية وأن يبين أصله بدقة آراميًا أو عبريًا أو يونانيًا أو لاتينيًا أو فارسيًا أو تركيًا أو فرنسيًا أو إنجليزيًا ... إلخ .

٦ - أن يعرّف على قدر الإمكان كل نبت وحيوان تعريفًا كافلًا أفراده عن جميع مشاركاته في الجنس ، وأن يفسر اسمه أيضًا بما يعرف به من الأسماء العلمية الشائعة بين الأمم .

٧ - أن تفسر كل الاصطلاحات الحديثة بأسمائها العلمية الدورية .

وزيد إلى ذلك اقتراح بأن يضاف إلى كل كلمة وتركيب ، ترجمة موجزة إنجليزية وفرنسية .

شرعنا بعد وضع هذا القواعد في تحرير بعض مواد المعجم ، لتكون مثالًا يحتذى في تحرير بقية المواد وأنقل هنا الثلث الأول في مادة « أَخَذَ » كما عرضت على مجمع اللغة ، مع إهمال بعض صفحات المصادر :

أخذ يأخذه أخذًا وتأخاذًا (للمبالغة) : (معجم لين والأعشى) ومأخذًا (الأغاني) ؛ والأمر منه : خُذْ ؛ وقد جاء على الأصل فقيل : « أوخذ » (ابن سيده) ؛ ونقل أبو حيان أن : وخذ ، لغة في « أخذ » .

ا - اخذ كذا بقوة أو حيلة : ويشتمل هذا الوجه على المعاني الآتية :

١ - **أمسك شخصًا أو شيئًا** : قبض عليه (باليد أو بالذراع أو بالأسنان ونحوها) : ﴿ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الدخان : ٤٧] : ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴾ [الحاقة : ٣٠، ٣١] ؛ ﴿ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾ [طه: ٢١] (قرآن) ؛ لا ترى إلا أخا رجل + آخذًا قرنًا (طرفة) ؛ وأخذتها قسرًا وقلت لها اقعدي (النابغة) ؛ ألفيت أغلب من أسد المسدّ ؛ أَخَذتُه غفر وتطريح (أبو ذؤيب) ؛ أخذنا الفروع واجتثثنا أصولها (حسان) : فأخذ صفوان السارق ؛ « **إن الله ليملي** (وقرئ يمهل) » **للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** » ؛ « **إذا أرسلت كلبك وسميت فأخذ فقتل** » : « **كلهم مأمور أن يأخذوك** » (معجم الحديث) ؛ أخذه أخذ سَبْعَة (العسكري) وقد تُعدي « أخذ » هذه بالباء فيقال : « أخذ » بشيء .

٢ - **حاز شيئًا** .

فلم تظلم بأخذك ما تشاء (المفضليات) ، أمسكوا علينا ما أخذتم من أرضنا ووفروا ما جمعتم (الطبري) .

٣ - **ذهب بشيء ظلمًا أو غصبًا** .

﴿ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا ﴾ [البقرة: ٢٢٩] ؛ ﴿ فَلَا

تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ٢٠] ﴿ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ ﴾ [النساء: ٢١] ؛ ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴾ [الكهف: ٧٩] (القرآن) ؛ إذا تعدى + ليأخذ كل مقهور بقسر ؛ إذا تعدى ليأخذ حق مظلوم (الخنساء) ؛ وأنه أخذ ماله بنطي ، فانظر من أخذ ماله (كتابات على البردي) ؛ « من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يطوّقه يوم القيامة من سبع أرضين » (معجم الحديث) .

٤ – قبض على شيء في الحرب ؛ غنمه .

﴿ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ﴾ [الفتح: ١٥] ؛ ﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ١٩] ؛ ﴿ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ [الفتح: ٢٠] (القرآن) ؛ ليعودنّ لمعد عِكرها + دَلَجُ الليل وتأخاذ المِنَح (الأعشى) ؛ هجائن ..... + أخذنا إباها يوم دارة مأسَل (ذو الرمة) ؛ حتى نجوت ولما يأخذوا سلبي (حماسة) ؛ وأخذوا لحميد مائة بدرة أموالًا (الطبري) .

٥ – أسر شخصًا ؛ سباه .

﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ ﴾ [التوبة: ٥] ؛ ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ﴾ [النساء: ٨٩] ؛ ﴿ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ﴾ [النساء: ٩١] (القرآن) ؛ إن يأخذوك تكحلي وتخضبي ؛ إن يأخذوني عنوة + أقرن إلى شر الركاب » وأجنب ؛ ... فإنني + طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم (عنترة) ؛ إن تأخذوا أسماء موقف ساعة + فمأخذ ليلى وهي عذراء أعجب . أخذن حريرات وأبدين مِجْلَدا (المبرد : وكذلك الخنساء والمتنبي وابن سعد) .

٦ – صاد (أسر حيوانًا بريًّا) .

ثعلب في جحر أن أقمت عليه أخذته (ابن سعد) ؛ ومَرّ بِبلْهيم وقد أخذوا ذئبًا فأوثقوه (الفرزدق) .

٧ – تغلب (على بلد ، أرض) ، فتح (بلدًا ، أرضًا) .

لما افتتح النبي ﷺ خيبر أخذها عنوة (ابن سعد) ؛ كان وجهه إلى نجران حتى أخذها (الطبري) .

٨ – غلب ، قهر (ناسًا ، جيشًا ، عدوًّا) .

إن نأخذ الناس لا تدرك أخيذتنا (الطرماح) ، أعجب بأخذكه ؛ لقد أقدموا لو

صادفوا غير آخذ ؛ وأخذ للحواضر والبوادي + بضبط لم تعوَّده نزار . ما يشك اللعين في أخذك الجيش (المتنبي) .

٩ – حبس (مجرمًا) .

﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ [يوسف : ٧٦] ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ [يوسف : ٧٨] ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ﴾ [يوسف : ٧٩] (القرآن) ؛ في البكر يؤخذ على اللوطية ، قال يرجم (معجم الحديث) فأخِذ طَهْمان فرفع إلى الوليد بن عبد الملك (السكري) .

١٠ – منع شخصًا : كفه .

« فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجد » (البخاري) .

١١ – حجز على مال فأخذها (أي ألْفَ الخوان) : الطبري .

١٢ – طعن في شخص أخذه بلسانه ؛ أخذتنا بالجود فوقه (فإنما هي مبالغة وتشنيع) (لين) .

١٣ – تمكن من شخص أو حيوان فقتله .

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ [غافر : ٥] (القرآن) ؛ ما للقتيل الذي أغدو فآخذه + من دية فيه يُعْطاها ؛ نقتلهم والسيوف تأخذهم + أخذًا عنيفًا .. (حسان) ؛ أخذنا على الجفرين آل مُحَرّق (في الشرح : أخذنا = قتلنا) : (ذو الرمة) ؛ فكل فإن أخذ الكلب ذكاة (معجم الحديث) .

١٤ – أهلك وأستأصل (ناسًا) .

والضرب يأخذ منكم فوق ما يدع (المتنبي) .

١٥ – عاقب : عذب : أخذ شخصًا أو ناسًا بعذاب أو نحوه .

﴿ أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام : ٤٤] ؛ ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٢] ؛ ﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [الرعد : ٣٢] ؛ (القرآن) ؛ فأخذهم الله يوم بدر (البخاري) ؛ « ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه » (معجم الحديث) .

١٦ – غلب : قهر : بمعان مجازية خلب .

أعجب : أخذ الثوب المزخرف القلوب مأخذه ؛ أخذ بقلبه (معجم لين) .

• أسكر (الشراب) : أخذ الشراب برأسه ؛ أخذ فيه الشراب ؛ أخذ منه الشراب (شرح لين) .

• نوّم (وما شابهه) ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ (قرآن) ؛ سنة تأخذها مثل السكر (المفضليات) ؛ ثم لما شربوها + أخذت أخذ الرقاد (أبو نواس) ؛ فلم يأخذه النوم : فبينما هم كذلك أخذتهم نعسة ؛ فأخذتني عيني فنمت ثم انتبهت (ابن سعد) .

١٧ – أصاب شخصًا (أمراض ، آلام ، ضعف بدني) .

ويأخذه الهداج (الحطيئة) ؛ في حرور + يأخذ السائر فيها كالصَّفي (المفضليات) ؛ فأخذه مثل الموت ؛ وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول .. ؛ أخذته سُعْلَة ؛ أخذته بُحَّة شديدة (معجم الحديث) ؛ إذا أخذ القلوب كالأَفْكَل (السيرافي) فأخذه من الرِّعدة أَفْكَل ؛ كانت تأخذ رسول الله ﷺ الخاصرة ؛ أخذه بطنه (ابن سعد والبخاري والجامع) .

وقالوا على طريقة الإطلاق « أُخِذ » مبنيًا للمجهول بمعنى :

• اختنق أو شبهه . فلما دخلت (سارة) عليه (أي على الجبار) ذهب يتناولها بيده فأُخِذ : وفي الشروح أي اختنق حتى صار كأنه مصروع أو نحوه (البخاري) فضبث (الجبار) بيده وأخذ أخذة شديدة (ابن سعد) ؛ فلما دخلت (سارة) فرآها أهوى إليها يتناولها فأخذ أخذًا شديدًا (الطبري) .

١٨ – عرا شخصًا (حركات نفسانية) .

« ولا تأخذكم بهما رأفة » (القرآن) ؛ إذا أخذتها هزة الروع (امرؤ القيس) ؛ وتأخذه عند المكارم هزة (الحماسة) ؛ فأخذتني غضبة فلطمته (معجم الحديث والبخاري) فأخذهم من ألم ما أخذهم (ابن سعد) ؛ وفي حديث ابن مسعود ... فأخذني ما قَدُم وما حَدُث يعني همومه وأفكاره القديمة والحديثة (النهاية) ؛ قالت عائشة : فأخذني ما قرُب وما بعُد لما يلينا من جمالها ، أي جمال زينب بنت جحش (الطبري) : أخذه ما تقدم وما تأخر : المغرب للمطرزي في ما قدم أخذه ، ما قرب وما بعد ، وأخذه المقيم والمقعد : أي الهم (مجلة الجمعية الشرقية الألمانية) .

١٩ – أصاب ، اعترى (ناسًا : بلية . عذاب ، لومة) .

« ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ ﴾ [الأعراف : ٧٨] ؛ ﴿ فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ ﴾ [العنكبوت : ١٤] ،

﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ [النساء : ١٥٣] ؛ ﴿ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ﴾ [فصلت : ١٧] ؛ ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود : ٦٧] ؛ ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [الحجر : ٧٣] (القرآن) ؛ فأخذتهم سَنَة ؛ إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم ؛ أقيموا حدود اللّٰه في القريب والبعيد ولا تأخذكم في اللّٰه لومة لائم (معجم الحديث) ؛ لا تأخذه فيك لومة لائم (المبرد) .

٢٠ - أصاب (ناسًا : المطر وأمثاله) .

أخذهم المطر (البخاري) ؛ أخذتهم السماء فدخلوا في غار (معجم الحديث) ؛ وأقصر ولم تأخذك مني غَمامة + ينفِّر شاء المقلعين خَوَاتُها (وهو من المجاز) ؛ أهلكَ والليلَ ما يري إلا أنه قد أخذه المطر ؛ أخذتنا السماء بِدثٍّ ؛ أخذنا جار الضبع (ابن دريد) .

٢١ - سحر قولهم أخذته الأخذة (الفاخر) .

قال الفراء : الأخذة السحر (الفاخر) .

٢٢ - ظَفِرَتْ شخصًا ، وقعت عليه (العين الطرف) .

وتقول العرب : وما ظَفِرَتك عيني منذ زمان ، أي ما رأتك ، وكذلك ما أخذتك عيني منذ حين ، (اللسان) ؛ فلم تأخذ عينه غيري ، أي فلم تقع عينه إلّا عليَّ (المبرد) : أخذ طرفي رُفْقَةً (المقامات) .

٢٣ - جَهَرت شخصًا (العين) .

وجهر الجيش والقوم ، واجتهرهم : كثروا في عينه ، وكذلك الرجل تراه عظيما في عينك وما في الحي أحد تجهره عيني ، أي تأخذه عيني (اللسان) ؛ وكانت امرأة ملاحة تأخذها العين (معجم الحديث) ؛ وكان سعيد لا تأخذه العين (ابن سلام) ؛ ما أخذتك عيني (ابن قتيبة) ؛ تأخذهم العين ؛ تأخذه العين (الطبري) .

ب - أخذ : بغير قوة أو حيلة :

● المفعول به شيء مادي .

هذا الوجه أفشى استعمالًا ويشتمل على المعاني الآتي ذكرها .

٢٤ - تناول شيئًا (باليد : سواء ذكرت اليد أم لم تذكر) .

﴿ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ ﴾ [البقرة : ٢٦٠] ؛ ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ

أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ﴾ [الأعراف: ١٥٤] (القرآن) ؛ خذوا ما أَشأَرَتْ منها قداحي (عنترة) ؛ ويأخذ رايات الطعان بكفه (لبيد) قال : خذه (أي الكبش) وأرسل ابنك (أمية) ؛ فمنهم سعيد آخذ لنصيبه : وروي بنصيبه (لبيد) ؛ تلذ بأخذها (أي الخمر) الأيدي السواطي (المتنخل) وأَخَذْتُه (أي الكتاب) بعد الصدور تكرها (عمر) ؛ تأخذ حوتًا .. فأخذ حوتًا .. (البخاري) ؛ كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره (الجامع) ؛ كان إذا أمَّ أخذ شماله بيمينه (الكنوز) ؛ وأخذ رسول الله ﷺ مع المسلمين (ابن سعد) لك ؛ خذ ما طَفَّ (العسكري والميداني) ؛ أدرها (أي الكأس) وخذها (أبو نواس) ؛ ثم أخذ الكأس وقال : وأخذتها فلقد تركت الأحرما (المتنبي) .

وقد تُعدي « أخذ » هذه أيضًا بالباء فيقال : « أخذ بشيء » بمعنى تناوله وتكون زائدة في مواطن كثيرة ، ليس المراد بها فعل الأخذ ، ولكن زيادة بالتصوير للحال والتأكيد للقصة :

﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ [القصص: ٤٠] (القرآن) ؛ أخذ العذاري عقدها فنَظَمْنَه (النابغة) ، أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة فأقبل به على النبي ﷺ فأخذ أبو عبيدة ضلعًا من أضلاعه فنصبه ؛ فَأَخِذ حصير فحرق فحشى به جرحه (البخاري) ؛ كان يأخذ المسك فيمسح به رأسه (الجامع) ؛ فأخذت الملائكة آدم فغلوه وحنطوه وحفروا له قبرًا (ابن سعد) فأخذ المتلمس كتابه فرمى به في الخليج (شرح المتلمس) .

٢٥ - لبس (ثوبًا ، سلاحًا ، زينة) .

خذ عليك ثوبك ولا تمشوا عراة (معجم الحديث) ؛ فأخذ رداءه ؛ فأخذت ثوبي (البخاري) ؛ ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ ﴾ [الأعراف: ٣١] (القرآن) خذوا زينتكم عند كل مسجد : النعل والخاتم (الكنوز) خذ السيف واشتمل عليه (عمر) .

ومن المجاز :

﴿ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ ﴾ [يونس: ٢٤] (القرآن) ؛ إلى حديقة أخذت زخرفها وازينت (المقامات) أخذت الأرض زخاريَّها (الميداني) ؛ ويقال عند ذلك : قد أخذ النبت زخارفه وزخرفه (الأصمعي) ومن المجاز أخذت الأرض زخاريَّها .. وأخذ النبت زخاريَّه وكل أمر تم واستحكم ، فقد أخذ زخاريَّه ، مثل

عندهم . وتقول : النبت إذا أصاب ريّه أخذ زخارية وأخذ النبات زخارية ، أي حقه من النضارة والحسن (الأساس ومعجم لين) .

٢٦ - شرب .

الشُّرب لا تدمن وخذ معروفه (حسان) ؛ ألا تأخذوا لبنًا (الحماسة) .

٢٧ - تناول شخصًا : آواه ، أجاره .

فقلت له هب لي ابن أمي ... فقال : نعم خذه (الفرزدق وخذوا صاحبنا فداووه (شرح الفرزدق) تلكم صاحبتكم في بني جُمح ، اذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها فأخذوها (الطبري) ؛ ﴿ فَلْيُلْقِهِ ﴾ (أي موسي) ﴿ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ ﴾ [طه : ٣٩] ، ﴿ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ﴾ [طه : ٣٩] (القرآن) فقال رسول الله ﷺ « **أتأخذوني بما فيَّ يا معشر همدان** » (ابن سعد) ؛ لو يأخذون المُزنما (لبيد)

٢٨ - تزوج : امرأة .

وأخذوا غيرها من النساء (البخاري) ؛ لما أخذ رسول الله ﷺ صفية ، أقام عندها ثلاثًا .

٢٩ - اشترى شيئًا (بثمن كذا) .

فخاف أن يأخذ الجارُ الدارَ بالشفعة ، ورجل يبايع رجلًا بسلعة بعد العصر . فحلف بالله لقد أُعطِي بها كذا وكذا فصدقه فأخذها ولم يعط بها ؛ فإن طلب الشفيع أخذ الدار بعشرين ألف درهم وإلَّا فلا سبيل له على الدار ؛ إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة (البخاري) ، فحلف له بالله لأخذها بكذا وكذا (الميداني) ؛ خذه ولو بقرطي مارية (الأغاني) ؛ أيام تأخذها (أي الخمر) وتعطي في أباريق الرصاص (الأغاني) .

٣٠ - اقترض شيئًا .

« **مَنْ أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذ يريد إتلافها أتلفه الله** » ؛ « **على اليد ما أخذت حتى تؤدي** » (معجم الحديث) .

● المفهوم به شيء غير مادي

٣١ - نال ؛ حصل (على صفة . مزية ، رتبة ، منزلة) .

وأخذي الحمدَ بالثمن الربيح (الحماسة) فإن استطعت فخذ بشبيك فضله

(المتنبي) ؛ بصير بأخذ الحمد في كل موضع (نقائض) ؛ لا يأخذون الملك إلّا غصبًا (الطبري) .

٣٢ - حافظ (على أمر وما أشبهه) .

وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ ، الآخر فالآخر (البخاري) .

ويعدي وجه « أخذ » هذا كثيرًا بحرف الباء .

نقف هنا ، عند نهاية الثلث الأول من مادة (أخذ) . وفي الثلثين الباقيين وجوه أخرى من الاستعمال تتضمن أدق المعاني اللغوية ولست أملكهما ، فقد تركت في جذاذات مرتبة بمجمع اللغة ولا أعرف من مصيرها الآن شيئًا .

بقي أمر له خطره لم يتعرض له الأستاذ « فيشر » في تصنيف هذا المعجم العظيم . فقد جرى اللغويون وجاراهم في ذلك المحدثون ، أن اللغة العربية لغة اشتقاق وليست لغة نحت . ويراد بالنحت تركيب لفظ واحد من لفظين يتضمن كل منهما الدلالة على صفة معينة في معنى اللفظ المنحوت ، وهذه الألفاظ كثيرة جمعتها معاجمنا . مثل جِرْدَحْل وخيتعور وصلخد ، وصعفوق وغير ذلك . وقد أثبت في كتابي « تجديد العربية » أن أكثر الأسماء والصفات الرباعية والخماسية وما فوقها هي ألفاظ منحوتة من لفظين ثلاثيين في الأكثر . بل وضعت نظريات قد يصح أن تساعدنا على الاستدلال على أصول هذه المنحوتات وقد نشرت كتابي ذاك منذ سنين كثيرة ولم يعترض على ما جاء به أحد من المشتغلين باللغة . وفي معجم لغوي تاريخي ينبغي لنا أن نبحث إلى جانب تاريخ اللفظ واستعماله أصله إذا كان منحوتًا . وبذلك نثبت أن اللغة العربية هي لغة نحت ، كما هي لغة اشتقاق وكذلك الألفاظ التي دخل عليها حرف من حروف الزيادة وهي كثيرة في المعاجم .

آثرت أن أنشر هذا البحث لينظر فيه المشتغلون بأمر لغتنا المجيدة والقائمون على الثقافة ، لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا .

تعليق :

نلاحظ على هذا الجزء من مادة (أخذ) أن الشواهد الشعرية التي مثّل بها (فيشر) جاءت ناقصة ، قد يكتفي بشطر من بيت أو بجملة منه أو كلمة مما يقلل الفائدة من ذكرها ، وعدتُ إلى النص الذي صوره الأستاذ شوقي أمين من جزازات

فيشر ، فوجدته لا يختلف عما نقله الأستاذ إسماعيل مظهر في هذه الصفحات إلَّا في شيء واحد أنه أشار إلى مصادره . والمصادر التي رجع إليها فيشر أغلبها منشور بأوروبا ، ونادر في العالم العربي .

وقد رأيت تتميمًا للفائدة أن أورد هذه الشواهد مكتملة بعد توثيقها من مصادرها ، على الترتيب المذكور في الأصل .

١.أ

● قال طرفة :

لا تـري إلَّا أخا رجــلٍ ... آخـذًا قِـوْنًا فـمـلـتـزمهْ

● قال النابغة :

فملكت عُلياها وأسفَلها معًا ... وأخذتُها قسرًا وقلتُ لها اقعدي

● قال أبو ذؤيب :

ألفيتُ أغلبَ من أُسْد المَسدِّ حديـ ... ـدَ النَّابِ إخْذَتُه عفرٌ فَتطريحُ

● وقال حسان :

متاريكُ أذناب الحقوقِ إذا الْتَوتْ ... أخذنا الفروع واجتثثا أصولها

٢.أ

● قال عوف بن الأحوص :

أبوك بُجَيْدٌ والمرءُ كعبٌ ... فلم تظلم بأخذك ما تشاءُ

٣.أ

● قالت الخنساء :

وللخَصْم الألـدِّ إذا تَعَـدَّى ... ليأخذ حقَّ مظلوم بِقَسْر

٤.أ

● قال الأعشى :

لـيعـودَنَّ لمعـدٍّ عِـكرهـا ... دلـجُ الليـل وتأخـاذ المنح

● وقال ذو الرمة :

هجائنَ من ضربِ العصافير ضربُها ... أخذنا أباها يوم دارةِ مأسَلِ

● وقال تأبط شرًّا :

حتى نجوتُ ولما ينزعوا سَلَبي ... بوالهٍ من قبيض الشدِّ غيداق

أ . ٥

● قال عنترة :

وأنا امرؤ إن يأخذوني عَنْوَة ... أقرن إلى شر الركابِ وأجنبِ

● وقال عنترة :

إن تُغْدقي دوني القناع فإنني ... طَبٌّ بأخذ الفارسِ المستلئم

● وقال عروة بن الورد :

إن تأخذوا أسماء موقفَ ساعةٍ ... فمأخذ ليلى وهي عذراء أعجبُ

● وقال الفرزدق :

أخذن حريرات وأبدينَ مِجلَدًا ... وجالت عليهن المكتَّبة الصفرُ

أ . ٨

● قال الطرماح

إن نأخذ الناسَ لا تدرك أخيذتُنا ... أو نُطَّلب نتعدَّ الحق في الطلب

● وقال المتنبي :

أعجب بأخذِكَهُ وأعجبُ منكما ... ألّا تكون لمثله أخّاذا

● وقال المتنبي :

لقد أقدموا لو صادفوا غيرَ آخذٍ ... وقد هربوا لو صادفوا غير لاحق

● وقال المتنبي :

وأخذٌ للحواضِر والبوادي ... بضبطٍ لم تَعَوَّده نزار

● وقال المتنبي :

ما يشك اللعينُ في أخذك الجيـ ... ـش فهل يبعث الجيوش نَوالا

أ. ١٣

● قال حسان :

ما للقتيلِ الذي أغدو فآخُذه ... من دِيةٍ فيه يُعطاها ولا قَوَد

● وقال حسان :

نقتلهم والسيوفُ تأخذهم ... أخذًا عنيفًا وأنتم كُشُفُ

● وقال ذو الرمة :

أخذنا على الجفرين آل مُحرِّق ... ولاقَى أبو قابوسَ منا ومنذر

أ. ١٤

● قال المتنبي :

تشقكم بفتاها كلُّ سَلْهبةٍ ... والضربُ يأخذُ منكم فوق ما يدعُ

أ. ١٦

● قال المرّار بن منقذ :

إنما النومُ عِشاءً طَفَلًا ... سِنَةٌ تأخذها مثل السُّكُر

● قال أبو نواس

ثم لما شربوها ... أخذت أخذَ الرُّقاد

أ. ١٧

● قال الحطيئة :

ويأخذه الهِداجُ إذا هداه ... وليدُ الحيِّ في يده الرداء

● وقال سويد اليشكري :

في حرور ينضج اللحمُ بها ... يأخذ السائرَ فيها كالصَّقَع

أ. ١٨

● قال امرؤ القيس :

إذا أخذتها هِزّة الرَّوع أمسكت ... بمنكبِ مقدامٍ على الهولِ أروعا

● وقال بشار بن برد :

وتأخذه عند المكارمِ هزّةٌ　　كما اهتزّ تحت البارحِ الغصن الرطبُ

أ . ٢٠

● وقال أبو ذؤيب :

وإياك لا تأخُذك مني سحابةٌ　　يُنَفِّر شاء المقلعين خريرُها

ب . ٢٤

● قال عنترة :

خذوا ما أسأرت منها قِداحي　　ورَفدُ الضيفِ والأنسُ الجَميع

● قال أمية بن أبي الصلت :

قال خُذْه وأرسل ابنَك　　إني للذي قد فعلتما غيرُ قال

● وقال لبيد :

فمنهم سعيدٌ آخذٌ لنصيبه　　ومنهم شَقِيٌّ بالمعيشة قانعُ

● قال المتنخل :

ركودٍ في الإناء لها حُمَيّا　　تَلَذُّ بأخذها الأيدي السواطي

● قال عمر بن أبي ربيعة :

وأخذْتِه بعد الصدود تكرُّها　　وأشعْتِ عند قراتِه عصيانا

● وقال أبو نواس :

أدرْها وخذها قهوةً بابليةً　　لها بين بُصرى والعراق كُروم

● وقال المتنبي :

وإذا طلبتُ رضا الأمير بشربها　　وأخذتها فلقد تركتُ الأحرما

● وقال النابغة :

أخذَ العذارى عِقدها فنظمنَه　　من لؤلؤ متتابعٍ مُتَسَرِّد

ب . ٢٥

● قال عمر بن أبي ربيعة :

فقلتُ لجنَّادٍ خذ السيفَ واشتمل عليه بحزمٍ وارقب الشمس تغرب

ب . ٢٦

● قال حسان :

والشربَ لا تُدْمن وخذ معروفَه تُصبح صحيح الرأس لا تتصدع

● وقال الفرزدق :

فقلتُ له هب لي ابنَ أمي فلا أرى على الدهر يا سلم المكارمِ باقيا
فقـــال نعم خـــذه فما أقبلت به يميني حتـــى أصرخَتْها شِماليا

ب . ٢٧

● قال لبيد :

وقل لابن عَمْرٍ ما ترى رأيَ قومِكم أبا مدركٍ لو يأخـذون المِزْنما

ب . ٢٩

● قال حماد عجرد :

أيامَ تعطيني وتأخذ من أباريق الرصاص

ب . ٣١

● قال عمرو بن الإطنابة :

أبتْ لي عِفَّتـي وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيـحِ

● قال المتنبي :

بصيرٌ بأخذِ الحمدِ من كل موضعٍ ولو خَبَّأَته بين أنيابها الأُشْـدُ

● وقال الأحوص :

فإن استَطعتَ فخذْ بشيبِـك فضله إن العقــولَ يرى لها تَفضيـــل

* * *

منهج معجم أكسفورد في معجمة اللغة الإنجليزية على أسس تاريخية (*)

أ . د . داود حلمي السيد

هذا فصل من كتاب كان - وما زال - جديرًا بأن يقرأه كل لغوي ومعجمي . ولعل ما صرف الباحثين العرب عنه أن موضوعه المعجم الإنجليزي ، فظن هؤلاء الباحثون أنه لا يتوجه إليهم . والكتاب - في تقديري - من أفضل ما كتب عن المعاجم الحديثة ، ومن أنفعها للعاملين في المعاجم اللغوية على اختلاف مناهجها .

تناول الدكتور داود في كتابه بالعرض والبحث والنقد أربعة من أهم المعاجم البريطانية والأمريكية ، هي : معجم جونسون ، ومعجم أكسفورد ، ثم معجم وبستر الثالث ومعجم ستاندرد .

وقد اختار الدكتور داود ما كتب في المعاجم الأربعة عن المادة Cant ، وبين كيف عالجها كل معجم منها .

وأنهى كتابه الممتع المفيد بقائمة لأنواع المعاجم في اللغة الإنجليزية ، وبمعجم ثنائي اللغة : بالعربية والإنجليزية للمصطلحات المعجمية .

والفصل الذي اخترته لتعريف القارئ به تبلغ صفحاته خمسًا وسبعين صفحة . ولا يتسع المقام لعرضها ، وأقول قول العاجز المعتذر فلنقنع من هذا النهر الماد بحُسْوة .

نذكر أولًا قائمة بموضوعات الفصل المختار ، ونذكر ثانيًا ترجمة الكلمة Cant كما وردت فيه .

موضوعات الفصل :

- الخلفية الحضارية للمعجم .
- الخلفية المعجمية للمعجم .

(*) . أشار الكاتب إلى نشرتين لهذا المعجم :

Oxford English Dictionary on Historical Principles, 12 Vols. And Suppl., 13 Vols., Corr. repr., Oxford University Press, 1933.

Oxford English Dictionary on Historical Principles, Supplement Vol. 1 A-G., ed. R.W. Burchfield. Clarendon Press, 1972.

- أهداف المعجم .
- نبذة عن تاريخ المعجم وخطة العمل فيه .
- نشأة فكرة عمل المعجم .
- خطة عمل المعجم .
- ظهور المعجم إلى الوجود .
- المسهمون في صنع المعجم .
- منهج اختيار مواد المعجم .
- منهج تصنيف مفردات اللغة الإنجليزية .
- الكلمات الأساسية .
- الكلمات المجمعة .
- الكلمات الثانوية .
- منهج معالجة مفردات اللغة .
- منهج معالجة الكلمات الأساسية .
- إثبات هوية الكلمة الأساسية .
- معالجة مورفولوجية الكلمة الأساسية وإيتومولوجيتها .
- معنى الكلمة .
- الشواهد .
- منهج معالجة الكلمة الثانوية .
- منهج معالجة الكلمات المجمعة .
- منهج معالجة النطق .
- تقييم المعجم .

مادة Cant كما وردت في معجم أكسفورد :

وردت Cant ست مرات كمادة معجمية ، وفي كل مرة يعالجها المعجم معالجة منهجية ، فيسجلها ويثبت بذلك وجودها في اللغة بل ويسجل تهجئتها أيضًا ، ثم

يسجل نطقها ونوعها من الكلام وإيتومولوجيتها ، ويعالج معانيها واستعمالاتها المختلفة مرقمة ترقيمًا عدديًا ومستشهدًا في ذلك بالشواهد المؤرخة والمقتبسة من الأعمال والوثائق التي وردت فيها . وفيما يلي عرض منهجي للرأسية الأولى للمادة نقدمه كنموذج لمعالجة الرأسيات الخمسة الأخرى :

تسجيل الرأسية :

تركت مسافة مطبعية واحدة وكتبت المادة Cant ببنط أسود ثخين وهي تحمل الرقم الواحد .

التهجئة :

يمثل تسجيل الكلمة التهجئة الصحيحة التي استخدمت في كتابتها .

النطق :

وضع بين قوسين دائريين وكتب برموز الألفباء الصوتية الدولية .

نوع الرأسية من الكلام :

أشير إليه بالمختصر Sb مكتوبًا بالحروف الصغيرة المائلة ويعني أنها تعالج كاسم ضمن مجموعة الكلمات التي تتبع الاسم نوعًا . ويلاحظ أن الرقم واحد قد وضع فوق المختصر Sb للدلالة على أن الكلمة ستعالج تحت رأسية أخرى كاسم له معانٍ واستعمالات أخرى مختلفة .

الإيتومولوجيا :

وضعت بين قوسين مربعين . سجل المعجم تاريخ العثور على الكلمة في اللغة لأول مرة وهو حوالي ١٤٠٠م ، ثم سجل أنها كانت نادرة الاستعمال قبل عام ١٦٠٠م . سجل المعجم بعد ذلك حقيقة لغوية مفادها وجود كلمات متطابقة في الشكل ومتناظرة في المعنى في أكثر من لغة ، ويضرب لذلك الأمثلة من اللغات التوتونية والسلافية والرومانية والسلتية ، ثم يستعمل المختصر (cf.) ويعني مقارنة الكلمة في اللغتين الهولندية الوسطى مع تسجيل تهجئتها ومعانيها في هاتين اللغتين ، ثم يسجل ورودها في اللغتين اللاتينية الإغريقية الوسطى مع تسجيل تهجئتها في حالة المذكر (msc.) ومعانيها المختلفة ، وفي حالة المؤنث (fem.) مع تسجيل معانيها ،

ويعقب ذلك ذكر ورودها في اليونانية الحديثة مع تسجيل تهجئتها ومعانيها ، وكذلك في اللغتين الهولندية والجرمانية مع تسجيل تهجئتها ومعانيها .

يذكر المعجم بعد ذلك ملاحظة وضعت بين قوسين دائريين مفادها أن الكلمة لم ترد في المراحل المبكرة في اللغة التوتونية . يذكر المعجم أيضًا أن الكلمة وردت في اللغة الفرنسية القديمة واللغة النورماندية الحديثة ، وكذلك في اللغات الإسبانية والبرتغالية والإيطالية وتسجيل تهجئتها ومعانيها ، وكذلك اللغة اللاتينية مع ذكر تهجئتها ومعانيها ، ثم يذكر المعجم أن البعض يقارنونها بمرادفاتها اللاتينية والإغريقية .

يذكر المعجم بعد ذلك أن الكلمة وردت في اللغة الويلزية ويسجل تهجئتها ومعانيها مع ذكر أسماء من وردت في كتاباتهم ورأيهم في أصلها الذي انحدرت منه .

يسجل المعجم بعد هذا السرد أنه من العسير التوغل فيما وراء حقيقة كون الكلمة رومانية وتطابقها مع مرادفها اللاتيني . أما الأصول التوتونية الدالة على الكلمة فمما يقوي احتمال تدرج الكلمة من اللغة الرومانية . يختتم المعجم معالجة إيتومولوجيا الكلمة بالتنويه أنه من غير الواضح إرجاع الكلمة الإنجليزية إلى الفرنسية القديمة أو الجرمانية الوطيئة ، أما إذا أخذت معانيها المختلفة ككل جاز إرجاعها إلى اللغتين .

المعاني والاستعمال :

ورد للكلمة ثلاثة عشر معنى قسمت إلى ثلاث فئات وردت كل فئة منها تحت رقم روماني . الفئة الأولى من رقم واحد إلى رقم سبعة ، والثانية من رقم ثمانية إلى أحد عشر والثالثة اثنا عشر وثلاثة عشر .

وتتناول معاني الفئة الأولى الدلالات الأصلية للكلمة في اللغة عندما تستعمل اسمًا ، ويستشهد على هذه المعاني بشواهد مؤرخة ومصحوبة بأسماء كاتبيها وقد استخلصت من وثائق وكتابات يرجع تاريخ نشر أولها إلى عام ١٣٧٥م وتتوالى هذه الدلالات والمعاني عبر القرون حتى القرن التاسع عشر . وجدير بالذكر أن المعاني والاستعمالات الثلاث الأولى قد أشير إليها بعلامة الخنجر وتعني أنه بطل استعمالها في اللغة . الفئة الثانية من المعاني من ثمانية إلى أحد عشر تستعمل فيها الكلمة فعلًا وتعالج بنفس المنهج . أما الفئة الثالثة المكونة من اثني عشر وثلاثة عشر تستعمل فيهما الكلمة صفة سواء بمفردها أو في تراكيب مجمعة وتعالج أيضًا بنفس المنهج .

نماذج مختارة من مواد معجم :

The Shorter Oxford English Dictionary on Historical Principles

قبل أن نقدم ترجمة لنماذج متعددة من هذا المعجم نقدم ترجمة للمعلومات الأساسية في المادة المعجمية :

١ - كلمة المدخل : تكتب بخط مشبع ، وإذا كانت غير مستعملة حاليًا تميز بعلامة خاصة تسبقها ، وإذا كانت دخيلة تكتب بخط مشبع مائل .

٢ - طريقة النطق : موضحة باستخدام الألفبائية الصوتية الدولية .

٣ - القسم الكلامي : يكتب مختصرًا بخط مائل .

٤ - التنوعات الهجائية .

٥ - تاريخ أول استخدام للكلمة : يعبر عنه بنسبة الكلمة إلى جزء من القرن .

٦ - معلومات التأصيل .

٧ - التعريفات .

٨ - تاريخ ظهور كل معنى : يعبر عنه بنسبة المعنى إلى جزء من القرن .

٩ - الرموز الخاصة باستعمال الكلمة أو بعض معانيها .

النموذج الأول : Mademoiselle (*) :

Mademoiselle / طريقة النطق / اسم . التنوعات الهجائية . ج . Mesdemoiselles / طريقة نطق صيغة الجمع /الإنجليزية الوسيطة المتأخرة .] من الفرنسية القديمة : انظر [Madam اسم ، Demoiselle] (١) لقب (يأتي قبل اسم) أو صيغة احترام لمخاطبة المرأة الفرنسية غير المتزوجة أو (على نحو أكثر اتساعًا) المرأة غير المتزوجة من أي جنسية غير الإنجليزية (وهو يقابل كلمة Miss في الإنجليزية) ، أو يستخدم في الأداء الحرفي للكلام الفرنسي . أيضًا تستخدم كصيغة محترمة لمخاطبة المربية الفرنسية أو المعلّمة الفرنسية في مدرسة إنجليزية . (من الإنجليزية الوسيطة المتأخرة) . (٢) امرأة عادةً ما يشار إليها أو تخاطَب

(*) ترجم النماذج الأربعة تلميذي : أشرف محمد علي ، المدرس المساعد بقسم علم اللغة بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

بـ « Mademoiselle » ، امرأة فرنسية غير متزوجة ، مربية فرنسية . (من منتصف القرن ١٧) . (٣) استعمال فرنسي تاريخي . (لقب لـ) الابنة الكبرى للأخ الأكبر (المعروف بـ « Monsieur ») للملك الفرنسي . لاحقًا ، (لقب لـ) الابنة الكبرى للملك الفرنسي أو (إذا لم يكن لديه بنات) أقرب الأميرات غير المتزوجات إليه (قارن Madame) . (من أواخر القرن ١٧) . (٤) النعّات (نوع من السمك) ، Bairdiella chrysoura ، من جنوب الولايات المتحدة . أيضًا يطلق عليه الفرخ الفضي ، والذيل الأصفر . الولايات المتحدة . (من أواخر القرن ١٩) . عند استخدام الكلمة لقبا يكثر اختصارها إلى Mlle .

النموذج الثاني Realistic :

Realistic / طريقة النطق / صفة . من الثلث الأول من القرن ١٩ . (مكون من المدخل السابق + اللاحقة ic -) (١) متسم بدقة التمثيل ، ممثل الأشياء كما هي في الواقع . من الثلث الأول من القرن ١٩ . (٢) مائل إلى النظر إلى الأشياء كما هي في الواقع ، متسم بنظرة عملية للحياة . منتصف القرن ١٩ . (٣) متصل بـ أو هو من أصحاب المذهب الواقعي في الفلسفة ، من طبيعة الفلسفة الواقعية . منتصف القرن ١٩ .

النموذج الثالث Pleasing :

Pleasing / طريقة النطق / اسم . من الإنجليزية الوسيطة المتأخرة . (مكون من المدخل السابق + ing -) (١) (أ) حدث المتعة ، إعطاء المتعة أو الرضا ، حقيقة أن تكون سعيدًا أو راضيًا . من الإنجليزية الوسيطة المتأخرة . (ب) معنى غير مستخدم . تهدئة . فقط في الإنجليزية الوسيطة المتأخرة . (٢) معنى غير مستخدم . إعجاب شخص أو سعادته أو إرادته . وكانت تستخدم فيما سبق (بندرة) بمعنى : مصدر السعادة ، شيء مبهج . من الإنجليزية الوسيطة المتأخرة حتى الثلث الأول من القرن ١٦ . (٣) خاصية الإمتاع . فقط في أواخر القرن ١٦ .

النموذج الرابع Ready :

Ready / طريقة النطق / فعل . من الإنجليزية الوسيطة . (مأخوذة من الصفة Ready) (١) فعل متعد . (أ) يجهز ، يعد ، ينظم ، مستخدم أساسًا في شمال

أمريكا (كثيرًا ما يتبعه up) ، من الإنجليزية الوسيطة . (ب) ويخصص معناه بـ : يجهز الطعام للأكل ، يطبخ استخدام إسكتلندي لهجي ، من الثلث الأول من القرن ١٧ . (٣) فعل متعد . (أ) منع (حصان سباق) من الفوز ليأمن عقبة في سباق آخر . من اللغة الدارجة . أواخر القرن ١٩ . (ب) متبوعًا بـ up : يعد أو يعالج يدويًا بطريقة غير صحيحة . من اللغة الدراجة الأسترالية . من أواخر القرن ١٩ . (٤) فعل لازم : يتجهز ، استعمال في الولايات المتحدة . منتصف القرن ٢٠ .

النموذج الخامس . Atom ذرّة (*) :

إيتمولوجيًا (In etymology) أي من حيث دراسة تأصيل الكلمات وتاريخها ؛ هي كلمة إنجليزية يعود استعمالها للغة الإنجليزية الوسطى Middle English ، وهي في الفرنسية Atome ، وفي اللاتينية Atomus ، وفي اليونانية ἄτομος ، وشاع استخدامها اسمًا وصفةً ، وتتكون من المقطعين : (Τομος) و (Τέμνειν) كما استُخدمت في القرن السادس عشر اسمًا = (Atomus) و (Atomos) وتُجمع على (Atomi) .

ولتاريخ استعمال الكلمة أكثر من تأصيل في أكثر من مجال :

● ففي حقل العلوم [Scientific] :

١ – هي جسم افتراضي بالغ الصغر ، غير قابل للتجزئة (التقسيم إلى أجزاء صغرى) . وظل هذا المدلول حتى استُخدم عام ١٤٧٧م للدلالة على أصغر جُسيم في المادة .

٢ – أما في فلسفة (علم مبادئ) الطبيعة [in natural philosophy] فقد استُخدمت الكلمة عام ١٦٥٠م كمصطلح يدل على أصغر جُسيم يمكن أن تُوجد فيه المادة بصورة فعلية [دون الإشارة إلى معنى قابلية التجزئة] .

٣ – كما استُخدمت الكلمة عام ١٨١٩م كمصطلح كيميائي [chemical] للدلالة على أصغر جُسيم يمكن أن تتحد فيه العناصر لتكتسب خصائص عنصر معيَّن .

٤ – ثم استُخدمت عام ١٨٤٧م للدلالة على أصغر مقدار من مركب كيميائي .

(*) قام بترجمة النماذج الثلاثة الخامس والسادس والسابع تلميذي : صفوت علي صالح المدرس المساعد بقسم علم اللغة ، دار العلوم ، جامعة القاهرة .

● أما عن استعمال Atom في الاستخدام الشائع [In popular use] فقد استُخدمت للدلالة على مفهوم :

١ – الذرة أو أي جُسيم صغير من التراب أو الغبار أو الرماد .

٢ – الهباءة العالقة في شعاع الشمس (وهو استعمال قديم) .

٣ – أيُّ شيء دقيق ، بالغ الصغر نسبيًّا ١٦٣٠ ، ١٦٣٣ .

● أما الدلالة على الوقت [Of time]

١ – فقد استُخدمت في اليونانية بمعنى لمح البصر أو مقدار ما تغمض العين دلالة على قِصَر الوقت الذي يستغرقه فعل شيءٍ ما .

٢ – ثم استُخدمت الكلمة في العصور الوسطى للدلالة على أصغر مقياسٍ للوقت وهو ١٥/٩١ من الثانية (في الإنجليزية الوسطى فقط) .

وقد استُخدمت كلمة Atom بهذه الدلالات في النصوص التالية :

١ – لقد تشكَّل الكون بالالتقاء التصادفي للجسيمات أو الذرات . (SWIFT) .

٢ – تختص الجُسيمات أو الذَّرات بقوى التجاذب المتبادل فيما بينها . (TYNDALL) .

٣ – أشعة الضوء مأهولة أو محمَّلة بذرات التراب أو الغبار أو الرماد . (BYRON) .

٤ – ليس هناك ما يمكن أن يطلق عليه « ذرة ماء » . (Sir, J. ROOS) .

٥ – تفتيت شيء أو جزيء إلى ذرات صُغرى كالتراب . (HOBBES) .

٦ – أصغر كائن أو مخلوق « نملة » (HERBERT) .

● كما استُخدمت الكلمة Atom بمعنى الفعل (atomize) يُذرِّي أو يفتِّت ، وهو استخدام قديم مهجور .

● ومن مشتقات (Atom) المصطلح (Atomare) الذي استُخدم للدلالة على الحيِّز الذي تتكوَّن أو تتآلف فيه مجموعة من الذرات الأساسية .

● ومن مشتقاتها أيضًا المصطلح (Atomchanics) الذي أُطلق على آلية الذرَّات (عملية تكوينها أو تفاعلاتها وانشطارها ...) .

● ومن مشتقاتها كلمة (Atomeless) وهي كلمة شعرية أو شاعرية (poetical) استُخدمت للدلالة على معنى عدم إهدار أي شيء مهما صَغُر أو مجرد التفريط فيه .

أما كلمة Atomic ذرّي :

١ - فقد استُخدمت عام ١٦٧٨م adjective وصفًا لكل ما يتصل بالذرة .

٢ - أو ما يتعلق بدراسة علم مبادئ الذرة ١٦٩٢م .

٣ - أو لوصف شيء بسيط أو دقيق أو جوهري أو أوّليّ ١٨٨١ .

٤ - وفي عام ١٦٧٢م استُخدمت الكلمة للدلالة على كل ما هو متعلق بالذرة .

٥ - وفي عام ١٦٩١م استُخدمت للدلالة على كل ما يتصل بالكيمياء الذرية .

٦ - وفي عام ١٨٠٩م استُخدمت للدلالة على معنى دقيقة أو لحظة .

● أما استخدامها اسمًا (substantive) فهو استخدام أثري قديم [يُرمز له في القاموس بالرمز F] للدلالة على أحد فروع علم الفيزياء الذرية ، وهو علم يبحث في مبادئ الذرة .

● ومن التراكيب التي وردت فيها كلمة Atomic وصفًا :

الوزن الذري [Atomic weight] :

وهو وزن إحدى ذرات عنصر كيميائي ، أو مجموع أوزان المركب كله كما في مقارنة ذرة الهيدروجين كوحدة ، ومجموعة أوزان الذرات كمركب .

كما استُخدم المصطلح للدلالة على كتلة الجسم : وهي الحيز الذي تشغله أية كمية أو أي مقدار متناسب مع حجمه الذري .

١ - (وفي الفلسفة) [in philosophy] أُطلق اللفظ على المذهب الذي يعتنقه ليوس بوس leucippus ، وديموقريطيوس Democritus ، وإبيقور Epicurus : انظر (Atomism) .

٢ - (وفي النظريات الكيميائية) [A. theory in chem] أُطلق المصطلح على نظرية كيميائية في أحد مبادئها ؛ أن الأجسام الأولية (الجوهريَّة) تتألف أو تتكون من مجموعة من الذرات التي لا تقبل الانشطار أو الانقسام ، وهي ذراتٌ ذاتُ أوزانٍ محدَّدة ومتناسبة . ومن مبادئ هذه النظرية أيضًا ؛ أن الوحدات الذرية لا بد أن تتناسب مع بعضها البعض في الحجم والحيِّز لكي تتفاعل وتؤلِّف مركبًا كيميائيًّا جديدًا .

النظرية الذريّة [Atomic theory] :

وهي النظرية القائلة بأن المادة كلها مؤلفة من ذرات .

الكُريّات الذريّة ١٨٠٩م [Atomic globules] :

أما المصطلح Atomicity : فهو مصدر صناعي ، استُخدم عام ١٨٦٥م للدلالة على : معنى قابلية العناصر الكيميائية للاتحاد والتآلف والاندماج .

ثم تطورت دلالة المُصطلح لتُطلق على ما يسمى الآن (التكافؤ) .

أما الكلمة Atomism :

فتتكون من مقطعين (Atom) + (ism) ، وقد استُخدمت عام ١٦٧٨م للدلالة على المذهب أو المبدأ الذري : وهو مبدأ يقول بأن الكون مؤلَّف من جسيمات أو ذرات لا تتجزأ ، ولها خاصية الثِّقل النوعي [الجاذبيّة] ، وخاصية الحركة .

كما استُخدمت عام ١٨٣٦م للدلالة على معنى الفرديّة أو الاستقلالية .

أما كلمة Atomist :

فقد أُطلقت عام ١٦١٠م على من يهتم بدراسة مبادئ المذهب الذري أو النظرية الذرية والبحث فيهما ، سواء أكان خبيرًا أم باحثًا ١٨٩٦م .

أما الفعل Atomize :

فيتكون من المقطع (Atom) + المقطع (ize) وقد استُخدم عام ١٦٧٨م للدلالة على مَنْ يهتم بالفلسفة الذرية ومبادئها ، وهو استخدام قديم مهجور .

ثم استُخدم عام ١٨٤٥م ، بمعنى يُرذِّذ : أي يحوِّل سائلًا إلى رذاذ دقيق . وهو استخدام أثري قديم كما هو مثبت بالقاموس .

ويُرجَّح أن تكون هذه الدلالة قد استوحيت من تآلف أو اتحاد الذرات متناهية الصغر .

أما المصطلح Atomization :

فقد استُخدم عام ١٨٧١م خاصةً في الطب [Medicine] بمعنى التَّرذيذ : وهو عملية تحويل السائل إلى رذاذ .

أما المصطلح Atomizer :

فقد أُطلق على آلة التذرية أو الميُرذاذ : وهو أداة لتحويل العطر أو المبيدات إلى رذاذ .

ومن المصطلحات Atomology : وهو مصطلح استُخدم عام ١٦٧٨م بمعنى علم الذرة .

أما مصطلح Atomy :

- فقد استُخدم عام ١٥٩٧م بمعنى الذرة ، أو أي شيء بالغ الصغر .
- وفي عام ١٧٢٨م أُطلق المصطلح على التحضير التشريحي خاصةً للهيكل العظمي .
- وفي عام ١٥٩٥م أُطلق على مفهوم (الجسم الحي) .
- وفي عام ١٨٤٨م أُطلق على عملية تصنيف الأشياء أو نقلها .
- وهناك استخدام آخر لكلمة Atomy ؛ فهي كلمة ذات أصل لاتيني هو Atomi وجمعها Atomus لكنها تعامل في الإنجليزية معاملة المفرد .
- ثم استُخدمت الكلمة عام ١٥٩٥م بمعنى ذرة أو هباءة .
- وفي عام ١٥٩١م استُخدمت للدلالة على السُّوسة أو العُثَّة أو أي مخلوق متناهي الصغر .

النموذج السادس . Locomotive قاطرة :

إيتمولوجيًا [In etymology] من حيث دراسة تأصيل الكلمات وتاريخها ؛ هي كلمة ذات أصلٍ لاتينيٍّ ، استُعملت لأول مرّة عام ١٦١٢م ، وتتكون من المقطع اللاتيني (locus) الدال على المكان Place + المقطع (motivus) الدال على : المحرِّك / الحركي .

وقد استُوحيت هذه الكلمة بدلالتها من العبارة اللاتينية الخاصة باللاهوت « السكولاستي » In locomoveri

وقد استُعملت الكلمة adjective وصفًا للدلالة على :

- كل ما هو وثيق الصلة أو متعلق بالتحرُّك أو التنقُّل أو السَّفر ؛ [تحركي ، تنقُّلي ، سفري ، سيَّار : قادر على التحرُّك المستقلّ من مكان إلى مكان] .
- ثم استُخدمت الكلمة عام ١٦٥٧م للدلالة على التنقُّل والترحال .
- وفي عام ١٧٣٢م استُخدمت الكلمة لوصف الشخص المولع أو المفتون بالسَّفر

أو بالتنقل أو بالترحال Locomotive Person سائح أو رحالة .

• ثم استُخدمت في عام ١٨١٥م بهذه الدلالة نفسها ؛ لوصف الآليات أو المركبات التي تتحرك ذاتيًا .

• وفي عام ١٨٤١م استُخدمت الكلمة للدلالة على معنى التكيّف مع السفر أو التنقل ، والتعوّد عليه .

ومن النصوص التي تحمل هذه الدلالات :

In these locomotive days, one is too apt to forget one's neighbors.

قد يجد المرء نفسه في ظل حركيّة أو تلاحق أو سرعة وَقْع هذه الأيام – شديدَ الميل إلى أن ينسى جيرانه .

A caterpillar then may be regarded as a locomotive egg.

من المحتمل أن يظهر آنذاك نوعٌ من الجرّارات المجنزَرة كالبيضة المتحركة ١٨١٦م .

كما استُخدمت في اللغة اللاتينية في العام نفسه ١٨١٦م للدلالة على العامل أو الفلاح الأجير المرتزق .

ثم استُعملت الصفة للدلالة على محرّك صُمّم للتنقّل من مكان إلى آخر بقوة دفع ذاتية . (عكس المحرّك الثابت) ، خاصةً محرّك البخار المعدَّل لجرّ قطار (عدد) من الحافلات أو العربات على طول سكّةٍ حديديّة ، عُرف فيما بعد بقطار السكّة الحديد .

ثم اقتصر مدلول الكلمة بصفة عامة على القاطرة .

وكما استُعملت الكلمة وصفًا ، فقد استُعملت اسمًا Substantive بمعنى :

١ – قطار عام ١٨٢٩م .

٢ – واستُعملت في العامية جمعًا بمعنى أرجُل عام ١٨٤١م .

٣ – حيوان له القدرة على التنقل والسفر والهجرة عام ١٨٧٢م .

واستُخدمت مركّبة مع كلمة (car) :

Locomotive car في الإنجليزية الأمريكية (USA) للدلالة على عربة + قطار في آليّةٍ واحدة .

Locomotor

أما كلمة Locomotor فقد استُعملت عام ١٨٢٢م اسمًا للدلالة على معنى الحركة أو الحركيّة ، وهي كلمة تتكون من المقطع (loco) المشتق من (locus) الدال على المكان + المقطع (motor) الدال على الحركة .

ويقابلها في اللاتينية (CF: confer) كلمة Locomotive التي استُخدمت adjective وصفًا لكل مَنْ أو ما له قوة الحركة أو القدرة الحركيّة .

أما في عام ١٨٧٠م فقد استُخدمت الكلمة [Phys : فسيولوجيًا = في علم الوظائف] adjective وصفًا لكل ما هو وثيق الصلة أو متعلّق بالتحرُّك والتنقُّل .

ومن هذه الاستعمالات :

١ - أعضاء الحركة : Locomotor organs

٢ - مرض الخُلاع : Locomotor ataxia

وهو اختلال في الجهاز العصبي من أعراضه اضطراب المشية وفقدان السيطرة على الحركات الإرادية .

أما كلمة Locomotively فهي (adv) حال مشتقة للدلالة على فعل الشيء بصورة حركيّة أو متحرِّكة أو سيّارة أو متنقِّلة .

أما Locomotivity فهي مصدر صناعي للدلالة على التحركيّة أو التنقُّلية : وهي خاصية التحرك والانتقال الذاتي .

أما Locomotory فقد استُعملت عام ١٨٣٥م وصفًا لكل ما يتصل بالتحرك أو التنقل أو امتلاك القدرة على التحرك الذاتي .

النموذج السابع . Politic سياسة :

إيتمولوجيًا [In etymology] من حيث تأصيل الكلمة وتاريخها ؛ هي كلمة يعود استخدامها للإنجليزية الوسطى Middle English ، وقد استُخدمت اسمًا وصفةً عام ١٧٥٠م للدلالة على السياسة والسياسي ، ثم نُسخت وحلّت محلّها الصفة Political ، وهي في الفرنسية Politique ، وفي اللاتينية Politicus وفي اليونانية πολικός بمعنى مواطِن . وقد استُعملت الكلمة عام ١٤٤٩م adjective وصفًا لكل ما يتصل بالدولة أو يتعلق بالدستور . ثم استُعملت لوصف الأشخاص بالحكمة والدهاء والحصافة وتعقُّل الأشياء والأحداث وتقدير الأمور [حصيف ، حكيم ،

متعقّل ، لَبِق] وهذا في الإنجليزية الوسطى Middle English فقط . ثم استُخدمت الكلمة عام ١٥٨٠م بظلالٍ دلالية سيئة لتدل على أوصاف الماكر والمخادع والمحتال ... كما استُخدمت مركبةً مع كلمة Body كما في Body politic أو Politic body وهو استخدام قديم مهجور (انظر : BODY) .

وللكلمة استخدامات قديمة ؛ منها :

Enriched with politic grave counsel. (SHAKES PEERE)

- زُخرفت بالمشورة السياسية .

A prudent and politick captain.

- قائد سياسي وحكيم ، بعيد النظر ، عام ١٦٨٦م .

To learn of enemy has always been accounted politick. (JOHNSON)

- دائمًا ما تعد معرفة العدو نوعًا من السياسة .

This being the craftiest and politiquest sort of knaves.

- أن تكون الأكثر مكرًا وسياسةً ، هو أن تكون وغدًا عام ١٦٦٧م .

كما استُخدمت الكلمة اسمًا (Substantive) للدلالة على :

- الشخص السياسي وذلك عام ١٧٣٨م .
- الاعتدال والوسطية في أمور الدين ، وهو استعمال قديم مهجور .
- ثم استُخدمت عام ١٦٣٣م للدلالة على الخبرة والمعرفة بالحياة وبالناس .
- وفي عام ١٧١٥م استُخدمت بمعناها الحالي (سياسة أو نظام) للدلالة على فن الحكم ، أي أسلوب التعامل مع العُرف ، والمنظمة ، والإدارة في دولةٍ أو ولايةٍ ما ، في ظل القانون الذي ينظم علاقاتها مع الولايات الأخرى أو الدول التي تجاورها . وتُجمع على Politics ومن أمثلة استخدامها مجموعةً :
- السياسات الإمبراطورية ، السياسات القومية ، السياسات الداخلية أو المحلية ، السياسات الأجنبية .
- ثم أُطلقت الكلمة عام ١٥٢٩م على أحد فروع الفلسفة الأخلاقية التي تتعامل مع الدولة والنظام الاجتماعي كوحدةٍ متكاملة . وفي عام ١٦١٥م أُطلق مصطلح السياسات : The Politics على أحد معاهدات أرسطو في العلوم السياسية . وهناك

استخدام قديم للكلمة عام ١٧٤١م بمعنى الموقف السياسي أو ممارسة السياسية .

ومن الاستخدامات والأمثلة التي وردت فيها كلمة Politic عام ١٦٩٣م :

- الشؤون السياسية Political affairs .
- الحياة السياسية Political life .
- المصالح السياسية Political business .

وفي عام ١٧٦٩م استُخدمت الكلمة للدلالة على المبادئ أو الآراء السياسية لشخصٍ أو حزبٍ ما ومشاركته في الحياة السياسية .

أما في عام ١٦٩٣م فاستُخدمت للدلالة على وضع الخطط ، أو إدارة الشؤون الخاصة ، أو الإدارة السياسية .

ومن الأمثلة التي وردت فيها الكلمة بهذه الدلالات :

Amongst statesmen and politikes. (BACON)

- من بين رجالات الدولة أو السياسيين .

World lings and depraued politickes, who are ape to contmne holy things. (BACON)

- إن السياسيين من المفتونين بالمتع الدنيوية هم أكثر الناس ازدراءً بالأشياء المقدسة .

This didn't suit with popish politics. (BENTLELY).

- إن هذا مما لا يلائم أو يناسب أو يتماشى مع السياسة البابوية .

Machiavelli ... founded the science of polities for the modern world.

- قام ماكيافلِّي بتأسيس ما يُسمى علم السياسات للعالم المعاصر أو الحالي عام ١٨٨٣م .

Confound their politicks, frustrate their knavish tricks. (GOD SAVE THE KING).

- وفي نص « أنقذ اللهُ الملك » أن إرباك قد أدحض سياستهم وحيلهم الماكرة .

She now agrees with me, that politicks is not a business of a woman.

- إنها الآن قد وافقتني الرأي على أن السياسة ليست من عمل المرأة أو مصلحتها ١٧١٤م .

Most men's politics sit much too loosely about them. (JUNINS LETT) .

- إنَّ معظم أو أغلب سياسات الرجال تبدو واسعةً عليهم .

وفي عام ١٤٧٧م اشتُقت الحال (Politicly (adv من كلمة Politics للدلالة على معنى : فعل شيء بصورةٍ سياسية ، أو بسياسة ، أو بدهاء ، أو بفن .

Political

بدأ استخدام الكلمة وصفًا عام ١٥٥١م ، ويقابلها في اللاتينية Politicus ؛ كما استُخدمت وصفًا كذلك في اليونانية πολιτιϙός ، وهي كلمة مكونة من مقطعين (Polotic) + (al) الدال على الوصف . وقد استُخدمت الكلمة لوصف كل ما يتعلق بالدولة أو الحكومة أو السياسة أو الحياة العامة أو الشؤون المدنية ، أو ما يتصل بعلوم السياسية أو فن الحكم والإدارة .

واستُخدمت الكلمة عام ١٨٤٩م للدلالة على الشخص السياسي المتعهِّد بإدارة المجتمع المدني (خاصة في المجتمع الهندي) وهو شخص يتقلد منصبًا حكوميًا ، له سلطة رسمية في مراقبة قرارات الحاكم التي تتعلق بقضايا الدولة وشؤون السياسة .

ومن استخداماتها :

- ممثل أو وكيل سياسي Political agent
- مندوب سياسي Political resident

وفي عام ١٦٥٧م استخدمت الكلمة للدلالة على وجود حكومة أو منظمة محدَّدة ؛ ولذلك أطلقت بهذا المعنى على ممالك النمل والنحل لاتِّباعها نظامًا محدَّدًا في سياسة شؤون الحياة .

وفي عام ١٦٤٦م أُطلقت على كل ما يتعلق بالسياسة أو مَنْ يتعامل بها أو يشتغل بالشؤون الحكومية .

ثم استُخدمت في عام ١٧٦٩م للدلالة على المعاني السيئة لمفهوم السياسي : [الماكر ، المخادع ، المحتال ، ...] .

ومن الأمثلة التي استُخدمت فيها الكلمة :

The true political spirit the faculty of nation making.

- إن الروح السياسية الحقيقية هي القوة القادرة على بناء الأمة . (في عام ١٨١٧م) .

The highest position in political life .

- أعلى منصب في السلك السياسي (في عام ١٨٨٥م) .

The malice of Political writers. JUNINS LETT

- مكر وخُبث كتّاب السياسة .
- مصطلح الاقتصاد السياسي Political economy .
- مصطلح الجغرافيا السياسية : The political geography .

وهي فرع من الجغرافيا يختص بدراسة الحدود والتقسيمات الإقليمية وحيازات الدولة (ممتلكاتها) .

- السجين أو المعتقل السياسي : The Political prisoner .

الشخص الذي أُودع السجن لارتكابه جريمةً سياسية أو لمشاركته في عمل تعتبره الدولة مساسًا بالنظام السياسي لها .

- الشعر السياسي Political verse .

شعر ذائع وله شعبيته في اليونانية خاصة في (بيزنطة) ، وفي الأدب اليوناني الحديث ، وهو فن شعريّ يقوم على نظم الكلمات بنبرها (أي تشديدها والضغط عليها) ، ولا يعتمد على المقطعات التي تتكون من سطور عديدة ، فوحدته الكلمة المنبورة فقط .

- ضابط سياسي ١٨٤٨م Political agent, officer .
- معتقل سياسي ١٨٨٨م Political prisoner .

القضايا أو الأحوال السياسية Political matters أما Politically فهي حال (adv) مشتقة استُخدمت عام ١٥٨٨م للدلالة على فعل الشيء أو تدبيره بسياسة ، أو بدهاء .

Politicaster

كلمة مشتقة تُستخدم في الإسبانية والإيطالية وصفًا Politicastro وتتكون من مقطعين : (Politic) + (aster) ، وقد ظهرت الكلمة عام ١٦٤١م لتُطلق على السياسي المبتدئ (حديث العهد بالسياسة) ، أو الشخص الحقير ، أو الفاسد ، أو الضعيف .

Politician

كان أول ظهور للكلمة عام ١٥٨٨م ، وهي كلمة مشتقة مكونة من مقطعين (Politic) + (ian) استُخدمت في عام ١٧٦٤م للدلالة على الشخص السياسي خاصةً ذاك الذي يستحوذ على اهتمام الآخرين (كالشخصية العامة) .

ثم أُطلقت الكلمة عام ١٥٨٩م على الشخص الحاذق المتمكّن من نظرية الحكم أو فنه ، وكذلك الشخص المنشغل بشؤون الدولة ورعاية مصالحها (رجل دولة) .

ثم في عام ١٦٢٨م أُطلقت الكلمة وصفًا للشخص الماهر أو المحنّك سياسيًا ، أو وصفًا للشخص المنتمي لحزبٍ سياسي معين خاصةً إذا كان محترفًا العملَ السياسي (وذلك في الولايات المتحدة على وجه الخصوص) . وكان للكلمة في هذه الآونة ظلالٌ معنوية سيئة كالدلالة على الشرير الماكر الذي يتاجر أو يتلاعب بالسياسة .

أما في عام ١٦٨١م فقد استُخدمت الكلمة لتوازي في دلالتها كلمة Politique الفرنسية .

وفي عام ١٦٣٨م استُخدمت وصفًا لكل ما يتعلق بالسياسة أو فن الحكم وأمور الدولة .

ومن الأمثلة التي استُخدمت فيها الكلمة :

That felicity politicians search after as being the end of civil life . (ADAM SMITH)

• إن السعادة التي يلهث وراءها السياسيون ؛ ما هي إلّا نهاية الحياة المدنية . (في عام ١٦٣٤م) .

That insidious and crafty animal, vulgarly called a stands man or person. (ADAM SMITH)

• إن الحيوان الماكر المخادع ؛ غالبًا ما يطلق عليه سوقيًا أو عشوائيًا رجلَ دولة .

Politicize

فعل أول ظهوره عام ١٧٥٨م ، يتكون من مقطعين (Politic) + (ize) وقد استُخدم بمعنى :

• ينغمس أو ينخرط في أمور أو شؤون السياسة ويتحدث فيها .

• يُسيِّس : أي يُضفي الطابع السياسي على أمرٍ أو شيءٍ ما ، وظهر هذا الاستخدام عام ١٨٤٦م .

Politico

استخدمت الكلمة في اليونانية بمعنى المدني أو السياسي أو رجل الدولة أو الشخصية العامة المشهورة التي يشار إليها بالبنان .

كما استُخدمت كبادئة معناها : سياسة أو سياسي ، ومنها :

- السياسة الاقتصادية Politico - economical
- السياسة الأخلاقية Politico - ethical
- السياسة الجغرافية Politico - geographical

كما استُخدمت الكلمة لربط السياسة ببعض المجالات والفنون ، ومن ذلك :

- السياسة التجارية Politico commercial
- السياسة العسكرية Politico military
- السياسة اللاهوتية Politico theological
- السياسة الدينية Politico religious

كل ما يتصل بالسياسة التي تقوم على أسس ومذاهب وتوجهات وأغراض دينية .

كما استُخدمت الكلمة أيضًا مقطعًا في بعض الكلمات متعددة المقاطع ؛ مثل :

- أهوال السياسة Politicophobia

Politique

استُخدمت هذه الكلمة عام ١٦٥٩م في الفرنسية وصفًا لكل ما هو سياسيٌّ . كما استُخدمت في فرنسا أيضًا للدلالة على الشخص الانتهازي الذي ينتمي للحزب المعتدل الذي ظهر عام ١٥٧٣م أثناء حروب هوجي نوت (Huguenot Wars) .

كما أُطلقت وصفًا للشخص الذي يحترم عملية السلام ويميل إلى الإصلاح السياسي العاجل للشؤون السياسية ، أكثر من القرارات المتعسِّفة المتحيِّزة لنزعات دينية أو نعرات عرقية .

ثم تُوسّع في دلالة الكلمة فباتت تُطلق وصفًا لمؤيدي هذا الحزب والمناصرين لاتجاهه ومبادئه السياسية .

كما استُخدمت للدلالة على الشخص المنافق أو الحقير أو اللا مبالي ، وكذلك الشخص السوفسطائي (ذي القدرة على قلب الحقائق وتبريرها) .

* * *

ثانيا

المعجم التاريخي للغة الفرنسية

Dictionnaire Historique de
la Langue Franise

يحتوي على :

- الكلمات الفرنسية المستخدمة وكلمات أخرى مندثرة .
- أصول الكلمات القريبة والبعيدة .
- تاريخ أول استخدام للكلمة منذ عام ٨٢٤م وحتى الآن .
- تاريخ مفصل للكلمات يحتوي على معانيها المختلفة ، واستخداماتها المتتابعة ، وعبارات اللغة الأساسية .

إلى جانب :

- تطورات وتغيرات الصيغ والمضامين .
- التأثير المتبادل بين اللغات الأوربية خاصة ، وأوجه التقارب بينها .

بالإضافة إلى :

- المقالات الموسوعية الخاصة باللغات ذات الصلة باللغة الفرنسية والخاصة باللغة الفرنسية نفسها .

كما يحتوي المعجم على :

- مفاهيم اللغة اللازمة لتيسير فهم المعجم .
- وجدول لمفردات اللغة لتأدية نفس الغاية .
- وصف زمني لنصوص اللغة الفرنسية الأساسية .
- الصور توضح رحلة العلامات والأفكار والعثرات التي مرت بها .

هذه المادة مجموعة ومقدمة لنفع القارئ ، كتبه : ألان راي ، مريم تومي ، تريستان أورداه ، شنتال تانت ، أثرى هذه الطبعة : ألان راي ، وتريستان أورداه .

المقدمة (*) :

إن الشروع في تناول تاريخ كلمات لغة يتحدث بها أناس من ألف عام من خلال مصنف سهل التناول يعد بلا مراء عملًا جنونيًا . إلاَّ أنه عمل ضروري ، أضفت عليه أحلامُ سابقة طابعًا عقلانيًا ، أحلامُ مؤرخي الثقافة البارعين ، وهم شعراء العصور الوسطى ، أحلامُ علماء النهضة الملهمين ، أحلامُ رواد الفيلولجيا وصولًا إلى علماء التأصيل التاريخي لمفردات اللغة ومؤرخي عصرنا الحالي .

تواصل البحث :

لن يفلت هذا المصنف من ادعاء يكذبه بالفعل توجيه الثناء الجماعي المتواضع لكل من عكفوا على جمع وحفظ متحف زاخر لتراث المفردات وكنوز الألفاظ .

بداية يحرص مؤلفو هذا المعجم على التأكيد على أنه لولا الأبحاث التي امتدت عبر قرون من الزمان ، وكبارُ الأعمال حول علم التأصيل لكل من مناج (Ménage) ثم فراديريخ ديز (Friedrich Diez) و وارتربرج (Wartburg) وخلفائهم ، ومعاجم اللغة الفرنسية ذات المحتوى التاريخي (مثل : Le Littré, Le Dictionnaire general, Le Grand Larousse de la langue française, Le Grand Robert, Le Trésor de la langue fraçnaise) والتحليلاتُ الرائعة حول اللاتينية لكل من إرنو وماياه (Ernout, Meillet) واليونانية لشنترن (Chantraine) واللغات الرومانية لميرلبك (Meyerübke) وذلك المعجم الفريد Histoire de la langue Française لفرديناند برنو (Ferdinand Brrunot) وأعمال العديد من الباحثين في علم اللغة لولا ذلك كله لم يكن ليخرج هذا المصنف إلى حيز الوجود .

غير أن وفرة المراجع لا تكفي وحدها لتبرز صعوبة مواصلة هذه المعرفة الهائلة وتناولها بسهولة ويسر . ففي نهاية القرن العشرين ، لم تكن قائمة هذه المفردات المعالجة معالجة وافية من حيث منابعها وتطورها واردة ضمن تحليلات سهلة التناول من حيث الحجم والتكلفة والوضوح المناسب ، باستثناء معاجم وجيزة لأصول اللغة معنية بتاريخ صيغ المفردات ، وملتزمة بمعالجة أولية لتطور معنى الألفاظ ووظيفتها ودورها الدلالي .

(*) ترجم المقدمة والنماذج المصاحبة لها الباحثة سارة صلاح الدين ، وأعدتُ كتابته وتصحيحه لغويًا وأسلوبيًا .

بيد أن مولد العالم من خلال الكلمات هو الموضوع الرئيسي لمعجمنا .

فمن غير المقبول أن تُحفظ لغة من خلال مئات الآلاف من النصوص وآلاف من الأعمال العظيمة ، وأن تحظى بدراسة وافية لها ، وأن تعد من بين أرقى لغات عرفتها الحضارة وأن يتغنى بها الشعراء ، ولا تحظى بوصف بسيط ومفهوم يتناول نتائج جميع هذه الأبحاث السالف ذكرها .

فإلى جانب المعاجم المعنية بوصف الاستخدام الحالي للغة ، تفتقر اللغة الفرنسية بالأساس إلى وصف تاريخ لها يتضمن البحث في أصول المفردات وبيان استخداماتها على مر الزمان .

تعريف موجز بمعجم روبير التاريخي :

إن الموضوع الذي يتناوله روبير التاريخي Le Robert histoiriqu هو مفردات اللغة الفرنسية الحديثة ، ولم يتم التعرض للكلمات المندثرة سوى لإيضاح المرحلة الحية التالية لتطورها ؛ ذلك لأن اللغة الفرنسية القديمة تعد لغة غريبة بالنسبة لنا . وذكر مفرداتها في هذا المعجم يعود لكونها مرحلة حتمية للوصول إلى الاستخدام الحالي لها ، باعتبارها ضمنت استمرارية اللغة ، وقامت إذن بدور الوسيط كما أن وصف المفردات اللاتينية واليونانية بالنسبة للمقترضات الحديثة إلى جانب مصادرها الأخرى (الإيطالية والإسبانية والعربية والإنجليزية ... إلخ) يهدف أيضًا إلى إبراز تأثيرها على اللغة الفرنسية الحديثة . ومن هذه الناحية تبدو التحليلات الواردة في هذا المعجم مفصلة بشكل كافٍ ، و (العودة بالزمن) تجعلها تتعرض لأصول سحيقة : أصول هندية أوربية وأصول سامية ، بل وأصول دخيلة عليها بداية من الكلمات المقترضة من الهندية الأمريكية التي طالت أوروبا إبان عصر النهضة .

ولا يتجلى المنهج المعتمد في هذا المصنف من خلال مواده فحسب وإنما تبرزه أيضًا النصوصُ التحليلية التي تتعرض للغة الفرنسية داخل فرنسا وخارجها وللغات الأساسية والأسس اللغوية ذات الصلة بالفرنسية وللمفاهيم الكبرى التي توضح تاريخ الكلمات أو سيرتها .

فبعد أن فقد سكان هذه المنطقة الغربية من القارة الأوروبية لغتهم السلتية : langue celtique التي شاع استخدامها من فجر التاريخ ، بدأوا يتحدثون منذ القرن الأول قبل الميلاد – بفضل الغزو الذي قاده القائد الحربي العبقري يوليوس قيصر

Jules César (١) – اللغة اللاتينية ، ولكنها لاتينية مشوهة بصورة كبيرة . وفي غضون ستة قرون تطورت اللغة اللاتينية العامية الدارجة إلى نوع من اللغات المستهجنة . هذه اللغة دخلت في منافسة مع لغات جرمانية كان يتحدثها الألمان والبورجاند وخاصة الفرنسيكيون Les Francs (٢) هذه الفصيلة الجرمانية قامت بتأسيس سلطة سياسية في فرنسا بعد أن تمكنت من التغلب على الحكم الروماني القائم بها وأعطت اسمها لها .

وبعد ظهور عدد من الشواهد المتفرقة : السياسية يمثلها Serments de Strasbourg (٣) والدينية ويمثلها العمل المتواضع والموغل في القدم Sainte Eulalie Cantiléne فإنه في نهاية القرن العاشر ، أي منذ ألف عام برزت اللغة الفرنسية القديمة ، وقد أصبحت قادرة على استيعاب الجمال الأدبي فصارت تشيد بالإله الرحيم الذي تدعو إليه المسيحية وتتغنى بعظمة القديسين ومن هذه الأعمال : آلام المسيح Passion du Christ وحياة القديس لاجيه Vie de Saint Lger .

وبعد انقضاء قرن من الزمان ، ترسخت هذه اللغة العامية الدارجة والتي كانت في سبيلها لأن تصبح لغة راقية – على حد تعبير دانتي عند حديثه عن اللغة الإيطالية – أمام اللغة اللاتينية . وبذلك تكون اللغة الفرنسية تقدمت على شقيقاتها الأوسيتانية والكتلانية والإيطالية التوسكانية التي يتغنى بها دانتي والإسبانية التي تحدث عنها كاستيل ، ذلك أن الغزاة القادمين إلى فرنسا ما لبثوا أن تحدثوا الفرنسية ، هكذا الحال

---

(١) هو من أعظم قاصلة روما ، استطاع إقامة إمبراطورية رومانية مترامية الأطراف شملت مناطق واسعة من أوروبا وأجزاء من شمال أفريقيا حتى صار بمثابة حاكم للعالم بأسره .

(٢) هم شعب من الشعوب الجرمانية التي تسكن الضفة الشرقية لنهر الراين ، خارج حدود الإمبراطورية الرومانية ، يتألف هذا الشعب من أعراق مختلفة ، وتعود اللهجات التي يتحدث بها إلى الأسر اللغوية الهندية – الأوروبية ، تمكن من القرن الخامس الميلادي من توطيد سلطته في فرنسا بعد أن أصبح حليفًا عسكريًا للجيش الروماني في مواجهة شعوب همجية خطيرة .

(٣) هو أقدم نص فرنسي محفوظ حتى الآن ، وهو ليس بنص أدبي ، وإنما هو وثيقة سياسية من الدرجة الأولى تسجل استخدام اللغة الدارجة في الكتابة . يدور النص حول التحالف الذي تم بين حفيدي الملك الفرنسي شارل مان Charlemagne وهما لويس الجرماني Louis Le Germanique وتشارلز لوشوف Charles Le Chauve ضد أخيهما الأكبر لوتير lothaire الحاكم للمنطقة الوسطى بين منطقتي حكمهما (المنطقة الجرمانية للأول والفرنسية للثاني) .

بالنسبة للإسكندينافيين الذين غزوا نورمنديا La Normandie في منتصف القرن العاشر . في هذه المنطقة فقدوا لغتهم الأم ليتحدثوا بلهجة قريبة من الفرنسية . والأدهى من ذلك أنهم بعد أن تمركزوا في إنجلترا بعد عام ١٠٦٦م ، استخدمت طبقة النبلاء والسلطة الحاكمة هناك نفس اللغة المعمول بها في القارة الأوروبية وهي الانجلو - نورماندية والتي تقترب بشدة من اللغة الفرنسية وذلك حتى القرن الرابع عشر . وهذا هو الفصل الأول من توسع شاق للغة البارسيين حتى تصل إلى الفركفونية الحديثة .

وفي نهاية القرن الحادي عشر حيث يتغنى الأدباء بماض ملحمي يعج بالاضطرابات ، وبحاضر يسوده العنف وتسيطر عليه طبقة النبلاء ، ظهر أول عمل رائع هو أنشودة رولان [1] Chanson de Roland الذي يعد باكورة مجموعة هائلة من الملاحم نظمت إبان النظام الإقطاعي .

وبداية من هذه الفترة بدأ التعبير عن نوعين رائعين من الأدب ، أدب الشمال القائم على لهجات تنطق بها (oui) وهي لغة (oil) وأدب الجنوب الذي يتغنى لغة (oc) . هذا الشقيق الأوسيتاني [2] يعد نبعًا حيًا لقرون من الشعر الغنائي الأوروبي إلى جانب الميراث السلتي الذي يتردد صداه في اللغات الرومانية والجرمانية . ويبدو هذا الامتزاج في أسطورة الحب الملحمي لكل من الملك إرتير وبرسفل وتريستان وإنسلت .

ونتيجة لتعرض اللغة الفرنسية لتقلبات التاريخ التي وضعتها في مفترق موحيات العبقرية الأوروبية المختلفة ، طرأ عليها تحول أقصاها عن اللاتينية وفروعها الأكثر التصاقا بها : الإيطالية والإسبانية . ولكن تلك المراحل الوسيطة للغة الفرنسية الممتدة من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر والتي شهدت استخدامات متغيرة ومتطورة تعد هي الأخرى مرحلة إبداعات رائعة ابتداءً من ريتبف إلى فيون ومن

---

(١) هذه الأنشودة تعد من بين أقدم الأناشيد التي تروي المآثر الحربية ، وهي من حادث بسيط . هذا الحادث تحول إلى أنشودة ملحمية تبتعد عن الحقيقة لتتغنى بالقادة الفرنسيين وتبالغ في تعظيم مآثرهم ، ولكن يظل كاتب هذه الأنشودة مجهولاً ولا يُعرف عنه سوى أنه رجل مثقف وفنان ومبدع .

(٢) تتألف اللغة الأوسيتانية من اللهجات الرومانية المشتقة من اللاتينية والتي يتحدثها السكان في النصف الجنوبي من فرنسا .

جونفيل إلى فروسار ومن مارو إلى رابلاه .

والمجتمع يتغير بتغير العقول التي تعكسها الكلمات وبظهور تقنيات جديدة للاتصال على الأراضي الجرمانية القريبة جدًّا من فرنسا . ويبدأ مستقبل المجتمعات الحديثة في التشكيل وهذا هو بداية « كوكبة جيتمبارج » (١)

في ذلك الوقت اتسمت اللغة الفرنسية بقوة زادتها فخرًا بما استمدته من كلمات مقترضة استوعبتها بصورة كبيرة من اللاتينية الدينية واللاتينية الكلاسيكية واليونانية ، ولكن في نفس الوقت بدأت اللغة الفرنسية في الابتعاد عن اللغات التي اشتقت منها . وتتمثل هذه الحركة في الإثراء الإنساني لعصر النهضة والذي تم في مرحلة مضطربة ودامية وملهمة أفضت إلى لغتنا الحديثة وإلى ما تعبر عنه من ثقافة .

وبعد المرحلة الباروكية (٢) الغزيرة ، فإن أوج ازدهار الكلاسيكية يتمثل في ضبط محكم ورائع للغة أدى في نفس الوقت إلى فقرها . غير أن عصر لويس الرابع عشر كان يتميز بالتناقض أكثر مما يبدو ، فاللغة الفرنسية كان لا بد لها أن تتكيف مع عالم بأسره وليس مع ثقافات إقليمية فحسب ولا مع دولة واحدة ، كما أن كل المجالات تتطور تطورًا سريعًا : المجتمع - السياسة - العلوم - التقنيات . ومنذ القرن الثامن عشر الذي شهد توطد سيادة اللغة الفرنسية على أوروبا فإن أيدولوجية وثقافة العالم الأنجلو ساكسوني كانت بالغة القوة .

وفي عصر الفلاسفة الذين جددوا الفكر الاجتماعي ومهدوا الطريق لحدوث انقلاب جذري اكتسبت اللغة الفرنسية ما يثريها كما شهدت فقرًا في بعض جوانبها .

وبعد عام ١٧٨٩م يتأكد تفرد اللغة الفرنسية ، هذا التفرد الذي شكله النظام القديم قبل الثورة ولكن بصورة أكثر جلاءً ووضوحًا .

ومنذ الثورة الفرنسية يبدأ قرنان من الثراء المعجمي المستمر للغة ومن ثم يستقر استخدامها في فرنسا وفي الدول الفرنكفونية في عصرنا الحالي .

---

(١) هذا المفهوم وضعه عالم الاجتماع الكندي Marshall Mcluhan ، وهو عنوان لعمله الأساسي الصادر عام ١٩٦٢م . ويعد جيتمبارج مخترع الطباعة ذات الحروف المتحركة في القرن الخامس عشر الميلادي ، هذا الاختراع الذي أحدث انقلابًا في تاريخ الإنسانية .

(٢) يطلق هذا المصطلح على الأدب الفرنسي إبان حكم هنري الرابع ، وتتميز الإبداعات الأدبية الباروكية بحرية بالغة في التعبير على عكس الأسلوب الكلاسيكي .

إن هذه المسيرة الممتدة عبر ألف عام والتي سجلتها بتأنٍّ المغامراتُ التي خاضتها مفردات لغتنا هي التي يذكرها هذا المصنَّف ويرسم معالمها .

المنهج :

يتميز المنهج المعتمد في هذا المعجم بالبساطة . فكل مادة من مواده ، باستثناء المقتطفات الموسوعية ، تصف وحدة من وحدات اللغة الفرنسية الحالية ، وتنقسم إلى قسمين أو ثلاثة أقسام .

فإذا لم يكن للكلمة أية مشتقات فإن معالجتها تستغرق فقرتين : الأولى تتناول أصولها قبل ظهور اللغة الفرنسية (تلي المدخل مباشرة) والثانية (ويسبقها هذا الرمز ◆) تصف تاريخها

وإذا أردف المدخل بأحد الرمزين L أو G فهذا يعني أنها كلمة موروثة شفاهًا عن اللاتينية العامة التي كان يتحدثها الغاليون L أو الجرمانيون أو الفرنسكيون G بصفة عامة .

وإذا لم تستخدم هذه الرموز عند ورود الكلمة فهذا يعني أنها مقترضة من اللاتينية أو اليونانية أو من لغة حية أخرى .

وأخيرًا فإن الرمز ? يوضح لمن يدفعه الفضول أن أصل الكلمة الفرنسية مجهول أو مثار جدل شديد .

وتوضح الفقرة الأولى للقارئ تاريخ ظهور الكلمة في اللغة الفرنسية ، أي تاريخ أول شاهد معروف ورد في نص ما ، كما تلقي الضوء على صورتها الأصلية (أصل الكلمة) والمراحل التي مرت بها حيث تقوم بتعميق البحث في أصل الكلمة حتى جذورها – الهندية الأوروبية في الأغلب – إذا أمكن ذلك ، ويوصف طرق وصولها إلى الفرنسية في حالة معرفتها . إن أصول الكلمات المؤكدة قد تم التحقق منه من خلال ميراث قديم . كان علماء الآداب القديمة في عصر النهضة المصدر الأول له ، أعقبهم جيل مناج Gilles Ménage في القرن السابع عشر ولغويو القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر . وفي القرن التاسع عشر أسس فردريخ ديز علم التأصيل Etymologi القائم على أساس علم اللغات الرومانية . وفي القرن العشرين قام ولتر فان ورتبرج في كتابه Französisches etymologisches Wörterbuch بإعداد دراسة تحليلية رائعة لكل اللغات الغالية – الرومانية وخاصة تلك التي صارت فيما بعدُ

اللغة الفرنسية المحلية . إن هذه المصادر التي يجب أن نضيف لها المصنف الموجز والرائع (القاموس التأصيلي للغة الفرنسية) Le Dictionnaire étymologiste de la langue française لأوسكر بلوك وولتر فان وتبرج ، وذلك المعجم الذي يثري كافة المراجع الحديثة .

بيد أن بعض علماء التأصيل اللغوي قد انتقدوا بعض الافتراضات السابقة من بينها تلك التي وضعها ورتبرج . فقد حاول - أحدهم - وهو خيالي ومثار جدل - أن يلقي الضوء على المناطق الرمادية لمفردات لغة الغاليين ، هذا العالم هو بيار جيرو . وإذا جاء ذكره كثيرًا في هذا المصنف فهذا يرجع لكون افتراضاته تبتعد عن هذا المذهب الموروث كما تخضع لنظرية متماسكة ومترابطة لتاريخ اللغة الفرنسية ، ولكن يتعين على القارئ أن يعي أن واضعي هذا الميراث أمثال مناج وديز وسكشردت وورتبرج ومن رافقوهم وتبعوهم - وهم كثيرون - أمثال كرت بلدنج هم الواضعون الحقيقيون بلا جدال للغالبية العظمى من أصول مفردات لغتنا . لن يثير دهشتنا إذًا هذا التوافق القائم بين هذا المصنف وكبرى المعاجم العامة للغة الفرنسية الصادرة حديثًا ، وهي : Le Grand Larousse de la langue Française Le Grand Robert, Le Trésor de la langue Française.

ذلك أن الملاحظات التاريخية الواردة في المصنف الأخير والثرية بالتحليلات المتعلقة بدلالة المفردات وأساليب الجمل - والتي تمثل تجديدًا هامًّا - قد تم الاستعانة بها واستخدامها كمكمل لمعجم (grand Wartburg) ويسعدنا أن نتوجه بالشكر والامتنان لمؤلفي معجم Le Trésor de la langue Française .

وهذه المصادر هي ذاتها التي استعنا بها في الفقرة الثانية من مواد المعجم والمخصصة لتاريخ الكلمة في اللغة الفرنسية ؛ حيث تصف وفقًا لترتيب زمني على وجه العموم ، مغامرات معاني المفردات وتكوين العبارات الأساسية وتطور القيمة الاجتماعية للكلمة . وتحتوي هذه الفقرة على العديد من الإشارات الزمنية (التواريخ) التي تحمل قيمة متغيرة يجدر بنا التعليق عليها (انظر فيما بعد) .

أما بالنسبة لأصل الكلمة فقد قمنا غالبًا - بالنسبة للمفردات المتوارثة من اللاتينية - بتحديد التشابهات بين الفرنسية واللغات الأخرى الرومانية خاصة الإيطالية والإسبانية والإوسيتانية والكتلانية والبرتغالية ، فكثيرا ما يتم ذكر العلاقات

القائمة بين اللغة الفرنسية وأشقائها البعيدين عنها كالأشقاء الألمان والجرمانيين (الألمانية والهولندية والإنجليزية واللغات الشمالية) والسلتية والبلطية والصقلية وذلك عند العودة باللاتينية واليونانية إلى الجذور البعيدة .

بالنسبة لتأصيل المفردات لما قبل اللاتينية واليونانية ، ولأننا نشير إلى مجموعة واسعة من الأصول الإندوراوربية فإنه ينبغي التذكير ببعض المعطيات :

إن المعاجم الفرنسية المتعلقة بعلم التأصيل تتوقف غالبًا عند الأصل الأول للكلمة ، أي عند الكلمة اللاتينية التي اشتقت منها الصيغة الفرنسية على سبيل المثال .

ولكن هناك استثناءات لهذه القاعدة مثل معجم Le Dictionnaire de raciness inddoeuropéennes لجراند دي هوتريف (وهو كتاب للعامة في فرنسا لا يقتصر على اللغة الفرنسية) ومعاجم أخرى كثيرة تقترب من حيث الموضوع مثل معجم Le Dictionnaire étymologiste لجاكلين بيكوش الذي يضم بصورة جريئة وبأسلوب غاية في الإيحاء الصيغ الإندوأوربية المتقاربة أيًا كانت لاتينية أو يونانية .

ولكن هذا المعجم يخطو بحذر في هذا المجال . فهو يذكر ما اتفقت عليه المصادر الكبرى المتوافرة حول تكوين مجموعة اشتقاقية . ففي حالة اتفاق كل من بوكرني – مؤلف المعجم المهم للصيغ الهندية الأوروبية – وإرنو وماياه ، علماء التأصيل للغة اللاتينية على اعتبار مجموعة ما محتملة أو مؤكدة ، يمكننا إذن أن نعتبر هذه المجموعة منطقيًا مجموعة مؤكدة غير أن آخرين أقل معرفة يريدون الذهاب إلى أبعد من ذلك ويكادون – كما فعل علماء التأصيل الألمان في بداية القرن التاسع عشر أن لا يذكروا سوى أشباح لهذه المجموعات . إن الحكمة تتمثل في الاستماع إلى رأي أنطوان ماياه الذي يذكرنا بأن التشابهات من حيث الصيغ والمعاني يمكن أن يكون لها تأويلات أخرى غير وجود أصل مشترك لها . ومن هذه التأويلات الممكنة : التأثيرات المتبادلة والاقتراض والتفاعلات الدلالية والشكلية في حالة وجود علاقة ملموسة بين اللغات المعنية إذن لا يمكن للافتراض أو الاحتمال أيًا كانت قدرتهما التأويلية أن يُسجلا على أنهما حقائق .

ففي اللغات الهندية الأوروبية المقارنة ، فإن مصادرنا – بالإضافة إلى ما سبق ذكره : ماياه وإرنو وشونترن– تتمثل خاصة فيما كتبه بنفنيست وديميزيل اللذان يعدان من بين أعلام هذا المجال ودائمًا ما أخذا بعين الاعتبار الأبحاث التي نهض بها

من سبقوهم حتى ولو كان ذلك في سبيل توجيه النقد لهم . فعلم التأصيل يعد ميراثًا يمتد عبر الأزمنة ويتطلب كثيرًا من الصبر .

المجموعات الاشتقاقية :

في العديد من مواد هذا المعجم تخصص فقرة ثالثة (موضحة بالرمز ◀) للمجموعة الاشتقاقية التي ينتمي لها المدخل . فهي تتضمن إذًا فروعًا لهذا المدخل تتمثل في المشتقات والمركبات الفرنسية للكلمة ، بالإضافة إلى كلمات مقترضة من مشتقات ومركبات للجذر (اللاتيني في الغالب) . وإذا كانت هذه المشتقات تنطوي على تفسيرات غير متوقعة عند استخدامها الذي يبرز علاقات مندثرة في الوقت الحالي ، فإن المدخل الرئيس يقترن بالرمز ❖ هذا يعني أنها كلمة شهدت تطورًا عظيمًا ، أثمر هذا التطور عن تشكيل مجموعة اشتقاقية تتكون من مفردات ذات معانٍ غير متجانسة وغير متوقعة بصورة تثير الدهشة .

ومثال ذلك مادة Bille (أي لوح من الخشب أو كرة صغيرة) التي تتكون من ٢٨ كلمة متقاربة تحمل معاني غير متوقعة ؛ مثل : habiller (وتعني لبس) ومشتقاتها . والحال نفسه بالنسبة لـ Blé (القمح) التي تولدت عنها déblayer (تعني إزالة الأنقاض) و remblayer (تفيد ردم حفرة بالتراب) وغيرهما .

وبالنسبة لكثير من الكلمات المتقاربة والمشتقات فإن أصل الكلمة يتضح تلقائيًا ، وإذا لم يستشعره القارئ بوضوح يتم تفسيره وإلّا فيفهم ضمنيًا .

مثال : border (تعني أحاط) وهي مستمدة من bord تعني (الحافة) و billeterie (تفيد عملية إصدار أو تسليم التذاكر) وهي مشتقة من billet (تعني تذكرة) .

وتوضح معالجة فروع كل مدخل تاريخ الكلمة المشتقة تفصيلًا كما هو الحال بالنسبة للمداخل الأساسية كما أن هذه الفروع المشتقة من المدخل الأساسي يمكن أن تكون أصلًا لمشتقات أخرى يتم التعليق عليها أيضًا .

إن المواد المعقدة يمكن قراءتها مثلما تقرأ شجرة الأنساب ، وبالفعل تجسد بعض الرسوم البيانية ذلك البناء في المعجم .

ومثال على ذلك فإن مادة bille المذكورة آنفًا يمكن عرض البيانات الخاصة بها

كما هو موضح في الشكل التالي :

Bille

المركبات Composés

المشتقات Dérivés

Billette حطبة

Billon لوح خشب صغير Billonner-ement-age قطع أخشاب الشجر

Billot وَضَم – دعامة السفينة – قاعدة السندان

Billard لعبة البلياردو

Habiller لَبس

Hobillement- age إلباس

eur مُلبِس

Rhabiller ألبس ثانية – ement ارتداء

age الثياب ثانية

Déshabiller جزء من الثياب

Deshalille لباس البيت

age juvdm جرد من الثياب

ويتم إبراز المشتقات أو المركبات الأولى للكلمة من خلال فقرة أو الرمز ◆ والمشتقات التالية غالبًا ما تقترن بهذا الرمز ◇ . إن هذا التدرج من فقرة إلى ترقيم ثقيل ◆ ثم آخر ضعيف ◇ يفيد في تفصيل النص وتسهيل البحث في المعجم سواء فيما يتعلق بتاريخ كلمة معقدة أو بالمجموعة الاشتقاقية للمفردة .

إن هذا التدرج مرن ، وقد عمدنا إلى هذا الخيار عوضًا عن التسلسل العددي الصارم الذي تقتضيه تعقد مناهج المعاجم العامة ، إن ما يسود في هذا المنهج ليس الترتيب المنطقي وإنما الترتيب التاريخي أو بالأحرى الفوضى التاريخية التي يسجلها الزمن ، تلك الفوضى التي إذا اتضحت منطقيتها فإنها تبرز بصعوبة في مواضع أخرى .

إن الكلمة وهي علامة الفكر والواقع قد رجحت انعدام النظام والاعتباطية على المنطقية التي تميز قواعد اللغة .

التاريخ :

إن المادة الواردة في هذا المصنف موثقة بالكثير من التواريخ التي نقدم توضيحات بشأنها وسنجد في الجزء المعنوي DATATION (أي التأريخ) وجهة نظر عالم التأصيل اللغوي في هذا الشأن . كما يجدر بنا أيضًا تحديد ما يمكن أن تكون عليها وجهة نظر القارئ . إن هذه الإشارات التاريخية المرفقة بالصيغ والمعاني والعبارات - سواء كانت ترجع إلى ألف سنة أو إلى قرن من القرون - ليست إلّا التواريخ التي تعود إليها النصوص المخطوطة ثم المطبوعة ، في مجال الأدب أو في مجال آخر ، تلك النصوص التي وردت بها لأول مرة العلامة اللغوية محل البحث . وتتنوع قيمة الإشارات التاريخية بتنوع المصادر التاريخية المستقاة منها .

إن أقدم هذه المصادر يعود إلى القرن التاسع والقرن العاشر وفقًا للتسلسل الزمني للنصوص التي وصلت إلينا في صورة مخطوطات . فعام (٨٤٢) يعد تاريخًا محددًا لكتاب أقسام ستراسبورج أما (نحو ٩٨٠) فيعد تقديرًا لتأليف (آلام المسيح) وعام (١٠٨٠) أيضًا بالنسبة لـ (أنشودة رولان) الشهيرة التي يعود بها البعض لنحو ١١٠٠ . ودون التعليق على صعوبة تأريخ هذه النصوص وحتى المخطوطات التي تناقلتها ، فإننا سنؤكد على وضوح السمة الاعتباطية لهذه المراجع فحتى القرن الحادي عشر كانت مفردات اللغة ثرية وحية ولكن لا تمثلها سوى شواهد مكتوبة نادرة للغاية ، على الرغم من أن اللغة اللاتينية كانت تسيطر في هذه الفترة على الغالبية العظمى من المعمورة . تقل إذًا فرصة العثور على هذه الشواهد على الرغم من وفرتها . أما مفردات اللغة في القرن الثاني عشر والثالث عشر فقد تم ضبطها والإلمام بها على نحو أفضل .

إن هذه التواريخ المتعلقة باللغة الفرنسية القديمة تتمثل في نصوص غالبًا ما يعتمد تأريخها على الظن والترجيح . فعام ١٠٦٠ لا يعد سوى اتفاق مناسب ومحتمل للشواهد الخاصة بأنشودة رولان . فلن تثير دهشتنا بعض المعطيات أو الأحكام التي تفتقر للدقة ؛ مثل : نحو هذا التاريخ أو في منتصف القرن الثاني عشر أو في النصف الثاني من القرن الحادي عشر أو في نهاية القرن الثاني عشر ... إلخ . وأحيانًا يكون

التاريخ أكثر غموضًا مثل (القرن الحادي عشر - القرن الثاني عشر ...) كما أن ازدواجية التواريخ الألفية توضح أيضًا انعدام الدقة ، مثال عامي ١٣٠٠ - ١٣٥٠ اللذان يؤرخان كلمة (Bouchon) هذا التاريخ يمكن استبداله بالنصف الأول من القرن الرابع عشر ولكنه ينطبق بصورة أدق على تحديد فترة محتملة لظهور النص فكلمة (boucle) نجد أن معناها مرفق به هذا التاريخ ١١٦٠ - ١١٩٠ وقيمة كلمة (bouclette) بـ ١١٦٠ - ١١٧٠ وأخرى بـ ١٢٦٨ - ١٢٧١ فتاريخ كل كلمة من هذه الكلمات يعود إلى نص دُوِّن (أو أعيد تدوينه) في الفترة الممتدة بين هذين التاريخين لا إلى فترة استخدام الكلمة . وكذلك بالنسبة إلى التأريخ بعبارة (قبل) ، التي يجب أن تقرأ على أنها السنوات التي سبقت تاريخًا ما .

إن تفسير المراجع كما هو الحال في المعاجم المتخصصة جدًّا قد يفضي إلى مصنف يصعب قراءته وإلى معلومات منغلقة على القارئ غير المتخصص لذلك فضلنا وضع ملحق للمعجم يتضمن مطابقة بين التواريخ الواردة فيه والنصوص الأساسية التي استند إليها . ونستبين أنه قبل ظهور الطباعة وأحيانًا بعدها تتميز هذه الإشارات التاريخية بكونها غير دقيقة ومثارًا للجدل . وهذا وضع طبيعي بالنسبة لعلم تاريخي . إلاَّ أنه منذ ظهور الصورة الوسيطة للغة الفرنسية وانتشار الطباعة (القرن الخامس عشر والسادس عشر) يعد التأريخ عملية ميسرة وأصبح استخدام الألفيات القاعدة المعمول بها . ولكن في حالة ظهور الكتاب بعد فترة طويلة من تأليفه - وهو المعيار الأنسب بكثير لتحديد تاريخ الكلمات - تصعب عملية التأريخ . وهذا ما ينطبق على الكتب المطبوعة بعد وفاة المؤلف فعبارة (قبل هذا العام) تعني قبل العام الذي توفي فيه المؤلف لا التاريخ البيبلوغرافي المتأخر للغاية . ولكن بفضل المراسلات والمؤلفات التي تأرخت بدقة عند تأليفها ، نجد إشارات من المفترض أن تكون دقيقة بالنسبة لنصوص كتبت قبل فترة طويلة من طبعها . في هذه الحالة تشير القائمة الواردة في نهاية المعجم إلى أول عام بدأت فيه المراسلات أو المذكرات أو السير الذاتية محل البحث والمدة التي استغرقتها . والأمر كذلك بالنسبة للصحف التي يمكن من خلالها - إذا كانت ذات قيمة - تأريخ الشواهد بالشهر والأسبوع وتقريبًا باليوم (وقد استعان معجم Littré بهذه المصادر مستندًا على الجريدة الرسمية ملحقه الصادر عام ١٨٧٧م) .

إلى جانب هذه الإشارات النصية المؤكدة أو المحتملة ، يوجد نمط آخر يتعلق بما تم وضعه من مصنفات وقوائم ومصطلحات ومفردات للغة ومعاجم . هذه الإشارات تعد بالتأكيد لاحقة على الدخول الحقيقي للكلمة حيز الاستخدام ؛ لذا لا نكثر من الاستعانة بها في توضيح الإشارات التاريخية إلا في حالة عدم توافر فرز حقيقي للنصوص التلقائية .

ويتعين علينا أن نأخذ بعين الاعتبار هذا الأمر عند التعامل مع المصنفات الأكثر ثراء مثال المعجم الفرنسي - الإنجليزي لكوتجراف (١٦١١) ومعجم ريشلاه (١٦٨٠) ومعجم فرتيار (١٦٩٠) والموسوعة (١٧٥١ - ١٧٨٠) ومجموعة ترافو (١٧٣٢- ١٧٧١) ومعاجم البشرل (١٨٤٥) وليتراه (١٨٦٣ - ١٨٧٢) و المعجم المحيط لبير لاروس (١٨٦٦ - ١٨٧٨) لذلك عندما تكون الإشارة التاريخية متأخرة مقارنة باستخدام سابق ومحتمل فإننا نحدد أنها تتعلق بورودها في معجم لا في شاهد تلقائي .

إذا كانت الكثير من التواريخ متأخرة للغاية بالنسبة للاستخدام الحقيقي للمفردات والمجهول جزئيًا ، فإن هناك تواريخ أخرى وردت في معاجم تاريخية سابقة تعد الآن محل نقد ويجب أن تلغى أحيانًا ، وهذا ما ينطبق على الفقرات المعدلة منها وعلى النصوص المطورة التي تتميز صورها الأولى بالفقر اللغوي ولا تحتوي على كافة الأشكال التي سجلتها طبعة لاحقة أو مخطوط تالٍ قد تم إثراؤه ، كما أن هناك تواريخ أخرى لا تستند سوى إلى مصداقية عالم تأصيل لم يذكر مصادره (ومن هذه الفئة التواريخ الواردة في معاجم دوزت وبلوك ووَرتبرج) . وقد حرصنا كل الحرص في هذا المعجم على العناية بهذه الانتقادات وعمليات الضبط التي نمت إلى علمنا . لكن البحث والنقد اللغوي يستمران دون توقف .

إلى جانب هذه الإشارات المنقوصة والتي هي محل مراجعة ، تتميز تواريخ أخرى بالدقة خاصة تلك المتعلقة بالفرنسية الحديثة وبالمصطلحات العلمية والتقنية . فقد وصل تاريخ الصفة « روماني » في مجال الفن إلى حد تحديد الأسبوع ، كما يعد تاريخ ظهور مفردات الكيمياء الحديثة التي ترجع إلى أجيتون ومورفو معروفًا على وجه الدقة ، والحال نفسه بالنسبة لمفردات مجال الكهرباء المقتبسة من الإنجليزية إلى الفرنسية بفضل فارادي ... إلخ ، هذه الدقة تعد مميزة لتأريخ المصطلحات الموضوعة

للاستجابة لحاجات مفاهيمية والتي لا يمكن أن تخضع للتطور التلقائي لمفردات اللغة ككل .

يبقى أن اللوحة الزمنية لمفردات اللغة الفرنسية التي حصلنا عليها من خلال البحث اللغوي وأوردناها في هذا المعجم تعد مناسبة للغاية ، على الأقل فيما يتعلق بالصيغ (الكلمات) . والدليل على ذلك صعوبة إدراج تاريخ ما في المعجم إلاَّ في بعض المجالات التي لم تحظَ ببحث جيد مثل اللغة الشعبية القديمة على الرغم من ذلك فإن الشواهد الخاصة بالمعاني والقيم والعبارات تظل مؤقتة وستلقى تحسينات مستقبلية تبعًا لما يجرى من أبحاث .

إن جميع المصادر المنشورة بصورة سليمة قد استعنا بها في هذا المعجم ، بل إن أعمالًا أخرى لم تنشر بعد قد وصلتنا . وإنني لأوجه خالص الشكر والعرفان للباحثين الذين يسروا لنا الحصول عليها . وبالتأكيد فإن مؤلفي هذا المصنف قد قدموا مساهمتهم فيما يتعلق بالبحث عن أول شاهد ، هذا الشاهد الذي يحظى بأهمية كبيرة خاصة بالنسبة لتاريخ الكلمة ولا سيما تاريخ استخدامها .

مقالات موسوعية ورسوم بيانية :

إن هذين الخطين – الأصل والتاريخ – يربطان الحاضر بالماضي ليعيدا وحدة دعامة الثقافة الفرنسية بالمعنى اللغوي لهذه العبارة لا المحلي له . وحتى يتمكن هذا المعجم من الوصول بالقارئ إلى الانطباع العام بتطور اللغة من خلال مفرداتها ، فقد أرفقنا بالمواد التي تفسر تاريخ الكلمات مقالات أكثر تحليلًا تتعلق باللغات (الكتلانية والأوسيتانية والإيطالية والألمانية واللاتينية واليونانية والإنجليزية والبسكية) والأسر اللغوية ؛ (الهندية الأوروبية والجرمانية وبالتأكيد الرومانية) ذات الصلة باللغة الفرنسية (فاللغة الفرنسية وانتشارها قد حظيا أيضًا بوصف تاريخي) . كما تتناول هذه المقالات بعض المفاهيم اللغوية ؛ مثل : الاقتراض ، الصور البلاغية ، اللغة الاصطلاحية . بعض هذه المقالات كتبها بعض محرري هذا المعجم والبعض الآخر كتبه محررون آخرون . وإنني لأتقدم بالشكر لهم لما أبدوه من تعاون .

وفي الملحق قائمة مستفيضة توضح للقارئ المعنى الدقيق للمصطلحات المستخدمة في هذا المصنف . كما أن المطابقة بين التواريخ والنصوص المستشهد بها تلقي الضوء على الكم الهائل للنصوص المستخدمة والتي يمكن الاستفادة منها حتى

الآن ؛ لأن الكثير منها لم يتم استثماره كما ينبغي أن يكون ذلك .

كما أن الرسوم البيانية الموضحة في مواضع عديدة من المعجم لا تزينه فحسب وإنما تجسد بيانًا للعلاقات القائمة بين القوالب والمعاني عبر الزمان . ويمكن للقارئ وضع رسوم بيانية أخرى من خلال المعلومات الواردة في المعجم .

اللغة والثقافة :

تلك هي أهداف المعجم ومناهجه الأساسية في سبيل استعادة تلك المغامرة المزدوجة لتاريخ اللغة والثقافة ، الأولى تتعلق بتشكيل نسق اجتماعي مشترك يتكون من مفردات مستقاة من تاريخ لغات أوروبا المتشعبة وتاريخ القارة الأوربية نفسها فكل من الهجرات والغزوات والتأثيرات المتبادلة والتفاعلات ومظاهر قبول المعنى أو رفضه ، وموته أو إحيائه على مر ألفين أو ثلاثة آلاف عام قد تركت بصمتها على هذه الصفحات . أما المغامرة الأخرى فتتعلق باللغة الفرنسية نفسها . فبعد الاندثار الغامض للغة الغالية وبعد البدايات المتعثرة لأولى اللهجات الرومانية للغاليين ، استمرت اللغة الفرنسية القديمة والوسيطة على مر ألف عام من الزمان (منذ نهاية القرن العاشر وحتى نهاية القرن السادس عشر) ، ثم تلتها اللغة الفرنسية الكلاسيكية والحديثة داخل أوروبا ومنذ القرن السادس عشر إلى خارج الحدود الأوروبية . ومن ثم فإن اللغة الفرنسية تعج بشواهد عديدة تتعلق بالأدب والفكر والعلوم وبكل سبل الاتصال الاجتماعي .

إن انفتاح اللغة على الثقافة والأفكار والمشاعر الجمعية يجعلنا نجد في علامات اللغة أدوات للتعبير والتواصل ، أدوات لقول الحقيقة وأخرى للكذب ، أدوات للمدح وأخرى للهجاء ، وأدوات للإقناع وأخرى للخداع ، كافة الصور البلاغية الاجتماعية ، لغة السلطة والمال الجامدة ، لغة المؤسسات الجافة ، اللغة المعسولة واللغة اللاذعة ، اللغة الراقية واللغة البذيئة ، قد أوردناها في هذا المعجم لنستدل على قدرات المفردات التي لا تنضب .

هذه الكلمة أو تلك يُهيأ لنا أننا نستخدمها بينما هي التي تقودنا بهذه الشحنات التي وضعها التاريخ في الأصوات والحروف . فالمفردات تعد إذًا مخزنًا للطاقة .

فوراء ما جمعناه في هذا المعجم واستعرضناه من معارف ومعلومات تكمن أفكار ومشاعر مجتمعات بشرية متتالية ، أي تراث انفعالي وروحاني هائل حاولنا استدعاءه

في هذا المصنف . فكل الشكر لأبسط كلمات اللغة الفرنسية وأوغلها في القدم لما حملته لنا – نحن متحدثي اللغة الفرنسية اليوم – من كنوز ماضٍ مشترك .

أن هذه الطبعة من المعجم – بخلاف أنها تمثل عرضًا مركزًا ووجيزًا – فهي تشتمل على مراجعة للنص وإثراء له يعني بالتطورات الأكثر حداثة لمفردات اللغة الفرنسية التي تعد انعكاسًا للتطورات التي يشهدها المجتمع .

إرشادات عامة :

◆ تشير هذه العلامة إلى اسم ينطوي الاشتقاق منه على تفسيرات غير متوقعة ، حيث إن مجموعة المفردات التي انحدرت منه اكتسبت قيمًا وأصبح لها وظائف ومعانى لم تكن متوقعة .

مثال : ◆ bille (تعني قطعة من الخشب) و Ban (إعلان وإشهار) .

Ⓛ تعني هذه العلامة أن الكلمة ذات أصل شعبي لاتيني ، أي أنها كلمة فرنسية منحدرة شفاهًا من اللاتينية الدارجة في بلاد الغاليين منذ القرن الرابع والخامس الميلاديين ، وذلك من خلال تطور صوتي بطيء . هذه الكلمات الموروثة تمثل الخلفية التاريخية الحقيقية للغة الفرنسية . وقد كثرت هذه الكلمات في اللغة الفرنسية القديمة ، ولكن الكثير منها اندثر وغالبًا ما حلت محلها كلمات مقترضة ، وما تبقى منها يرد كثيرًا في الاستخدام الحالي للغة الفرنسية . هذه الكلمات تشير إلى حقائق أساسية .

مثال : eau (أي الماء) هذه الكلمة انحدرت من اللاتينية aqua بطريقة نجهلها اليوم .

Ⓖ . يشير هذا الرمز إلى كلمة ذات أصل جرماني ، وفي الأغلب فرنسكي Francique . تمثل هذه الكلمات إسهام الفرنسكيين Les Francs الذين ، بعد أن سيطروا على بلاد الغاليين La Gaule وأسسوا دولة فرنسا تبنوا اللغة الرومانية التي يتحدثها سكان البلاد الأصليين بعد أن أضفوا عليها مساهماتهم .

مثال : bleu (تعني اللون الأزرق) .

◆ تشير هذه العلامة إلى كلمة مؤكد أنها ذات أصل غالي .

هذه العلامة تشير إلى كلمة ما زال أصلها مثارًا للجدل . هذا الرمز يخص

الكلمات الفرنسية التي ما زال أصلها - المتعارف عليه - غير مؤكد ، ولكنه لا يشير إلى جميع الكلمات ذات الأصل المنغلق . كما أن الكلمات اللاتينية وعلى الأخص الكلمات اليونانية التي تولدت عنها مفردات لغتنا أو اقترضت منها تبدو مشروحة بصورة غير متساوية . والأمر كذلك بالنسبة لمصادر الاقتراض من لغات مختلفة مثل اللغة العربية التي ما زال الاقتراض منها غير واضح .

فهذا الرمز يخص فقط تأصيل الكلمات الفرنسية . هذه الكلمات تعد محلًّا للعديد من نظريات التأصيل المرفوضة . وتقل هذه الكلمات بصورة تدريجية ، ولكن الكثير منها لا يزال لا تجدي معه جهود علماء التأصيل .

◆ هذه العلامة توضح بداية الفقرة المعنية بتاريخ الكلمة في اللغة الفرنسية (الفقرة الأولى التي تلي المدخل تتناول تأصيل الكلمة) .

◄ تبرز هذه العلامة بداية معالجة المفردات التي تشكل المجموعة الاشتقاقية التي ينتمي إليها المدخل (أصول فرنسية ، مقترضات من اللاتينية ...) إلخ .

◆ تفيد هذه العلامة في تقسيم نص المادة للإشارة غالبًا إلى بداية معالجة مدخل فرعي ينتمي إلى المجموعة الاشتقاقية للمدخل الأساسي أو لإبراز تقسيم هام أثناء معالجة كلمة معقدة .

◇ تشير هذه العلامة إلى تقسيم أدق من المذكور آنفًا ، هذا التقسيم يفصل ظلال المعاني للكلمة الواحدة . كما يبرز خلال معالجة المجموعة الاشتقاقية للمدخل الفصل بين بعض المداخل الفرعية الثانوية .

◈ ترد هذه العلامة في نهاية معالجة المادة ، وتسبق الكلمات التي يقترب أصلها من أصل المفردات التي تم معالجتها قبلها مباشرة .

* * *

نماذج مختارة من المعجم

١ – أفريقي – أفريقية : Africaine, aine صفة واسم :

الصفة مشتقة من اللاتينية Africanus وهي نفسها مشتقة من Africa وتعد صفة قديمة (African تعود إلى عام ١٠٨٠م وأدخلت عليها اللاحقة ain – في القرن السادس عشر الميلادي) .

Africa تعني في اللاتينية الجزء المعروف من هذه القارة عند القدماء ، وهي المنطقة التي احتلتها روما في منتصف القرن الثاني قبل الميلاد والتي أطلق عليها قديمًا عند اليونان Libya ، وتقع هذه المنطقة شرق المغرب .

وفيما بعد (بعد أكثر من قرن من الزمان) ، امتدت Africa لتشمل التوميدي (Africa nova) ثم موريتانيا ولكن بصورة غير رسمية .

وعلى الأرجح فإن اللاتينية Africa واليونانية Aphrikê مستمدة من اسم قبيلة بربرية من أهل المنطقة (تدعى Afer في اللغة اللاتينية وجمعها Ifir) .

وقد ذكرت أصول أخرى كالأصل العربي Afar ويعني الغبار أو الأرض . هذا الأصل مطابق للأصل العبري afar (من اللغة الأكادية epiru وتعني : غبار) . وقد افترضنا ، استنادًا للاستخدام القرطاجي لتسمية القبائل المجاورة لتونس ، أنها منحدرة من أصل بوني (لغة سامية) من الجذر fro ويعني التقسيم ، في إشارة إلى الأراضي المحتلة .

وينحدر المصطلح العربي نفسه ifriqiya من اللغة اللاتينية .

◆ إن الصفة الفرنسية تتطور منذ القرن الحادي عشر الميلادي تبعًا للمعرفة الغربية . وبعد عصر النهضة وخاصة في القرن التاسع عشر الميلادي ، أصبحت هذه الصفة تشير بالأساس إلى منطقة أفريقيا السوداء ، أما شمال أفريقيا فهي مطابقة لاستخدام كلمة بربري ثم كلمة عربي وكلمة مغربي .

◄ كانت الأفريقانية Africanisme (وهي اسم) تعني بداية في عام ١٧٥١م « عنصرًا لغويًّا خاصًّا باللغة اللاتينية في منطقة أفريقيا Africa » . ثم أصبحت تشير إلى « خاصية لغوية فرنسية أو إنجليزية في أفريقيا » [١] .

---

(١) انظر مقالة اللغة الفرنسية في أفريقيا .

أما المشتقات الأخرى لأفريقي Africain وهي مُسْتَفْرِق Africaniste (اسم يعود أول استخدام له إلى عام ١٩٠٨م) وأَفْرَق Africaniser (فعل متعدٍّ استخدم بداية في عام ١٩٣١م في صورة مجازية ثم أعيد استخدامه في نحو ١٩٦٠م) ومنه اشتق الاسم أَفْرَقَة Africanisation (أي صبغه بصبغة أفريقية) ، هذه المشتقات تخص فقط باقي القارة وهي أفريقيا السمراء .

وقد استخدمت أفريقانية Africanisme مجددًا في علم اللغة بمعناها الواسع .

◆ إن المقطع - Afro المقتبس من اللاتينية Afri و Afer في Africain يستخدم في تشكيل مركبات في اللغة الفرنسية - كما هو الحال في لغات أخرى - مثل Afro- asiatique وتعني أفروأسيوي وهي صفة وردت عام ١٩٣٧م في كتابات الناثر الفرنسي Céline .

وفي إنجليزية الولايات المتحدة ، تستخدم هذه الصفة على هذه الصورة Afroamerican (وترجع الصفة Africo-américain في اللغة الفرنسية إلى عام ١٨٢٦م) . ومن المقطع Afro تولدت الصفة الثانية Afro التي تنطبق منذ عام ١٩٧١م على تسريحة شعر من وحي زنجي أفريقي .

ومن ناحية أخرى ، فإن أفريقيا في عبارة كتيبة أفريقيا Bataillon d Afrique تعني « كتيبة تأديبية في الجيش الفرنسي » قد تولدت في اللغة الاصطلاحية العسكرية BATDAF في عام ١٨٨٥م .

◆ Afrikaans هو اسم مقترض في عام ١٩٥٢م من الهولندية ، ويعني اللغة الهولندية الخاصة بجنوب أفريقيا . هذه اللغة هي اللغة الرسمية إلى جانب الإنجليزية لاتحاد جنوب أفريقيا .

◇ Afrikaner, Afrikander ، هما اسمان مقترضان ، الأول في عام ١٨٩٠م والثاني في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، من اللغة الهولندية أيضًا ويشيران إلى السكان البيض لجنوب أفريقيا ذوي اللغة والثقافة الهولندية . وتستخدم Afrikaner أيضا كصفة .

٢ - تدفّق Afflurer :

هو فعل متعدٍّ مقترض من الكلمة اللاتينية Affluere وتعني : سال وجرى نَحْوَ ..

هذه الكلمة مؤلفة من المقطع - af والمقطع - fluere (أي سال وجرى) .

◆ استخدمت هذه الكلمة في أول الأمر (١٣٧٤) في صورة مجازية ، وكانت تعني حصل على وفرة من ... أو زود بشيء ... أما المعنى اللاتيني للكلمة فلم يتم إثباته إلَّا في القرن السابع عشر الميلادي (عام ١٦٣٦) . وبعد هذا العام ظهرت معانٍ مجازية أخرى شهدت تطورات لاحقة ؛ مثل : توافد حشد من الناس . وقد ورد هذا المعنى : في كتابات الناثر الفرنسي مونتنيه Montaigne في القرن السادس عشر .

◄ غزير ente ، Affluent تعد كلمة مشتقة من اسم الفاعل اللاتيني Affluens وقد استخدمت بداية (في عام ١٣٧٤م) في صورة النعت وتفيد المعنى : وفير وكثير . وفي القرن السابع عشر (عام ١٦٩٠م) أصبح هذا النعت يطلق على رافد النهر ، وهنا ظهر الاسم المذكر رافد un Affluent بمعنى ملتقى النهرين confluent (١٧٥١) ، ثم صار يطلق على المجرى المائي الذي يصب في مجرًى آخر (١٨٣٥) . ويشير أيضًا - في صورة مجازية لهذا المعنى - إلى الطريق المؤدي إلى طريق آخر أكثر اتساعًا .

◆ الاسم (تَدفُّق) Affluence يرجع ظهوره إلى عام ١٣٠٨م وهو مقترض من المشتق اللاتيني Affluentia . تتعلق دلالته بتدفق الماء (١٦٥٣) وجريان سوائل الجسم (١٦٩٠) واندفاع الشحنات الكهربائية (١٧٥٠) .

◇ ولكن في اللغة الفرنسية الحديثة لا يشير هذا الاسم سوى إلى توافد حشود من الناس (١٤٤٣) .

أما بالنسبة للاسم Afflux (تَدَفُّق) فهو مقترض من اللاتينية المستخدمة إبان العصور الوسطى Affluxus وتعني مثل الاسم المذكور آنفًا Affluence : توافد حشود من الناس (١٦١١) . ثم صارت تطلق بعد ذلك على جريان السوائل العضوية (١٨١٠) واندفاع التيار الكهربائي (١٨٩٨) ، وكثيرًا ما يكون استخدامها منافسًا لاستخدام كلمة Flux (أي تدفق أيضًا) .

كما تستخدم هذه الكلمة بصورة تجريدية (بعيدة عن هذه المعاني المادية) كما جاءت في كتابات الناثر الفرنسي سانت بوف Sainte Beuve في منتصف القرن التاسع عشر . وترد هذه الكلمة أيضًا في مجال الاقتصاد (تدفق رؤوس الأموال ... إلخ) .

٣ - يتَّقي Parer :

فعل متعد مقترض من الإيطالية "Parare" ثم صُبغ بصبغة فرنسية (١٤٦٠) ورد معناه وهو « يدافع عن نفسه ضد الضربات » في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، هذا المعنى يعد تحريفًا للمعنى الأصلي للكلمة الإيطالية "Parare" وهو « يُزيِّن » هذا الفعل الإيطالي ينحدر من الأصل اللاتيني نفسه الذي انحدر منه الفعل الفرنسي يُجمِّل parer .

وعلى الرغم من التباعد الزمني الطفيف بين استخدام الفعل في اللغة الفرنسية واستخدامه في اللغة الإيطالية ، إلا أن هذا الافتراض يعد أفضل من افتراض آخر يقوم على اعتبار الفعل الفرنسي Parer مقترضًا من اللهجة البروفنسية الشائعة في جنوب فرنسا "para" هذه الكلمة وردت في النصوص القديمة مرة واحدة بهذا المعنى . ويعود هذا الافتراض إلى عالم اللغة ورتبرج wartburg مستندًا إلى ضعف تأثير اللغة الإيطالية على اللغة الفرنسية في نهاية القرن الخامس عشر . ويعد هذا البرهان مثارًا للجدل أيضًا ؛ لأن الشطر الثاني من القرن الخامس عشر شهد بداية نشاط العلاقات بين البلدين .

◆ كانت بداية ظهور الفعل يتَّقي Parer في صورة مركبة مع الضمير se parer de بمعنى « يتبرأ من » ، وفي صيغة متعدية أيضًا بمعنى « ويُبرِّئ شخصًا ما » كما وردت لدى المؤرخ الفرنسي جورج شاستلان Georges Chastellain .

◇ أفرزت الكلمة معاني حديثة في القرن السادس عشر بعد أن قل ، ثم اندثر استخدام الصورة المركبة مع الضمير .

◇ استخدم هذا الفعل في صورة متعدية بمعنى يتجنب ، وذلك في عبارة (يتقي ضربة) التي وردت عام ١٥٨٨م لدى الكاتب الفرنسي مونتنيه Montaigne وبمعني يحمي شخصًا ما من شيء ما (١٦٠٤) هذا المعنى اندثر ولم يعد يستخدم في عصرنا الحالي .

يصاغ الفعل أيضًا مع حرف الجر « من » à (عام ١٥٤٠م) في عبارة (يقي نفسه من الضربات) parer aux coups .

◇ يرد استخدام الفعل على وجه الخصوص في مجال البحرية بمعنى : تفادَى صدامًا

وتَجنُّب عاصفة (١٥٥٢) ، وفي مجال المسايفة أيضًا بمعنى : تجنب هجمة بالتحرك سريعًا (١٥٧٨) .

◄ استخدم اسم المفعول مُتَجنَّب pare كصفة (١٧٠٢) بمعنى « في مأمن من خطر ما » .

◆ اشتق من الفعل يتقي parer الاسم « وِقاء » parade (١٦٢٨) (هذا الاسم يجب أن نميزه عن جناسه المشتق من الفعل يُزَيِّن parer) .

هذا الاسم كان مقتصرًا على مجال المسايفة ثم استخدم ، تعميقًا ، في ألعاب قتالية أخرى . كما يأتي بمعنى دحض اتهامًا أو دليلًا (١٧٥٥ - ١٧٤٠) لدى الكاتب الفرنسي (سان سيمون SaintSimon)

◆ وبإضافة أدوات التصدير وأدوات الإلحاق إلى هذا الفعل يشكل الوصف « مقاوم لمحاولة الوقاية » imparable (١٦٠٤) ويعني « لا يمكن تجنبه أو تحاشيه » ، وذلك فيما يتعلق بالهجوم المادي ، ثم امتد الوصف ليشمل الهجوم المعنوي أيضًا .

◆ يتمتع العنصر الفعلي « واقِي - Pare » بحيوية لغوية في تشكيل أسماء لأدوات ذات وظيفة وقائية ؛ مثل : الاسم واقية الضربات Pare-coups (١٦١١) هذا الاسم اندثر بينما عاش الاسم « واقية الدخان fume-Pare (١٦٧٣) .

◇ شهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظهور كلمات مركبة أخرى مثل « واقية الجُرُوف الثلجية Pare-avalanches (١٨٦٦) » و « واقية الحريق (١٨٧٣) » و « واقية الرصاص pare-balles (١٨٧٣) » ، خاصة في عبارة « قميص واقٍ من الرصاص » (القرن العشرين) ، إلى جانب « واقية الوحل » pare-boue (١٩١٣) التي تعد تحريفًا لكلمة Paraboue (١٨٢٨) ، ولكنها الآن تلقي منافسة من الاسم « حامية من الوحل garde-boue (١٩٠٧) المستقاة من الفعل يحمِي garder . ومن هذه الأسماء أيضًا « واقية الشظايا » pare-eclats (١٩٠٧) و « واقية الريح » pare-brise (١٩٠٧) و « واقية الصدمات » Pare-chocs (١٩٢٥) . هذان الاسمان شائعان في مجال السيارات .

◈ انظر : واقٍ من "para" تجهيز اللحوم "parage" ، درابزين "parapet" شمسية "parapluie" ، مِظَلة "Parasol" ، يزَيِّن parer .

٤ - ◆ في Dans :

حرف جر منحدر من صيغة denz (منذ نحو عام ١١١٢م) من اللاتينية

deintus والتي تعني « بالداخل أو في الداخل » .

◆ استخدم حرف الجر « في » dans ، بِدَايةً ، كظرف بمعنى بالداخل ، ثم انتقلت هذه الوظيفة المركبة « بالداخل » dedans ومنذ عام ١١٧٠ بدأ استخدام « في » كحرف جر في إشارة إلى المكان والزمان (القرن الثالث عشر) وإلى الهيئة الجسدية والمعنوية (١٦٦٧) . هذه الاستخدامات المتعلقة بوظيفة « في » كحرف جر كانت نادرة قبل القرن السادس عشر ؛ ولكنها ترسخت تدريجيًا لتحل محل وظيفة « بالداخل » dedans كحرف نظرًا لعدم ملائمة الصيغة المدمغة لهذه الوظيفة .

◄ « بالداخل » dedans : ظرف ، كانت صورته الأولى هي dedenz (منذ نحو عام ١٠٥٠) . وقد احتفظ باستخدامه كظرف واندثرت وظيفته كحرف جر (١٠٨٠) كما في عبارة « داخل الغرفة » .

هذه الوظيفة عاشت حتى القرن السابع عشر حيث لقي استخدامها رفضًا من جانب عالم النحو الفرنسي فوجلاس Vaugelas (١٦٤٧) .

اكتسبت هذه الظروف وظيفة الاسم أيضًا منذ عام ١٥٣٠م « الداخل le dedans » ، والحال نفسه بالنسبة لنقيضه « الخارج » dehors .

٥ – تعتيم Black out : اسم مذكر .

هو اسم مقترض من اللغة الإنجليزية Black-out (١٩٣٥) . وهو في الأصل مصطلح من مصطلحات فن المسرح ويعني : عملية إغلاق أضواء مقدمة المسرح بهدف مضاعفة تأثير العرض المسرحي على الجمهور .

استخدمت هذه الكلمة الإنجليزية منذ بداية الحرب العالمية الثانية ، وكانت تعني الظلمة التامة خارج المنشآت والمباني بهدف تضليل الغارات الجوية الليلية . يتألف هذا الاسم المركب من « Black » ويعني أسود و « out » ويعني بالخارج .

◆ لم ينتشر هذا الاسم فعليًا في فرنسا فهو يستخدم ليدل على الظلمة التامة التي يتطلبها الدفاع السلبي في مدينة لندن .

◇ اكتسب هذا الاسم المعنى الاستعاري خاصة في الأسلوب الصحفي (١٩٤٦م) ويشير إلى السرية والكتمان اللذين يحيطان بمسألة ما بناءً على قرار رسمي .

* * *

المعجم التاريخي للغة العربية

جهود اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

أولا : التعريف باتحاد المجامع ولجنة المعجم التاريخي .

ثانيا : من أعمال لجنة المعجم التاريخي .

- مذكرات عن منهج المعجم التاريخي .

د. محمد حسن عبد العزيز

- تقرير عن المنهج العلمي المقترح لعمل المعجم التاريخي وما دار حوله من نقاش وما كتب عنه من مذكرات .

د. محمد حسن عبد العزيز

- برنامج دراسي مقترح لإعداد محررين للمعجم التاريخي .

د. محمد حسن عبد العزيز

- نموذج للسيرة الذاتية لعلماء اللغة والمتخصصين في المعجمية .

د. محمد حسن عبد العزيز

ثالثا : عرض وتعليق على بعض البحوث المقدمة من أعضاء لجنة المعجم التاريخي .

- النشر الإلكتروني للنصوص العربية .

د. أحمد بن محمد الضبيب

- مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية .

د. علي القاسمي

- ملاحظات على مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي .

د. إبراهيم بن مراد

أولا

التعريف باتحاد المجامع ولجنة المعجم التاريخي

تأسس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية عام ١٩٧١م بوصفه هيئة لها شخصية معنوية مستقلة ، مقرها مدينة القاهرة .

يهدف الاتحاد إلى : تنظيم الاتصال بين المجامع اللغوية العلمية ، وتنسيق جهودها في الأمور المتصلة باللغة العربية وبتراثها اللغوي والعلمي ، والعمل على توحيد المصطلحات العلمية والفنية والحضارية العربية ونشرها .

يتألف الاتحاد من المجامع الآتية :

- مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ويمثله الدكتور محمود حافظ رئيس المجمع والاتحاد والدكتور كمال بشر نائب رئيس المجمع والأمين العام للاتحاد .
- مجمع اللغة العربية بدمشق ، ويمثله الدكتور شاكر الفحام رئيس المجمع والدكتور مروان المحاسني نائب رئيس المجمع .
- المجمع العلمي العراقي في بغداد ، ويمثله الدكتور داخل حسن جريو رئيس المجمع .
- مجمع اللغة العربية الأردني ، ويمثله الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع والدكتور محمود السمرة نائب الرئيس .
- مجمع اللغة العربية الجزائري ، ويمثله الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح رئيس المجمع .
- مجمع اللغة العربية الليبي ، ويمثله الدكتور علي فهمي خشيم الأمين العام للمجمع .
- مجمع اللغة العربية بالسودان ، ويمثله الدكتور علي أحمد بابكر رئيس المجمع .
- الأكاديمية الملكية المغربية ، ويمثلها الدكتور عبد اللطيف بربيش رئيس الأكاديمية .

● مجمع اللغة العربية الفلسطيني ، ويمثله الدكتور أحمد حسين حامد رئيس المجمع .

وكان المعجم التاريخي للغة العربية مما درسه اتحاد المجامع ، وفي أبريل ٢٠٠٤م اتخذ الاتحاد قرارًا بإنشاء مؤسسة تابعة له (مؤسسة المعجم التاريخي للغة العربية) . وشكل لجنة من أعضائه ، ومن بعض العلماء من خارج الاتحاد ، لدراسة الموضوع .

وتلقت اللجنة أوراقًا في الموضوع من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ودمشق وعمان وبغداد ، كما كتب لها بعض أعضائها بحوثًا ؛ منها :

● المعجم التاريخي للغة العربية : مبررات المشروع أ . د . إبراهيم بن مراد .

● المعجم اللغوي التاريخي : مرئيات حول المشروع هيكليةً وتنفيذًا أ . أحمد شفيق الخطيب .

تبلورت أفكار أعضاء اللجنة في مشروع أولي نوقش وعرضت عناصره في لجنة المعجم التاريخي فأقرته .

يتضمن النظام إنشاء مؤسسة تسمى (هيئة المعجم التاريخي للغة العربية) ، وهي هيئة لغوية علمية ذات شخصية اعتبارية مستقلة تابعة لاتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية ، ومقرها القاهرة .

تهدف هذه الهيئة إلى إنجاز معجم تاريخي لألفاظ اللغة العربية واستعمالاتها ؛ لبيان ما طرأ على مبانيها ومعانيها من تغير عبر الزمان والمكان .

ويتضمن النظام مواد تتعلق بأجهزة الهيئة من الرئيس والمدير العام ومجلس الأمناء والمجلس العلمي ... إلخ .

وليس يعنينا كثيرًا القول في هذه الأجهزة بقدر ما يعنينا القول في المجلس العلمي الذي يتولى وضع المعجم .

يتألف المجلس من :

١ - المدير العام للهيئة رئيسًا .

٢ - عشرة أعضاء من العلماء والباحثين المتخصصين في العلوم اللغوية والمتمرسين في المجمعية .

٣ - رؤساء وحدات البحث العلمي .

لجنة المعجم التاريخي للغة العربية :

تقوم لجنة المعجم التاريخي للغة العربية بأعمال مجلس أمناء هيئة المعجم التاريخي إلى أن يتم تشكيل لجانها واستكمال إجراءات إشهارها .

تتألف لجنة المعجم التاريخي من :

- دكتور محمود حافظ ، رئيس اتحاد المجامع ورئيس اللجنة .
- دكتور كمال بشر ، الأمين العام لاتحاد المجامع .
- دكتور إحسان النص ، عضو المجمع السوري ومقرر اللجنة .
- دكتور شاكر الفحام ، رئيس المجمع السوري .
- دكتور عبد الكريم خليفة ، رئيس المجمع الأردني .
- دكتور علي فهمي خشيم ، الأمين العام للمجمع الليبي .
- دكتور عبد الرحمن الحاج صالح ، رئيس المجمع الجزائري .
- دكتور عبد الحافظ حلمي ، عضو المجمع من القاهرة .
- الأستاذ أحمد شفيق الخطيب ، عضو المجمع من فلسطين .
- دكتور محمد حسن عبد العزيز ، عضو المجمع من القاهرة .
- دكتور أحمد بن محمد الضبيب ، عضو المجمع من السعودية .
- دكتور عبد الهادي التازي ، عضو المجمع من المغرب .
- دكتور محمد بنشريفة ، عضو المجمع من المغرب .
- دكتور إبراهيم بن مراد ، رئيس جمعية المعجمية بتونس .
- دكتور علي القاسمي ، العضو المراسل لمجمع القاهرة من العراق .

انضممتُ إلى لجنة المعجم التاريخي بترشيح من الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رئيس الاتحاد آنذاك ، وحضرت الجلسة الأولى في ٤ سبتمبر ٢٠٠٤م . وقد شاركت في أثناء تلك الجلسة في مناقشة مشروع النظام الأساسي .

وأُوكلت إليَّ الصياغة النهائية ، وقد أنجزته ، وعرض على أعضاء اللجنة في اليوم التالي فأقرته ، وفي الجلسة نفسها تشكلت لجنة المعجم التاريخي في صورتها السابقة وكُلِّف أ د . كمال بشر بتولى اختصاصات المدير التنفيذي في مرحلة الإنشاء .

اللجنة الرباعية :

في الفترة من ٤ من أبريل - ٦ منه عام ٢٠٠٦م اجتمعت لجنة المعجم التاريخي ، وكان مما عرض عليها النظر في التقرير الذي قدمتُه عن المنهج العلمي المقترح لعمل المعجم التاريخي ، وما دار حوله من نقاش ، وما كتب عنه من ملاحظات (*) وانتهى العمل في الاجتماع إلى :

١ - إقرار النقاط التعريفية بمشروع المعجم التاريخي للغة العربية .

٢ - إحالة منهج العمل والتقرير الذي أعده الدكتور محمد حسن حسن عبد العزيز إلى اللجنة الرباعية لتعديله في ضوء ملاحظات السادة أعضاء اللجنة .

٣ - تشكيل لجنة رباعية لاستكمال خطة العمل للمعجم التاريخي في السنة الأولى يرأسها أ . د . كمال بشر ، وعضوية كل من :

- أ . د . أحمد بن محمد الضبيب .
- أ . د . إبراهيم بن مراد .
- أ . د . علي القاسمي .
- أ . د . محمد حسن عبد العزيز .

اجتمعت اللجنة الرباعية في جلسة خاصة في ٢٠٠٦/٤/٥م وقسمت العمل فيما بين أعضائها على النحو الآتي :

١ - الكتيب التعريفي بالمشروع . **أ . د محمد حسن عبد العزيز .**

٢ - مراجعة وتعديل الخطة العلمية للمعجم التاريخي ، في ضوء المشروع المقدم من أ د . محمد حسن عبد العزيز ، وما أبدى من ملاحظات وما ألقى من بحوث في مؤتمر المجمع . **د . علي القاسمي .**

٣ - ببليوجرافيا مصادر المعجم التاريخي . **أ . د . محمد حسن عبد العزيز .**

٤ - حصر المدونات اللغوية ، وتقدير قيمتها ، وما هو متوفر منها مجانًا أو بثمن . **أ . د . أحمد الضبيب .**

٥ - قائمة الخبراء . **أ . د . إبراهيم بن مراد .**

(*) نص التقرير في الصفحات (ص١٠٦ : ٢٠٤) من هذا الكتاب .

٦ - وضع خطة لتدريب المعجميين (خبراء ومحررين) . أ . د . إبراهيم بن مراد .

واقترحت اللجنة أن تجتمع برئاسة المدير التنفيذي في أكتوبر ٢٠٠٦م ، لاستكمال العمل وتقديمه عند انعقاد مؤتمر المجمع القادم (دورة ٧٣) .

تقدمتُ إلى أ . د . كمال بشر رئيس اللجنة :

● بصورة للمطوية الصغيرة التعريفية بالمعجم وقد اعتمدها سيادته ، وجرى طبعها وتوزيعها بمؤتمر الشارقة .

● بمشروع كتاب عن مصادر المعجم التاريخي . وهذا نصه :

يقوم المشروع على الأسس الآتية :

١ - عمل قائمة كاملة بالمصادر المعتمدة للمعجم التاريخي للغة العربية وفقًا للتعريف المتفق عليه علميًا للمصادر ، وفي المجالات المحددة في ورقة العمل المقدمة من عضو اللجنة د . محمد حسن عبد العزيز والمتفق عليها سلفًا .

٢ - ترتب المصادر وفقًا لاسم المؤلف ولعنوان المصدر ، وتتضمن البطاقة الخاصة بكل مصدر اسم المؤلف كاملًا وتاريخ مولده ووفاته وتاريخ تأليف المصدر (ما أمكن) والمرحلة الزمنية التي تعالجها وكل معلومات النشر .

٣ - إذا أمكن ذلك يشار في البطاقة إلى أي معلومات خاصة بنشر المصدر إليكترونيًا في مدونات جاهزة أو في غيرها وبيان إمكانية الاستفادة منها للمعجم التاريخي .

٤ - يظهر الكتاب في صورة ورقية وإليكترونية CD تسلم في نهاية العمل وفق النظام السابق .

من الناحية المالية :

مكافأة إنجاز البطاقة خمسة جنيهات لجمعها ومراجعتها وترتيبها في الكتاب .

تكون المحاسبة لكل خمسمائة بطاقة (دوريًا) على أن يوضع تحت تصرف المشرف على المشروع مبلغ ألف جنيه من ميزانية المشروع للصرف عليه ابتداءً .

وطلب إليَّ رئيس اللجنة تزويده بجزازة بوصفها نموذجًا لما يتم إدخاله من بيانات ، وأعددتها وسلمته إياها .

وتناقشت مع سيادته في كل ما يتصل بهذا الموضوع ، ويبدو لي أنه تحرج من

تنفيذ هذا المشروع لأسباب مالية .

ومن ثم لم يعد لدي ما أقدمه مما كلفتني به اللجنة في اجتماعها القادم .

نجح اتحاد المجامع برئاسة أ . د . محمود حافظ رئيس الاتحاد ، وأمانة أ . د . كمال بشر وبمعاونة فعالة للأستاذ فاروق شوشة أمين عام المجمع ، وبمشاركة كاملة من مجمع القاهرة – في عقد مؤتمر حول المعجم التاريخي للغة العربية برعاية الشيخ الدكتور سلطان القاسمي أمير الشارقة في الفترة من ١٧-١٨/١٢/٢٠٠٦م .

اجتمعت اللجنة الرباعية في الشارقة في ١٨/١٢/٢٠٠٦م . وناقشت الأعمال المكلف بها أعضاؤها في غيبة رئيسها أ . د . كمال بشر لمرضه وانتهت بعد نقاش طويل إلى القرار الآتي :

على هامش مؤتمر الشارقة حول المعجم التاريخي اجتمعت اللجنة الرباعية في جلسة طويلة يوم ١٨/١٢/٢٠٠٦م من الساعة التاسعة مساءً إلى الساعة الواحدة صباحًا ، تمخضت عن الآتي :

١ – المطوية :

قدم الدكتور محمد حسن عبد العزيز المطوية الصغيرة التعريفية بالمعجم التاريخي ، وسيقدم أعضاء اللجنة الرباعية ملاحظاتهم مكتوبة خلال شهرين لوضعها في صيغتها النهائية في الاجتماع القادم .

٢ – **الكتيب التعريفي :**

تذكر اللجنة بأهمية إنجاز الكتيب التعريفي بالمعجم التاريخي الذي عهد بإعداده إلى الدكتور محمد حسن عبد العزيز ليعرض في الاجتماع القادم للجنة .

٣ – المصادر :

أعد الدكتور محمد حسن عبد العزيز خطة لجمع مصادر المعجم التاريخي وسيبعث بها إلى أعضاء اللجنة الرباعية لإبداء الملاحظات عليها مكتوبة قبل يوم ١٥ فبراير ٢٠٠٧م .

٤ – **استطلاع المدونات المتوفرة :**

قدم الدكتور أحمد الضبيب تقريرًا وافيًا عن المدونات المتوافرة ، وتوصي اللجنة بالإسراع في إنشاء المدونة النصية للمعجم التاريخي بالاستفادة من المدونات

المتوافرة . وتقترح اللجنة تكليف الدكتور أحمد الضبيب برفقة حاسوبي متخصص في الحوسبة اللغوية للاتصال بأصحاب المدونات المتوافرة وتحديد طريقة الاستفادة منها في إنشاء المدونة النصية للمعجم التاريخي .

٥ - الخطة العلمية :

قدم الدكتور علي القاسمي - مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية ، وسيقدم أعضاء اللجنة الرباعية ملاحظاتهم مكتوبة قبل منتصف فبراير ليتمكن د . القاسمي من تعديل الخطة في ضوء هذه الملاحظات وتقديمها للجنة الرباعية في اجتماعها القادم .

٦ - قائمة الخبراء :

سيبعث الدكتور إبراهيم بن مراد باستمارة مقترحة لجمع المعلومات عن الخبراء إلى أعضاء اللجنة الرباعية لإرسال ملاحظاتهم عليها قبل منتصف فبراير القادم ، على أن تقوم الهيئة بتوزيع الاستمارة بعد إقرارها على المجامع والهيئات العربية المعنية لتكوين قاعدة بيانات الخبراء .

٧ - تدريب العاملين في هيئة المعجم التاريخي :

أعد الدكتور إبراهيم بن مراد معالم برنامج تدريب العاملين وسيبعث به خلال أسبوعين إلى أعضاء اللجنة الرباعية لإبداء ملاحظاتهم المكتوبة قبل ١٥ فبراير ٢٠٠٧م .

٨ - اجتماع اللجنة الرباعية :

توصي اللجنة الرباعية سيادة المشرف على اللجنة الرباعية بدعوة أعضاء اللجنة الرباعية للاجتماع في القاهرة في المدة من ١٨-٢٠ فبراير ٢٠٠٧م للاتفاق على الصيغة النهائية للأعمال التي كلفوا بها لغرض تقديمها لسيادة المدير التنفيذي ولجنة المعجم الموسعة في اجتماعها .

وبعد العودة من الشارقة طلب إليَّ رئيس اللجنة الدكتور كمال بشر الذي حال مرضه دون حضوره مؤتمر الشارقة تقريرًا عن وقائع المؤتمر . وهذا نص التقرير الذي قدمته في ٢٢/١/٢٠٠٧م .

في أثناء جلسات مؤتمر الشارقة العامة وفي عقب المحاضرات أُبديت مقترحات نافعة ؛ منها :

أولًا :

١ - إنشاء موقع إليكتروني لهيئة المعجم التاريخي .

٢ - إنشاء مجلة خاصة بهيئة المعجم تنشر فيها بحوث لأعضائها وللباحثين الآخرين .

٣ - إعداد ملف خاص بالبحوث التي ألقيت عن المعجم التاريخي منذ بداية العمل به حتى الآن .

٤ - التعاون بين الباحثين بمركز الحاسوب واللغة العربية بجامعة الشارقة واتحاد المجامع ، بتبادل المعلومات والخبرات والزيارات .

ثانيًا :

انعقد اجتماع اللجنة الرباعية في ٢٠٠٦/١٢/١٨م لمدة أربع ساعات ، وانتهى بالقرارات التي وصلت إلى سيادتكم (*) .

وفي تقديري أن هذه القرارات لم تصل إلى النتائج المتوقعة للاجتماع بناءً على المهام الموكلة إليها :

واقترح الآتي ليكون إنجاز اللجنة أجدر بتحقيق الأهداف :

١ - ضم خبير علمي للحاسوب والمعلومات إلى اللجنة الرباعية لاستشارته في كل ما يتصل بهذا الجانب من العمل .

٢ - الإسراع بتأليف مجلس الأمناء وتعيين مدير المشروع وأعضاء اللجان العلمية ورؤسائها حتى يكون العمل منتظمًا ، وتكون المسؤوليات واضحة ويكون التقييم منصفًا .

وفي ٢٠٠٧/٤/٤م قدم الأمين العام للاتحاد تقريرًا عن أعمال اللجنة الرباعية ، شكر فيه أعضاءها على ما بذلوه ، وذكر أنه بعد دراسة التقارير الخاصة بعملها يقترح الاكتفاء بما قُدم منها ، وتتسلم لجنة المعجم كل ما قامت به من أعمال ، وتعيد ترتيبه مع الاحتفاظ لكل من السادة الأعضاء بجهودهم لإعادة تنظيم العمل في ضوء ما نحن مقبلون عليه من مهام .

(*) سبق تسجيل هذا التقرير في الصفحات السابقة .

البحوث العلمية في مؤتمر الشارقة :

في أثناء انعقاد مؤتمر الشارقة ألقى الأستاذ فاروق شوشة أمين مجمع القاهرة بحثًا بعنوان : **المعجم التاريخي للغة العربية ضرورة حضارية .**

وشارك أعضاء لجنة المعجم التاريخي واللجنة العلمية بالبحوث الآتية :

المعجم التاريخي : منهج وأمثلة . د . محمد حسن عبد العزيز .

مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية . د . علي القاسمي .

المعجم التاريخي للغة العربية هل تأخر إنجازه ؟ د . أحمد بن محمد الضبيب .

في مفهوم المعجم التاريخي للغة العربية وتطبيقاته . د . إبراهيم بن مراد .

خلفاء وأمراء يتبنون وضع معاجم عربية . د . محمد بن شريفة .

حول المعجم التاريخي للغة العربية . د . عبد الهادي التازي .

مشروع الذخيرة اللغوية العربية (الإنترنت العربي) . د . عبد الرحمن الحاج صالح .

وقد عرض الدكتور أحمد بن محمد الضبيب على اللجنة الرباعية بحثه الذي كان قد كلفته به بعنوان « النشر الإلكتروني للنصوص العربية » .

وبعد انتهاء مؤتمر الشارقة تفضل الدكتور إبراهيم بن مراد بإرسال بحثين كانت اللجنة الرباعية قد كلفته بهما ؛ وهما :

- تصور عام لبرنامج في التدريب على قضايا المعجم التاريخي .
- ملاحظات على مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية للأستاذ الدكتور علي القاسمي .

* * *

ثانيا

من أعمال لجنة المعجم التاريخي

مذكرات عن منهج المعجم التاريخي للغة العربية

للدكتور / محمد حسن عبد العزيز

عصور اللغة العربية

لكي نسجل التغير الواقع في مباني ألفاظ العربية ومعانيها عبر السنين – وهي مهمة المعجم التاريخي – ينبغي تقسيم الزمن الذي عاشت فيه اللغة – من بدايتها إلى نهايتها في العصر الحديث – إلى مراحل زمنية محددة . يُسجل مبنى اللفظ في البداية مثلًا أو في مرحلة النهاية ، ثم يقارن مبناه ومعناه في مرحلة تالية أو سابقة لبيان ما حدث له من تغير .

وقد تعددت أنظار مؤرخي اللغة العربية في تحديد مراحل حياتها أو عصورها . فمنهم من يرى تقسيمها إلى خمسة أعصر ، هي :

١ – **المرحلة السامية** Semiti Period : وهي التي أخذت فيها اللغة العربية تنفصل عن اللغة السامية الأم وتكون لنفسها خصائصها المميزة .

٢ – **العربية القديمة** Classical Arabic : وهي المرحلة التي استخدمت فيها اللغة العربية في العصر الجاهلي والإسلامي حتى النصف الأول من القرن الثاني الهجري .

٣ – **العربية المولدة** Neo-Classical Arabic : التي استخدمت فيها اللغة العربية بعد انتشار الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية ، وازدهار الحياة الاجتماعية والفكرية والحضارية . وقد بلغت هذه المرحلة ذروتها مع نهاية القرن الخامس الهجري .

٤ – **العربية الوسيطة** Middle Arabic : التي استخدمت بعد انهيار الحضارة الإسلامية وتولِّي الفرس والترك والمغول أمور العالم الإسلامي .

وقد امتدت هذه الفترة حتى العصر الحديث .

٥ - **العربية الحديثة** Modern Arabic : التي بدأت تتكون مع مطلع عصر النهضة في العالم العربي مع بداية القرن التاسع عشر وما زالت مستمرة حتى الآن .

ويُعترض على هذا التقسيم بأمرين :

١ - أن العربية في عصرها السامي غير واضحة المعالم لنا ؛ إذ ليس لدينا منها نصوص كافية لبيان مبانيها ومعانيها .

٢ - أنه جمع عصرين مختلفين : العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول ، من ظهور الإسلام حتى منتصف القرن الثاني الهجري في عصر واحد ، والواقع ان نزول القرآن وانتشار الإسلام أحدثا تغيرات كبيرة في حياة العرب وفي اللغة العربية ، ومن ثم وجب الفصل بينهما .

ومنهم من يحدده على النحو الآتي :

١ - العصر الجاهلي : عصر استواء اللغة العربية الفصحى المشتركة بين قبائل شبه الجزيرة العربية ، فيما يعرف بلغة الشعر الجاهلي الذي يرجع أقدمه إلى ما قبل الإسلام بنحو قرنين .

٢ - العصر الإسلامي من ظهور الإسلام إلى سقوط دولة بني أمية ١٣٢ هـ/ ٧٥٠م .

٣ - العصر العباسي من بداية دولة بني العباس حتى انهيارها وسقوط بغداد ٦٥٦ هـ/١٢٥٨ م .

٤ - عصر الدول والإمارات ، من نهاية العصر العباسي حتى نهاية الدولة العثمانية ، مع ظهور الاستعمار الأوربي للعالم العربي في القرن التاسع عشر .

٥ - عصر النهضة الحديثة من ولاية محمد على بمصر ١٢٢٠ هـ / ...... حتى اليوم .

ونحن نرى أن هذا التقسيم أنسب للعمل في المعجم التاريخي للغة العربية ، وننبه إلى أمرين :

١ - أن التقسيم - مع أنه يعتمد على وقوع أحداث تاريخية عظمى عند نهاية كل عصر وبداية العصر التالي - تحكمي إلى حد ما ، فليس ثمة سنة محددة لبدايته وسنة أخرى محددة لنهايته لتداخل الأحداث وتأثيراتها التي تسبقها أو تلحقها .

٢ - ثمة تقسيمات أخرى كالتقسيم التساعي الذي اقترحه (بروكلمان) وهو يصعب عملية المقارنة ويشتت المادة المجموعة . وانظر : تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان (١/ ٣٦-٣٨) .

من اين نبدأ ؟

أبدأ بتسجيل اللغة العربية في العصر الحديث ، ونحدد مبانيها ومعانيها ، ثم نقارنها بما سجل في العصر السابق لها ، ونبين وجوه التغير بين العصرين .. وهكذا حتى نصل إلى العصر الجاهلي - كما فعل صانعو معجم أكسفورد التاريخي وهو أول وأكبر معجم تاريخي في اللغة الإنجليزية بل في كل اللغات ؟

وثمة رأي آخر يرى أن يؤلف المعجم من مادة تنتمي إلى أقدم عصور اللغة العربية (العصر الجاهلي) فَتُسجَّل اللغة المستعملة فيه . ثم تقارن بما سجل في العصر التالي لبيان وجوه التغير .. وهكذا حتى نصل إلى العصر الحديث .

وفي الحالين يُعرف ظهور الكلمة أو اختفاؤها ، أو ظهور معنًى جديد لها من خلال النصوص المجموعة لكل عصر .

وأنا أفضل الطريقة الأولى ؛ لأنها أنسب لمستعمل المعجم ، ولأنها قد سلكت من قبل فيما نعرف من المعاجم التاريخية .

وعلى أية حال ينبغي - قبل البدء في جمع مادة اللغة العربية من نصوصها في كل عصر - إعداد قوائم إرشادية للألفاظ المستعملة في كل عصر .

واقترح - كخطوة أولية لهذه القوائم :

١ - اختيار معجمين أو أكثر من المعاجم الحديثة (المعجم الوسيط - المعجم الأساسي - المنجد في اللغة العربية المعاصرة) وإحصاء جذورها وما اشتق منها من ألفاظ .

٢ - اختيار معجمين أو أكثر من المعاجم القديمة (لسان العرب - تاج العروس) وإحصاء جذورهما وما اشتق منها .

المقصود بالإحصاء ليس العد فحسب ، بل ذكر الجذور مرتبة وفق ورودها في المعجم ، وذكر مشتقاتها وفق المتفق عليه في الترتيب الداخلي للمداخل .

والهدف من هذه القوائم الإرشادية :

- تحديد حجم المعجم بتحديد كم مداخله .
- توزيع العمل على اللجان العلمية .
- التعرف على مشكلات التوصيف والترتيب .
- اقتراح حلول لها .

مستوى اللغة المدروسة :

الذي جرى عليه العمل في معجم أكسفورد التاريخي أنه يضم كل الكلمات المتداولة في الحديث ، وفي الكتابة أو ما في مستواهما من أشكال ؛ حيث نظر مؤلفوه إلى اللغة ككل متكامل يجب أن يحتوي المعجم كل مفرداتها الثقافية المختلفة بجميع أشكالها الوظيفية .

ومن ثم فقد ضم المعجم المستويات الآتية التي يوضحها الرسم البياني الآتي الوارد في مقدمة المعجم :

اللغة الفصحى Literary

اللغات الأجنبية Foreign　　　　**اللغة العلمية** Scientific

اللغة المشتركة Common Language

اللهجي Dialectal　　　　**اللغة التقنية** Technical

اللغة العامية Colloquial

لغة فئوية Slang

ويوضح الرسم أن أساس المعجم أو مركزه هو اللغة الإنجليزية المشتركة التي قد لا يستعملها كل الناس ولكنهم يفهمونها ، ومن ثم فالمعجم وصفي لا معياري ، والمعجمي مؤرخ لا مشرع .

وأنا أميل إلى هذا الرأي بيد أن صناعة معجم تاريخي للغة العربية بهذا الاعتبار يكاد يكون مستحيلًا ؛ لأن الثروة المعجمية في لغة واسعة الانتشار ، ذات مستوًى حضاريٍّ رفيع ، وتاريخ طويل في الاستعمال ، ومناطق توزيع متباعدة – ليست كمًّا ثابتًا يمكن حصره والتعامل معه تاريخيًّا .

وبعض الباحثين يفضل - لعامل قومي - الاقتصار على اللغة العربية الفصحى المكتوبة المشتركة بين جميع الأقطار والأزمان . ومن ثم تُستبعد العاميات تمامًا . وبهذا الاعتبار يعد المعجم معياريًّا لا وصفيًّا والمعجمي مشرع لا مؤرخ .

وعلى الرغم من مجافاة هذا الرأي لمبادئ علم اللغة الحديث ، ولأصول الصناعة المعجمية المعاصرة فإنه أقرب التصورات التي يمكن تحقيقها بالفعل .

وقد يكون من المفيد - لتقريب هذا التصور من المعجمية الحديثة الوصفية - أن يضم إليه بعض الألفاظ العامية التي تستعمل في النصوص المكتوبة أو التي تعد بشكل ما فصيحة الأصول ؛ وذلك لأن التفاعل اللغوي بعامة - وقع في الماضي ويقع في الحاضر - لا يقاس بمعايير الصواب والخطأ ، بل يقاس بمدى ملاءمة الاستعمالات اللغوية لأداء وظائفها في المواقف المختلفة .

وثمة مشكلات نشير إلى بعضها :

- موقف المعجم من اللهجات والقراءات القرآنية في العصرين الأول والثاني .
- موقف المعجم من اللهجات الشائعة في العصور المختلفة .
- موقف المعجم من الاختلافات المفرداتية والفروق الصوتية والهجائية في اللغة الفصحى نفسها في مختلف العصور .

ترتيب المواد :

ترتب المواد على حسب جذورها (أصولها) وفق الحرف الأول فالثاني فالثالث من حروف الهجاء على نحو ما جرى عليه الزمخشري في (أساس البلاغة) ومجمع اللغة العربية في معاجمه اللغوية ، وبخاصة المعجم الكبير .

وثمة فائدة كبيرة في مجاراة (المعجم الكبير) في منهجه حيث :

- تُذكر في صدر المادة النظائر السامية - إن وجدت .
- وتُرد الكلمات المعرَّبة إلى أصولها .
- تستخلص المعاني الكلية من دلالات الكلمة عبر عصور اللغة العربية .
- يكتب الجذر (مفرد الأصول) في وسط الصفحة ، وهو يمثل البنية الكبرى للمدخل - Macro Structure .

• تتوزع الكلمات المتفرعة من الجذر في بداية السطر التالي له رأسيًا ، وتميز كل كلمة بوضعها بين قوسين أو بكتابتها بلون مخالف ، أو بوضع نجمة قبلها للإشارة إلى أنها مداخل متفرعة عن الجذر ، وهي تمثل ما يعرف بالبنية الصغرى Micro-Structure

• ترتب المداخل الفرعية على النحو الآتي :

أولاً : الأفعال :

• تقدم الأفعال على الأسماء ، ويقدم الثلاثي منها على الرباعي ، والمجرد على المزيد ، واللازم على المتعدي .

• ويراعى في ترتيبها ما جرى عليه (المعجم الكبير) .

• وتعالج الموضوعات الأخرى المتصلة بالأفعال وفق المنهج الذي استخدمه المعجم الكبير في : ضبط عين المضارع ، الإبدال ، القلب ، مصادر غير الثلاثي .

ثانيًا : المشتقات :

• لا يذكر المشتق القياسي بعد الفعل إلّا إذا تضمن معنًى زائدًا في الفعل ؛ مثل : مسجِّل بمعنى الآلة التي تسجل الأصوات .

ثالثًا . الأسماء :

• يذكر المشتق منها والجامد بعد الأفعال مرتبة ترتيبًا هجائيًا ، مع تقديم الألف اللينة (ألف المد) على الهمزة [1] .

• ويعالج موضوع الملحق بالرباعي ، والكلمات التي وقع فيها إبدال أو قلب في بعض حروفها وفق المنهج المستخدم في المعجم الكبير وكذلك ما يتصل بالجموع [2] .

رابعًا : المُعَرَّبات :

ما تصرف فيه العرب بالاشتقاق يذكر في مادته الثلاثية ؛ مثل : لجام في (ل ج م) ، وما لم يتصرف فيه بالاشتقاق ؛ مثل : إستبرق يذكر في ترتيبه الحرفي ، ويشار إلى أصله غير العربي [3] .

---

(١) انظر : صناعة المعجم (ص ١٠١) .

(٢) انظر منهج المعجم الكبير (ص ٧ – ١٥) ، وانظر صناعة المعجم (ص ٩٩ ، ١٠٠) .

(٣) انظر منهج المعجم الكبير (ص ١٦) .

ويراعى عند تأليف المداخل ومعالجتها من نواحيها المختلفة : الدلالية والنطقية والهجائية والصرفية ما يأتي :

- معالجة كل مدخل على أنه وحدة معجمية مستقلة قائمة بذاتها تتضمن كل المعلومات المطلوبة ، مع استخدام الإحالات من مادة إلى أخرى متى كان ذلك مطلوبًا .
- لوضع المعلومات النطقية والهجائية والصرفية والاشتقاقية طريقتان :

١ – وضعها في صدر المادة ، على أن يشار في مقدمة المعجم إلى الأصناف والأجناس التي يذكرها المعجم وطريقة ذكرها [١] .

٢ – وضعها في بداية المدخل الفرعي الذي يتصل بها [٢] .

- تستخدم أنماط مختلفة للحروف على حسب نوع المعلومة .
- تلتزم علامات الترقيم والرموز والأقواس والاختصارات حسب ما يجري الاتفاق عليه ، وما يسجل في مقدمة المعجم .

ويراعى ما يأتي عند معالجة المادة وترتيبها :

١ – يستخدم نظام الإحالة عند معالجة الكلمات التي قد يشتبه أصلها أو هجاؤها ، والكلمات المعربة التي يختلف هجاؤها .

٢ – تعامل الهمزة بطريقة واحدة عند الترتيب مهما كانت طريقة كتابتها ، ويحدد في مقدمة المعجم قواعد كتابتها مع القواعد الإملائية الأخرى ويلتزم المعجم بما يقرر في المقدمة .

الوحدات المعجمية (Lexical Unites) :

ثمة مشكلات عديدة تتصل بتعريف الوحدة المعجمية ، وبحصرها واعتبارها مداخل أصلية أو فرعية .

على أنه يجب أن يتوافر للعاملين بالمعجم قبل الشروع في حصر الوحدات المعجمية ما يأتي [٣] :

---

(١) انظر : المعجم الأساسي .

(٢) انظر المعجم الكبير : النموذج التطبيقي .

(٣) ينظر في ذلك ما جرى عليه العمل في المعجم الكبير ، وفي المعجم الأساسي . وانظر صناعة المعجم ، لأحمد مختار (ص ٩٣ – ٩٥) والمعجمية العربية لعلي القاسمي .

١ - إعداد قائمة أولية بعدد الجذور المستعملة في عصرين من عصور اللغة العربية ، ويستعان في ذلك بالمعاجم ؛ وهما :

- العصر الجاهلي .
- العصر الحديث .

ثم بعدد المواد أو المداخل المتفرعة منها . ولدينا في ذلك إحصاءات وقوائم جري إعدادها .

- إحصاءات جذور لسان العرب وتاج العروس للدكتور علي حلمي موسى .
- المكنز اللغوي والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم ، وكلاهما للدكتور أحمد مختار .

وتعد هذه القوائم التقريبية ضرورية قبل الشروع في العمل بالمعجم ، ليتسنى التعرف - بشكل مبدئي على حجمه - وتوزيع العمل بين العاملين فيه .

ثمة مشكلات ينبغي اتخاذ قرار في حلها ليكون الإحصاء دقيقًا إلى حدٍّ كبير .

٢ - وضع قاعدة للتعامل مع الكلمات المتعددة المعنى .

(المشترك اللفظي ، الأضداد - ما ليس مما سبق) بحيث تحدد أتوضع الكلمة في جذر واحد أم في عدة جذور .

٣ - وضع قاعدة للتعامل مع الكلمات الوظيفية المختص منها والمنقول ، وأقترح أن تفرد بحسب هجائها وتعامل كمدخل فرعي .

- يعامل المعاملة السابقة : الضمائر وأسماء الإشارة والموصولة والأفعال والأدوات التي تؤدي وظائف نحوية ؛ كان وأخواتها ، إن وأخواتها ، كاد وأخواتها .
- تعامل هذه المعاملة : الحروف ؛ حروف الجر ، والاستفهام والنفي والشرط .

٤ - وضع تعريف للكلمات المركبة والمنحوتة ، أو الكلمات المتجمعة من كلمتين فأكثر . ووضع قاعدة للتعامل معها أتكون وحدة لغوية واحدة أم توضع تحت أحد مكوناتها .

(ينظر في ذلك ما جرى عليه العمل في المعجم الكبير وفي المعجم الأساسي ، وانظر صناعة المعجم لأحمد مختار ص ٩٣ - ٩٥ ، والمعجمية العربية لعلي القاسمي) .

ويرجع أيضًا إلى المعاجم الخاصة بهذا النوع من العبارات .

- معجم المأثورات اللغوية والتعابير الأدبية ، سليمان فياض ، الهيئة العامة للكتاب .
- معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية ، أحمد أبو سعد ، دار العلم للملايين .
- معجم التعبيرات الاصطلاحية ، مجموعة مؤلفين ، مكتبة لبنان .

ومن ثم وعلى سبيل الحصر المبدئي للوحدات المعجمية للمعجم

١ - الكلمات : حوامل المعاني (الإرشادية والمجردة) .

٢ - الكلمات الوظيفية .

٣ - الكلمات المنحوتة والمركبة : سبحل ، لاسلكي ... إلخ .

٤ - العبارات السياقية والاصطلاحية .

المداخل :

الجاري في صناعة المعاجم الخاصة باللغات الأوروبية أن تكون الكلمات مداخل للمعجم . وهي طريقة - ولا شك - ملائمة لبنية هذه اللغات .

بيد أن هذه الطريقة لا تناسب بنية اللغات السامية بعامة والعربية بخاصة من حيث إنها اشتقاقية أساسًا .

ولهذا أقترح أن يكون المدخل الأساسي هو الجذر ثم يتفرع هذا المدخل إلى مداخل فرعية على الشكل المتبع في المعجم الكبير .

مستويات الاستعمال :

- ثمة تصنيفات متعددة للكلمات بحسب الغرض من تأليف المعجم ، ولأن معجمنا تاريخي فلا بد من النص على ما يتعلق بنسبة اللفظ إلى عصر بعينه وإلى مكان بعينه وإلى مستوًى بعينه .
- وقد استخدمت المعاجم القديمة بعض المصطلحات الخاصة باعتبار ما يستعمل وما لا يستعمل ؛ مثل : المهمل والمستعمل ، الممات والمهجور ، الغريب والحوشي .
- وتعد كل الألفاظ في العصر الجاهلي مستعملة . وفي العصر التالي تعد الألفاظ التي لم تستعمل في نصوصه من ألفاظ العصر السابق مماتة أو مهجورة أو غير ذلك مما ترشد إليه المادة . وهكذا الأمر في الانتقال من عصر إلى عصر ، ويؤرخ لكل

لفظ جديد ويحدد مصدره ... وهكذا .

● وثمة اعتبار آخر أُعتد به بخصوص تكرار الاستعمال ودرجة الشيوع ، ومن ذلك المصطلحات الآتية :

شائع ، مطرد ، غالب ، كثير ، نادر ، قليل ، شاذ .

● وثمة اعتبار آخر اهتمت به المعاجم الحديثة وبعض المعاجم القديمة بخصوص نظرة المستعملين إلى اللفظ من حيث الإباحة أو الحظر ؛ مثل :

محظور ، مبتذل ، سوقي ، عامي ، قروي ، سوادي .

● وكذا ما يتصل بالإطار الاجتماعي ، أو ما يطلق عليه اللهجات الاجتماعية ؛ مثل :

لغة المثقفين ، لغة العامة ، لغة الأميين ، لغة حرفة أو مهنة .

● وثمة أحكام أطلقها القدماء على اللفظ وفقًا لاعتبارات لغوية عندهم ؛ مثل :

لغة فصحى ، لغة فصيحة ، لغة قُدْمى ، لغة جيدة ، لغة رديئة ، لهجة أو لغة أو لُغَيَّة .

● ولنا أن نحدد ذلك في العصر الحديث ، فيقال إن اللفظ معياري أو تراثي ... إلخ .

● ومن المرغوب فيه أن ينسب اللفظ الفصيح الذي يستخدم في قطر بعينه ، فيقال : إنه مغربي أو مصري ... إلخ .

● وإذا كان اللفظ سائدًا في البلاد العربية ، وله معنًى خاص في قطر بعينه ينص على ذلك .

● وينبغي تعريف هذه المصطلحات تعريفًا علميًا ، وتحديد المعايير التي يعرف بها كل مستوًى منها ، وما يستخدم وما لا يستخدم منها .

الشواهـــــد :

● توضح الشواهد مبنى الكلمة ومعناها وكيف تستعمل ، وما يحدث لها من تغير .

● إذا بدأ المعجم باللغة الفصحى المعاصرة ينظر في الكلمات المستعملة ويستشهد بأمثلة توضح أول استعمال لها ، ثم ما طرأ على هذا الاستعمال من تغير . وفي حالة الكلمة الميتة أو المهجورة يُستشهد المعجم بآخر استعمال لها . وتوضع الشواهد في

عقب كل معنًى مباشرة وفق فترتها التاريخية .

● ونظرا لاتساع الفترة الزمنية من بداية العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، ولضخامة المادة المتوقع الحصول عليها يستشهد بشاهد واحد فحسب لكل متغير في المبنى أو المعنى .

● يستخلص الشاهد من النصوص أو المصادر المعتمدة الخاصة بكل عصر .

● ينسب الشاهد إلى قائل بعينه وإلى سنة بعينها ما أمكن ذلك .

● ينبغي أن يتوافر في الشاهد مجموعة من الشروط من حيث الدقة والوضوح والاختصار ... إلخ ، بحيث يدل أو يفسر المقصود بما فيه من خصائص ، وبحيث لا يحتاج إلى تعليق أو شرح ما أمكن ذلك .

● ترتب الشواهد الخاصة بكل عصر ترتيبًا تاريخيًا قبل بداية مرحلة الوصف .

● فإذا ما بدأنا بالعصر الجاهلي مثلًا ترتب الشواهد وفقًا لأقدم الشعراء ونزولًا إلى أحدثهم وهكذا .

● تحدد اللجنة العلمية الشروط التي ينبغي توافرها للشاهد .

● تحدد اللجنة العلمية مواصفات الجذاذة التي تتضمن الشاهد ، وَرَقية كانت أم إلكترونية ، بحيث يتوافر فيها المعلومات البيليوجرافية الضرورية : عنوان المصدر ، مؤلفه ، ناشره ... إلخ ، أو أية معلومات أخرى تراها مطلوبة من جامع المادة . وكذلك ينبغي إعداد كراسة تتضمن الأسلوب المطلوب لاستخراج الشاهد من النص وتحديد المطلوب منه .

● تنظر اللجنة العلمية في :

١ - أتحدد اللجنة كتابًا بعينه أو كتبًا بعينها لكل جامع مادة ليضع لها معجمًا خاصًا بها كما يفعل المحققون في نهاية الكتب المحققة علميًا ؟

٢ - أو يعطى مدخلًا معينًا أو كلمة معينة ويبحث عنها في مصادر محددة .

المعنى في المعجم :

الغاية الكبرى لأي معجم هو المعنى ، وقد أكدت البحوث الحديثة أن المعنى هو أهم مطالب مستعمل المعجم .

وتحديد المعنى صعب للغاية لتعدد الآراء في المراد منه ، وفي أنواعه ، وفي طرق تفسيره . وليس ثمة مجال هنا لتوضيح ذلك . ولكن يعنينا كيف نرتب المعاني المتعددة للفظ .

ولعل أهم الطرق التي سلكتها المعاجم ؛ هي :

١ – ذكر المعنى الحقيقي قبل المجازي ، وقد ذهب إلى ذلك الزمخشري في أساس البلاغة ، والمجمع في معاجمه : الكبير والوسيط والوجيز .

٢ – ذكر الدلالة المركزية (دلالة الجذر) قبل الدلالات المأخوذة منها . كما فعل ابن فارس في مقاييس اللغة ، وكما فعل المجمع في المعجم الكبير .

٣ – ذكر المعاني الأكثر شيوعًا قبل الأقل شيوعًا كما تفعل بعض المعاجم الحديثة ؛ مثل : معجم ستاندرد ومعجم كوبلد .

٤ – ذكر المعنى الحسي قبل المعنى العقلي . وهذا ما جرت عليه معاجم المجمع الثلاثة .

٥ – ذكر المعنى الأقدم أولًا ثم تتوالى المعاني الأخرى زمنيًّا حتى نصل إلى المعنى الأحدث . وقد راعى شيئًا من ذلك المعجم الكبير ، فجاء في كراسة المنهج : « استشهد بالشعر القديم على وجود اللفظة وثبوتها ، واستؤنس بالشعر الحديث على استمرارها وحياتها ، وتأكيدًا لوحدة اللغة وتكاملها وغرسًا لنواة في سبيل المعجم التاريخي » .

ونظرا لأن معجمنا تاريخي بالمعنى الكامل للمصطلح فسوف يبدأ بالمعنى الأقدم ثم بالذي يجيء بعده وهكذا حتى نصل إلى المعنى الأحدث . هذا إذا بدأ المعجم بالعصر الجاهلي . أما إذا بدأ بالعصر الحديث فسوف يبدأ بالمعنى الأحدث ثم ينزل إلى المعاني الأخرى حتى يصل إلى المعنى الأقدم .

وعلى أية حال ليس ما سبق بمانع من مراعاة الطرق السالفة في المرحلتين الأقدم – العصر الجاهلي – أو الأحدث – العصر الحديث .

طرق شرح المعنى :

ثمة طرق عديدة سلكتها المعاجم القديمة والحديثة ، وليس واحد منها بكافٍ أو بممكن دائمًا ؛ ولهذا ينبغي سلوك ما يناسب الأحوال ، ومن هذه الطرق :

- الشرح بالتعريف .
- الشرح بتحديد المكونات الدلالية .
- الشرح بذكر سياقات الكلمة .
- الشرح بذكر المرادف أو المضاد .
- الشرح بالأمثلة المفسرة وبالأقسام والأجزاء .
- الشرح بالصور والرسوم .

التغير الدلالي :

لا تبقى معاني الكلمات على حال واحدة ، بل تتغير باستمرار بمرور الزمن وتعدد الأماكن وفي مختلف المجالات الموضوعية ... إلخ .

ومدلول الكلمة قد يكون عامًا فيخصص ، أو خاصًا فيعمم ، وهذا التحول دائم ، بمعنى أن الكلمة العامة بعد تخصيصها قد تعمم مرة أخرى ، والكلمة الخاصة بعد تعميمها قد تخصص ... وهكذا .

وقد لا يتغير مدلول الكلمة تعميمًا أو تخصيصًا ، بل قد يضاف إلى معناه المركزي معانٍ هامشية ناتجة عن استعماله في سياقات اجتماعية خاصة ، أو في نمط لغوي محدد كلغة الشعر والرواية .

وقد يتغير مدلول الكلمة لتغير في مواقف المجتمع من سلم القيم ، فالكلمة التي كانت تدل على معنى هابط قد يتغير مدلولها فيسمو ، والكلمة التي كانت تدل على معنى سام قد يتغير مدلولها فيهبط ... وهكذا دواليك .

إن الكلمات - كغيرها من العادات والتقاليد - تسمو وتهبط ؛ ولهذا تؤثر المعاجم الحديثة أن تشير إلى تلك المعاني ، فيقال مثال : سوقي ، مهذب ، متكلف ، متأنق ، مغالًى فيه ، وعلى اللجان العلمية أن تقضي بذكر هذه الأحكام أو بإهمالها ، وبتحديد معناها بدقة إن رئي استخدامها .

وهنا - أيضًا - تجيء عناية المعجم بالانتقال الدلالي من الحقيقة إلى المجاز ، والانتقال من معنًى إلى ما يضاده .

وكذلك ينبغي الإشارة إلى المشترك اللفظي ، والمترادف ، وبيان الفروق الدلالية المميزة لكل لفظ ... وغير ذلك مما تحدده اللجان العلمية .

البحث والتدريب :

أصبحت المعجمية اليوم نشاطًا مهنيًا له ممارساته المستقرة . وأصبحت الهيئات المعنية بها والناشرون تحدد الشروط التي ينبغي توافرها فيمن يسعى إلى هذه الوظيفة . وفوق ذلك اهتمت الجامعات ومراكز البحوث التي تمارس هذا النشاط في أوروبا والولايات المتحدة في وضع البرامج التي تدرب من يعمل في هذا الحقل أو يرغب في العمل فيه على اكتساب المعارف والمهارات الضرورية لعمله .

وقد تعددت المبادرات في هذا المجال ، ومن أشهرها المبادرة المشهورة بمبادرة « إكستر إرازموس » .

وقد تأسست هذه المبادرة من حيث محتوى المنهج وأسلوب التقييم على نهجين : أحدهما نحو التخصص والآخر نحو الممارسة .

يعتمد المنهج الأول على دراسة الحقول التي تتألف منها المعجمية والمعلومات التي ينبغي أن تقدم عنها للدارس حول البحث المعجمي وتصنيفه لحقوله الأربعة : التصنيف المعجمي ، والنقد المعجمي ، والتاريخ المعجمي ، والدراسات الخاصة بمستقبل المعجم .

أما الممارسة المعجمية فتبدأ من ممارسة صناعة المعجم ، وتبحث في المهارات المكونة والمتطلبة لأداء هذه الممارسة من حيث عملية التسجيل أو جمع البيانات ، والوصف أو التحرير ، والعرض أو النشر جنبًا إلى جنب مع أي أدوات أخرى قد تكون ضرورية ؛ مثل : الحوسبة .

(انظر في المقررات الدراسية المقترحة : هارتمان ، المعاجم عبر الثقافات ص ٢٨٢ - ٢٨٦)

يتطلب العمل في المعجم التاريخي الاستعانة بمئات من العلماء في كل مناحي العلوم والآداب والفنون والثقافات ، وبمئات من المحررين والمراجعين ورؤساء التحرير ، بالإضافة إلى هيئة تحرير المعجم والمستشارين .

وقد استعان مؤلفو معجم أكسفورد التاريخي بثمانمائة قارئ متطوع في جمع مادته في بطاقات من حوالي ألف وستمائة كتاب ، وبلغ عدد الشواهد التي جمعها المتطوعون ستمائة وستون ألف شاهد ، مما يؤكد الأهمية البالغة لهذه الفئة من المشاركين في صناعة المعجم .

وقد فرض هذا الأسلوب – في مجال التسجيل أو جمع المادة – أن تضع هيئة تحرير المعجم لهؤلاء المتطوعين كراسة تتضمن التعليمات والإرشادات الضرورية لاستخراج الشواهد من الكتب التي حددتها الهيئة واختار منها كل متطوع ما يناسبه .

وأرى أنه من الضروري الاعتماد على بعض المتطوعين في إعداد المعجم التاريخي بشرط أن تتوافر لديهم خبرة في التعامل مع النصوص ، وأن تحدد هيئة التحرير الكتب أو الوثائق المتفق على استخراج الشواهد منها . وأن تزودهم بطريقة العمل في الاستخراج والتوثيق .

ومع زيادة الاهتمام في العالم العربي بالمعاجم تنظيرًا وتطبيقًا فإن المتحقق دون المطلوب ، فالهيئات والجمعيات ودور النشر المعنية بالمعجمية قليلة ، وقد انعكس ذلك على النشر المعجمي في النهاية . فالمعاجم اللغوية الحديثة أحادية اللغة أو متعددتها قليلة جدًّا ، وكثير منها يفتقر إلى متطلبات المعجم الحديث من حيث الشمول والدقة والوضوح .

وهذا الموقف المتدني تنظيرًا وتطبيقًا يتطلب علاجًا ناجزًا حتى يتوافر للعاملين في المعجم التاريخي للغة العربية المعارف الضرورية والكوادر الفنية المدربة للعمل فيه . فلا بد من عقد مؤتمرات علمية لمعالجة منهج العمل في المعجم وحل المشكلات المتوقعة عند التطبيق ، ولا بد من عقد دورات تدريبية للعاملين في المعاجم لزيادة كفاءتهم وتحديث خبراتهم ، وإعداد محررين جدد مزودين بأحدث النظريات والتقنيات .

وأقترح بالإضافة إلى ما سبق :

- إنشاء مراكز للبحث والتدريب تابعة لمؤسسة المعجم التاريخي في المناطق المعنية بالمعجمية في القاهرة وتونس والرباط وبيروت .
- حث الجامعات العربية على إنشاء مراكز متخصصة في المعجمية تمنح درجات علمية عليا (دبلومًا أو ماجستيرًا)
- إعداد قاعدة بيانات عن العلماء والباحثين في المعجمية .
- إعداد قاعدة بيانات بالمؤتمرات والدوريات المهتمة بالمعجمية وبالكتب والبحوث المنشورة عنها .

● إعداد قاعدة بيانات بالمعاجم العربية المنشورة أحادية اللغة أو متعددتها . وبأهم المعاجم الإنجليزية والفرنسية والألمانية وبأكثرها تطورًا في شكلها ومحتواها .

وبخصوص المعجم التاريخي للعربية تشكل لجنة لاقتراح الكتب والوثائق الشاملة لعصور اللغة العربية ولمختلف المناطق التي استعملت فيها . ولجنة أخرى لتحديد هيئة العمل بالمعجم وتوصيف مهام الكوادر الفنية .

(انظر في هذا أحمد مختار عمر ، صناعة المعجم الحديث ، ص ٧٠ - ٧٢)

مصادر المعجم :

١ - تُجمع مادة المعجم من نصوص للفصحى المكتوبة المشتركة في جذاذات ورقية أو في شكل إلكتروني لكل عصر من عصور اللغة .

قد يُستفاد من المدونات التي سبق تسجيلها ، أو يكون هذا الجمع بداية لعمل المدونة اللغوية للعربية الفصحى في كل عصر من عصورها .

٢ - تُجمع مادة المعجم من خلال مصادر أساسية أو أولية ، ومصادر ثانوية .

٣ - تقوم لجنة (التسجيل والتوثيق) بتعيين هذه المصادر ، والإضافة إليها عند ظهور الحاجة إلى مصادر جديدة .

● المصدر الأساسي هو : ما تُستخلص منه مادة المعجم مباشرة .

● والمصدر الثانوي : هو ما يُستفاد منه في وصف المادة أو سد الفجوات المعجمية ، والفرق بينهما نسبي ، فقد يتضمن المصدر الثانوي ما يصلح ليكون مادة أساسية .

ما نمثل به هنا نماذج للتوضيح فحسب .

أولًا : المصادر الأساسية (في العصور الأربعة الأولى) :

١ - **الشعر** : يُختار من دواوين الشعراء والمجموعات الشعرية ما لا يقل عن خمسين ديوانًا ومجموعة لكل عصر .

٢ - **القرآن الكريم** .

٣ - **الحديث النبوي الشريف** : يكتفي بالصحاح الستة .

٤ - **النثر الأدبي بفنونه القديمة** : الخطبة ، الرسالة ، الأمثال ؛ مثل : مجمع الأمثال

للميداني وللكرماني ، والمستقصى للزمخشري ، وجمهرة الأمثال للعسكري ... إلخ .

٥ – **كتب الأدب بالمفهوم القديم** : الكامل للمبرد ، البيان والتبيين ، والحيوان للجاحظ ، أدب الكاتب وعيون الأخبار لابن قتيبة ، الأمالي لأبي علي القالي ، العقد الفريد لابن عبد ربه ... إلخ .

٦ – **كتب التراجم والمنتخبات** : الأغاني للأصفهاني ، الشعر والشعراء لابن قتيبة ، طبقات الشعراء لابن سلام ، يتيمة الدهر للثعالبي ، ونفح الطيب للمقري ، معجم الأدباء لياقوت ، طبقات اللغويين للزبيدي .. وغيرها من كتب الطبقات .

٧ – **كتب التاريخ** : العام أو الخاص بعصر أو مدينة أو شخص ... مثل السيرة النبوية لابن هشام ، تاريخ الطبري ، الكامل لابن الأثير ، تاريخ ابن خلدون ، بدائع الزهور لابن إياس ، السلوك واتعاظ الحنفا للمقريزي .. تاريخ الجبرتي ، تاريخ بغداد لابن عساكر ... إلخ .

٨ – **النثر العلمي** : ما كتب في العلوم : في الطب والفلسفة والجغرافية والطبيعة والفلك ... إلخ فمن كتب الطب مثلًا يرجع إلى : مترجمات حنين بن إسحق ومؤلفاته مثل : تفسير كتاب الصناعة لجالينوس ، المسائل في الطب ، والعشر مقالات في العين . ويرجع أيضا إلى فردوس الحكمة لعلي بن ربن الطبري ، والحاوي للرازي ، والقانون لابن سينا ، والتصريف للزهراوي ، والجامع لمفردات الأدوية لابن البيطار .

٩ – **كتب الرحلات والجغرافية** : رحلة ابن جبير ، رحلة ابن فضلان ، رحلة ابن بطوطة ، نزهة المشتاق للإدريسي ، أحسن التقاسيم للمقدسي ، المسالك والممالك للإصطخري ... إلخ .

١٠ – **الألفاظ المعربة والدخيلة** : المعرب للجواليقي ، شفاء الغليل للخفاجي ، المتوكلي للسيوطي ، قصد السبيل للمحبي ، الدخيل في اللغة العربية لفؤاد حسنين ، الألفاظ السريانية في المعاجم العربية لأفرام برسوم ، الألفاظ الفارسية المعربة لإدي شير ، المفردات اللاتينية واليونانية لبندلي جوزي ، معجم الكلمات غير العربية في القرآن الكريم لآرثر جفري (باللغة الإنجليزية) .

١١ – **المصنفات العامة للمصطلحات العلمية والفنية** : مفاتيح العلوم للخوارزمي ، الزينة في الألفاظ الإسلامية لأبي حاتم الرازي ، التعريفات للجرجاني ، الكليات

لأبي البقاء ، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم للتهانوي ... إلخ .

وينظر أيضًا إلى المصنفات الخاصة بعلم من العلوم مثل المصنفات الخاصة بالمصطلح الفقهي ؛ مثل : طلبة الطلبة للنسفي ، الزاهر للأزهري ، وتهذيب الأسماء والصفات للنووي ... إلخ ، والخاصة بالمصطلح النحوي ؛ مثل : الحدود في النحو للرمّاني ، شرح الحدود النحوية للفاكهي ... إلخ ، والخاصة بالمصطلح الصوفي ؛ مثل : اصطلاحات الصوفية ولطائف الأعلام للكاشاني . وغير ذلك من المصنفات .

١٢ - **مصنفات الثروة اللغوية** : مثل : جواهر الألفاظ لقدامة ، متخير الألفاظ لابن فارس ، ثمار القلوب ، والتمثيل والمحاضرة ، والاقتباس من القرآن للثعالبي ، الألفاظ الكتابية للهمذاني ، مبادئ اللغة للإسكافي ، الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري ، الأضداد للأنباري ، ما يعول عليه للمحبي ... إلخ .

١٣ - **مصنفات المعاني** : مثل : المخصص لابن سيده ، فقه اللغة للثعالبي ، كتاب المعاني لابن قتيبة ... إلخ .

١٤ - **مصنفات النحو والصرف والعروض والبلاغة** : مثل : كتاب سيبويه ، أصول ابن السراج ، الخصائص لابن جني ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ، دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة للجرجاني ... إلخ .

١٥ - **مصنفات الفصيح واللحن والتصحيف** : مثل : فصيح ثعلب وشروحه ، لحن العامة للزبيدي ، درة الغواص للحريري وشرحه للخفاجي ، تقويم اللسان لابن الجوزي ، تصحيح التصحيف للصفدي ... إلخ .

١٦ - **الموسوعات العربية القديمة** : مثل : المعارف لابن قتيبة ، والفهرست للنديم ، صبح الأعشى للقلقشندي ، نهاية الأرب للنويري .

١٧ - **الموسوعات الحديثة** : فيما تكتبه عن اللغة العربية ، مثل : دائرة المعارف الإسلامية ... إلخ .

١٨ - **المترجمات** : وبخاصة في المنطق والفلسفة وغيرهما مما ترجم عن اليونان ؛ مثل : المقولات والعبارة والقياس .. والخطابة والشعر .. وغيرها مما ألفه أرسطو وغيره ، وكليلة ودمنة وغيرها مما ترجم عن الفارسية .

ومن المصادر الثانوية :

١ – **المعاجم القديمة** : العين للخليل بن أحمد ، والتهذيب للأزهري ، والمقاييس لابن فارس ، والمحكم لابن سيده ، وديوان الأدب للفارابي ، والأفعال للسرقسطي ، ولسان العرب لابن منظور ، وتاج العروس للزبيدي ، والمخصص لابن سيده .

ثانيا : مصادر المعجم في العصر الحديث :

١ – **الشعر** : تختار عينات ذات دلالة إحصائية من أعمال ما لا يقل عن مائة من كبار الشعراء بمختلف مدارسهم وأصقاعهم ، مثل : أحمد شوقي ، حافظ إبراهيم ، البارودي ، خليل مطران ، محمود قبادو ، أبو القاسم الشابي ، بدر شاكر السياب ، جبران خليل جبران ، الرصافي ، الزهاوي ، نازك الملائكة ، أمل دنقل ... إلخ .

٢ – **الرواية والقصة القصيرة والمسرحية** : تختار عينات ذات دلالة إحصائية من أعمال ما لا يقل عن مئة أديب بمختلف مدارسهم وأصقاعهم ؛ مثل : نجيب محفوظ ، طه حسين ، توفيق الحكيم ، يحيى حقي ، الطيب صالح ، عبد الرحمن منيف ، يوسف إدريس ، عبد الرحمن الشرقاوي ... إلخ .

٣ – **المقالة الأدبية والسياسية** : تختار عينات ذات دلالة إحصائية من أعمال ما لا يقل عن مائة كاتب بمختلف اتجاهاتهم وأصقاعهم ؛ مثل : العقاد ، أحمد أمين ، أحمد زكي ، أحمد حسن الزيات ، طه حسين ، محمد حسين هيكل ، أحمد بهاء الدين ، محمد حسنين هيكل ... إلخ .

٤ – **كتب الرحلات والسير الذاتية والتراجم** : مثل : تخليص الإبريز للطهطاوي ، علم الدين لعلي مبارك ، الأيام لطه حسين ، حول العالم لأنيس منصور ... إلخ .

٥ – **المترجمات من الآداب العالمية** : ما ترجم من فنون الأدب المختلفة . تختار عينات ذات دلالة إحصائية من أعمال ما لا يقل عن مائة عمل مترجم ، فمن الأدب الفرنسي : وقائع الأفلاك للطهطاوي ، مسرحيات موليير وراسين ، نماذج من أعمال هوجو ، كامي وسارتر ... إلخ ، ومن الأدب الإنجليزي نماذج من أعمال شكسبير وتشارلز ديكنز وجيمس جويس وأسكار وايلد ، ومن الأدب الروسي بعض نماذج من أعمال تولستوي ودستوفيسكي وتشيخوف ، ومن الأدب الإيطالي نماذج من أعمال دانتي وألبرتو مورافيا ... إلخ .

٦ - **المصنفات العلمية** : تختار عينات ممثلة إحصائيًا فيما ألف وترجم في العلوم المختلفة من طب وهندسة وأحياء . لغير المتخصصين في هذه العلوم ، وبخاصة ما ألف منها للتعليم في المرحلة الإعدادية والثانوية .

٧ - **الصحف اليومية والمجلات** : تختار عينات من الصحف اليومية من كل بلد عربي ؛ مثل : الأهرام القاهرية ، الحياة اللبنانية ، السياسة الكويتية ، الشرق الأوسط السعودية ... إلخ ، وتختار عينات مناسبة من المجلات الأسبوعية أو الشهرية في مختلف الموضوعات ومن كل البلاد العربية ؛ مثل : الهلال المصرية ، العربي الكويتية ، نصف الدنيا المصرية ، ماجد الإماراتية ... إلخ .

ومن المصادر الثانوية :

١ - **المعاجم الحديثة أحادية اللغة** : مثل : المعجم الوسيط ، المعجم العربي الأساسي ، المنجد في اللغة العربية المعاصرة ، المكنز الكبير .

٢ - **المعاجم الحديثة ثنائية اللغة** : معجم اللغة العربية المعاصرة لهانز فير ، معجم المورد ، معجم المغني ، معجم بقطر ، معجم إلياس . ويستفاد أيضًا من المعاجم المكملة لمادة المعجم العربي ؛ مثل : تكملة المعاجم العربية لدوزي ، ومعجم لين ... إلخ .

٣ - **مصنفات الثروة اللغوية في العصر الحديث** : معاجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية ؛ مثل معجم التراكيب والعبارات الاصطلاحية لأحمد أبو سعد ، معجم الألفاظ والتعبيرات السياقية لنايف خرما ... إلخ .

٤ - **معاجم المصطلحات العلمية والفنية** : يكتفى منها بما يمثل ما يشيع في اللغة العامة .

٥ - **الموسوعات العربية والأجنبية الحديثة** : فيما تكتبه عن اللغة العربية ؛ مثل دائرة المعارف الإسلامية ، ودائرة المعارف البريطانية ... إلخ .

٦ - **مصنفات الأخطاء اللغوية في الفصحى** : لغة الجرائد لليازجي ، تذكرة الكاتب لأسعد خليل داغر ، كشف الطرة عن الغرة للألوسي ، معجم الأغلاط اللغوية المعاصرة لمحمد العدناني ، قل ولا تقل لمصطفى جواد ، أخطاء اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار .

اللجان العلمية المختصة بإعداد المعجم :

١ – لجنة التسجيل والتوثيق Recording تقوم بجمع بيانات أو قوائم أو سجلات وتسجيلها في مدونة للنصوص المختارة لكل عصر .

٢ – لجنة الوصف أو التحرير Description تقوم بوصف المادة المجموعة ، وتحليلها وتصنيفها ، وترتيبها في مداخل ، وبعمل الإحالات والتعريفات ، وبيان التغير الواقع في مباني الألفاظ ومعانيها .

٣ – لجنة العرض أو النشر Presentation تقوم بإعداد النسخة النهائية للمعجم ، ورقية وإلكترونية ونشرها وفقًا لما انتهى إليه العمل في لجنة التحرير .

انظر : المعاجم عبر الثقافات ص ٦٤ – ٦٦)

٤ – تحدد كل لجنة قواعد العمل بها وفقًا للمهمة المنوطة بها ، وتضع دليلًا للمحررين يبين الطريقة التي يتم بها العمل في خطوات محددة بالأمثلة .

٥ – من مهام لجنة التسجيل حصر المصادر التي ترجع إليها لاختيار نصوص منها واختيار رموز أو مختصرات لكل مصدر .

وقد يكون من المفيد أن تستقل بتلك المهمة لجنة مساعدة .

* * *

تقرير عن المنهج العلمي المقترح لعمل المعجم التاريخي وما دار حوله من نقاش وما كتب عنه من ملاحظات

عرض الدكتور محمد حسن عبد العزيز على لجنة المعجم التاريخي القائمة بأعمال مجلس أمناء مؤسسة المعجم التاريخي في جلستها المنعقدة في ٦ أبريل ٢٠٠٥م ، الموافق ٢٧ صفر ١٤٢٦هـ - مشروع اللائحة التي كلفه بإعدادها الدكتور كمال بشر الأمين العام لاتحاد المجامع والقائم بأعمال المدير التنفيذي لمؤسسة المعجم التاريخي .

وقد استهل العرض بأن هذه اللائحة ما تزال في دور الإعداد وأنها قابلة للتعديل وفقًا لما يدور حولها من نقاش وملاحظات ودراسات .

وأوجز الدكتور محمد حسن عبد العزيز الحديث عن اللائحة التي أعدها في مذكرات مستقلة تتضمن الموضوعات الآتية :

- عصور اللغة العربية .
- الوحدات المعجمية المدروسة .
- ترتيب مواد المعجم .
- مستوى اللغة المدروسة .
- مستويات الاستعمال .
- المعنى في المعجم .
- الشواهد .
- مصادر المعجم .
- البحث والتدريب .
- اللجان العلمية .

وقد دار نقاش طويل حول كل موضوع من الموضوعات السابقة . وكتب في الموضوعات نفسها تقاريرَ ضافية الأساتذةُ :

- الأستاذ أحمد شفيق الخطيب .
- الدكتور علي القاسمي .

• الدكتور إبراهيم بن مراد .

وفي ضوء ما دار من نقاش ، وما كتب من ملاحظات أقدم هذا التقرير :

١ – عصور اللغة العربية :

اعتماد التقسيم الخماسي لعصور اللغة العربية الوارد بالمشروع ، مع مراعاة التداخل بين العصور ، واقترح الأستاذ الخطيب أن يوضع في الاعتبار اللغة العربية في الأندلس ، وأن يلحق تاريخها بما يوازيه من عصور اللغة العربية في المشرق ؛ على أن يبدأ التاريخ باللغة العربية في العصر الجاهلي ، وينتهي بالعصر الحديث وفقًا للتقسيم الخماسي المتفق عليه مع تصدير مادة المعجم بنظائرها الساميات على النحو المتبع في المعجم الكبير .

ويرى الدكتور إبراهيم بن مراد أن الانطلاق من العصر الحاضر إلى أقدم العصور مخالف للتاريخ ؛ لأن الغاية من التأريخ لوحدات المعجم هي معرفة أول ظهور لها في الاستعمال ومن ثم يوجب الانطلاق من الأقدم بالأحدث .

٢ – الوحدات المعجمية :

• الكلمات : حوامل المعاني (الإشارية والمجردة) .

• الكلمات الوظيفية .

• الكلمات المنحوتة والمركبة .

• العبارات السياقية والاصطلاحية .

على أن تكون هذه الوحدات مداخل فرعية للمادة أو الجذر .

٣ – ترتيب مواد المعجم :

معالجة المادة المجموعة وفق المنهج الذي جرى به العمل في المعجم الكبير حيث يحدد أولًا الجذر ثم تذكر مداخله التي وردت في المصادر المعتمدة على أن يُميَّز بين الجذر ومداخله بشكل واضح ، ويعامل المعرّب قديمًا وحديثًا ، والمشترك والمترادف وفق المنهج الذي جرى عليه المعجم الكبير .

٤ – مستوى اللغة المدروسة :

الاقتصار على تاريخ اللغة العربية الفصحي المكتوبة المشتركة ؛ لأن تاريخ لهجاتها عبر الزمان يتطلب معاجم خاصة متعددة . بيد أن الأستاذ الخطيب نصح بالإشارة

إلى الشائع من العاميات في الوطن العربية عمومًا مع ذكر المنطقة التي تستخدم فيها .

وعلى هذا التقدير سيكون المعجم وصفيًا لا معياريًا ، ولا ضرورة لإصدار أحكام بصحة الاستعمال أو خطئه ، ومع ذلك فمن الضروري النص على ما عرض للألفاظ من تغير في بنيتها وفي استعمالها .

٥ - مستويات الاستعمال :

النص على مستوى الاستعمال وفق المعروض في اللائحة على أن يحدد المعجم متى انتقل اللفظ من مستوًى إلى مستوًى آخر . وأن يحدد مفهوم المستوى تحديدًا علميًا محكمًا .

٦ - المعنى في المعجم :

ترتيب المعاني على النحو المقترح ، فيذكر المعنى الحقيقي قبل المجازي والحسي قبل المعنوي .

ولأن المعجم تاريخي فلا بد من البدء بالمعنى الأقدم المسجل في المدونة والانتقال منه إلى الأحدث .

ويقترح الأستاذ الخطيب البحث في إمكانية البدء بالمعنى الأكثر شيوعًا ، فالأقل شيوعًا ، بيد أن هذا - كما يقول - قد يتطلب دراسات إحصائية لم يتم منها شيء في العربية حتى الآن .

٧ - الشواهد :

الاستشهاد بالنصوص ضروري على ما يحدث من تغير في المبنى والمعنى ، وتفضل الشواهد المتميزة الواضحة التي تتضمن قرائن على الاستعمال .

ويرى الدكتور إبراهيم بن مراد أن دور الشاهد الأساسي في المعجم التاريخي أن يدل إلى أول ظهور لوحدة معجمية أو لمعنًى جديد في نص من النصوص صحيح النسبة إلى كاتب أو شاعر .

وحين يعوزنا التاريخ الدقيق تستخدم عبارات ؛ مثل : (حوالي سنة ، قبيل سنة ... أو في منتصف القرن كذا ... إلخ) .

ويقترح أن يكون لكل وحدة معجمية جديدة ولكل معنًى جديد شاهد واحد . ويمثل على ذلك بما ورد في (مدونة الشعر الجاهلي) الموضوعة في تونس .

ولا ريب في فائدة الطريقة التي اقترحها الدكتور ابن مراد وفي استخدامها في المعجم التاريخي للغة العربية .

٨ - مصادر المعجم :

جاء في مستهل المذكرة المقدمة في هذا الموضوع : تجمع مادة المعجم من نصوص للفصحى المكتوبة المشتركة ... وقد يستفاد من المدونات التي سبق تسجيلها ... وتجمع مادة المعجم من خلال مصادر أساسية ومصادر ثانوية .

وفي المذكرة فسر المقصود بالمصدر الأساسي والثانوي وذكرت أمثلة من النوعين ، ولم يقصد بذلك الحصر الكامل ، بل التمثيل فحسب والقائمة مفتوحة ليضاف إليها ما يُرى ضرورة الرجوع إليه .

ويرى الدكتور إبراهيم بن مراد أن قائمة المصادر الواردة من ص ١٨-٢٢ معتمدة على مبدأ الاختيار ومهما تكن القوائم المقترحة موسعة فإن مبدأ الاختيار المطبق عليها يتعارض ومبدأ التاريخ الذي لا يكون المعجم التاريخي للغة معجمًا تاريخيًا حقيقيًا بالمفهوم اللساني إلّا إذا طبق بدقة . فإن (الاختيار) واعتماد (العينات الممثلة) في استقراء المصادر يمثلان عملًا (انتقائيًا) يفقد الغاية الأساسية من التأريخ في المعجم التاريخي .

ولا خلاف في أن المصادر المقترحة قائمة على الاختيار ، وهذا أمر ضروري لا مندوحة عنه ؛ لأننا لا نستطيع أن نجمع اللغة العربية كلها من كل مصادرها عبر ستة عشر قرنًا .

ولا بد من الناحية العملية في الوقوف عند حد معين من المصادر ، ومع ذلك يراعى في المصادر أن تكون ممثلة إحصائيًا مع اعتبار الزمان والمكان ، والقائمة مفتوحة لإضافة ما يفيد في التعرف على ما حدث من تغير في المباني والمعاني .

أما ما ورد في تقرير الدكتور ابن مراد عن القوائم الإرشادية الواردة في ص ٣ من المشروع من أنها قائمة على الاختيار ، فهو صحيح في ضوء الهدف من إعدادها قبل جمع مادة اللغة ، وهو : تحديد حجم المعجم بتحديد كم مداخله ، وتوزيع العمل على اللجان العلمية ، والتعرف على مشكلات التوصيف والترتيب ، واقتراح حلول لها . ومن ثم فالقوائم عملية أولية للاسترشاد فحسب ، ولا ينبغي أن يستنتج من ذلك أنها تمثل كم المادة المجموعة .

هذا وفي أثناء عرض المذكرات الموضوعية السالفة ذكر الدكتور محمد حسن عبد العزيز أن المنهج المقترح للعمل لم يكتمل بعدُ وأشار إلى الموضوعات الآتية التي تتطلب إعداد بحوث أو مذكرات فيها :

١ - التعريف بالمصطلحات المستخدمة في المعجم .

٢ - اختيار الرموز والمختصرات المقترح استخدامها .

٣ - وضع كراسة الإرشادات التي يستخدمها المحررون والمراجعون ، في جمع المادة وتوثيقها وتصنيفها وتحريرها ونشرها .

٤ - ترجمة بعض مواد من المعاجم التاريخية الشهيرة للاسترشاد بها ، والانتفاع بمادتها .

٥ - استكمال قائمة المصادر والوثائق المقترحة لجمع المادة ، بالإضافة إلى القوائم الإرشادية التي جاء ذكرها بالمشروع .

ومن الجدير بالتنويه هنا في ختام هذا التقرير أن مجمع اللغة العربية بالقاهرة – وقد كان مشروع المعجم التاريخي للغة العربية – وما زال – من أهدافه التي أنشئ من أجلها قد رأى أن يكون موضوع مؤتمره لهذا العام في الفترة من ٢٣ مارس ٢٠٠٦م إلى ٣ أبريل ٢٠٠٦م هو (المعجم التاريخي للغة العربية) وقد دعا المجمع أعضاءه وغيرهم من العلماء واللغويين للكتابة في موضوع يتصل بمحاور المؤتمر الآتية :

١ - المعالجة الحاسوبية للمعجم التاريخي .

٢ - التجارب العالمية الأخرى لوضع معجم تاريخي .

٣ - عصور اللغة العربية ، ومصادر المعجم التاريخي عبر العصور والأصقاع .

٤ - قضايا خاصة ببنية المعجم التاريخي : مادة المعجم ، مستويات الاستعمال ، الوحدات المعجمية ، المعنى في المعجم التاريخي ... إلخ .

ولجنة المعجم التاريخي تنتظر ما يسفر عنه هذا المؤتمر من بحوث ومناقشات ونتائج تفيد – من غير شك – في وضع منهجه وفي تنقيحه .

* * *

مقترحات وردت في أثناء مناقشة المنهج العلمي للمعجم أو في التقارير التي كتبت عنه

• اقترح الدكتور إبراهيم بن مراد والدكتور علي القاسمي استبعاد جمع مادة المعجم في جذاذات ورقية ، ورأيا الاعتماد فحسب على وضع مدونة حاسوبية للغة العربية في كل عصورها ، ومن ثم فلا حاجة إلى الاستعانة بمتطوعين لجمع الشواهد . ويتطلب الأمر من ثم عمل برنامج حاسوبي لجمع مادة المعجم وتصنيفها وإعدادها للنشر . وأن يدرب العاملون في المعجم على المعالجة الحاسوبية .

• اقترح الأستاذ الخطيب تخصيص مداخل في المعجم للأعلام والأماكن والبلدان والدول والمدن الشهيرة بخاصة ما كان له قيمة تاريخية .

• اقترح الأستاذ الخطيب الاستعانة بالرسوم البيانية لتوضيح ما لا توضحه اللغة توضيحًا كافيًا (النباتات والحيوانات والآلات ... إلخ) .

• اقترح الدكتور ابن مراد الرجوع إلى (مدونة الشعر الجاهلي المؤرخة) التي وضعتها جمعية المعجمية بتونس والاستفادة من الإجراءات والتصورات التي اتبعت في إنجازها .

وقد أشار الأستاذ الخطيب إلى مدونة أخرى لمعجم عربي تجمع في السعودية . وإلى بعض المدونات التي أنجزتها دور النشر .

ويحسن مخاطبة الدكتور ابن مراد والأستاذ الخطيب للاستعلام عن هذه المدونات وإمكان توفيرها . وقد أشار الدكتور ابن مراد في ملاحظاته إلى أهمية الرجوع إلى Dictionnaire Historique De La Langue Française (المعجم التاريخي للغة الفرنسية) .

وقد رجعت بالفعل إلى هذا المعجم ، وقام بترجمة مقدمته بتكليف من الأمين العام للمؤسسة باحثة لغوية ، والترجمة موجودة لمن يرغب في الرجوع إليها .

• ولدى كاتب هذا التقرير عدد من الرسائل العلمية والبحوث التي دارت حول عمل مدونة للغة العربية المعاصرة المكتوبة ، ولديه أيضًا تعريف مفصل عن بعض المدونات التي أنجزتها بعض الجامعات الأمريكية والأوربية عن اللغة العربية المعاصرة .

ويقترح الاتصال بالهيئات الناشرة لها لتكون في متناول لجنة المعجم .

دكتور محمد حسن عبد العزيز
عضو لجنة المعجم التاريخي للغة العربية

برنامج دراسي مقترح لإعداد محررين للمعجم التاريخي للغة العربية

يتطلب العمل في المعجم التاريخي الاستعانة بمئات من المحررين والمراجعين ورؤساء التحرير في جمع مادته وتصنيفها ومراجعتها ونشرها وفق المنهج المقرر للعمل .

وليس لدينا – بكل أسف – معرفة كافية بأعداد العاملين في هذا المجال سواء في المؤسسات المعنية أو في دور النشر ، وليس لدينا كذلك وصف محدد لوظيفة المعجمي ، ولما ينبغي أن يتوافر فيه ، من ملكات ومن معرفة ومن خبرة ؛ لهذا كان من الضروري إعداد برامج تدريبية لتخريج محررين (في وظائف دائمة أو مؤقتة أو متطوعين) مؤهلين تأهيلًا عاليًا للعمل في المعجم التاريخي .

ولما كانت وظيفة (المحرر) هي قاعدة العمل بالمعجم أَقترح هذا البرنامج لتدريب المؤهل لهذه الوظيفة .

١ – البرنامج المقترح برنامج دراسي في المعجمية (نظرية وتطبيقًا) في مستوى الدراسات العليا لمدة عام يؤهل للحصول على دبلوم مهني .

٢ – يشترط في الملتحق بهذا البرنامج :

- الحصول على درجة جامعية في (اللغة العربية) من معهد متخصص فيها .
- الحصول على (الرخصة الدولية للحاسوب) ICDI من معهد متخصص .

٣ – البرنامج المقترح مؤسس على نهجين في الدراسة والتقييم . الأول في التخصص والثاني في الممارسة . (انظر الأوراق الخاصة بالبحث والتدريب) .

٤ – يقدم البرنامج في فصلين دراسيين . لكل فصل ١٦ ساعة أسبوعيًا لمدة ١٤ أسبوعًا . على النحو الآتي :

١٠ ساعات أسبوعيًا للدراسة التخصصية .

٤ للتدريب .

٢ لكتابة بحث أو تقرير في موضوع معجمي .

الدراسات التخصصية

الفصل الأول :

• المعاجم القديمة (تاريخ ونقد)	:	ساعتان
• الحوسبة (١)	:	ساعتان
• المصطلحية	:	ساعتان
• علم الدلالة	:	ساعتان
• الصرف	:	ساعتان

الفصل الثاني :

• المعاجم الحديثة (تاريخ ونقد)	:	ساعتان
• الحوسبة (٢)	:	ساعتان
• المعجم التاريخي	:	ساعتان
• النحو	:	ساعتان
• مكونات المعجم	:	ساعتان

التدريب :

الفصل الأول :

• مصادر المادة المعجمية	:	ساعتان

الفصل الثاني :

• صناعة المعجم (الجمع ، والتحرير ، والتدريب ، والتعريف ... إلخ) : ساعتان

البحث أو التقرير

الفصل الأول :

• ساعتان لبحث أو تقرير في (المعاجم القديمة) .

الفصل الثاني :

• ساعتان لبحث أو تقرير في (المعاجم الحديثة) .

٥ - يراعى في توصيف المقررات التخصصية أن تكون في خدمة الصناعة

المعجمية ، وتهدف إلى المساعدة في تأهيل محرر للعمل في المعاجم بعامة والمعجم التاريخي بخاصة .

بيانات شخصية										
	الاسم الأول			First Name	محل الميلاد		تاريخ الميلاد			
	اسم الأب			Father's Name	الحالة الاجتماعية					
	اسم الجد			G.Father's Name	العنوان الدائم					
	اسم العائلة			Family Name	الهاتف		الفاكس			Email

الدرجات العلمية	م	الدرجة العلمية	الجامعة	سنة التخرج	الموضوع	الدورات التدريبية والحوسبة	م	الدورة التدريبية	الهيئة المنظمة	فترة الانعقاد	المشاركة	
											مدرِّب	متدرِّب
	١						١					
	٢						٢					
	٣						٣					
	٤						٤					

	م	الوظيفة	الرتبة العلمية	الجامعة / الهيئة		م	الوظيفة	الرتبة العلمية	الجامعة / الهيئة
النموذج الوظيفي	١				النموذج الوظيفي	٤			
	٢					٥			
	٣					٦			

	م	عنوان البحث / الكتاب	مكان النشر	تاريخ النشر	م	ع البحث / الكتاب	مكان النشر	تاريخ النشر
الكتب والبحوث المنشورة في علم اللغة بعامة والمعجمية بخاصة	١				٦			
	٢				٧			
	٣				٨			
	٤				٩			
	٥				١٠			
الخبرات	١							
	٢							

ثالثا

عرض وتعليق على بعض البحوث المقدمة من أعضاء لجنة المعجم التاريخي (*)

النشر الإلكتروني للنصوص العربية
تقرير عن المدونات اللغوية الإلكترونية المعاصرة

إعداد أ.د. أحمد بن محمد الضبيب

يهدف هذا البحث القيم الذي أعده لغوي خبير بموضوعه – إلى استكشاف المدونات اللغوية الإلكترونية المتاحة في الساحة ، ومدى إمكان الإفادة منها في أثناء تأليف المعجم التاريخي للغة العربية ، وقد أنجز البحث في المدة من أغسطس إلى نوفمبر ٢٠٠٦م .

وقد حاول فيه الدكتور الضبيب أن يجمع أكبر قدر من هذه المدونات ، وأن يصفها وصفًا محددًا بقدر الإمكان ، من خلال الاطلاع عليها مباشرة أو من خلال ما كتب عنها .

وقد آثر الدكتور الضبيب – على الرغم من وجود اتجاهات متعددة في تقسيم المدونات – أن يقسمها إلى مجموعتين :

- مجموعة أصدرتها مؤسسات رسمية أو غير ربحية .
- مجموعة أصدرتها مؤسسات تجارية .

ونختار من بين المجموعتين ؛ أهمهما :

المجموعة الأولى : النشر المؤسسي ، ومن بين هذه المجموعة :

١ – مشروع الذخيرة اللغوية :

وهو أقدم المشروعات التدوينية ، عرض فكرته الأولى ، وقدمها إلى مؤتمر التعريب

(*) أرقام الصفحات الموجودة بمتن البحوث هي أرقامها في أصولها .

في عمّان ١٩٨٦م الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح .

وقد مرّ المشروع بعدة تصورات من حيث تعريفه ومن حيث أهدافه . أما آخر هذه التصورات فيحدد بأنه بنك آلي يهدف إلى أن يمكن الباحث العربي ، أيًّا كان وأينما كان ، من العثور على معلومات شتى ، من واقع استعمال اللغة العربية بكيفية آلية . وتوصف الذخيرة بأنها بنك نصوص لا مفردات ، وهي نصوص من اللغة الحية الفصحى المحررة أو المنطوقة طوال خمسة عشر عامًا ، ومن ثم لا تكون هذه الذخيرة معجمًا ضخمًا ، بل مصدرًا للمعاجم ، ومنها المعجم التاريخي .

وبكل أسف لم تظهر هذه المدونة حتى الآن على الرغم من أن فكرتها ظهرت منذ ثلاثين عامًا .

٢ - الموسوعة الشعرية .

نهض بهذا المشروع المجمع الثقافي في (أبو ظبي) ، وصدرت النسخة الأولى من نصوص الشعر العربي ١٩٩٨م ، أما آخر ما صدر منها فالنسخة الثالثة ، وتضم ٢,٤٣٩,٥٨٩ بيتًا موزعة على ٢٣٠٠ شاعر ، كما أضيفت إليها مكتبة مكونة من ٢٦٧ مصدرًا من مصادر التراث وعشرة معجمات قديمة .

وأهم ميزات هذه الموسوعة الوصول السهل إلى موادها عبر محرك البحث الخاص بها ، ومع وجود بعض الأخطاء في الطباعة أو في غيرها ، فإن هذا العمل يستحق الإشادة ، ولا شك في أنها من الوسائل المساعدة التي يمكن بواسطتها معرفة التسلسل التاريخي لكثير من الألفاظ والتعبيرات العربية منذ عصر قبل الإسلام حتى العصر الحديث .

٣ - موقع الوراق :

وهو مكتبة متخصصة في التراث العربي والإسلامي ، يضم ما يزيد على مليون صفحة ، سجلت من ٧٩٨ كتابًا في الأدب واللغة والحديث والتاريخ والفقه والرحلات والتصوف ... إلخ .

ولعل أهم ميزة في هذا الموقع الوصول إلى الكلمة أو العبارة بسهولة ويسر ، لكن افتقار اللفظة إلى التشكيل يجعل البحث مجهدًا وبخاصة الكلمات التي تتكرر كثيرًا .

٤ - مدونة المعجم اللغوي للمرحلة الابتدائية في المملكة العربية السعودية :

يدعم هذا المشروع مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية .

وتهدف هذه المدونة إلى جمع النصوص التي يمكن أن تستخلص منها الألفاظ المناسبة لصغار التلاميذ ، وتقريب لغتهم من الفصحى ، وتنمية كفاءتهم التعبيرية ، وتزويدهم بثروة لغوية مناسبة لنموهم العقلي ... إلخ . هي إذًا ذات أهداف تعليمية وتربوية ، وقد اعتمدت في استخلاص مادتها على الكتب المقررة في المرحلة الابتدائية ، وعلى كتب الأطفال والصحف والمجلات الخاصة بهم ... إلخ .

٥ - مدونة المعجم المدرسي للمرحلتين المتوسطة والثانوية في المملكة العربية السعودية :

يهدف المشروع إلى إعداد معجم خاص لطلاب المرحلتين المتوسطة والثانوية ولا تختلف أهدافه عن الأهداف الموضوعة لمعجم طلاب المرحلة الابتدائية ، وهي قائمة على مواد من النصوص المدرسية المقررة في التعليم العام ، ونصوص أخرى مختارة من الشعر العربي ، ومواد من الإعلام المقروء والمسموع والمرئي . وقد تكونت المدونة من ٣٥٠٠٠٠٠ ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف كلمة .

المجموعة الثانية : النشر التجاري ، ومن أهمها :

١ - مشروع مدونة اللغة العربية (علم)

تُعد هذه المدونة شركة (ATA) لتقنية البرامج ، ومقرها لندن بإشراف مديرها الدكتور عدنان عيدان . وتهدف هذه المدونة إلى خزن أكبر كمية من الكلام العربي المكتوب قديمًا وحديثًا ، ويطمح المشروع إلى خزن عشرة مليارات كلمة استخلصها الباحثون من كتب العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والشعر العربي ، وكتب العلوم ... إلخ . وقد صنفت مادتها تاريخيًا حيث تتوزعها ست مراحل أو عصور : العصر الجاهلي ، وصدر الإسلام ، والعصر الأموي ، والعصر العباسي ، وعصر ما بعد سقوط بغداد عام ٥٦٥ هـ حتى ظهور الطباعة الحديثة ، ثم عام ١٨٣٠م إلى الوقت الحاضر .

ومن المتوقع - كما يقول الدكتور الضبيب - أن تحتوي المدونة على مادة معاصرة من وسائل الإعلام المختلفة ، لذلك يجب الحذر الشديد عند الرجوع إلى مصادر

الفترة المعاصرة ، ويجب التعامل معها بانتقائية شديدة .

٢ – إصدارات مركز التراث بعمان (الأردن) :

ومن إصدارات هذا المركز : الجامع الكبير لكتب التراث العربي والإسلامي ، وهو مدونة كبيرة تتكون من ١٧٠٠ عنوان تحويها ٨٥٠٠ مجلد ، تضم كتبًا في التفسير والحديث والفقه والعقائد والملل والسير والتاريخ والتراجم ، وفي اللغة العربية تضم المدونة ما يزيد على ٣٢٠ عنوانًا شملت كتبًا في الأدب العربي شعره ونثره من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث .

وفي اللغة ضمت المدونة مجموعة من كتب النحو والصرف والبلاغة ، وضمت كذلك ١١ معجمًا من المعاجم القديمة ، وضمت كذلك المعجم الوسيط الذي أصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

٣ – إصدارات شركة حرف :

أنشئت هذه الشركة سنة ١٩٩٧م امتدادًا لمركز التراث الإسلامي ومركزها الرياض ، ولها فروع في بعض البلاد العربية . ومن البرامج التي أصدرتها على الأقراص المدمجة :

- برنامج القرآن الكريم .
- موسوعة الحديث النبوي .
- جامع الفقه الإسلامي .
- فتاوى ابن تيمية .

وثمة مشروعات أخرى عديدة لا يتسع المقام للحديث عنها .

وينهي الدكتور الضبيب بحثه القيم بخلاصة وتقييم لما عرضه في بحثه من مدونات ، ومن أهم ما لاحظه :

١ – أن معظم المدونات تعالج نصوص التراث العربي بعلومه المختلفة شرعية ولغوية وأدبية لخدمة الباحثين في هذا التراث .

٢ – كثير من هذه المدونات لم تراجع مراجعة دقيقة ؛ ولذلك تكثر فيها الأخطاء ويجب مراجعة النصوص التي تؤخذ منها على مصادرها الورقية .

٣ – معظم النصوص في هذه المدونات غير مشكول ، وهذا شأنه إتعاب الباحث

وإعناته دون جدوى ، فإذا ما طلب الباحث الفعل الماضي (عَنَّ) بتشديد النون فإن الحاسب سيمده بكل ما كان على صورة العين والنون ، وسيفاجأ بمئات الألفاظ للحرف (عَنْ) بفتح وسكون ، كما أن كثيرًا من هذه المدونات يقوم البحث فيها على اللفظة الواحدة دون العبارة أو الجملة .

٤ - يمكن الاستفادة من هذه المدونات وغيرها بحذر ، وربما كان من الأجدى دمجها ببرنامج واحد يمكن من البحث فيها مجتمعة .

وينهي الدكتور الضبيب ملاحظاته بتوصية يضعها أمام هيئة المعجم التاريخي . يقول : إن إنشاء مدونة خاصة جديدة تقوم بها مؤسسة المعجم التاريخي قد يستغرق وقتًا طويلًا ويحتاج أموالًا طائلة ، وقد يكون من الممكن التفاوض مع بعض الشركات التي لها باع وتجربة في هذا الشأن لإعداد المدونة وفق مواصفات وشروط تتطلبها مؤسسة المعجم التاريخي وتحت إشرافها ومراجعتها .

التعليق على البحث :

ليس من همي في هذا التعليق تقدير قائمة المدونات التي ذكرها الدكتور الضبيب ، والحديث عن أهمها ، فهذا ما سوف أنهض به في نهاية الجزء المخصص من هذا الكتاب للنماذج التي أقدمها لبعض مواد المعجم التاريخي ، فقد رجعت - من بين مصادر متعددة - إلى بعض هذه المدونات .

ومع ذلك أحب أن أضيف إلى بحث الدكتور الضبيب بضع فقرات مختصرة عن مفهوم المدونة وأهميتها في الصناعة المعجمية بخاصة ، وعن بعض المدونات التي أنجزتها بعض الهيئات والمراكز العلمية الأجنبية تتميمًا للفائدة المرجوة من البحث في هذا الموضوع .

المدونة Corpus مجموعة هائلة من النصوص اللغوية يمكن التعامل معها آليًا ، وقد نشأ علم يختص بها هو Corpus Linguistics . والحقُّ أنه ليس فرعًا من علم اللغة Linguistics بالمعنى الدقيق حتى الآن ، لكنه بالأحرى أسلوب يمكن استخدامه في دراسة كل جوانب اللغة : المفردات ، التراكيب ، الدلالة ، المعجم ... إلخ .

وقد استخدمت المدونات استخدامًا واسعًا في السنوات الأخيرة من القرن الماضي ، ومن مطالع القرن الحادي والعشرين وبخاصة في صناعة المعاجم ، ونشير

هنا فحسب إلى معجم Collins Cobuild English Language Dictionary . الذي استخلصت مادته وعولجت من مدونة تزيد على مائتي مليون كلمة مكتوبة أو مسموعة ... ومن مئات من المصادر المؤرخة منذ ١٩٩٠م إلى ما بعد ذلك .

إن المادة الهائلة التي يمكن تسجيلها بسهولة آليًا تتيح لنا ما لم تكن تتيحه الطريقة الورقية التي اعتمدتها المعاجم التقليدية .

لقد أصبح الآن – بفضل المعالجة الآلية للنصوص – دراسة ما يستعمله الناس بالفعل من مفردات وتراكيب ، ودراسة العوامل التي تؤثر على استخدامنا للغة ، كتفضيل كلمة على كلمة أو تركيب على تركيب في موقف معين ، والعوامل الأخرى كالسن والتعليم ونوعية النص المسجل ... إلخ .

وكثر استخدام المدونات في مجال تعليم اللغات ، وحقق في ذلك نجاحًا عظيمًا ، بيد أن أغلب المدونات المتوافرة الآن تركز على جمع النصوص المكتوبة بقدر أوسع من النصوص المنطوقة ؛ وذلك للتكلفة العالية لتسجيلها . وهذا النجاح الذي تحقق في مدة وجيزة جعل إنشاء مدونة عربية للمعجم التاريخي للغة العربية عملًا ميسورًا .

ومن المدونات العربية التي أنجزتها مؤسسات علمية أجنبية :

١ – مدونة Buckwalter بدأ العمل في هذه المدونة سنة ١٩٨٦م ، تعتمد على نصوص من الصحف والمجلات ووكالات الأنباء مأخوذة من شبكة الإنترنت . الهدف من وضع هذه المدونة هو استخدامها في الأغراض المعجمية .

٢ – مدونة Leuven : بدأ العمل فيها سنة ١٩٩٠م ، من أجل تأليف معجم عربي – ألماني / ألماني – عربي جديد للطلاب . تحتوي حاليًا على ثلاثة ملايين كلمة . المصادر الأساسية للمدونة ثلاثة : ١ – نشرات الأخبار في الإذاعة والتليفزيون في الجزائر ومصر والسعودية ، ٢ – ٥٠ كتابًا لتعليم العربية ، ٣ – مواد مكتوبة منشورة على الإنترنت مأخوذة من الصحف والمجلات .

٣ – مدونة Nijmegen : حجمها أكبر من مليوني كلمة ، الهدف وضع معجم جديد للعربية ، والمساهمة في وضع معجم ألماني – عربي / عربي – ألماني . تم وضع المدونة في ١٩٩٥م – ١٩٩٦م . نصوصها مأخوذة من مجلات وصحف : الوسط ، العربي ، الحياة ، القدس . ومن نصوص أدبية وغير أدبية .

٤ – مدونة CLARA : مدونة للفصحى المعاصرة المكتوبة تحتوي على ٣٧ مليون كلمة ، تغطي العربية في شبه الجزيرة العربية ، سوريا ، ومصر . مصادر المادة تشمل : الدوريات والكتب وغير ذلك من الموضوعات التي تغطيها المادة : الزراعة ، الفنون ، الإنسانيات ، الصناعة ، القانون ، الطب ، السياسة ، النقل . الغرض الأساسي من بناء هذه المدونة وضع معجم عربي / تشيكي .

٥ – مدونة DINAR : جزء من مشروع أكبر يهدف إلى إنشاء قاعدة بيانات معجمية متعددة اللغات في العربية والإنجليزية والفرنسية ، باستخدام مصادر لغوية ذات مستوًى عالٍ من لغات متعددة وأدوات معالجة اللغات الطبيعية ، يبلغ عدد كلماتها عشرة ملايين كلمة .

وثمة مدونات أنجزها باحثون عرب لأغراض أكاديمية ؛ مثل :

١ – المدونة متعددة اللغات MLC صممها الباحث ستَّار عَزّويني في أطروحة قدمها إلى جامعة مانشستر ٢٠٠٣م . هدفها توفير مادة لمعجم متعدد اللغات .

٢ – المدونة العربية العلمية العامة GSAC . صممها الباحث أمين المهنَّا في أطروحة تقدم بها إلى جامعة مانشستر ٢٠٠٣م . استخلصها الباحث من نصوص علمية .

٣ – مدونة العربية الفصحى CAC . صممها الباحث عبد الحامد عليوة في أطروحة قدمها إلى جامعة مانشستر ٢٠٠٤م ، استخلص مادتها من نصوص الشعر العربي من العصر الجاهلي حتى نهاية القرن الحادي عشر الهجري . وكلماتها تزيد على خمسة ملايين كلمة .

* * *

مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية

إعداد : د . علي القاسمي

كانت اللجنة الرباعية في اجتماعها بمقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة في المدة من ٤-٥/٤/٢٠٠٦م قد كلفت الدكتور علي القاسمي ، بوضع مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية ، في ضوء المنهج العلمي المقترح لعمل المعجم ، والذي كان قد أعده الدكتور محمد حسن عبد العزيز ، وفي ضوء ملاحظات أعضاء هيئة المعجم عليه ، والمناقشات التي دارت حوله ، وفي ضوء البحوث المقدمة إلى مؤتمر المجمع في دورته الثانية والسبعين .

وقد كان الهدف - في تقديري - الوصول إلى صيغة يمكن أن تمثل ما سيجري عليه العمل بالمعجم ، ويمكن أن تعرض على هيئة المعجم لإقرارها ، ولكن الدكتور علي القاسمي توخى من إعدادها - كما يقول - « فائدة العاملين في هيئة المعجم التاريخي للغة العربية ، وهم من تخصصات مختلفة ، وليس علماء اللغة من أعضاء لجنة المعجم والمعجميين ؛ ولهذا فقد شابه شيء من التبسيط والتكرار وضرب الأمثلة » ولعل هذا هو الذي أدى إلى توسع الدكتور القاسمي في عرض كل ما يتصل بالمعجم التاريخي ، وفي التحليل والتعليل توسعًا لا يخلو - كما يقول الدكتور إبراهيم مراد - من « نزعة مدرسية » ، مما جره إلى أن يذكر في بعض العناصر معلومات عامة جدًّا ، تصلح فيما أرى لأن تكون في كتاب تعليمي » .

ومع موافقتي - بعامة - على ملاحظة الدكتور ابن مراد فإني معه تمامًا حين قال في بحثه الضافي الذي علق به على مشروع الخطة التي قدمها الدكتور القاسمي : وقد دلّ عرضه وتحليله على جليل قدره بما له من المعارف الغزيرة الموسعة والدراية الفائقة بقضايا التأليف المعجمي وخاصة تأليف المعجم التاريخي .

والحق أقول : إن الدكتور القاسمي ، ليس في حاجة إلى تزكيتنا لعمله ، وتقديرنا لجهده ، فأعماله العلمية وخبراته اللغوية تزكيانه أوفى التزكية .

وقد رأيت تحقيقًا للفائدة التي تغاياها الدكتور القاسمي من (كتاب مشروعه) .

أولًا : أن أقدم قائمة المحتويات التي صدَّر بها عمله ؛ فهي كافية - في تقديري - عن تفصيلات المشروع التي ربما لا يتسع المقام لها .

ثانيًا : أن أقدم ثلاث فقرات مطولة مما كتبه عن مدونة المعجم التاريخي للغة العربية - كما كتبها - لجدتها وطرافتها من ناحية ، ولأنها كانت موضع معارضة من الدكتور ابن مراد ، وموضع موافقتي من حيث المبدأ ، وهذه عناوين هذه الفقرات :

- التوزيع الموضوعي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية .
- التوزيع التاريخي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية .
- التوزيع الجغرافي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية .

ومع مخالفتي للدكتور ابن مراد في بعض ما جاء من ملاحظاته فإنني أقدر قراءته الصابرة المحتسبة ، وأشكره ؛ إذ ناب عني في عرض المشروع ، وكفاني كلفة التعب ، وفي تعليقي على ملاحظاته ما يشعرني بأنني والدكتور ابن مراد قد بذلنا غاية الجهد في تقدير هذا المشروع والوفاء بحق صاحبه .

أولا : قائمة المحتويات :

تمهيد : مراجع المشروع ، الملاحظات على المشروع .

تعريف المعجم التاريخي .

أهداف المشروع .

أهمية المعجم التاريخي للغة العربية .

خطوات تصنيف المعجم التاريخي للغة العربية :

أولًا : اختيار العاملين في هيئة المعجم التاريخي وتدريبهم :

ثانيًا : تحديد عصور اللغة العربية :

العصر الجاهلي ، العصر الإسلامي ، العصر العباسي ، العصر الوسيط ، العصر الحديث .

ثالثًا : إعداد قائمة المصادر :

- المصادر الأولية :

النقوش ، البرديات ، المخطوطات ، المطبوعات الموضوعة والمترجمة ، والدوريات ، والبرامج الإذاعية والتلفزية ، المواقع العربية على شبكة الإنترنت .

- المصادر الثانوية :

المعاجم الأحادية اللغة ، المعاجم الثنائية أو المتعددة اللغة ، معاجم الاصطلاحات ،

كتب لغات القرآن الكريم وتفسيره ، كتب لغات غريب الحديث النبوي الشريف ، كتب لغات القبائل العربية ، كتب البحوث التأثيلية ، كتب الدراسات السامية المقارنة ، كتب لحن العامة ، كتب المولَّد والمعرب والدخيل ، المَعْلَمات والموسوعات ودوائر المعارف .

- الدراسات التمهيدية للمعجم التاريخي .

رابعًا : إنشاء مدونة محوسبة :

√ المدونة في اللغة والاصطلاح .

√ تاريخ استخدام المدونات في صناعة المعجم العربي .

√ المدونة الحاسوبية الحديثة وأنواعها :

الأرشيف (المخطوطات) ، مدونة المراجع ، مدونة البحث ، مدونة العمل الفرعية .

√ كيفية البحث في المدونة الحاسوبية .

بحث مدعم بالمدونة ، بحث توجهه المدونة .

√ لسانيات المدونة واللسانيات الحاسوبية

√ خصائص المدونة الحاسوبية :

السهولة ، السرعة ، الدقة .

√ إنشاء مدونة المعجم التاريخي للغة العربية

نوع المادة اللغوية المطلوبة ، كمية البيانات المطلوبة وحجم المدونة ، المدونات المتوفرة حاليًا .

√ التوزيع الموضوعي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية .

√ التوزيع التاريخي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية .

√ التوزيع الجغرافي لمدونة المعجم التاريخي للغة العربية .

√ صعوبات إنشاء مدونة المعجم التاريخي للغة العربية :

عدم وجود مدونات عربية جيدة ، صعوبة إدخال النصوص العربية في الحاسوب ، عدم توفُّر محركات بحث عربية جيدة .

√ توثيق المدونة وشرحها .

خامسًا : استخلاص الجذور والمداخل من المدونة وترتيبها :

✓ ترتيب مداخل المعجم التاريخي للغة العربية :

ترتيب المداخل الرئيسة ، ترتيب المداخل الفرعية .

سادسًا : تكوين قاعدة شواهد مؤثّقة على مداخل المعجم :

✓ المدونة اللغوية وقاعدة الشواهد .

سابعًا : تحرير مواد المعجم التاريخي للغة العربية :

✓ مكوّنات مواد المعجم التاريخي :

١ – المداخل :

الجذر ، المدخل الرئيس ، المشتقات (الكلمات) : الوظيفية والمعجمية (حوامل المعاني) ، المركّبات والمنحوتات ، المتلازمات اللفظية : التعابير الاصطلاحية والسياقية ، الرموز ، المختصرات ، المختزلات .

- هل الأعلام من مداخل المعجم التاريخي للغة العربية ؟

أعلام الأماكن والبلدان ، الأشخاص .

- ما عدد مداخل المعجم وما حجمه ؟

طريقة التقليبات ، إحصاء الجذور العربية حاسوبيًا ، استخلاص الجذور والمداخل من المدونة .

٢ – المعلومات التأثيلية (التأصيلية) :

المولّدات والمعرّبات ، ترتيب المعرّبات ، طرائق عرض المعلومات التأثيلية : (طريقة المعجم الكبير ، طريقة المعجم التاريخي للغة العربية) .

٣ – المعلومات الهجائية والنطقية .

٤ – المعلومات الصرفية والنحوية :

الفعل ، الاسم ، الصفة .

٥ – معلومات عن الاستعمال :

مستويات الاستعمال ، الاستعمال الجغرافي ، الاستعمال التاريخي ، الاستعمال الموضوعي ، الاستعمال الأسلوبي ، الاستعمال الإحصائي .

٦ – المعلومات الدلالية :

ترتيب المعاني المختلفة للفظ المدخل ، التعريف (انظر التعريف لاحقًا) .

٧ – الشواهد :

(انظر الشواهد لاحقًا) .

٨ – المصادر الأولية :

٩ – المصادر الثانوية :

١٠ – ملاحظات المحرِّر وتعليقاته :

- التعريف في المعجم التاريخي للغة العربية .
- تعريف التعريف .
- أنواع التعريف :

التعريف اللغوي ، التعريف المنطقي ، التعريف المصطلحي .

- شروط التعريف :

الوضوح ، الإيجاز ، التساوي ، الإيجاب ، الخلو من اللغو .

- عيوب التعريف :

الحشو ، السطحيّة ، تعريف المجهول بالمجهول ، الوقوع في الدور والتسلسل ، إحالة القارئ على أكثر من مدخل آخر أكثر من مرة ، عدم استخدام المميزات الدلالية في تحري المشترك اللفظي .

- الشواهد في المعجم التاريخي للغة العربية .

√ تعريف الشاهد .

- أنواع الشواهد :

شواهد المدونة ، شواهد المعجم .

- أعراض الشواهد ووظائفها في المعجم التاريخي :

إثبات وجود اللفظ أو أحد معانيه في اللغة ، توضيح معنى اللفظ ، تبيان استعمال اللفظ ، إعطاء فكرة عن ثقافة الناطقين باللغة .

√ قواعد استخدام الشواهد في المعجم التاريخي للغة العربية :

مصداقية الشاهد ، طول الشاهد ، اختصار الشاهد ، اصطناع الشاهد ، عدد الشواهد : (عدد شواهد المدونة / قاعدة الشواهد ، عدد شواهد المعجم) . الاعتداد بالشاهد ، شواهد على تاريخ الألفاظ أم شواهد على تاريخ الأفكار ، شواهد على الكلمات وشواهد على المصطلحات ، نسبة الشاهد إلى قائله .

ثامنًا : نشر المعجم التاريخي للغة العربية :

√ محتويات المعجم :

تصدير ، مقدمة : تاريخ اللغة العربية ، علاقتها باللغات الأُخرى ، قواعدها ، قائمة بعلامات الترقيم ودلالاتها ، قائمة بالرموز والمختصرات المستعملة في المعجم ، مواد المعجم ، قائمة بمصادر المعجم .

√ الرسوم والصور في المعجم .

√ جودة الطباعة .

√ التحديث والمراجعة :

التحديث ، المراجعة .

ثانيا : مدونة المعجم التاريخي للغة العربية :

أ – التوزيع الموضوعيّ لنصوص مدوَّنة المعجم التاريخيّ للُّغة العربيَّة :

نقترح أن تتألف مدوَّنة المعجم التاريخيّ للُّغة العربيَّة من بليون كلمة (ألف مليون كلمة) ، كما ذكرنا سابقًا ، وان تُقسَّم إلى عشرين مجالًا موضوعيًّا ، ونصوص كلِّ مجال من هذه المجالات تُسمى مدوَّنة فرعيَّة Subcorpus وكلُّ مدوَّنة فرعيَّة مقسمة هي الأخرى إلى مجموعة من المجالات الموضوعية المتخصصة . فإذا أخذنا المدوَّنة الفرعيَّة المتعلقة بمجال (الرياضة) ، مثلًا ، نقسِّمها إلى عدَّة مجالات متخصصة ؛ مثل : كرة القدم ، كرة السلَّة ، الملاكمة ، السباحة ... إلخ ، بحيث يمكن القول إنَّ تركيبة هذه المدوَّنة متوازنة موضوعيًّا .

ويبين الجدول التالي التركيبة التقريبيَّة المُقترحة من حيث مجالاتُها الموضوعية ، وعددُ كلمات كلِّ مجال ، ونسبتُهُ من مجموع المدوَّنة :

المجال الموضوعي	عدد كلماته بالمليون	٪ من المجموع
الدين الإسلامي (القرآن الحديث ، الفقه ...) إلخ	٢٠٠	٢٠
الآداب (شعر ، نثر ...) إلخ .	١٧٠	١٧
لغة الإعلام المعاصر (الأخبار ، الدوريات ...) إلخ	١٣٠	١٣
العلوم الاجتماعية (تاريخ ، جغرافية ، رحلات ...) إلخ	٦٤	٦,٤
الرياضة والألعاب	٥٥	٥,٥
العلوم الدقيقة والطبيعيّة	٥٤	٥,٤
الطّبّ والصيدلة والبيطرة	٥٢	٥,٢
القانون (الدستوريّ ، التجاريّ ، المدنيّ ...) إلخ	٥٠	٥
الفنون الجميلة (الرسم ، النحت ، المسرح ، السينما ...) إلخ	٤٠	٤
الاقتصاد وإدارة الأعمال .	٣٢	٣,٢
الإنسانيّات (علم النفس ، اجتماع ، ...) إلخ	٣٠	٣
الحاسب ومواقع الشابكة (الإنترنت)	٢٦	٢,٦
الأديان الأخرى	٢٥	٢,٥
هوايات أوقات الفراغ	٢٢	٢,٢
مجالات أُخرى	٥٠	٥
المجموع	١٠٠٠ مليون كلمة	١٠٠٪

إن هذه الأرقام تقريبيّة وتقديريّة ، ومراعاتها في قائمة المصادر التي تدخل المدونة

تقريبية كذلك ، وهي مجرد مقترحات تُطرَح على لجنة المعجم التاريخيّ للنظر فيها .

بَيْدَ أننا إذا أردنا أن تكون المدوَّنة صادقة في تمثيلها للغة المعاصرة في أنواعها المختلفة ومستوياتها المتباينة ، وجب علينا أن نتأكَّد من أنَّ النصوص التي نجمِّعها مستقاة من المصادر المتنوِّعة ؛ مثل : البحوث الأكاديميَّة ، الأدلة التقنوية ، الدوريات ، التقارير الصحفية ، مواقع الشبكة الإلكترونية ، الروايات والقصص القصيرة ، كتابات الهواة ، منشورات الحركات السريَّة ... إلخ ، وتُعطِي الصحفُ والمجلاتُ صورةً صادقة عن الاستعمال اللغويِّ السائد ؛ لأنَّ موادَّها لا تخضع لكثير من التنقيح والتصحيح والتحرير ، كما هو الحال في بعض الكتب الأدبيَّة التي تصدر عن دور نشر مشهورة . وهكذا يستطيع الباحث أن يقف من خلال الموادِّ الصحفيَّة على كثير من « الأخطاء » الشائعة في الإملاء والنحو والدلالة على الرغم من وجود القواعد « الصحيحة » .

ب – التوزيع التاريخيّ لنصوص مدوَّنة المعجم التاريخيّ للُّغة العربيَّة :

نقترح أن تكون تركيبة مدوَّنة المعجم التاريخيّ للُّغة العربيَّة من حيث العصور التاريخيَّة التي أقرَّتها لجنة المعجم التاريخي ، على الوجه التالي بصورة تقريبيَّة :

العصر	عدد الكلمات بالمليون	٪ من المجموع
العصر الجاهلي	١٥٠	١٥
العصر الإسلامي	٢٠٠	٢٠
العصر العباسي	٢٠٠	٢٠
العصر الوسيط	١٥٠	١٥
العصر الحديث	٣٠٠	٣٠
المجموع	١٠٠٠ مليون كلمة	١٠٠٪

ويُلاحَظ أن الجدول المقترح يعطي أهمية أكبر لبدايات اللُّغة العربية (الجاهلي والإسلامي ٣٥٪) ولحاضرها الراهن (العصر الحديث ٣٠٪) ما يساعد على تبيان التطوُّر اللغوي . وهذا ما ألمح إليه أوغست فيشر في مقدِّمته للمعجم اللغويِّ التاريخيِّ الذي لم يكتمل ، بقوله : « يجب أن يُعني ببدء تطوُّر الكلمة ، كذلك من واجب اللغويِّ العناية بآخر تطوُّرها » .

وتجدر الإشارة إلى أنَّ العصر الحديث ، بالنسبة إلى المعجم التاريخي للغة العربية ، لا ينتهي سنة ٢٠٠٠م أو ٢٠١٠م ؛ لأنَّ تأليف المعجم قد يستغرق عشرات السنين ؛ ولهذا ينبغي أن تُشكَّل في هيئة المعجم التاريخيِّ للغة العربيَّة وحدة للمتابعة والرصد تقوم بتسجيل المستجدات اللغوية والعلمية ، خلال المدة التي يستغرقها تأليف المعجم ، وإضافة نصوصها وسياقاتها إلى المدوَّنة ، وقاعدة الشواهد ، ثم إلى المعجم نفسه .

جـ - التوزيع الجغرافي لنصوص مدوَّنة :

أما التوزيع الجغرافي للنصوص ، فنقترح له التركيبة التقريبيَّة التالية :

العصر	عدد الكلمات بالمليون	٪ من المجموع
الجزيرة العربية (بما فيها اليمن)	٢٥٠	٢٥
العراق والشام	٢٥٠	٢٥
مصر (والسودان وليبيا)	٢٥٠	٢٥
المغرب العربيّ والأندلس	٢٥٠	٢٥
المجموع	١٠٠٠ مليون كلمة	٪١٠٠

أما النصوص العربيَّة للمؤلِّفين الأفارقة والآسيويين والأوروبيين ؛ مثل مؤلَّفات أحمد بابا التمبكتي (مالي) ، وأبي الحسن الندوي (الهند) ، فتُلحَق بالمنطقة الأقرب جغرافيًا إلى المؤلِّف . ويُتبع المنهج ذاته بخصوص نصوص الجاليات العربيَّة في المَهاجر .

وخلاصة القول أن جمع المدوَّنة من نصوص العربيَّة الفصيحة من جميع عصور اللغة العربيَّة ، ومن كلِّ أقطار العروبة وأماكن استعمال العربيَّة ، ومن مختلف التخصُّصات الأدبيَّة والعلميَّة والفنيَّة - يمثل توسُّعًا في مفهوم الفصاحة الذي كان يقره القدامى على عصر الاحتجاج أو التدوين (حتى نهاية القرن الثالث الهجريِّ تقريبًا ، وعلى جزيرة العرب وتخومها فقط ، وعلى نصوص معيَّنة هي القرآن الكريم والحديث النبويُّ الشريف وشعر الفحول من الشعراء) .

وبعد الاتفاق على التوزيع الموضوعيِّ والتاريخيِّ والجغرافي لنصوص المدوَّنة ، يتم اختيار مصادر المعجم التاريخيِّ الأوَّليَّة والثانويَّة في ضوء هذا التوزيع .

* * *

ملاحظات على « مشروع الخطة العلمية للمعجم التاريخي للغة العربية » للأستاذ الدكتور علي القاسمي

إعداد أ.د. إبراهيم بن مراد

وهذا تقرير آخر من التقارير النافعة التي يُتحفنا بها الزميل الكريم الدكتور ابن مراد ، تتبع فيه القضايا التي عرضها الدكتور القاسمي في بحثه المطول الذي بلغت صفحاته مائة وإحدى وثلاثين صفحة من القطع الكبير ، واختار منها ما رآه - رئيسيًا مثل (تحرير مواد المعجم التاريخي) وقضايا أخرى سنتناولها معه في هذه الأوراق ، وترك ما رآه أقلأ همية ؛ مثل : (اختيار العاملين) و (تحديد عصور اللغة العربية) (ولسانيات المدونة) مع تقديره للنفس الطويل الذي أُعطيه وبالقدرة على التوسع التي وُهِبها .

وملاحظات الدكتور ابن مراد بالغة الأهمية ؛ لأنه قد عبر فيها بدقة ووضوح عن مفهومه للمعجم التاريخي ، وللمنهج الذي يراه مناسبًا له ، وللإجراءات التي ينبغي اتخاذها لوضعه . وقد وضعنا الدكتور ابن مراد أمام خيارين لا ثالث لهما ، ولا بد من اختيار أحدهما .

وقد رأيتُ أن أشارك الدكتور ابن مراد في حواره مع الدكتور القاسمي ، ليكون الحوار ثلاثيًا ، وفي هذا ما يثري موضوع الحوار ويُجلّي قضاياه ، ويزيدها دقةً وعمقًا .

١ - قضية الانتقاء :

يرى الدكتور ابن مراد أن الدكتور القاسمي يتردد بين منزعين متعارضين تعارضًا واضحًا : المنزع الشمولي والمنزع الانتقائي .

والمنزع الشمولي واضح من قوله في ص ٧٧ من مشروعه : يسعى المعجم التاريخي إلى ضم كل ألفاظ اللغة العربية في جميع عصورها ، ومختلف أماكن استعمالها ، ومتعدد مجالاتها المعرفية .

أما المنزع الانتقائي فأهم ما يظهره :

١ - قوله في تعريف المعجم التاريخي ، ص ١٤ : « إنه يحتوي على ألفاظ منتقاة عامة أو متخصصة » .

٢ - تقريره أن من التقنيات الحديثة ص ٥٢ : انتقاء نماذج ممثلة لأسلوب الكاتب

ومفرداته وتراكيبه ؛ لأن الكاتب يكرر نفسه عادة ، فبدلًا من إضافة جميع روايات نجيب محفوظ ومجموعاته القصصية مثلًا إلى المدونة نكتفي باختيار فصول من رواياته ومجموعاته تمثل المراحل المختلفة من سيرته العمرية والأدبية .

٣ – اقتراحه أن يبلغ عدد كلمات (مدونة المعجم التاريخي للغة العربية المحوسبة) حوالي بليون كلمة ، وقوله في ص ٤٨ : وتُنتقى بصورة متوازنة لتمثيل كل مجالات المعرفة ، وجميع مناطق استعمال اللغة العربية خلال عصورها المختلفة .

٤ – توزيعه المسبق – دون اعتبار لما يؤدي اليه الاستقراء – لعدد الكلمات وفقًا لـ :

- المواضيع أو الحقول الدلالية .
- عصور الاستعمال .
- المناطق التي استعملت فيها .

وقد خصّ كل موضوع أو حقل ، وكل عصر من العصور ، وكل منطقة من المناطق بعدد من ملايين الكلمات (انظر الصفحات من ٥٤ – ٥٧) .

ولا يدري الدكتور ابن مراد المعايير العلمية الموضوعية التي أقام عليها الدكتور القاسمي هذا التوزيع .

ويتحصل من ذلك أن موقف الدكتور القاسمي من هذه القضية متناقض .

وقد أوضح الدكتور ابن مراد موقفه من هذه القضية بإيجاز في تقريرين سابقين له ، ولكن في هذه الأوراق زادهُ إيضاحًا وتدقيقًا :

يرى الدكتور ابن مراد أن الغاية الأساسية من وضع المعجم التاريخي لأيٍّ لغة هو التتبعُ التاريخيُّ الدقيق لأوّل ظهور في الاستعمال للوحدات المعجمية المكوِّنة لمعجمها حسب ما توفِّره النصوصُ المتاحة في اللغة الموصوفة ، وللتطوُّر الذي حدث لاستعمالات تلك الوحدات المعجمية باكتسابها معاني جديدة : وتطبيقُ هذا المبدأ الأساسيِّ يتعارضُ ومبدأ الانتقاء والاختيار سواءٌ للنصوص التي تكوِّن المدونة أو للوحداتِ المعجمية التي تكوِّن مادة المعجم التاريخي (ص ٣) .

ويرى أن المنزع الانتقائي يتعارض مع هذه الغاية ، فإذا ما اختيرت نصوص بعينها ، واستبعدت نصوص أخرى فقد ينتج عن ذلك أن استعمالًا بعينه قد يرد في المادة المستبعدة ولا يرد في المادة المعتمدة . وهذا احتمال وارد ولا شك .

ومن ثم - كما يقول ص ٣ - فأي قيمة للتاريخ الذي يوضع للوحدة المعجمية أو للمعنى الذي أُسند إليها إذا كانت النصوص المهمة تكذبه وتدل على خلافه ؟!

وفي النهاية يرى ص ٤ أن مذهب الانتقاء مخالف لمنطق التأريخ في المعجم التاريخي للغة العربية ، وينبغي اعتبار كل النصوص المتاحة التي يمكن الوصول إليها والنظر فيها واستقراؤها مصادر للمعجم التاريخي للغة العربية » .

واعتراض الدكتور على مذهب الانتقاء ليس جديدًا فقد سبق أن اعترض عليه في تقريره عن المشروع الأول الذي كلفتني بوضعه هيئة المعجم التاريخي ، وقلت في الرد على اعتراضه :

جاء في مستهل المذكرة المقدمة في هذا الموضوع : تجمع مادة المعجم من نصوص للفصحى المكتوبة المشتركة ... وقد يستفاد من المدونات التي سبق تسجيلها ... وتجمع مادة المعجم من خلال مصادر أساسية ومصادر ثانوية .

وفي المذكرة فسرت المقصود بالمصدر الأساسي والثانوي وذكرت أمثلة من النوعين ، ولم يُقصد بذلك الحصر الكامل بل التمثيل فحسب . والقائمة مفتوحة ليضاف إليها ما يُرى ضرورة الرجوع إليه .

ويرى الدكتور ابن مراد أن قائمة المصادر الواردة في المشروع معتمدة على مبدأ الاختيار ... ومهما تكن القوائم المقترحة موسعة فإن مبدأ الاختيار المطبق عليها يتعارض ومبدأ التأريخ الذي لا يكون المعجم التاريخي للغة معجمًا تاريخيًا حقيقيًا بالمفهوم اللساني إلَّا إذا طبق بدقة ، فإن (الاختيار) و (اعتماد العينات الممثلة) في استقراء المصادر يمثلان عملًا (انتقائيًا) يفقد الغاية من التأريخ في المعجم التاريخي » .

ولا خلاف في أن المصادر المقترحة قائمة على الاختيار ، وهذا أمر ضروري لا مندوحة عنه ؛ لأننا لا نستطيع أن نجمع اللغة العربية كلها من مصادرها عبر ستة عشر قرنًا .

ولابد من الناحية العملية من الوقوف عند حد معين من المصادر . ومع ذلك يراعى في المصادر أن تكون ممثلة إحصائيًا مع اعتبار الزمان والمكان . والقائمة مفتوحة لإضافة ما يفيد في التعرف على ما حدث من تغير في المباني والمعاني .

هذا كلام قلته منذ عامين ، واليوم أقول : إن الطريقة التي اقترحتها في جمع مادة

المعجم التاريخي هي بعينها الطريقة التي سلكها النحاة حين وضعوا نحو العربية ، واللغويون حين وضعوا معجمها ، ولم يزعم النحاة أنهم سمعوا كل فاعل وكل مفعول ليقولوا برفع الأول ونصب الثاني ، ولم يزعم اللغويون أنهم كتبوا عن العرب كل ما نطقوه .

وهكذا أيضًا وُضِع معجم أكسفورد التاريخي فقد جمع مؤلفوه ما يزيد على خمسة ملايين بطاقة ، دون عليها الكلمات وشواهدها مقتبسة من خمسة آلاف مُؤلَّف في مختلف العصور سجل المعجم منها ١,٨٢٧,٣٠٦ من الشواهد لتوضيح ٤١٤,٨٢٥ مادة هي كل مواد المعجم . وهذا أيضًا ما فعله مؤلفو المعجم الفرنسي . انظر : (ص ١٤٦ – ١٤٨)

ومع هذا لا أقول إننا سنقف عند هذا الحد في الجمع ؛ ولذلك حديث سيأتي تفصيله .

ونجيء إلى احتمال أن يُهمَل مصدر ما ، فيتصادف أن يضم استعمالًا لم يرد في المصادر الأخرى المعتمدة . وهذا احتمال وارد ولا شك ، ولكن ما نسبة حدوثه ؟ إن هذا الاحتمال – من الناحية الإحصائية البحتة نسبته صفر ، وإن حدث فلن تكون له قيمة – والاستقراء العلمي هو من غير شك الاستقراء الناقص . وليس الاستقراء التام في جمع مادة اللغة العربية ممكنًا على أية حال . وما يطلبه منا الدكتور ابن مراد ويلح في طلبه أشبه بمن يطلب منا أن نعد قطرات الماء أو حبات الرمل .

وفي النهاية أقول ، ولماذا نهمل الجوانب العملية التي سنذكرها في الفقرة التالية (٢) التي أشرت إليها في مذكرتي ونجمع – كما يطلب إلينا الدكتور ابن مراد كل نصوص العربية في كل عصورها وفي كل المناطق التي استعملت فيها ؟

إن رعاية هذه الجوانب التي تقتضيها صناعة المعاجم لا بد أن توضع في الاعتبار لننقل مشروعنا من المثال إلى الواقع ، وإلّا سيبقى – كما هو الآن – في أحلامنا .

٢ - تحديد عدد الجذور والمواد في المعجم التاريخي :

يرى الدكتور القاسمي أن « تُستَخْلَصَ جميعُ الجذور والمداخل الرئيسية والفرعية من المدوَّنة اللغوية ، فالمعجمُ التاريخي للغة العربية يجبُ ألَّا يكون مدينًا في مداخله لمعجم سبقه أو لقوائم وضعها محرروه اعتباطًا ، وإنما ينبغي أن تُختارَ ألفاظ مداخله وتحرَّرَ المعلومات عنها من محتويات المدوَّنة ، يستطيعُ محرِّرو المعجم القيام بعملية

المراجعة والتدقيق والتصحيح بالرجوع إلى المعاجم العربية القديمة منها والحديثة : (ص ٦٤) ؛ والمدونة التي يعنيها هي التي تكونت من النصوص المنتقاة حسب الموضوعات والعصور والأماكن .

ولا يرى الدكتور ابن مراد فرقًا بين الأمرين : الجذور المأخوذة عن معاجم سابقة ، والجذور المأخوذة من مدونة منتقاة .

ولا يلقي بالًا إلى أسباب اللجوء إلى الجذور المعدة سلفًا (من حيث الإمكانات المادية ، والمدة المقررة لإعداد المعجم ، وحجمه ، وعمر اللغة التي يتناولها والفترة الزمنية التي تغطيها ، واتساعه الأفقي والعمودي) .

فهذه كلها اعتبارات مخالفة لمنطق التأليف في المعجم ؛ لأن المعجم لا يؤرخ لعينات مختارة من اللغة ونسب محسوبة مسبقًا ... (ص ٤) .

ونترك للدكتور ابن مراد أن يقرر لنا ما ينبغي أن يكون عليه العمل في المعجم التاريخي .

ولذلك فإن العملَ الأول في التأليف فيما أرى ليس استخراج الجذور الرئيسية والجذور الفرعية من مدونة لغوية مستخرجة من مدونة نصية منتقاة ، بل هو استقراء كل النصوص المتوفرة استقراء يتتبع التطور التاريخي من الأقدم إلى الأحدث بالنظر في المدونة النصية لكل شاعر أو كاتب بمفرده لتكوين مدونته المعجمية الخاصة به ، وتؤرخ كل الوحدات المعجمية المستخرجة من نصوصه على جذاذات (أو جزازات) مفردة إما تأريخًا دقيقًا إذا كان النص يسمح بذلك وإما تأريخًا تقريبيًا ، ثم يحتفظ بأقدم استعمال عند الشاعر أو الكاتب للوحدة المعجمية الجديدة الواحدة أو للمعنى الجديد المسند إلى وحدة معجمية قديمة ، وتحذف الاستعمالات المكررة اللاحقة تاريخيًا للاستعمال الأول ، فإذا حذفت المكررات واحتفظ بأقدم استعمال للمفردات الجديدة أو أقدم ظهور للمعاني الجديدة المسندة إلى وحدات معجمية قديمة عند الشاعر أو المؤلف ودونت على جذاذات (أو جزازات) مفردة (مقسمة إلى خانات منها المدخل والجذر والتاريخ ...) بعد أن استقرِئت نصوصه استقراءً استيعابيًا منهجيًا ، نكون قد كونا مدونة الشاعر أو الكاتب المعجمية ؛ فإذا تكونت مدونات الشعراء والكتاب المعجمية المفردة المؤرخة ، قارنا بينها وبوبنا المادة المعجمية المؤرخة الحاصلة من مختلف المدونات الفردية . وفي هذه الحالة يمكن أن نلجأ إلى التقسيم

بحسب المراحل التاريخية (وليس بحسب العصور) ، أي أن ننتهي من تأريخ المعجم الجاهلي ثم نؤرخ بعده معجم المرحلة الإسلامية الأولى - النبوية والراشدية التي تشمل الشعراء المخضرمين - ثم المرحلة الأموية ثم المرحلة العباسية الأولى حتى منتصف القرن الثالث الهجري ثم العباسية الثانية حتى أواخر القرن الرابع - نهاية ما يسمى بعصر الاحتجاج - ثم المراحل التي بعدها ؛ ومعجم كل مرحلة ينطلق من معجم المرحلة السابقة ؛ لأن المرحلة اللاحقة لا تلغي المرحلة أو المراحل السابقة ، بل تضاف الوحدات المعجمية التي ظهرت فيها إلى الوحدات التي ظهرت في ما تقدم من المراحل . (ص ٤ ، ٥) .

ولذلك فإن مفردة مثل أباح من (ب و ح) بمعانيها التالية : أجاز واستحل ونهب وأبلى ... وغيرها من المفردات التي ظهرت بمعانيها المسندة إليها في المرحلة الجاهلية ، لا يعاد تدوينها إذا ما ظهرت عند الشعراء والمؤلفين المنتمين إلى المراحل اللاحقة ، بل تدون المعاني الجديدة التي أسندت إليها فحسب . (ص ٥) .

ثم يقول في توضيح مراحل العمل فيما دعاه المدونة الفردية ومدونة المراحل :

وعند الانتهاء من الاستقراء وتجميع رصيد الوحدات المعجمية المؤرخة في المدونات الفردية للكتاب والشعراء بالنظر في جميع نصوصهم التي أمكن الرجوع إليها تتكون المدونة المعجمية العامة للمرحلة التي تعنينا : فإننا إذا قارنا بين المدونات الفردية وحذفنا المكررات واحتفظنا بأقدم استعمال للوحدات المعجمية والمعاني الموجودة في نصوص المرحلة الأولى (الجاهلية) ، ثم بأقدم استعمال للوحدات المعجمية الجديدة التي ظهرت في المرحلة الثانية بمعانيها الجديدة ، واحتفظنا بالمعاني الجديدة المسندة إلى الوحدات المعجمية القديمة التي كانت قد ظهرت في المرحلة الأولى ثم في المراحل التالية لها ، نكون قد كونا لكل مرحلة مدونتها المعجمية المؤرخة بحسب ما أنهى إليه استقراء النصوص ؛ (ص ٥) .

الدكتور ابن مراد يقترح علينا منهجًا جديدًا في جمع مادة المعجم التاريخي وتأريخها يقوم على أمرين : مدونة خاصة بكل شاعر وكاتب ، تُجمع لتؤلف مدونة لكل مرحلة من مراحل تاريخ اللغة العربية . وهذا عمل عظيم إن حدث . ولي أن أسأل عن عدد الشعراء والكتاب التي ستجمع مدوناتهم ؟ ولنقل فرضًا بأننا قد ننجح في جمع مدونات الشعراء في العصر الجاهلي ، وهذا ما حدثنا عنه الدكتور ابن مراد

في تقرير سابق ، فكيف يمكن أن نضع مدونات لكل الشعراء والكتاب في العصر العباسي ، أو في العصر الحديث ؟ وهل نجمع كل ما أنتجوه أو نكتفي ببعض الشعراء والكتاب وببعض إنتاجهم ؟

وقد رأينا الدكتور ابن مراد يقترح هنا تقسيم تاريخ اللغة العربية إلى مراحل لا عصور - كما يقول - وقد أنكر ذلك غير مرة ، ولست أدري ما الفرق بين المراحل التي اقترحها والعصور المتداولة والمقررة في أعمال لجنة المعجم التاريخي ؟!

٣ - قضية المصادر :

وزع الدكتور القاسمي مصادر المعجم في قسمين : مصادر أولية أو أساسية ، وهي التي تُستخلص منها مادة المعجم مباشرة ؛ مثل النقوش والمخطوطات والكتب المؤلفة والمترجمة والدوريات والبرامج الإذاعية ... إلخ ، وإلى مصادر ثانوية : وهي المصادر التي تصف اللغة أو تقعد لها أو تشرحها أو تتحدث عنها ، وهذه المصادر يستفاد منها في سد الفجوات في المصادر الأولية ... ومن أمثلتها المعاجم الأحادية والثنائية وكتب غريب القرآن والحديث واللغة ... ومعاجم المصطلحات ... (ص ٢٢ - ٢٥) .

وتفرقة الدكتور القاسمي لا يرتضيها الدكتور ابن مراد ؛ لأن مصادر المعجم التاريخي تتساوى في القيمة ، وقد يتوافر فيها ما لا نجده في المصادر الأولية ، ففي معجم العين للخيل ، وفي كتاب النبات لأبي حنيفة الدينوري - مثلا - استعمالات جديرة بالتسجيل .

٤ - قضية الشواهد :

انتهى الدكتور القاسمي في حديثه الموسع عن الشواهد إلى أنه ينبغي أن يُدعم كل لفظ جديد ، وكل معنى جديد ، وكل استعمال جديد ، بشاهد واحد على الأقل . وإذا كان اللفظ أو المعنى أو الاستعمال قد استمر عبر عدة عصور ، فينبغي أن يقتبس شاهد من كل عصر من تلك العصور . فإذا كان معنى اللفظ مثلًا قد استمر طوال عصور اللغة العربية جميعها وجب أن يدعم تعريفه بخمسة شواهد على الأقل ، وشاهد واحد من كل عصر ؛ وإذا كان معناه قد اختلف من عصر إلى عصر ، وجب أن تكون هناك خمسة شواهد على الأقل تبين تطوره الدلالي خلال العصور

(ص ١٢٠) ؛ وقد زاد هذه الفكرة تأكيدًا وتوضيحًا في قوله (ص١٢١) : « في المعجم التاريخي للغة العربية ينبغي أن نعتد باللفظ أو المعنى أو الاستعمال الجديد إذا تكرر في العصر الواحد في خمسة شواهد من شواهد المدونة ، تنسب إلى خمسة مؤلفين مختلفين على مدى جيل واحد (٢٥ عامًا تقريبًا) على الأقل » .

والخلاف بين الأستاذين الفاضلين هو في الحقيقة خلاف في وظيفة الشاهد ، ووظيفته عند الدكتور القاسمي غامضة ؛ لأنها حسب الحالات الأربع التي ذكرها إما الاستدلال على وجود اللفظ في عدة عصور - وليس في كل عصور اللغة العربية - وإما دعم تعريف المعنى الذي استمر طوال عصور اللغة العربية ، وإما تبيان تطوره الدلالي خلال العصور ، وإما الاستدلال على أن اللفظ الجديد لفظ يعتد به ؛ وللرقم « خمسة » في الحالات الأربع منزلة مهمة ؛ لأن العصور التي قسم إليها الدكتور القاسمي تاريخ اللغة العربية خمسة .

ووظيفة الشاهد عند الدكتور ابن مراد في المعجم التاريخي ليست إثبات تواتر اللفظ أو المعنى أو الاستعمال ، أو توضيح المعنى الوارد في التعريف ، أو دعم استعمال اللفظ أو المعنى الجديدين ، بل إن وظيفته الأساسية إثبات صحة السبق التاريخي للوحدة المعجمية المذكورة فيه على ما ورد منها في شواهد أخرى ، وسبق المعنى الوارد فيه لوحدة معجمية قديمة على ما ورد منه في شواهد أخرى . وإذا استطاع مؤلف المعجم التاريخي أن يحقق هذه الغاية - وهي من مقاصده الأساسية - فلا موجب لذكر الشواهد المختلفة على اللفظ الواحد أو المعنى الواحد ؛ لأن ذلك مؤد إلى الإطناب والإطالة التي لا موجب لها . أما دور الشاهد بالنسبة إلى التعريف فليس دعمه أو توضيحه بل إنه المنطلق للتعريف ؛ لأن المعنى المستخلص للوحدة المعجمية المعرفة إنما يستخرج من السياق الذي ترد فيه في الشاهد .

٥ - قضية التعريف :

وقف الدكتور علي القاسمي وقفة مطولة مفيدة جدًا على التعريف وقضاياه في المعجم العام والمعجم المختص (ص ٩٠ - ١٠٤) وحدد ثلاثة أنواع أساسية منه هي (١) التعريف اللغوي الذي يخصص لألفاظ اللغة العامة ؛ (٢) التعريف المنطقي الذي يخصص لأسماء المواليد ؛ مثل أسماء النبات وأسماء الحيوان ؛ (٣) التعريف المصطلحي الذي يخصص لشرح المفاهيم العلمية والتقنية . وانتهى (ص١٠٤) إلى

اقتراح أن يعتمد محررو المعجم التاريخي للغة العربية التعريف الذي يفي بالغرض من الأصناف الثلاثة ؛ وذلك بأن يعتمد الصنف المناسب منها حسب نوع المدخل المعرف .

ويعترض الدكتور ابن مراد على اعتماد التعريف المنطقي في المعجم التاريخي ؛ لأن المعجم التاريخي ليس معجمًا موسوعيًا وليس معجمًا جامعًا بين المعجم اللغوي العام والمعجم المختص ، بل هو معجم لغوي عام يؤلف من أجل التأريخ لظهور الوحدات المعجمية في اللغة الموصوفة وتتبع تكون معانيها في الاستعمال ؛ وهو لذلك لا يقوم مقام المعاجم اللغوية العامة أو المعاجم المختصة في تقديم المعلومات الموسوعية حول الوحدات المعجمية العامة أو الوحدات المصطلحية المعرفة ، وليس له أن يستوعب كل ما اتصل بالمدخل المعرف من المعلومات اللغوية (النحوية والصرفية والبلاغية والأسلوبية ...) والموسوعية (مثل الخصائص الذاتية أو الضرورية والخصائص العرضية أو النمطية) . فإن تعريف كلمة مثل « أسَد » في المعجم التاريخي لا يحوج مؤلف المعجم إلى ذكر طائفة الأسد ورتبته وفصيلته وجنسه ونوعه ، .. أو غير ذلك من المعلومات التي قد يُعنىٰ بها واضع المعجم العام أو المختص .

إن ما يَعني المؤرخ اللغوي في المقام الأول هو تأصيل المفردة والتأريخ لظهورها في الاستعمال والتأريخ لتطور معانيها في اللغة العربية ؛ كما يهمه التأريخ لمختلف المشتقات منها ؛ مثل : « أسِدَ » و « آسَدَ » و « أسَّدَ » و « تأسَّدَ » « اسْتَأْسَدَ » و « أسِيدٌ » و « مأسَدةٌ » ومختلف استعمالاتها في وحدات معجمية مركبة مثل « أسَدُ العدَس » وهو نبات - « وأسَدُ الأرض » - وهو نبات أيضًا يسمى « الإشْخيصَ » - و « أسدُ المَن » (ص ٩) وفي النهاية يرى الدكتور ابن مراد أن يُقتصر في التعريف في المعجم التاريخي للغة العربية على ذكر : (١) المعلومات اللغوية الأساسية المحددة بهوية المدخل المعرف اللغوية وخاصة إذا كان أعجميًا مقترضًا . (٢) المعلومات اللغوية الأساسية التي يؤلف من أجلها المعجم التاريخي ، وهي : (أ) التأصيل المعجمي . (ب) التأريخ لظهور الوحدات المعجمية المعرفة في الاستعمال حسب ما توفره النصوص المتاحة . (ج) تتبع تطور الوحدات المعجمية الدلالي عبر التاريخ بذكر المعنى الأول الذي ارتبط بظهورها في الاستعمال ثم المعاني الثواني أو المجازية التي ظهرت في فترات من التاريخ متلاحقة (ص١٠) .

٦ - قضية ترتيب المداخل العربية :

يستحسن الدكتور ابن مراد اعتماد الدكتور القاسمي طريقة مجمع اللغة العربية بالقاهرة في معجميه الوسيط والكبير ؛ لأنهما يعدان - بلا منازع - أفضل ما وضع في اللغة العربية في القديم والحديث من المعاجم اللغوية .

ولكن الطريقة التي اتخذها المجمع في معجميه وأخذ بها الدكتور القاسمي في مشروعه لم تعالج مسألة ترتيب (الوحدات المعجمية المركبة) من مفردتين أو أكثر . ويرى الدكتور ابن مراد أن دقة المنهج تقتضي - فيما يرى - وضعها جميعًا تحت العنصر المعجمي الأول (فبيت الإبرة) يبحث عنها في (بيت) و (يوم ذي قار) يبحث عنها في (يوم) وهو يرى في ذلك تيسيرًا مهمًا .

والقضية هامشية ، ولا تستأهل الخلاف حولها ، وسيان التمسك بمنهج المجمع في علاجها أو تبني الطريقة التي يقترحها الدكتور ابن مراد .

٧ - قضية ترتيب المداخل المقترضة :

دعا الدكتور القاسمي إلى تبني خطة (المعجم الكبير) في ترتيبها ، فما تصرف فيه العرب منها بالاشتقاق يذكر في مادته الثلاثية مثل (اللجام) في (ل ج م) ... وما لم يتصرف فيه بالاشتقاق مثل (إستبرق) يذكر في ترتيبه الحرفي ، ويشار إلى أصله غير العربي .

والدكتور ابن مراد يرى أن يلتزم المعجم التاريخي طريقًا واحدًا ، فتوضع الكلمة المقترضة في هجائها دون افتراض أصل لها . فالكلمة (برذون) مثلًا وهي مقترضة من اللاتينية burdonis توضع في (ب ر ذ و ن) وقد اشتق منها العرب الفعل (بَرْذن) بمعنى صَيَّر الجواد برذونًا . وتوضع في الترتيب بعد (برذون) ؛ لأن (برذون) أسبق ظهورًا في الاستعمال مما اشتق منها .

٨ - قضية المصادر المنطوقة :

اعتمد الدكتور القاسمي النصوص المنطوقة في مدونة المعجم التاريخي في أكثر من موضع من مشروعه ؛ منها قوله : يشمل مستوى النصوص اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة (ص ٥٠) والمقصود بالنصوص المنطوقة المواد الإذاعية والتليفزيونية . (ص ٤٨) .

ويعترض الدكتور ابن مراد على هذا الاعتماد ؛ لأن وجود المصادر المنطوقة في

مقابل المكتوبة يوجه التفكير إلى النصوص العامية .

ويرى أن اعتماد هذه المصادر يحول دونه صعوبات جمة من حيث عمليات التسجيل الصوتي ، وتفريغ المسجل كتابة ... كما يرى أن ما يسجل الآن – من الناحية اللغوية – لم يستقر بعدُ ، ولم يتخذ حيزه في الاستعمال ... ومن ثم فإن على أي معجم تاريخي التقيد بحد زمني فاصل – ولو كان بخمس سنوات – بين ما هو قابل للوصف اللغوي التاريخي وما ليس بقابل ، ويرى أن القابل للوصف التاريخي في المعجم التاريخي هو (المكتوب) المدون الصحيح النسبة إلى شاعر أو كاتب معلوم ، وليس المنطوق الذي يبث في الهواء دون علم دقيق بكاتبه الحقيقي في الغالب . (ص ١٢) . والحق أن ما ذهب إليه الدكتور ابن مراد في الاكتفاء بالنصوص المكتوبة هو الأدنى إلى الصواب ، وهو ما أقرته هيئة المعجم التاريخي حين عرضت عليها تقريري في أبريل ٢٠٠٤م .

وليس ما أرى لهذا فحسب ، فإن البرامج الإذاعية والتليفزيونية تختلف في مستوياتها اللهجية من قطر عربي إلى آخر ، والطابع المحلي حتى في البرامج التي تبث بالفصحى واضح جدًّا من الناحية الصوتية والمعجمية ، كما تتنوع مستوياتها وفقًا لنوعية البرامج وجمهور المتلقين بين العامية بمستوياتها المختلفة والفصحى بمستوياتها المختلفة مما يجعلنا في حيرة من اللهجة التي نعتمدها والمستوى الذي نسجله . ومن ثم أرى الاكتفاء بالنصوص المكتوبة ؛ إلَّا إذا دعت الضرورة إلى اعتماد بعض النصوص الفصيحة كنشرات الأخبار ؛ لأنها في الغالب من مصادر مكتوبة .

٩ - قضية تاريخ ظهور اللغة العربية الفصحى :

اعتمد الدكتور القاسمي في مشروعه على النصوص الفصيحة المشتركة للعربية منذ ظهورها قبل الإسلام بنحو قرنين ، أي مع بدايات القرن الخامس الميلادي (ص ١٦) .

ويعترض الدكتور ابن مراد على هذا التخصيص ؛ لأنه يعني أن العرب قبل هذا التاريخ كانوا يتكلمون لغة أخرى غير العربية ... وأن اللغة الفصيحة قد ظهرت دفعة واحدة بقواعد استعمالها في الشعر الجاهلي تامة العناصر والمظاهر ثم بلغت أوجها في القرآن الكريم . ويوجب الرجوع إلى النقوش التي كتبها العرب قبل هذا التاريخ ، وبعضها يرجع إلى القرن الثالث الميلادي ... ولا يُكتفى في الرجوع بالنقوش الثمودية واللحيانية والصفوية – والتي تصور ما يسمى العربية الشمالية – بل يوجب

أيضًا الرجوع إلى نصوص العربية الجنوبية .

ولا مشاحة فيما قضي به الدكتور ابن مراد من الرجوع إلى النقوش العربية شمالية أو جنوبية ، ولا محيص أيضًا من الرجوع إلى اللغات السامية كما فعل (المعجم الكبير) في رأس كل جذر من جذوره إذا ما كان مشتركًا في اللغات السامية أو في بعضها .

١٠ - قضية وجود أسماء الأعلام في المعجم :

أثار الدكتور علي القاسمي مسألة مهمة هي التعريف بالأعلام في المعجم التاريخي للغة العربية ، ورأى « عدم اشتمال المعجم التاريخي للغة العربية على الأعلام ؛ لأن هذا العمل يحتاج إلى هيئة أخرى وهو ليس من اختصاص المعجم بل [من اختصاص] الموسوعة » (ص ٧٦) ، ثم دعا « أعضاء اللجنة الرباعية » إلى « إبداء الرأي » في المسألة ؛ وأرى أنه محِقٌّ الحق كله فيما ارتآه في إبعاد أسماء أعلام الأشخاص والأماكن ؛ لأن المعجم التاريخي لا يتَّسعُ لأسماء البلدان وأسماء الأشخاص - فإن لهما معاجمهما الخاصة بهما - بل هو معجم يؤرِّخ للوحدات المعجمية المكوِّنة لمعجم اللغة العربية ولتطورها الدلالي .

ولا خلاف بيني وبين الزميلين الكريمين في هذه القضية .

١١ - عود إلى قضية عصور اللغة العربية :

عاد الدكتور ابن مراد إلى هذه القضية بعد أن أشبعها حديثًا فيما سلف من حديث ، وهو يخالف ما أقره الدكتور القاسمي من تقسيمها إلى خمسة ، ومن بيان خصائصها المميزة ؛ لأن التأريخ لمعجم اللغة العربية يقتضي العناية بكل عصورها من أقدمها إلى أحدثها دون تفضيل عصر على عصر ، ولا مصر على مصر عبر تاريخ اللغة العربية المديد .

والحقُّ أنني لا أوافق الدكتور ابن مراد على اعتراضه ؛ لأن التقسيم لا يقتضي التفضيل بينهما ألبتة ، ولا العناية بعصر دون عصر أو مصر دون مصر .

وقد قلت في المشروع الأول الذي كلفت به من هيئة المعجم وقدمته إليها في اجتماعها :

« إن تقسيم تاريخ اللغة العربية إلى عصور - مع أنه يعتمد على وقوع أحداث

تاريخية عظمى عند نهاية كل عصر وبداية العصر التالي - تحكمي إلى حدٍّ ما ، فليس ثمة سنة محددة لبدايته وسنة أخرى محددة لنهايته ؛ لتداخل الأحداث وتأثيراتها التي قد تسبقها أو تلحقها » وقد أقرت الهيئة هذا التقسيم .

وأقول : إن الأحداث الكبرى التي قضت بهذا التقسيم لم تكن سياسية فحسب ، بل كانت ثقافية (بالمعنى الواسع للكلمة ، أي بأساليب الحياة وتغيراتها ومواقف الناس منها) ومن ثم فهي لغويةٌ أيضًا ، فظهور الإسلام مثلًا قد غير حياة العرب - من غير شكٍّ - وغيَّر مواقفهم الشعورية والفكرية نحو ما كان قبله ، وقد انبنى على ذلك تغيرات لغوية واضحة . وكذلك الحال في العصور الثلاثة التالية .

* * *

تصور عام في التدريب على قضايا المعجم العربي التاريخي

إعداد أ.د. إبراهيم بن مراد

وهذا بحث تعليمي – كالمتوقع – يهدف إلى عرض القضايا الرئيسية وما يتفرع عنها ، في المعجم بعامة والمعجم التاريخي بخاصة ، في جانبها النظري والتطبيقي .

والبحث يشكل رؤية متكاملة لما ينبغي أن يتوافر لطالب المعجمية التاريخية من معارف ، وما ينبغي أن يحصل عليه من تدريب . ويمثل الخطوة الأولى الضرورية لما يعقبه من مقررات . وقد عالجه الدكتور ابن مراد بما هو معهود عنه من شمولية النظرة ومنهجية العرض . وكما يقولون : (ولا ينبئك مثل خبير) والقضايا الرئيسية التي تضمنها البحث ؛ هي :

- مقدمة عامة في علم المعجم ومكوناته .
- في القاموسية أو المعجمية العامة التطبيقية .
- في التأليف القاموسي .
- في تأليف المعجم أو القاموس التاريخي .

* * *

في مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته على العربية

الأستاذ الدكتور : إبراهيم بن مراد

هذا بحث طريف صنعه لغوي شهير ، عكف طويلًا على البحث في المعجم العربي تنظيرًا وتطبيقًا ، وله عناية خاصة ، وجهد واضح بالمعجم التاريخي للغة العربية ، فيما كتبه عنه ، أو فيما نهضت به جمعية المعجمية العربية - التي يترأسها - من أعمال رائدة لا سيما مشروعها الكبير (مدونة المعجم العربي التاريخي) وقد نجحت الجمعية في وضع مدونة معجمية مؤرّخة للعصر الجاهلي مستخلصة من نصوص شعرية منتمية إلى العصر الجاهلي من سنة ٢٠٠م إلى سنة ٦٠٩م ، ويتضمن هذا البحث نموذجًا منها .

بدأ البحث بتعريف (المعجم التاريخي) محددًا خصائصه ، وفقًا للمتعارف عليه بين اللغويين وصناع المعاجم التاريخية ، لاسيما المعجم التاريخي للغة الفرنسية الصادر عن مؤسسة (روبار) المعجمية ١٩٩٢م .

[سوف يجد القارئ من وثائق هذا الكتاب ترجمة كاملة لمقدمة هذا المعجم ، تُعرِّف به وبمنهجه ، مصحوبة بنماذج من مادته] .

يفصِّل الدكتور ابن مراد القول في هذا المعجم ومنهجه وكيف أنجز ، وفي العوامل التي يسرت إنجازه ، فقد سبقته مراحل من جمع المادة والشواهد على استعمالها ، ومعالجتها معالجة دقيقة بتأصيلها والتأريخ لها .

ثم يحكي قصة (المعجم التاريخي للغة العربية) مشيرًا إلى أن بداية الحركة المعجمية الحديثة كانت قائمة على الاقتباس من المعاجم القديمة ، مع تصرف يسير في المعالجة ، ومع إضافات قليلة من الاستعمالات المحدثة ، ولكنها جميعًا لم تهتم بقضايا التأصيل ، والتغير اللغوي والتأريخ له .

ويذكر أن أول ظهور لمفهوم المعجم التاريخي وللدعوة إليه كان عام ١٩٣٢م حين نص مرسوم إنشاء المجمع على وضع معجم تاريخي للغة العربية .

ويمضي الدكتور ابن مراد في حكاية الإجراءات التي اتخذها المجمع لوضع هذا المعجم ، والاستعانة بالمستشرق الألماني (فيشر) لوضعه وإعانته بمن يعينه في عمله ، ويدرس الدكتور ابن مراد ما نشر من عمل (فيشر) دراسة نقدية يخلص منها إلى أن

(فيشر) وإن اهتم أحيانًا بالتأصيل فإن معجمه ليس تاريخيًا بالمعنى الدقيق ، وقد وقف (فيشر) فيما جمعه من مادة عند القرن الرابع الهجري ، وهو القرن نفسه الذي وقفت عنده المعاجم العربية القديمة .

يقول : لم يكن التأريخ والتتبع التاريخي الدقيق لظهور المفردات والمعاني الحديثة من غايته ، بل يريد وضع معجم كبير للغة العربية الفصحى من بدايات استعمالها المعروفة حتى نهاية القرن الرابع الهجري .

ثم يذكر أن المصاعب التي حالت دون أن يستكمل المجمع مشروع المعجم التاريخي الذي بدأه (فيشر) كانت بالغة ، لطول المدة التي عاشتها العربية ، واتساع رقعة الأرض التي عاشت فيها ، وأن مصادر العربية التي ينبغي الرجوع إليها لاستقراء مادتها تكاد لا تنحصر .

ونترك للدكتور ابن مراد أن يتحدث عن الدور الذي قامت به جمعية المعجمية في التعريف بالمعجم التاريخي للغة العربية وتأسيس نظريته ، وفي إنشاء مدونته (*) .

واعتبارًا لذلك العسر المتزايد بمرور السنوات رأت جمعية المعجمية العربية بتونس أن تُعنى بالمعجم التاريخي للغة العربية فخصته أولًا بندوة علمية دولية في شهر نوفمبر من سنة ١٩٨٩ موضوعها : المعجم العربي التاريخي : قضاياه ووسائل إنجازه ، ثم بندوتها العلمية الأولي للقاموسية في شهر يونيه ٢٠٠٣ وموضوعها : قضايا المعجم العربي التاريخي النظرية والتطبيقية .

وقد نشرت وقائع الندوة الأولى في العدد المزدوج ٥ ، ٦ في مجلة المعجمية ١٩٨٩ - ١٩٩٠م ونستعد لنشر وقائع الندوة الثانية في العدد ٢٢ لسنة ٢٠٠٦م في مجلة المعجمية . كما انصرفت إلى العمل الفعلي في إنجاز مشروع وطني للبحث (مدونة المعجم العربي التاريخي) .

وقد بعث المشروع سنة ١٩٩٦م بتمويل من وزارة البحث العلمي بتونس ، وقد عمل فيه أعضاء المعجمية ، ومعهم في الوقت نفسه أساتذة جامعيون ، وقد أشرف عليه كاتب هذه السطور ، وقد استطاع هذا المشروع بدعم من جمعية المعجمية بوضع المدونة المعجمية المؤرّخة للعصر الجاهلي بالشعراء وبالنصوص الشعرية

(*) هذا الجزء من البحث مخطوط باليد ، وخطه لا يكاد يقرأ ، وقد راجعته على المصادر ووثقت شواهده .

خاصة ، وهي نصوص منتمية إلى أربعة قرون من حوالي ٢٠٠ م إلى ٦٠٩ م إنطلاقًا من أقدم ما عثر عليه فريق البحث من نصوص موثقة . وقد كانت سنة ٢٠٠م بدايتها حتى وفاة الشاعر زهير بن أبي سلمى التي كانت قبيل البعثة النبوية الشريفة بسنتين ، والمدونة كانت نتيجة استقراء معجمي قد مرّ بمرحلتين .

١ - مرحلة استقرئت فيها نصوص شعرية لتسعين شاعرًا جاهليًا قد كوّن الرصيد المعجمي لكل منهم مدونة خاصة به ، وقد اجتمع من هذه المدونات التسعين رصيد عام من الوحدات المعجمية بلغ ٥٨٠٢٣ ، طبعت على ٥٨٠٢٣ جذاذة معجمية .

٢ - مرحلة ثانية عولجت فيها المدونة العامة المتتابعة فحذفت منها الاستعمالات المكررة ، واحتفظ بالوحدات المعجمية في أقدم استعمال لها ؛ أي في أقدم ظهور لها في النصوص مع أقدم معنى مسند إليها ، ثم بالمعاني الثواني المولدة المسندة إلى الوحدات المعجمية بعد ظهورها الأول . ونمثل لمنهج العمل في هذه المرحلة الثانية بمعالجة المفردة (بيت) . فقد وردت مفردة دون أن تكون مركبة مع غيرها مثل (بيت الله) في ستة عشر شاهدًا أقدمها مؤرخ سنة ٣٢٠م في بيت لدُوَيْد بن زيد بن نهد القضاعي ، وآخرها مؤرخ بسنة ٦٠٠ م لبشر بن أبي خازم وقد أسندت إليها في النصوص الستة عشر ثلاثة معانٍ أساسية .

أولها : هو (القبر) (سنة ٣٢٠ م) ، وفي القبر معنى المأوى والمآب الذي ذكره ابن فارس في المقاييس معنًى أصليًا للجذر (ب ي ت) .

وثانيها : روي عن أربعة عشر شاعرًا من ٤١٠م و٦٠٠ م هو (المسكن) .

وثالثها : سنة ٥٢٠م هو (الحيّ يجمع القوم) .

والشواهد التي ذكرت فيها كلمة (بيت) في المدونة العامة ستة عشر شاهدًا ، لكن المعاني الأصول فيها ثلاثة فقط ؛ لذلك فإنه لا يُذكر منها في مدونة العصر الجاهلي المؤرخة إلّا الثلاثة التي أشرنا إليها ، أي الشاهد الذي قيل سنة ٣٢٠م وفيه معنى (القبر) والشاهد الذي قيل سنة ٤١٠م وفيه معنى (المسكن) والشاهد الذي قيل سنة ٥٢٠م وفيه معنى (الحي يجمع القوم) ، أما بقية الشواهد فتعدُّ مكررة حاملة لمعنى قد روي في شاهد سابق لها في التاريخ فَعُدَّ لذلك أحق منها بالتدوين . وفقدت هي أهميتها التاريخية وأهملت . على أن المرحلتين اللتين ذكرناهما قد سبقتهما مرحلة أخرى كانت عسرة بحق ، هي مرحلة البحث عن وفيات الشعراء التسعين والتثبت

منها ، ومحاولة التأريخ لها ما أمكن تأريخه من النصوص ، والبحث في كتب التاريخ خاصة عن صلات بعض الشعراء ببعض الملوك أو السادة ؛ مثل علاقة النابغة الذبياني بالمناذرة وبالغساسنة ، وعلاقة عدي بن زيد بالنعمان بن المنذر ، وعلاقة امرئ القيس ببني أسد وخاصة بعبيد بن الأبرص ، كما بحث في مسألة صحة الشعر المنسوب إلى أصحابه ، وقد أسقط الفريق نصوصًا غير قليلة تبين فيها النحل أو الاختلاف .

والمدونة النهائية التي وضعت بعد حذف المكررات تشتمل على ٣٢٥٠٠ مدخل كلها مداخل فروع ، إما مشتقات وإما أسماء جامدة وإما مقترضات ، وقد وضع كل مدخل منها في جذاذة تكونها العناصر التالية :

١ - المدخل مُعَرى من الزوائد التصريفية .

٢ - الجذر الذي يتصل به المدخل .

٣ - التاريخ المقترح للنص الذي ورد فيه المدخل ، وهو إما تاريخ دقيق إذا أمكن تأريخ النص بدقة ، وإما تاريخ تقريبي يُعتمد فيه تاريخ وفاة صاحب النص ، إذا لم يوجد تاريخ دقيق .

٤ - المصدر الذي ورد فيه المدخل ، وفي هذا العنصر أربعة عناصر فرعية :

- اسم صاحب النص أو صاحب الشاهد المعتمد .
- المصدر أو المرجع الذي ورد فيه النص ، وهو إما ديوان الشاعر ، (ويرمز له بحرف (د) وإما مرجع آخر يشار إليه باختصار بعنوانه .
- رقم الصفحة في المصدر أو في المرجع .
- رقم البيت الشعري الذي ورد فيه المدخل مسبوقًا بحرف (ب) .

٥ - الشاهد - أي البيت الشعري - الذي ورد فيه المدخل .

٦ - المعنى الذي يفيده المدخل في الشاهد ، أي في السياق ويرمز له بحرف (م) .

وقد يضاف عنصر سابع يشتمل على ملاحظات تخص بعض الظواهر ؛ مثل التأصيل إذا كانت الوحدة المعجمية أو المعنى المسند إليها مما لم تذكره القواميس العربية لتقليل الإسناد .

تلك إذًا كانت مرحلة الجمع ، أي تكوين المدونة المعجمية ، والمرحلة الأساسية

المتبقية هي الوضع ، أي وضع المعجم في صورته النهائية بتوزيع الجذور أو المقترضات ، مرتبة ومعرفة ، وقد بدأ فريق العمل في هذه المرحلة متوخيًا منهجية تتلخص فيما يلي :

١ - ترتيب المداخل ، يتبع الترتيب الألفبائي العادي بحسب تتابع الجذور الأصول معراة من الزوائد ، إذا كان المدخل عربيًا وبحسب أوائل الحروف في المدخل إذا كان أعجميًا مقترضًا ، فلا تعامل المقترضات لذلك معاملة المداخل العربية الترتيب ، ولا تخضع إذًا لنظام الجذور سواء بقيت جامدة في الاستعمال أو كانت مصادر للاشتقاق في العربية . والمداخل إذًا نوعان :

- المداخل الرؤوس أو الرئيسية ، وهي الجذور أو الأصول التي تتولد منها الصيغ المشتقة .
- المداخل الفروع ، وهي المقترضات المفسرة تحت كل مدخل رئيسي .

٢ - تعريف المداخل ، وتقسم مادة كل مدخل في التعريف إلى ركنين :

- الأول خاص بالمداخل الرؤوس ويعتد فيه بأمرين :

الأول : هو تأصيل المدخل بذكر أصله السامي اعتمادًا على الجذور السامية ذات الصلة به ، أما إذا كان أعجميًا مقترضًا فيذكر أصله الأعجمي واللغة التي اقترض منها .

والثاني : ذكر دلالة المدخل الأصلية ، فإذا كان عربيًا اعتمد في ذكره على معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس وعلى معجم الجذور السامية : Dictionnaire des racines smitiques لدفيد كوهين (David Cohen) .

وإذا كان أعجميًا مقترضًا اعتمد في ذكر دلالته على المعاجم الاقتراضية الخاصة بالعربية - وهي قليلة - وعلى معاجم اللغات المقترضة .

- تعريف المداخل الفروع ويُتدرج في ذكر هذه المداخل بحسب (العائلات الدلالية) ويُتدرج في ذكر كل (عائلة) بحسب تتابع صيغها الصرفية من الفعل الثلاثي المجرد (اللازم والمتعدي والمزيد ، ومن الرباعي المجرد والمزيد ، إلى الصفات والأسماء) ، ويذكر بعد كل مدخل فرعي تاريخ ظهوره الأول في نص من النصوص بالتأريخ الدقيق إذا كان إنشاء تاريخ النص معلومًا ، أو التاريخ التقريبي اعتمادًا على تاريخ وفاة صاحب النص إذا كان التاريخ الدقيق غير معلوم . ويسبق

التاريخ في هذه الحالة حرف (ح) رمزًا لـ (حوالي) ويتلو التاريخ شرح المدخل الفرعي أو الشاهد الأقدم الذي ورد فيه .

ونقدم فيما يلي مدخلًا نموذجًا معالجًا قاموسيًا هو (ب ي ن) .

مدخل نموذج (ب ي ن)

في الأوغاريتية (bn) بمعنى (علم ، فهم) . وفي الكنعانية اليهودية (bin) بمعنى لاحظ ، تبيَّن ، وفي الآرامية (byn) بمعنى (وضَّحَ ودقق) ، وفي المندائية (ban) بمعنى (فصل وشرح) ، وفي العربية الجنوبية (byn) بمعنى ذَهَب وابتعد ، وفي الإثيوبية (byyna) بمعنى (وَضَّح ، لاحظ) .

وللمادة في العربية معنيان أصليان ؛ هما : (الانفصال) و (الوضوح والانكشاف) .

- بان (يبين) بَيْنًا (ح) ٥٠٠ م فارق .

قال الأضبط بن قريع (أوائل ٢٦٠م ب ١) :

ألم ترها بانت بغير وصيفة إذا ما الغواني صاحبتها الوصائفُ

(ح) ٥٥٠ م : ارتحل ، ظعن قال عَبيد (د ٩١ ب ١) :

بان الخليطُ الأُلى شاقوك إذ شحطوا وفي الحدوج مَهًا أعناقها عِيط

- أبان (ح ٥٤٠م) : أظهر وأوضح ، قال عمرو بن قميئة (د ١٢٨ ب ٢) :

تُبين رمادَها ومخطُّ نُؤي وأشعث ماثلًا فيها ثَوِيًا

(ح ٥٤٠م) قطع ، فصل ، قال تأبط شرًا (١٥٨ ب ١٦) :

فجلَّلْتها مُرْهَفًا صارما أبان المرافقَ والمفْصَلا

(ح ٥٨٣م) أبان الأمرَ : اتضح له ، عرفه ، قال النابغة (د ٣٥٠ ق ٤ ب ٤) .

رمادٌ ككحل العين لأيًا أُبينه ونُؤْيٌ كجذم الحوض أَثْلم خاشعُ

- أُبين (٥٥٠م) فُصل وأُبعد قال حاجز الأزدي (منتهى الطلب) (٢) (ص ١٤٧ ب ١٩) :

فأصبحت الأنامل قد أُبينت كأن بَنانها أنفُ رئيم

● بَيَّنَ (ح ٣٢٨م) قسَّم ، ورد هذا المعنى في نقش النمارة المؤرخ بسنة ٣٢٨ م « وبَيَّن امرؤ القيس بن عمرو بنيه الشعوبَ » . (بعلبكي ، الكتابة العربية ، ص ١٣٨) وقد ضعَّف بعلبكي القراءة لأن (بَيَّن) لم ير في المعاجم العربية بمعنى (قَسَّم) ، يضاف إلى ذلك أن الفعل متعدٍّ إلى مفعولين ، والمعروف أنه يتعدى إلى مفعول واحد ، على أن القراءة المقترحة هي أجود القراءات ، ويؤيدها وجود علاقة ظاهرة بين (فصل) – وهو معنى أصلي لـ (بان) في بعض اللغات السامية القديمة – و(قَسَّم) (ينظر DBs ص ٦٢ ب) .

أما التعدية إلى مفعولين فقد يكون استعمالاً قديمًا لم يتواصل أو لم يدون .

(ح ٥٦٠م) زَيَّنَ قال ابن عسلة (المفضليات ص ٢٧٩ ق ٧٢ ب ٧) :

وتُبيِّنُ الرأيَ السفيه إذا جعلتْ رياحُ شَمُولها تَنْمِي

الأمرَ (ح ٥٨٣م) : اتضح له ، عرفه ، قال النابغة (د ١٥ ق ب ٣) .

إلّا الأوارِيَّ لأْيًا ما أُبَيِّنُها والنؤي كالحوض بالمظلومة الجَلَدِ

الشيءَ (ح ٥٩٥م) وضحه قال أوس بن حجر (د ١١٨ ب ٦) .

لعمري قد بيَّنْتُ يوم سويقةٍ لمن كان ذا لُبٍّ بوِجْهَة مَنْسِمِ

● تَبَين الأمرَ (ح ٤٨٠م) عَلِمه ، قال أبو قلابة (أوائل ٢٣١ ، ١٢٠) :

ولا تقولن لشيء سوف أفعله حتى تبيَّن ما يمني لك الماني

● استبان (ح ٦٠٠م) ظهر واتضح ، قال بشر (د ١١٨ ب ١٤) :

فجال ولم يستبِنْ وفؤاده بِرِيبَته مما توجَّس أَوْجرُ

● بائن (٥٩٠م) مبتعد ، مفارق ، قال عدي بن زيد (د ٧٤ ق ١٢ ب ٧) :

جَزِعًا ما أعرضتْ عن بائنٍ جاء يستشفي شفاءً من سَقَمْ

● مُبين (ح ٥٥٠م) دالٌّ ، قال عبد العزى (منتهى الطلب ٢ ص ١٦٨ ب ١٦) :

رسومًا كآيات الكتابِ مبينةً بها للحزين الصبِّ مبكًى وموقف

(ح ٥٦٠م) ظاهر ، جليٌّ ، قال المثقب العبدي (د ٦٣ ب ٣٠) :

وألقيتُ الزمام لها فنامت لِعادَتِها من السَّدَفِ المبينِ

(ح ٥٩٠م) : الثابت ، الواقع لا محالة ، قال عدي بن زيد (د ١٨٢ ق ١٣٨ ب ٧) :

فأَرْدتْه ورَغْبُ النفس يُرْدِي ويُبدي للفتى الحَيْنَ المبينا

● مُتباين (ح ٥٩٥م) منفصل ، مقطوع ، قال ابن جَبَلة السكوني (منتهى الطلب بها ص ١٧٧ ب ٤٢) :

معاشرُ أضحى وُدهم متباينًا وشرهم بادٍ يدَ الدهرِ مُقْبِل

● مُشتبين (ح ٥٣٠م) ظاهر ، غالب ، قال امرؤ القيس (د ١١٢ ق ١٤ ب ١٢) :

وغيرُ الشقاءِ المستبين فليتني أَجُرُّ لساني يوم ذلكُمُ مُجِرّ

● بَيْن (ح ٤١٠م) : فراق ، قال سعد بن زيد مناة (أوائل ٢٠٣ ب ١) :

أجدٌ فِراقُ الناقمية فانتوت أَمِ البينُ يحلَوْلي لمن هو مُولعُ

(ح ٤١٠م) : وَصْل ، قال سعد بن زيد مناة (أوائل ٢٠٩ ، ب ٢) :

لقد كنت أهوى الناقمية حِقْبةً وقد جعلتْ أقران بينٍ تَقَطَّعُ

● بيان (ح ٦٠٠م) : إيضاح ، وكشف ، قال بشر (د ٦٢ ب ٢٠) :

فمن يك لم يلقَ البيان فإنه سيأتيه بالأنباءِ من لا يكذبُ

(ح ٦٠٩م) ما يتبين به الشيء من الكلام وغيره ، قال زهير (د ٢٢٧ ب ١٨) :

أضاعتْ فلم تُغْفرْ لها غَفَلاتُها فلاقت بيانًا عند آخر معهد

(ح ٦٠٩م) بلاغة في القول ، قال زهير (د ٥٩٤ ب ٢٠) :

وحاجةَ غيري إنه ذو مواردٍ وذو مصدر من نائلٍ وبيانِ

● بين (ح ٤٧٠م) : ظرف يفيد المكان أو الحالة التي تكون بين وضعين ، قال البراق (شيخو ، ١٤٢ ب ٣) :

أأنزل بينهم إن كان يُسْرٌ وأرحل إن أَلَمَّ بهم عسير

* * *

المعجم التاريخي

للغة العربية

نماذج توضيحية لمواد مختارة
للمعجم التاريخي للغة العربية

أولا : تطور الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم .

(رسالة ماجستير بإشراف د.محمد حسن عبد العزيز)

د. صباح عمر حلبي

كلمة لا بد منها (مغامرة محسوبة) .

ثانيا : نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصادرها .

د. محمد حسن عبد العزيز

- قطار
- سياسة
- ترجمان
- حاجب وحجابة
- ذرة
- زُنّار
- وزير ووزارة
- حكومة

أولا

تطور دلالات الألفاظ الدينية بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم

د. صباح عمر حلبي

(رسالة ماجستير بإشراف أ.د. محمد حسن عبد العزيز)

كان اهتمامي بعلم اللغة التاريخي مبكرًا في حياتي العلمية . وفي المدة من ١٩٨٢م - ١٩٨٧م كنت معارًا إلى كلية التربية بالمدينة المنورة التابعة آنذاك لجامعة الملك عبد العزيز . وفي أثناء هذه المدة أسند إليّ التدريس لطالبات وطلاب الدراسات العليا بقسم اللغة العربية ، وكان علم اللغة التاريخي مما نهضت بتدريسه .

وقد اصطفيت من بين طالباتي المجتهدات الطالبة النابهة صباح عمر حلبي ، واخترت لها لدرجة الماجستير موضوع هذا البحث . وقد بذلت الطالبة جهدًا فائقًا في جمع مادته وتصنيفها وتحليلها . وعلى الرغم من بكارة البحث في علم اللغة التاريخي آنذاك ، ومن ندرة المصادر والمراجع والدراسات السابقة فقد عالجت الطالبة موضوعها علاجًا اجتمعت لجنة الحكم على بحثها - والمؤلفة من أ . د . كمال بشر و أ . د . محمد حسن باكلا ، وكاتب هذه المقدمة مشرفها - على جدة البحث ودقة المنهج ومنطقية العرض وسلاسة الأسلوب وسلامة اللغة ، فاستحقت - بجدارة - درجة الماجستير بتقدير ممتاز ، وكان ذلك عام ١٩٨٨م وقد اختارت الباحثة الألفاظ الدينية الآتية للمقارنة بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم :

(الله ، إله ، رب ، أسماء الأصنام والأوثان والأنصاب ، دين ، شريعة ، إسلام ، كفر) وهي من ألفاظ العقيدة . و (دعاء ، صلاة ، صوم ، حج ، زكاة) وهي من ألفاظ العبادات .

وقد عقدت الباحثة لكل لفظ منها فصلًا تحدثت فيه عن :

- مدلول اللفظ في الشعر الجاهلي .
- مدلول اللفظ في القرآن الكريم .

● تطور مدلول اللفظ بين الشعر الجاهلي والقرآن .

وقد اخترت من بين هذه الفصول الفصل الأول الخاص بلفظ الجلالة (اللّه) . وسوف أترك للقارئ الكريم تقدير هذا البحث الفريد وما تضمنه من نتائج .

واستمر اهتمامي بعلم اللغة التاريخي – ولكن على استحياء – ومن البحوث التي أشرفت عليها فيه :

الألفاظ الخاصة بنظام الأسرة بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم (دراسة دلالية تاريخية) للباحث شعبان قرني عبد التواب ، والبحث رسالة ماجستير نوقشت عام ١٩٩٦م بكلية دار العلوم جامعة القاهرة .

وحين بدأ التخطيط لمشروع المعجم التاريخي للغة العربية عاد إليّ حماسي القديم لعلم اللغة التاريخي ، وأعددت برنامجًا علميًا لدراسة موضوعات تكون في خدمة العمل في هذا المعجم من مختلف نواحيه ، ومن الرسائل المسجلة بإشرافي بهذا الخصوص :

● الشاهد في المعجم التاريخي للباحث مصطفى صلاح .

● ترتيب مواد المعجم التاريخي ومداخله للباحث مصطفى يوسف .

● المهمل والمستعمل في اللغة العربية بين الشعر الجاهلي والإسلامي للباحث أحمد عطية .

تطور مدلول لفظ « الله » بين الشعر الجاهلي والقرآن الكريم

لفظ « الله » في الشعر الجاهلي :

ورد لفظ « اللّه » كثيرًا في الشعر الجاهلي ، فلا يكاد يخلو شعر شاعر منه ، على اختلاف دياناتهم ، وارتبط عندهم بكل ما يستحق التعظيم .

فما تصور الجاهلي للإله الذي أطلق عليه لفظ اللّه – وما دلالة هذا اللفظ عنده بالتحديد ؟

نستطيع أن نحدد هذا التصور ، وأن نتلمس هذه الدلالة من جانبين :

أولًا : معرفة تصور الجاهلي للّه .

ثانيًا : عبادته للّه .

وذلك من خلال السياقات الشعرية التي ورد فيها لفظ اللّٰه .

أولاً : معرفة تصور الجاهلي للّٰه :

• اعتقد الجاهلي أن اللّٰه صانع كل شيء ، ونعمه يعطيها لمن يشاء ، وكل ما يناله الإنسان هبة من اللّٰه :

قال عمرو بن كلثوم :

إنَّ لِلَّــهِ عَلَيْنَـا نِعَـــمًــا ... وَلأَيْدِينَـا عَلَى النَّاسِ نِعَــمْ

فَلَنَـا الفَضْــلُ عَلَيْهِـمْ بالَّذِي ... صنَـعَ اللّٰهُ فَمـنْ شاءَ رَغَمْ (١)

• والقضاء قضاء اللّٰه :

قال عامر بن الطفيل (وقيل حميد بن ثور) :

قَضَى اللّٰه في بَعْضِ المَكَارِهِ لِلْفَتَى ... بِرُشْدٍ وَفي بَعْضِ الهَوَى مَا يُحَاذِرُ (٢)

• وما يريده اللّٰه فوق ما يريده الإنسان ، هو النافذ بأمره :

قال عامر بن الطفيل :

سرنا نريد بني نهد وإخوتهم ... جَرْمًا ولكن أراد اللّٰه هَمْدانا (٣)

• وكل ما يحدث هو من اللّٰه وبعلمه :

قال عنترة :

فَلَا تَكْفر النُّعمى وأَثْنِ بِفَضْلِهـا ... ولا تَأْمَنَنْ ما يُحْدِثُ اللّٰهُ في غَدِ (٤)

• وكل ما ينجزه الإنسان لا يحدث إلّا بإذن اللّٰه :

قال سلامة بن جندل :

كم مِن فَقيرٍ بِإذنِ اللّٰهِ قد جَبَرَتْ ... وذي غِنًى بَوَّأته دارَ مَحْرُوبِ (٥)

• ولا يحدث ما يتمناه المرء بل ما يشاء اللّٰه ، فكل شيء بمشيئته :

---

(١) ديوان عمرو بن كلثوم (ص ٥٩٢) .

(٢) (الطائي) حبيب بن أوس : الحماسة (١/٣٦١) .

(٣) ديوان عامر بن الطفيل : (ص ١٣٨) .

(٤) ديوان عنترة : (ص ٢٨٨) .

(٥) (الضبي) المفضل : المفضليات (ص ١٢٢) .

قال قيس بن الخطيم :

يُحِبُّ المَرْءُ أَنْ يَلْقَى مُنَاهُ ... ويأبَى اللَّهُ إلَّا مَا يَشَـاءُ (١)

● واللَّه ينفس الكرب إن شاء ذلك :

قال عدي بن زيد :

وأذهَبِي يا أُمَيْم إِنْ يَشَأ اللَّـ ... ـهُ يُنَفِّسْ مِنْ أَزْمِ هَذا الخِنَاقِ (٢)

● وينال الإنسان بعد سعيه ما أراده اللَّه له :

قال أوس بن حجر :

وَذلكَ من جَمْعي وَباللَّهِ نِلْتُهُ ... وإن تلْقني الأعداءُ لا أُلْقَ أعْزَلا (٣)

● واللَّه هو الذي يجلب الضر والنفع :

قال عدي بن زيد :

أَبنَاءَ قَوْمٍ تَأَوَّوكُم على حَنَقٍ ... لا يَشْعُرون أَضَـرَّ اللَّهُ أَم نَفَعَا (٤)

● وباللَّه يدرك كل خير :

قال عبيد بن الأبرص :

باللَّـهِ يـدْرَكُ كُلُّ خَيْـرٍ ... والقَولُ فِي بَعْضِـه تلْغِيبُ (٥)

● والعون والنصر من اللَّه :

قال عدي بن زيد :

حَوْلَنا الأَعْـداءُ ما يَنْصُرنا ... غيرُ عَـوْنِ اللَّهِ واللَّهُ نَصَـرْ (٦)

وقال عوف بن الأحوص :

---

(١) ديوان قيس بن الخطيم : (ص ١٢٨) .
و(الطائي) حبيب بن أوس : الحماسة (٦١١/١) « مع بعض الاختلاف » .
يـريـد المرء أن يـعـطـى مـنـاه ... ويـأبـى الـلّـه إلّا مـا يـشـاء
(٢) (الأصفهاني) أبو الفرج : الأغاني (٢٧/٢) ، ديوان عدي بن زيد (ص ١٥١) .
(٣) ديوان أوس بن حجر : (ص ٩٠) .
(٤) ديوان عدي بن زيد : (ص ٦١) .
(٥) (القرشي) محمد بن أبي الخطاب : جمهرة أشعار العرب (ص ٣٨٤) .
(٦) ديوان عدي بن زيد : (ص ٦١) .

أتتنا قُريشٌ حافلينَ بجمْعِهم ... وكان لها قِدْمًا من اللّه نَاصِرُ [١]

• والوقاية والحماية من اللّه :

قال النابغة :

فلما وَقاها اللّهُ ضَرْبَةَ فأسِه ... وللبِرّ عَيْنٌ لا تُغَمِّضُ ناظِرَه

فقال تعالَيْ نَجْعَلِ اللّهَ بيننا ... على ما لَنا أو تُنْجِزي ليَ آخِرَه [٢]

• واللّه يصلح ما فسد :

قال الطفيل الغنوي :

لَعَمْرِي لَقَدْ خلّى ابْنُ خيدع ثُلْمَةً ... فَمِنْ أيْنَ إن لَم يَرْأَبِ اللّهُ تُرْأَبُ [٣]

• واللّه يقي الإنسان من الوقوع في الزلل ويجعله يسير في طريق الصلاح :

قال أوس بن حجر :

تَرَكْتُ الخبيثَ لم أُشارِكْ ولم أذقْ ... وَلكنْ أعفَّ اللّهُ مَالي ومَطْعَمِي [٤]

• وما يُقدَّر على الناس من اللّه :

قال عدي بن زيد :

فَرّقَ اللّهُ بينهم في حُداةٍ ... وَاسْتَقَادُوا لحُمَى مَكانَ النَّشَاطِ [٥]

• واللّه هو المجير :

قال النابغة :

فجئتُ عمرًا على ما كانَ من أَضَمٍ ... وما اسْتَجَرْتُ بغيرِ اللّهِ من جارِ [٦]

• التوفيق بيد اللّه :

قال عدي بن زيد :

يُجَاوِبُه يَسارُ اللّهِ عَنّي ... وَصَبْرِي في مُلماتِ الخُطوبِ [٧]

(١) (الأصمعي) عبد الملك بن قريب الأصمعيات : (ص ٢١٧) .

(٢) ديوان النابغة : (ص ١٥٦) .

(٣) ديوان الطفيل الغنوي : (ص ٣٩) .

(٤) ديوان أوس بن حجر (ص ١٢٢) .

(٥) ديوان عدي (ص ١٣٨) .

(٦) ديوان النابغة (ص ١٨٣) .

(٧) ديوان عدي بن زيد (ص ٤٠) .

● والجزاء من اللّٰه :

قال زهير :

رَأَى اللّٰهُ بالإِحْسانِ ما فَعلا بِكُم   فأَبْلاهما خَيرَ البَلاءِ الذِي يَبلو (١)

أي رأى اللّٰه فعلهما حسنًا ، أي إحسان فعلهما بكم فأبلاهما خير البلاء ، أي صنع إليهما خير الصنيع الذي يبتلي به عباده .

وقال النابغة :

ولكنْ لا تُخانُ الدَّهرَ عندي   وعند اللّٰهِ تَجْزِيَةُ الرِّجالِ (٢)

● وكما أن اللّٰه مالك لأمر عباده ، فهو إله الكون - أيضًا - والبلاد بلاده :

قال عروة بن الورد :

فَسِرْ في بِلادِ اللّٰهِ والْتَمِسِ الغِنَى   تَعِشْ ذا يَسارٍ أوْ تَمُوتَ فَتُعْذَرا (٣)

● واللّٰه ينزل الماء من السماء :

قال أوس :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّٰهَ أَنْزَل مُزْنَةً   وَعُفْرُ الظِّبَاءِ في الكِناسِ تَقَمَّعُ (٤)

ألفاظ أخرى للتعبير عن الإله الأعلى :

صفات اللّٰه :

استخدم الجاهلي ألفاظًا أخرى عبَّر بها عن الإله ، وهذه الألفاظ تدل على ما وصف به هذا الإله ، وتساعد على توضيح دلالة لفظ اللّٰه .

وهذه الألفاظ ؛ هي :

● المؤمن :

قال النابغة :

فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحتُ كَعْبَتَه   وما هُرِيقَ على الأَنصابِ من جَسَدِ

---

(١) ديوان زهير (ص ١٠٩) وهامشها .

(٢) ديوان النابغة (ص ١٥١) .

(٣) ديوان عروة بن الورد : (ص ١٩١) .

(٤) ديوان أوس : (ص ٥٧) .

والمؤمنِ العائذاتِ الطَّيرَ يَمْسَحُها ... رُكْبانُ مكةَ بين الخَيْلِ والسَّعَدِ (١)

• الباري :

ومعني بَرِي : خَلَق ، الباري الخالق .

وقد استخدم اللفظ في الشعر الجاهلي دالًّا على الله ، معرفًا بأل وبالإضافة ، قال عدي في وصف فرسه :

رَمَّهُ الباري فَسَوَّى دَرأَهُ ... غَمْزُ كَفَّيْهِ وتَخْليقُ الشَّفَنْ (٢)

وقال أمية حين أقبل على الرسول ليسلم بعد غزوة بدر فردته قريش :

به خَتَمَ اللهُ مَن قبلَه ... ومَن بعده مِن نبيٍّ ختمْ

يَموتُ كما مَاتَ مَنْ قد مَضَى ... يُرَدُّ إلى اللهِ بَارِي النَّسَمْ (٣)

• الباقي :

قال أمية :

فكل معمَّرٍ لا بد يومًا ... وذي دنيا يصير إلى زوالِ

ويفنى بعدَ جدَّتِه ويبلَى ... سوى الباقي المقدَّس ذي الجلالِ (٤)

• الجبار :

قال السموأل :

ألسنا بني الطور المقدس والذي ... تدكدك للجبار يوم الزلازل (٥)

وهذا البيت إشارة إلى قصة موسى ﷺ لما طلب رؤيه الله ﷻ فأمره الله أن ينظر إلى الجبل فرآه يهتز ويتصدع من تجليه ﷻ على الجبل .

• الحكم :

قال أمية :

لَكَ الحَمْدُ والمَنُّ ربَّ العِبَا ... دِ أَنْتَ المَلِيكُ وأَنْتَ الحَكَمْ (٦)

(١) ديوان النابغة (ص ٢٥) وهامشها .
(٢) ديوان عدي بن زيد (ص ١٧٣) .
(٣) ديوان أمية (ص ٧١) .
(٤) المرجع السابق (ص ٦٢) .
(٥) ديوان السموأل : (ص ٥٣) .
(٦) ديوان أمية : (ص ٧٠) .

● الخالق :

قال قيس بن الخطيم :

قَضَـى لها اللّهُ حين صَوَّرَها الـ ـخالـقُ أَن لا يُكِنَّـها سَـدَفُ (١)

وقال أمية بن أبي الصلت :

وأنَّى يَكُونُ الخَـلْقُ كَالخَالِقِ الذِي يَدُومُ ويَبْقَى والخَلِيقَةُ تَنفدُ (٢)

● الرحمن :

قال المثقب العبدي :

لحى الرحمنُ أقوامًا أضـاعوا على الوعـواعِ أفراسي وعِيسي (٣)

وقال أمية :

مِنهم رِجَالٌ على الرَّحمَنِ رِزْقُهمْ مكفَّرٌ عنهم الأَخبـاثُ والوَزرُ (٤)

● المُسَبح :

قال عدي بن زيد :

لَيسَ شَيء عَلَى المَنُـونِ بِبـاقِ غَيرُ وَجْهِ المُسَبحِ الخَـلَّاقِ (٥)

● قدير :

قال أمية :

ذلك المنشئ الحجـارة والـمَوْ تَى وأحياهـمْ وكـان قديـرا (٦)

● الملك :

قال أمية :

إلى المَلِكِ الأَعْلَى الذي ليسَ فَوْقَهُ إِلَهٌ ولا رَبٌّ يَكـونُ مُدَانِيـا (٧)

---

(١) (الأصمعي) عبد الملك بن قريب : الأصمعيات : (ص ١٩٧) ، وديوان قيس بن الخطيم : (ص ٨٦) .

(٢) ديوان أمية : (ص ٣٥) .

(٣) ديوان المثقب العبدي (ص ٥٧) .

(٤) ديوان أمية : (ص ٤٠) .

(٥) ديوان عدي بن زيد (ص ١٥٠) و (الجمحي) محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء (ص ١٤١) و (الأصفهاني) أبو الفرج : الأغاني : (٢٦/٢) .

(٦) ديوان أمية : (ص ٤١) .

(٧) المرجع السابق : (ص ٩١) .

● المليك :

قال أمية :

مَلِيكُ السماوات الشِّدَادِ وأَرْضِها وليسَ بشيءٍ عن قَضـاهُ تَأَوُّدُ (١)

● مناصر :

قال حاتم :

وهَل تَعْلمـون إذ نَزَلنَا وأَنْتمُ وليـسَ لنا إِلَّا الإِلَـهُ مُنَاصِرُ (٢)

● مهيمن :

قال أمية :

مَلِكٌ عَلى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ تَعْنُو لِعِزَّته الوُجـوهُ وتَسْـجدُ (٣)

ثانيًا : عبادته لله :

● سعى الجاهلي لتقوى اللّٰه وعبادته وخشي عقابه ، وهذا أمر انبنى على الاعتراف به إلهًا أعلى خالقًا رازقًا .

وهذه بعض السياقات التي تبرز هذا الجانب :

قال المتلمس :

واعلم علم حـق غيـر ظن وتقـوى اللّٰه من خيـر العتاد (٤)

● ومعرفة أن اللّٰه حق ، تزيد الإنسان تقوى :

قال زهير :

بَدَا لِي أَنَّ اللّٰـــهَ حـــقٌّ فَزَادَنِي إلى الحَقِّ تَقْوى اللّٰهِ ما قَـدْ بَدَا لِيا

بَدَا لِي أَنني لستُ مُدْرِكَ ما مَضَى ولاَ سَابِقـي شَـيءٌ إِذَا كَانَ جَائِيا (٥)

● وجاء اللفظ بمعنى تخافون اللّٰه :

قال أوس بن حجر في بني الحارث بن سدوس بن شيبان (حين أغرى بهم عمرو ابن المنذر بن ماء السماء ثم جاور فيهم فاقتسموا معزاه) :

---

(١) ديوان أمية : (ص ٣٥) .

(٢) ديوان حاتم : (ص ٢٧٧) .

(٣) ديوان أمية : (ص ٢٩) .

(٤) ديوان المتلمس : (ص ١٧٢) .

(٥) ديوان زهير : (ص ٢٨٧) .

ألَا تتقـونَ اللّهَ إذْ تَغْلِفُونهـا رضيخ النَّوى والعُضّ حولًا مجرَّما (١)

• ويدعو عبد قيس إلى تقوى الله والوفاء بالنذر والتحلل من اليمين :

اللّه فاتَّقِـهِ وأَوفِ بنــذرِهِ وإذا حَلفـتَ ممارِيًـا فتحـلَّلِ (٢)

• والإنسان يبدأ بحق الله :

قال عمرو بن الإطنابة :

إنِّي مِـنَ القَـوْمِ الذينَ إذَا انْتَدَوْا بَـدَأُوا بِحَـقِّ اللَّهِ ثُمَّ النَّائِلِ (٣)

• والمصاب الأعظم هو معصية الله ، والإنسان يعاقب عليها :

قال السموأل :

ومصاب الإفريس حين عصى اللَّـ ـــهُ إذ صابَ حَيْنَه الجـــالوت

ليس يعطَى القويُّ فضلًا من الرز ق ولا يحرم الضعيف الشخيت (٤)

• والذين يحرضون على الإثم أو يسعون للشر فهم أعداء الله :

قال عروة بن الورد :

سقَوْني النسْء ثـم تكنفونـي عُـداةُ اللَّه من كـذب وزورِ (٥)

وقد طلب من عروة أن يطلق زوجه فأبى ، فسقوه الخمر ثم أغروه بالطلاق حتى أوقعه ، ولما أفاق ندم على ما بدر منه .

أما العبادات فلم تكن خالصة لله – الإله الأعلى – لدى الجاهليين جميعًا ، لأن عقيدتهم تراوحت بين التوحيد والإشراك ، وقد سبق الحديث عن الديانات المختلفة التي كان يضمها المجتمع الجاهلي من يهودية ونصرانية وحنيفية ووثنية ، ولكل ديانة عقيدتها وتصورها لله ، ولكن من أهم الأسس التي تصور عقائد الجاهلين التوحيد والإشراك .

فالأحناف اعتمدت عقيدتهم على التوحيد ، وقد أكد ذلك القرآن .

---

(١) ديوان أوس : (ص ١١٢) .

(٢) (الأصمعي) عبد الملك بن قريب : الأصمعيات (ص ٢٢٩) .

(٣) (الطائي) حبيب بن أوس : الحماسة (ج٢) – (ص ٢٩٤) .

(٤) ديوان السموأل : (ص ٢٥) .

(٥) ديوان عروة بن الورد (ص ٤٨) وهامشها . ورواية أخرى سقوني الخمر ، ديوان عنترة (ص ٣٢٤) .

قال تعالى : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ ﴾ [الحج : ٣١] .

وقد وردت أمثلة منها قصة زيد بن عمرو بن نفيل الذي قالت فيه أسماء بنت أبي بكر الصديق ﷺ : « لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخًا كبيرًا مسندًا ظهره إلى الكعبة ، وهو يقول : يا معشر قريش والذي نفس ابن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين إبراهيم غيري . ثم يقول : اللّهم لو أني أعلم أي الوجوه أحب إليك عبدتك به ولكني لا أعلمه . ثم يسجد على راحته » [(١)] .

قد وردت أبيات من الشعر تدل على التوحيد ؛ منها قول زيد بن عمرو في فراق دين قومه :

أَرَبًّا واحـــدًا أم ألــف ربٍّ ... أدين إذا تُقسِّمت الأمورُ
عزلت اللاتَ والعزى جميعًا ... كذلك يفعل الجلد الصبور
فـلا العزى أدين ولا ابنتيـها ... ولا صَنَمَيْ بني عمرو أزور
ولا هُبَلًا أديــن وكان ربًّــا ... لنا في الدهر إذ حلمي يسير [(٢)]

وقوله في بيت من قصيدة أخرى :

رضيتُ بك اللّهم ربًّا فلن أرى ... أدين إلهًا غيرك اللّهُ ثانيا [(٣)]

ومنها - أيضًا - قول عبيد بن الأبرص :

واللّهُ ليـس لـه شـريـك ... عَـلَّامُ ما أخفـت القلـوب [(٤)]

وقول زيد بن عمرو بن نفيل :

ألا أيها الإنســان إياك والـردى ... فإنك لا تخفـي من اللّه خافيا
وإيــاك لا تجعـل مع اللّهِ غيره ... فإن سبيـل الرشـد أصبح باديا [(٥)]

وقول حاتم :

فلمـا رآنـي كبـر اللّهَ وحدَه ... وبشـر قلبًا كان جمًّا بلابلهْ [(٦)]

---

(١) (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية (٢٢٥/١) .
(٢) ديوان أمية : (ص ٤٦) .
(٣) (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية : (ص ٢٢٨) .
(٤) ديوان عبيد بن الأبرص : (ص ١٥) .
(٥) (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية : (ص ٢٢٧) .
(٦) ديوان حاتم الطائي : (ص ٣٠٣) .

● وكل ما ينفق من المال يراد به اللّٰه وحده ولا يخالطه رياء :

قال حاتم :

فلو كان ما يُعْطِي رياء لأمسكت ... به حَبَناتُ اللـــؤم يجذبنه جذبا
ولكنما يبغــــي به اللّٰهَ وحده ... فأعطِ فقد أربحتَ في البيعة الكسبا (١)

وقال عدي :

ثم لم أبخل بما استودعتني ... لا وما للّٰه فينا من وَثَن (٢)

● واللّٰه أعظم إله وليس للمرء بعده من مذهب :

قال النابغة :

حلفت فلم أترك لنفسك رِيبة ... وليس وراء اللّٰه للمرء مذهبُ (٣)

أما العبادات التي وجهها الجاهلي للّٰه فهي : الصوم ، الصلاة ، الحج ، الدعاء :

● الصلاة :

قال عدي بن زيد :

أبلغ النعمان عني مألُكًا ... قول من خاف اظْطِعانًا فاعتذرْ
إنني واللّٰه فاقبل حَلْفتي ... لأبيلٌ كلما صلى جـــأر (٤)

● والسجود للّٰه :

قال أمية :

ملك على عرش السماء مهيمن ... تعنو لعزته الوجوهُ وتسجد (٥)

● والتوجه للّٰه بالدعاء :

قال قيس بن الخطيم :

جزاهم اللّٰه عنا أينما ذُكِروا ... لدى المكارم إذ عُدتْ بها النِّعَمُ (٦)

---

(١) المرجع السابق : (ص ٢٤٣) . (٢) ديوان عدي بن زيد : (ص ١٧٩) .
(٣) ديوان النابغة : ص ٧٢ – (الجمحي) محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء (ص ٦٠) .
(٤) ديوان عدي بن زيد : (ص ٦١) ، (الأصفهاني) أبو الفرج : الأغاني (٢٥/٢) .
(٥) ديوان أمية : (ص ٢٩) .
(٦) ديوان قيس بن الخطيم : (ص ١٧٣) .

وقال أبو قيس بن الأسلت :

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا   بأركان هذا البيت بين الأخاشبِ (١)

صلوا ربكم ، أي ادعوا ربكم ، والأخاشب : جبال مكة وجبال مِنًى .

● والصوم للّه :

قال امرؤ القيس :

لها مقلة لو أنها نظرت بها   إلى راهب قد صام للّه وابتهلْ
لأصبح مفتونًا معنًّى بحبها   كأن لم يصم للّه يومًا ولم يُصَلْ (٢)

● ومن العبادات الحج :

قال الشنفرى الأزدي :

قتلنا قتيلًا مُهْدِيًا بملبِّدٍ   جمارَ مِنًى وسط الحجيج المُصوِّتِ (٣)

آثار التقوى :

ظهرت آثار تقوى الجاهلي واعتقاده باللّه إلهًا أعظم في عدة أمور ؛ منها :

● الجاهلي يعتقد أن الهداية من اللّه :

قال برج بن مسهر الطائي :

فسائلْ هداكَ اللّهُ أيُّ بني أبٍ   من الناس يسعى سَعْيَنا ويُقارِضُ (٤)

● الجاهلي يسأل اللّه ؛ لأن سائله لا يخيب :

قال عبيد بن الأبرص :

من يسأل الناس يَحْرِموه   وسائلُ اللّه لا يخيبُ (٥)

● وأخذ العهد باسم اللّه :

قال النابغة :

---

(١) (ابن هشام) أبو محمد عبد الملك : السيرة النبوية (٥٩/١) وهامشها .

(٢) ديوان امرئ القيس : (ص ١٤٧) .

(٣) (الضبي) المفضل بن محمد : المفضليات : (ص ١١١) .

(٤) (الطائي) حبيب بن أوس : الحماسة (٣١٢/١) .

(٥) ديوان عبيد بن الأبرص : (ص ١٥) (القرشي) محمد بن أبي الخطاب : جمهرة أشعار العرب (ص ٣٨٤) .

فواثقها بالله حين تراضيا ... فكانت تَدِيه المالَ غِبًّا وظاهرةً (١)

ويقول خداش بن زهير العامري لعثعث بن وحشي الخثعمي في عهد كان بينهم فغدر بهم :

وذكَّرتُه بالله بيني وبينه ... وما بيننا من مدةٍ لو تَذَكَّرا

وبالمَرْوَةِ البيضاء يوم تَبالَةٍ ... مَحْبَسَةَ النعمان حيث تنصَّرا (٢)

● والاستجارة بالله سبحانه :

قال النابغة :

فجئتُ عمرًا على ما كان من أَضَمٍ ... وما استجرت بغير الله من جار (٣)

● والتعوذ بالله من كل شر :

قال أوس بن حجر :

وتعوذوا بالله من أقلامه ... إن السيوف لها من الحسادِ (٤)

● والشكوى إلى الله :

قال برج بن مسهر الطائي :

إلى الله أشكو من خليل أَوَدُّه ... ثلاث خلال كلُّها لي غائظُ (٥)

● والحمد لله :

قال أبو جندب :

لقد أمسى بنو لحيان مني ... بحمد الله في خِزْيٍ مبين (٦)

وقال سلمة بن الخرشب الأنماري :

فإن تقبل بما علمتُ فإني ... بحمد الله وَصَّالٌ صَرومُ (٧)

---

(١) ديوان النابغة : (ص ١٥٥) .

(٢) (الكلبي) هشام بن محمد بن السائب : الأصنام (ص ٣٥) .

(٣) ديوان النابغة : (ص ١٨٣) .

(٤) ديوان أوس : (ص ٢٨) .

(٥) (الطائي) حبيب بن أوس : الحماسة (٣١٢/١) .

(٦) ديوان الهذليين (ص ٩٠) .

(٧) (الضبي) المفضل بن محمد : المفضليات (ص ٣٩) .

● وطلب المغفرة من اللّٰه :

قال أمية :

إن تغفر اللهم تغفر جمًّا وأي عبد لك لا ألمَّا (١)

● والرحمة من اللّٰه :

قال عدي بن زيد :

رحم اللّٰه من بكى للخطايا كُلُّ باكٍ فذنبه مغفورُ (٢)

● والعطاء من اللّٰه :

قال النابغة :

ألم تر أن اللّٰه أعطاك سَوْرَةً ترى كل مُلْكٍ دونها يتذبذبُ (٣)

● والرزق من اللّٰه :

قال حاتم :

إن يَفْنَ ما عندنا فاللّٰه يرزقنا مما سوانا ولسنا نحن نَرْتَزِقُ (٤)

● وزيادة المال من اللّٰه :

قال النابغة :

فلما رأى أنْ ثَمَّر اللّٰه مالَه وأثَّل موجودًا وسد مفاقره (٥)

ثمر اللّٰه ماله : أي كثره وأصلحه .

● وكل ما يأمر به اللّٰه واقع لا محالة :

قال حاتم :

أُتيحَ له من أرضه وسمائه حِمامٌ ، وما يأمرْ به اللّٰه يُفْعَلِ (٦)

(١) (الجمحي) محمد بن سلام : طبقات فحول الشعراء (ص ٢٦٧) .

(٢) ديوان عدي بن زيد : (ص ٨٦) .

(٣) ديوان النابغة : (ص ٧٣) .

(٤) ديوان حاتم : (ص ٣٠٢) .

(٥) ديوان النابغة : (ص ١٥٥) .

(٦) ديوان حاتم : (ص ٢٨٣) .

● الدعاء بالخير أو الشر ، وذلك من أهم آثار التقوى ؛ لأنه علامة مهمة تشير إلى أن اللّٰه هو الإله الذي يستحق التعظيم والذي يعتقد الجاهلي أن بيده تصريف الأمور ، وتقدير الأقدار .

ومعظم ما جمعت من الأشعار وجّه فيها الجاهلي دعاءه إلى اللّٰه :

قال حاتم الطائي :

سقى اللّٰه ربُّ الناس سَحًّا وديمةً ... جنوبَ الشَّراةِ من مآبٍ إلى زُغَرْ [١]

وقال قيس بن الخطيم :

جزاهـمُ اللّٰه عنا أينما ذُكـروا ... لدى المكـارم إذ عُدَّتْ بها النِّعَمُ [٢]

وقال عروة بن الورد :

جزى اللّٰهُ خيرًا كلما ذُكر اسمُه ... أبا مالكٍ إن ذلك الحيَّ أَصْعَدُوا [٣]

وقال عمرو بن كلثوم :

جـزى اللّٰهُ الأجلُّ يزيدَ خيـرًا ... ولقّـاه المسـرّةَ والجَمـالا [٤]

● والدعاء بالشر كذلك يتوجه به الجاهلي إلى اللّٰه ؛ لأن في اعتقاده أن الذي يصيبه بالخير أو الشر أو القادر على أن يصيب غيره ويقدر هذه الأقدار هو اللّٰه .

قال الحادرة في هجاء زبّان الشاعر :

لحى اللّٰهُ زبّـان من شاعـرٍ ... أخي خنعـة غـادر فاجر [٥]

● ويدعو عنترة على الطلول ؛ لأنها جالبة للأحزان ، وباعثة للشوق :

قال عنترة :

ألا قاتل اللّٰهُ الطلـولَ البواليا ... وقاتلَ ذكراك السنينَ الخواليا [٦]

ويدعو امرؤ القيس على البراجم قبيلة من بني حنظلة فيقول :

ألا قَبَّـحَ اللّٰه البراجِـمَ كلَّهـا ... وجدَّع يربوعًا وعَفَّرَ دارِما [٧]

---

(١) ديوان حاتم : (ص ١٩٠) .
(٢) ديوان قيس بن الخطيم : (ص ١٧١) .
(٣) ديوان عروة بن الورد : (ص ١٨٦) .
(٤) ديوان عمرو بن كلثوم : (ص ٥٩٣) .
(٥) ديوان الحادرة : (ص ٣٧) .
(٦) ديوان عنترة : (ص ٢٢٤) .
(٧) ديوان امرئ القيس : (ص ١٦٠) .

قال النابغة :

جزى اللهُ عبسًا في المواطن كلِّها جزاءَ الكلاب العاويات وقد فعلْ (١)

● وعندما يتعجب الجاهلي من أمر حسن أو سيئ ، فإنه يستخدم لفظ اللّه مظهرًا تعجبه من ذلك الأمر .

قال المتلمس :

يا آلَ بكـرٍ ألا لِلّهِ أُمُّكُـم طال الثَّواءُ وثوبُ العجز ملبوسُ (٢)

● ورثى عنترة مالك بن زهير العبسي ، وقد قتله بنو بدر :

للّه عينا من رأى مثـلَ مالكٍ عقيرةَ قومٍ أن جَـرَى فَرَسانِ (٣)

وقال بشر :

أجبنا بني سعد بن ضبة إذ دَعَوْا وللّه مَوْلَى دعوةٍ لا يُجيبها (٤)

● والحلف بالمعبود مظهر من مظاهر تعظيمه ، وقد شاع الحلف باستخدام لفظ اللّه كثيرًا في أشعار الجاهلين ، ولا تكاد تقارن نسبة شيوعه بشيوع الحلف بغيره من المعبودات الأخرى .

ولليمين عند الجاهلين قيمة خاصة ، فزهير يقول إن الحق لا يظهر إلَّا بإحدى ثلاث إمَّا اليمين أو التنافر للحاكم أو أن ينكشف الأمر .

وإما أن يقولَ لقد وفينا بذمتنا وعادتُنا الوفاء

فإن الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو جلاء (٥)

وإذا كان هذا هو دور اليمين في إظهار الحق ، فإن هذا يدل على تعظيم الإله الذي يقسمون به .

والأمثلة على الحلف باللّه كثيرة ، منها قول امرئ القيس :

فقلت يمينَ اللّه أبرح قاعدًا ولو قطَّعوا رأسي لديك وأوصالي (٦)

---

(١) ديوان النابغة : (ص ١٩١) .

(٢) ديوان المتلمس : (ص ٧٦) .

(٣) ديوان عنترة : (ص ٣١١ ، ٣١٢) .

(٤) ديوان بشر : (ص ١٥) .

(٥) ديوان زهير : (ص ٧٥) .

(٦) ديوان امرئ القيس : (ص ١٢٥) .

وقال زهير :

وقالت أمُّ كعب لا تزرْنا   فلا واللّه مالك من مـزار [١]

وقال عارف الطائي يهجو المناذرة وقيل لترملة بن شعاث الأجئي :

واللّه لو كان ابن جفنةَ جارَكم   لكسا الوجوة غضاضةً وهوانا [٢]

وقد يقسم الجاهلي دون أن يحدد الإله الذي يقسم به ؛ لأنه إله معروف . ولو كان كل شاعر يقسم بإله قبيلته لتتطلب منه ذلك تحديد من يقسم به ، ولكن الذي يقسم به إله معروف لدى الجميع ، ويقسمون به كما يقسم هو به ، فيمكن إذن ذكره أو عدم ذكره .

ومن الأمثلة التي لم يذكر فيها الإله عند القسم :

قول النابغة :

حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبة   وهل يأثمـنْ ذو إمَّةٍ وهو طائع [٣]

وقول زبان بن سيار :

وأقسم يأتي خطةَ الضيم طائعًا   بلى سوف تأتيها وأنفُك راغم [٤]

وقول قيس بن الخطيم :

فأقسمت لا أعطي يزيد رهينةً   سوى السيف حتى لا تنوء له يدي [٥]

لفظ الله في القرآن :

لا يكاد يشيع لفظ اللّه في القرآن شيوع لفظ اللّه ، الذي ارتبطت به مفاهيم جديدة ، لم يكن يعرفها الجاهلي ، كما أبطلت مفاهيم أخرى ، لم يقرها الإسلام الذي جاء يدعو إلى عبادة اللّه إلهًا واحدًا ، ونبذ ما عداه من الآلهة ، حتى تجلى معنى هذا اللفظ في القرآن ، من خلال ما ارتبط به من أفكار ، وردت في سياقات مختلفة تبرز معناه خاليًا من شوائب الجاهلية ، وتظهر صورة الإله بأسمائه وصفاته دونما شائبة .

---

(١) ديوان زهير : (ص ٣٣٥) .

(٢) (الطائي) حبيب بن أوس : الحماسة (١٦٧/٢) .

(٣) ديوان النابغة : (ص ٣٥) .

(٤) (الأصمعي) عبد الملك بن قريب : الأصمعيات (ص ٢١١) .

(٥) ديوان قيس بن الخطيم : (ص ١٠٤) .

وهذه بعض السياقات التي توضح معنى لفظ الجلالة (الله) وتصور عقيدة المسلم نحو إلهه الواحد .

● لقد كانت عناية القرآن شديدة بإثبات حقيقة وحدانية الله سبحانه ، وأنه لا إله إلَّا هو ، وأن ما عبد من دونه باطل :

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

● والذي يجعل مع الله إلهًا مأواه جهنم :

﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ [الإسراء : ٣٩] .

● والله هو الواحد الأحد :

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١] .

● والقرآن يبطل عبادة الأوثان ، ويبلغ الإنسان بعدم جدوى هذه العبادة :

﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَءَابَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ﴾ [النجم : ١٩ - ٢٣] .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] .

● كما يبطل القرآن ما ادعته اليهود والنصارى مما يخالف شرع الله الذي شرعه :

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة : ٣٠] .

● والدين لله :

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [الزمر : ٣] .

● والدين الذي يقبله الله من عباده هو دين الإسلام :

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥] .

● ويستلزم الإيمان بالله الإيمان بالرسل والملائكة والكتب :

﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وهنا تظهر الفكرة جلية فالله هو الواحد الأحد المستحق للعبادة ، الذي لا يقبل الشركاء ولا الشفعاء ، وهو الواحد الذي بيده مقاليد كل شيء ، فهو الخالق الرازق وإليه تسند صفات كثيرة وأفعال جليلة :

- إنه خالق كل شيء ومالكه :

﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى: ٤٩] .

﴿ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ﴾ [الأنعام: ١٢] .

- وهو الذي يبعث النبيين :

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

- وهو الذي يهدي من يشاء :

﴿ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣] .

- وهو الذي يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور :

﴿ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ ﴾ [البقرة: ٢٥٧] .

- وهو الذي يحاسب عباده ؛ لأن إليه المرجع :

﴿ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] .

- والله يحاسب عباده ولكن لا يظلمهم ولا يحب الظالمين :

﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٨] .

- وهو بعد هذا الحساب العادل يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء :

﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ٤٠] .

- وهو خير الحاكمين :

﴿ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٧]

- والموت والحياة بيده - سبحانه - والمرجع إليه :

﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الجاثية: ٢٦] .

﴿ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود: ٤] .

● وكل أمر بمشيئته سبحانه :

﴿ قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٨] .

● والرزق من الله :

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ﴾ [سبأ: ٢٤] .

● والفضل بيد الله :

﴿ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٧٣] .

● والنعم نعم الله سبحانه :

﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١٨] .

● والمغفرة والرحمةُ من الله :

﴿ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفتح: ١٤] .

● والنصر من الله :

﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [الأنفال: ١٠] .

● ولا يصيب الإنسان شيء إلا بإذنه سبحانه :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [التغابن: ١١] .

● وله سبحانه كمال القدرة والعظمة والعزة :

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤] .

● لذا فإن جميع أنواع العبادة يجب أن تصرف له – سبحانه – فهو الإله الواحد المستحق للعبادة من صوم وصلاة وحج وزكاة :

﴿ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٧٢] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ [البقرة: ١٨٣] .

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [آل عمران: ٩٧] .

﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٥٨] .
﴿ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [النساء: ٩٥] .
﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ [النساء: ١٣] .
﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا ﴾ [النساء: ١٤] .

أسماء الله الحسنى :

هنا نقف وقفة مع أسماء الله الحسنى التي تساعد على توضيح دلالة لفظ الجلالة « الله » في القرآن وتقدم مفهومًا واضحًا عنه .

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] .

قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني :

حدثنا هشام بن عمار ، حدثنا الملك بن محمد الصنعاني ، حدثنا أبو المنذر زهير ابن محمد التميمي ، حدثنا موسى بن عقبة ، حدثني عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إن لله تسعة وتسعين اسمًا ، مائة إلَّا واحدًا إنه وتر يحب الوتر من حفظها دخل الجنة** » ؛ ومنها :

اللّـــه ، الواحد ، الصمد ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الملك ، الحق ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الرحمن ، الرحيم ، اللطيف ، الخبير ، السميع ، البصير ، العليم ، العظيم ، البـار ، المتعال ، الجليل ، الجميل ، الحي ، القيوم ، القادر ، القاهر ، العلي ، الحكيم ، القريب ، المجيب ، الغني ، الودود ، الشكور ، الماجد ، الواجد ، الوالي ، الراشد ، العـفو ، الغفور ، الحليم ، الكريم ، التواب ، الرب ، المجيد ، الولي ، الشهيد ، المبين ، البرهان ، الرؤوف ، الرحيم ، المبدئ ، المعيد ، الباعث ، الوارث ، القـوي ، الشديد ، الضار ، النافع ، الباقي ، الواقي ، الخافض ، الرافع ، القابض ، الباسط ، المعز ، المذل ، المقسط ، الرزاق ، ذو القوة[1] .

---

(١) سنن ابن ماجه (١٢٦٩/٢ ، ١٢٧٠) .

وهذا إيضاح لمعاني بعض أسماء الله الحسنى مع ذكر الدليل عليها من القرآن .

● **البارئ :**

من أسماء الله ﷻ البارئ ، وهو الذي خلق الخلق لا عن مثال (١) والبرء خلق على صفة فكل مبروء مخلوق وليس كُلُّ مخلوقٍ مبروءًا (٢) .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ﴾ [الحشر : ٢٤] .

ففرق بين الصفتين ، قال بعض العلماء : لأنه خلق الخلق أولًا فقدره ثم براه ، أي سواه وعدله لذلك بدأ بالخالق ثم البارئ ؛ لأنه ابتدأ فخلق الصورة أي قدرها ثم برى النسمة (٣) .

قال صاحب القاموس المحيط : وقد فرق الناس بينهما فقال البارئ وهو المبدع المحدث والخالق هو المقدر الناقل من حال إلى حال (٤) .

● **الجبار :**

القاهر خلقه على ما أراد من أمر ونهي .

قال الزجاج : أصل جبر في الكلام إنما وضع للنماء والعلو ، والله تعالى عالٍ على خلقه بصفاته العالية وآياته القاهرة وهو المستحق للعلو والجبروت (٥) .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

● **الحق :**

من أسماء الله ﷻ ، وقيل من صفاته ، وهو الموجود حقيقة المتحقق وجوده وإلهيته (٦) .

قال الراغب : الحق يقال على أوجه ؛ الأول : يقال لموجد الشيء بسبب ما

---

(١) (ابن منظور) جمال الدين محمد مكرم : لسان العرب (٢٣٩/١) .

(٢) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٣٧) .

(٣) (الرازي) أبو حاتم أحمد بن إدريس : الزينة (٥٦/٢) .

(٤) (الفيروزابادي) مجد الدين محمد : القاموس المحيط (٢٠٤/١) .

(٥) الزجاج : إبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٣٤ ، ٣٥) .

(٦) ابن منظور : لسان العرب (٩٤٠/٢) .

تقتضيه الحكمة ؛ ولهذا قيل في الله تعالى هو الحق (١) .

قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [الحج: ٦] .

● الحليم :

في صفة الله ﷻ الذي لا يعاجل بالعقوبة ، فكل من لا يعاجل بالعقوبة سمي حليمًا ، وقد وصف الله تعالى بالحلم المخلوقين (٢) .

قال تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴾ [الصافات: ١٠١] .

وقال تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ٢٦٣] .

أي حين لا يعجل في العقوبة على من يمن بصدقته منكم ويؤذى فيها من يتصدق بها عليه . والحليم الذي قد كمل حلمه (٣) .

● الخالق :

الخلق في اسم الله تعالى : هو ابتداء تقدير الأشياء ، فالله – تعالى – خالقها ومنشئها وهو متممها ومدبرها (٤) . وقيل : معناه أحسن المقررين وأحسن المبدعين .

قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ [الرعد: ١٦] .

● الرحمن :

اسم مشتق من الرحمة يختص بالله ﷻ ولا يجوز إطلاقه في غيره .

وكان مسيلمة الكذاب يقال له : رحمان اليمامة .

قال الزجاج : وقد قالوا رحمان اليمامة ، وإنما قيل له ذلك على جهة الاستهزاء والتهكم .

والرحمن الذي رحم كافة خلقه بأن خلقهم وأوسع عليهم في رزقهم ، وبذا يكون الرحمن أعم من الرحيم ومعناه الرحمة العامة التي تشمل البر والفاجر (٥) .

---

(١) (الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد : المفردات (ص ١٢٥) .

(٢) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٤٥ ، ٤٦) .

(٣) تفسير الطبري (٤٣/٣) .

(٤) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٣٦ ، ٣٧) .

(٥) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٢٨) .

قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٠] .

● الرحيم :

صفة مبنية من الرحمة ، ومعناه أنه سبحانه خاص في رحمته لعباده المؤمنين بأن هداهم إلى الإيمان ، وهو يثيبهم في الآخرة الثواب الدائم الذي لا ينقطع (١) .

قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الفاتحة : ١] .

يقصد به الرحيم بالمؤمنين في الهداية لهم والتلطف بهم (٢) .

● الرزَّاق :

يقال لخالق الرزق ومعطيه والمسبب له وهو الله تعالى الذي يرزق الخلائق أجمعين ، والرزاق لا يقال إلَّا لله تعالى (٣) .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] .

● الرقيب :

الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء فعيل بمعنى فاعل وفي الحديث ارقبوا محمدًا في أهل بيته ، أي احفظوه فيهم (٤) .

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء : ١] .

رقيبًا : أي حفيظًا محصيًا عليكم أعمالكم متفقدًا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم إياها وقطعكموها . وقيل : أي عليمًا . وقيل : أي رقيبًا على أعمالكم يعلمها ويعرفها (٥) .

---

(١) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٢٩) .

(٢) تفسير القرطبي (١٠٣/١) .

(٣) (الأصفهاني) : أبو القاسم الحسين بن محمد : المفردات (ص ١٩٤) .

(٤) (ابن منظور) جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب (١٦٩٩/٣) .

(٥) تفسير القرطبي (٨/٥) ، وتفسير الطبري (١٥٣/٤) .

● **الشهيد :**

من أسماء الله ﷻ الشهيد ، والشهيد الأمين في شهادته والشهيد الذي لا يغيب عن علمه شيء والشهيد الحاضر (١) .

وقوله : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ ، أي ما يغيب عن حواس الناس وبصائرهم وما يشهدونه بهما (٢) قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] .

● **الصمد :**

الصمد في صفاته ﷻ السيد المتناهي في السؤدد حتى لا سيد فوقه ، وهو الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم وينتهون إليه في أمورهم (٣) .

وقيل : الصمد الدائم الباقي بعد فناء خلقه ، وقيل : هو الذي يُصمد إليه الأمر فلا يُقضى دونه ، وقيل : الذي صمد إليه كل شيء ، أي الذي خلق الأشياء كلّها (٤) .

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴾ [الإخلاص : ٢] .

● **العليم :**

من صفات الله ﷻ العليم والعالم والعلّام .

قال الله ﷻ : ﴿ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [يس : ٨١] ، وقال : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ [الحشر : ٢٢] ، وقال : ﴿ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ .

فهو العالم بما كان وما يكون قبل كونه وبما يكون ولما يكن بعد قبل أن يكون (٥) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس : ٧٩] .

---

(١) ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب (٢٣٤٨/٤) .

(٢) (الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد : المفردات (ص ٢٦٨) .

(٣) الرازي : أبو حاتم أحمد بن حمدان : الزينة (١٢١/٢) .

(٤) ابن منظور : جمال الدين محمد : اللسان (٢٤٩٦/٤) .

(٥) ابن منظور : جمال الدين محمد : اللسان (٣٠٨٢/٤ ، ٣٠٨٣) .

أي أنه بجميع خلقه ذو علم كيف يميت وكيف يحيي وكيف يبدي ، لا يخفى عليه شيء من أمر خلقه [١] .

● **العَفُوُّ :**

من أسماء اللّٰه تعالى العفو ، وهو فعول من العفو ، وهو التجاوز عن الذنب ، وترك العقاب عليه [٢] .

وقولهم في الدعاء : أسألك العفو والعافية ، أي ترك العقوبة والسلامة [٣] .

قال تعالى : ﴿ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴾ [النساء : ١٤٩] .

● **الغفور :**

يقال غفور وغفَّار وغافر ، ثلاث لغات ، وهي من المغفرة ، والمغفرة الستر ، كأنه يستر ذنوب العباد إذا رضي عنهم ، فلا يكشفها للخلائق [٤] .

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴾ [البروج : ١٤] .

لما ذكر شدة بطشه سبحانه في الآية ذكر كونه غفورًا ساترًا لذنوب عباده ودودًا لطيفًا بهم محسنًا إليهم [٥] .

قال تعالى : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴾ [ص : ٦٦] .

الغفار : أي الستار لذنوب خلقه برحمته [٦] .

● **القدير :**

من أسماء اللّٰه ﷻ « وهو الذي لا يعجزه شيء ولا يفوته مطلوب ، ولا أحد غير اللّٰه يوصف بالقدرة من وجه إلَّا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه .

والقدير هو الفاعل لما يشاء على قدر ما تقتضي الحكمة لا زائدًا عليه ولا ناقصًا

(١) تفسير الطبري (٢٠/٢٣) .

(٢) ابن منظور : جمال الدين محمد : لسان العرب (٣٠١٨/٤) .

(٣) (الأصفهاني) أبو القاسم الحسين بن محمد : المفردات (ص ٣٤٠) .

(٤) (الرازي) أبو حاتم أحمد : الزينة (٩٧/٢ ، ٩٨) .

(٥) (الأندلس) أبو حيان : البحر المحيط (٤٥١/٨) .

(٦) تفسير الطبري (١١٧/٢٣) .

عنه ؛ ولذلك لا يصح أن يوصف به إلّا اللّه تعالى » [١] .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ٢٠] .

● **المهيمن :**

الشهيد على كل نفس بما كسبت ، المطلع على الضمائر الذي لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء إلّا وهو يشهدها ، لا يغيب عنها . هو الرقيب عليهم يعلم سرائرهم ، ويحصي أعمالهم ، وهو الحافظ عليهم ، الدافع عنهم الأمين الذي لا ينقصهم من حسناتهم ولا يَلِتْهم من أعمالهم شيئًا [٢] .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

● **المؤمن :**

يقال : إنما سمي اللّه نفسه مؤمنًا ؛ لأنه شهد بوحدانيته فقال تعالى : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ [آل عمران : ١٨] كما شهدنا نحن .

ويقال : إنه في وصف اللّه تعالى ، يفيد أنه الذي أمن من عذابه من لا يستحقه [٣] .

قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

● **الواحد :**

يقال واحد للشيء الذي ليس باثنين ولا أكثر منهما . وفائدة هذه اللفظة في اللّه ، عز اسمه إنما هي تفرده بصفاته التي لا يشركه فيها أحد [٤] .

قال بعض الحكماء : إنما قيل له : واحد ؛ لأنه ﷻ لم يزل قبل الخلائق متوحدًا بالأزل لا ثاني معه ولا خلق [٥] .

قال تعالى : ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا

---

(١) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء اللّه الحسنى (ص ٥٩) .

(٢) (الرازي) أبو حاتم أحمد بن حمدان : الزينة (٧٥/٢) .

(٣) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء اللّه الحسنى (ص ٣١ ، ٣٢) .

(٤) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء اللّه الحسنى (ص ٥٧) .

(٥) (الرازي) أبو حاتم أحمد بن حمدان : الزينة (٣٢/٢) .

يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ [الرعد: ١٦] .

- **الأحد :**

المنفرد بوحدانيته في ذاته وصفاته .

قال تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١] .

والأحد أكمل من الواحد ، قال الرازي : الأحد هو اسم أكمل من الواحد ، ألا ترى أنك لو قلت : فلان لا يقوم له واحد ، جاز في المعنى أن يقوم له اثنان أو ثلاثة مما فوقهما ، وإذا قلت : فلان لا يقوم له أحد ، فقد جزمت أنه لا يقوم له واحد ولا اثنان فما فوقهما ؛ فصار الأحد أكمل من الواحد [1] .

- **الوهاب :**

من أسماء الله تعالى الوهاب ، وقيل : من صفاته .

والهبة العطية الخالية من الأعواض والأغراض . فإذا كثرت سمي صاحبها وهابًا . والله سبحانه وهاب الهبات كلها والمنعم على العباد [2] .

قال تعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران: ٨] .

تطور مدلول اللفظ :

بعد عرض السياقات التي ورد فيها لفظ الله في الشعر الجاهلي وفي القرآن يمكننا الآن تحليل هذه السياقات ومعرفة التطور الدلالي الذي حدث للفظ (الله) عند ذكره في القرآن الكريم .

وبالنظر إلى السياقات الشعرية ، نجد أن الله عند الجاهلي صانع كل شيء ، ونعمه يعطيها لمن يشاء ، وكل ما يحدث بعلمه ، وأمره نافذ ، ولا يحدث للمرء إلا ما يشاء الله ، والله ينفس الكرب ، ولا ينال المرءُ ما يناله بسعيه ، وإنما بتوفيق من الله ، وهو

---

(١) (الزجاج) أبو إسحق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٥٨) .

(٢) (ابن منظور) جمال الدين محمد : اللسان (٤٩٢٩/٦) و(الزجاج) : أبو إسحاق إبراهيم : تفسير أسماء الله الحسنى (ص ٣٨) .

الذي يجلب الضر والنفع ، والعون والنصر والوقاية والحماية من اللّٰه ، وهو الذي يقي الإنسان من الوقوع في الزلل وهو مجيرهم ، والجزاء منه ، وهو إله الكون ، ينزل الماء من السماء ، والبلادُ بلاده ، والعباد عباده ، وهو رب العالمين .

ومما يجدر ذكره أن الشعراء الذين ورد عنهم هذا التصور ، أو هذه الأفكار عن اللّٰه ، يمثلون ديانات مختلفة ، فعدي بن زيد وورقة بن نوفل من شعراء النصرانية ، والسموأل من شعراء اليهودية ، وأمية بن أبي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل من الشعراء الحنفاء ، وعنترة بن شداد والحارث بن حلزة من شعراء الوثنية .

ومع ذلك لم يظهر اعتقاد المسيحيين بأن اللّٰه ثالث ثلاثة ، ولا تصور اليهوديين ؛ وذلك لقلة الشعر الديني الذي ورد عنهم ، وعلى الأخص الشعر الذي ورد فيه ذكر اللّٰه ، فإنه لم يتجاوز أربع أبيات كلها للسموأل ، ورد فيها لفظ اللّٰه مرتين والمليك مرة واحدة ، وكذلك الجبار مرة واحدة أيضًا .

وقد كشفت السياقات عن تباين الشعراء في مسألة التوحيد ، فمنهم من يرى أن اللّٰه واحد ومنهم من أشرك معه آلهة اعتقد أنه يمكن أن يتقرب بها إلى اللّٰه .

فأما الذين مالوا إلى التوحيد ودعوا إلى عبادة اللّٰه وحده فهم الشعراء الأحناف أمثال أمية بن أبي الصلت وزيد بن عمرو وعبيد بن الأبرص ، فاللّٰه عندهم واحد لا شريك له ؛ لذا فهو يعبد اللّٰه ويكبر اللّٰه وحده ، ويفعل ما يبغي به اللّٰه وحده ، ويفخر بعضهم بأنه ليس فيهم وثن يعبد وليس للمرء بعد اللّٰه من مذهب .

ويُقْسِم بعضهم باللّٰه وبالأصنام ويجعل اللّٰه أكبر منها ويجعل في عبادتها تقربًا للّٰه سبحانه ، ولم يسندوا إليها الخلق أو الرزق أو إنزال الغيث ؛ لأنهم عرفوا أن آلهتهم عاجزة عن القيام بهذه الأفعال ، بل أسندوها للّٰه الذي لم يكن في تصورهم مثل هبل واللات وغيرها من الأصنام ، فهذه لم تخلق الإنسان والحيوان والشجر ، كما أنها لا تشفي من مرض ولا تميت بعد حياة .

فلم نجد في الشعر الديني الوثني ما يشير إلى شيء من ذلك مثل (هداك هبل) أو (عافتك مناة) أو (معاذ اللات) ؛ لأنهم كانوا يدركون الفرق الكبير بين اللّٰه وآلهتهم ويميزون في ضوء هذا الإدراك بين ما يسند إلى اللّٰه وما يسند إلى غيره من الآلهة .

وإن نظرة فاحصة إلى ما احتواه الشعر الجاهلي من أشعار ذكر فيها اسم اللّٰه ، وما وصف به الجاهلي اللّٰه ، وما أسنده إليه من أفعال تدل على كمال القدرة ، إن

نظرة إلى هذا كله تكشف عن مدى تعظيم الجاهلي لله تعظيمًا يختلف عن تمجيده لتلك الآلهة الباطلة حتى إنه لا يكاد يذكرها إلا قليلًا .

لقد قام الباحث عكود في رسالته عن (الشعر الديني في العصر الجاهلي) بإحصاء عدد المرات التي ذكر الله فيها والتي ذكرت فيها الآلهة الأخرى (الأوثان والأصنام) في بعض دواوين الشعر الجاهلي فكشفت الإحصائية كما يأتي :

الديوان	الله وصفاته	الأصنام وما يتصل	عدد المرات
الأعشى الكبير	٣٩	الأوثان – الأصنام – عوض	٥
النابغة الذبياني	٣٣	ما يراق على الأنصاب – ود	٢
زهير بن أبي سلمى	١٣	العتر – القسم عند الأصنام	٢
عبيد بن الأبرص	١٢	اليعبوب – الصنم	٢
أوس بن حجر	١١	اللات – العزى	٢
امرؤ القيس	١١	الدوار	١
قيس بن الخطيم	٩	–	–
عامر بن الطفيل	٦	الدوار – الصنم	٣
عنترة بن شداد	٦	الدوار – الوثن	٢
بشر بن أبي خازم	٦	الفرع – أساف	٢
	١٤٦		٢١

تظهر الإحصائية الفرق بين ذكر الجاهلي لله وذكره للمعبودات الأخرى ، كما توضح السياقات الكثيرة التي ورد فيها لفظ الله تقديس الجاهلي لله واعترافه بكمال قدرته بصورة تختلف تمامًا عن تقديسه للمعبودات الأخرى الذي لم يظهر إلَّا في القسم بها كما أظهرت سياقات أخرى عدم تقديسه لتلك الآلهة والنقمة عليها ومخالفتها إذا هي لم تحقق له ما يريد . ومن ذلك قول عبيد بن الأبرص :

فتبدلوا اليَعْبُوبَ بعد إلٰهِهِم صنمًا فَقِرُّوا يا جديلُ واعِذبوا [1]

---

(١) (الكلبي) أبو المنذر هشام بن محمد : الأصنام (ص ٦٣) ، وديوان عبيد بن الأبرص : (ص ٣) .

ومن ذلك فخر عدي بن زيد بأنه ليس فيهم وثن يعبد .

يقول :

ثم لم أبخل بما استودعتني لا وما لِلّه فينا من وثن (١)

فليست جميع السياقات تؤيد تعظيم تلك الآلهة ، بينما كل سياق ورد فيه لفظ الله فيه تمجيد وتعظيم وإثبات لكمال القدرة .

ونتيجة لهذه المعرفة الواضحة بالله ، وهذا الاعتقاد القوي به سعى الجاهلي لتقوى الله وجعلها خير العدة وأفضل الزاد ، وبيَّن أن معرفته بأن الله حق زادته تقوى ، وأن الإنسان يعاقب على معصيته لله ، وكذلك على تحريضه على الإثم .

والجاهلي يسأل الله ويأخذ العهد باسم الله ويستجير بالله ويتعوذ منه ويطلب المغفرة والرحمة من الله ويعلم أن الرزق والعطاء بيد الله . فكل ما يطلبه أو يدعو به من خير لنفسه أو شر لأعدائه يطلبه من الله .

وعرف الجاهلي بعضًا من صفات الله ، وظهرت هذا المعرفة بوضوح عند الشعراء الحنفاء كأمية بن أبي الصلت ، والنابغة الذبياني ، وشعراء النصرانية كعدي بن زيد ، فمما وصفوا به الله : الرحيم ، الخالق ، البارئ ، الجبار ، الحكم ، الغفور ، الملك ، القدير ، وقد قمت بإحصاء لفظ الله وكذلك صفاته فيما جمعت من شعر جاهلي في هذا البحث .. وذلك كما يلي :

الإحصائية

الله	عدد المرات
الله	٤٨٠
الرحمن	١٨
الأعلى	١١
الخالق	١١
الملك	١١
الرؤوف	١

(١) ديوان عدي بن زيد : (ص ١٧٩) .

الرحيم	١١
الغفور	١
الحكم	١١
الواحد	١
المميت	١
المحيي	١
المليك	٨
القدير	١
الجبار	١
البارئ	٤
القيوم	١١
المهيمن	١١
ذو الجلال	٢
المقدس	١
ذو العرش	١

وهكذا فإن معرفة الجاهلي بالله وبشيء من صفاته ليست بالأمر المستغرب الذي يدعو إلى الشك في الشعر الذي ورد فيه ، فإن كتب التاريخ والسير تضم أكثر مما يضمه الشعر الجاهلي عن معرفة الجاهليين لله ، ويمكن هنا الاستشهاد بشيء من ذلك .

ذكر الطبري في هدم قريش للكعبة أن الناس هابوا هدمها وفرقوا منه ، فقال الوليد ابن المغيرة : أنا أبدؤكم في هدمها ، فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول : اللّهم لم تُرَع اللهم لم نُرد إلّا الخير (١) .

وكانت العرب في الجاهلية تسمي قريشًا (أهل اللّه) .

جاء في ثمار القلوب : كان يقال لقريش في الجاهلية : أهل اللّه ، لما تميزوا به عن

---

(١) (الطبري) أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الطبري (٢٨٩/٢) .

سائر العرب من المحاسن والمكارم والفضائل والخصائص التي هي أكثر من أن تحصى فمنها مجاورتهم لبيت الله تعالى ، وإيثارهم سكن حرمه على جميع بلاد الله ، وصبرهم على لأواء مكة .. ومنها كونهم على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من قرى الضيف ورفد الحاج والمعتمرين (١) .

والقرآن أثبت معرفتهم لله . قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦١] .

ومع كل هذا التوافق بين ما يدعو إليه القرآن وما نجده في بعض أشعار الجاهلين مما أثبته القرآن ، مع كل هذا نجد أفكارًا تبعد بالجاهلي عما يدعو إليه القرآن وتجعله في عداد المشركين .

قال تعالى : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف : ١٠٦] .

فهم يشركون مع الله آلهة أخرى يعبدونها لتقربهم إلى الله .

﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [الزمر : ٣] .

أما مصدر هذه المعرفة بالله فهي الديانات المتعددة في الجزيرة ، وتذبذب بعضهم بين هذه الديانات ، وانتقال البعض من الوثنية إلى النصرانية بتأثير الحركة التنصيرية التي قامت في الجزيرة وبناء الكنائس والصوامع وتنصر بعض الملوك ورؤساء القبائل حتى تبعهم أقوامهم ، هذا إضافة إلى بقاء أقلية على دين إبراهيم عليه السلام الذي يعد المصدر الأساس لهذه المعرفة ، بل لنقل الديانات السماوية التي أنزلها الله في الجزيرة العربية وهي ديانة هود في جنوب الجزيرة ، وصالح في شمالها ، وإبراهيم وإسماعيل في وسطها . فعاد الذين أرسل إليهم هود عليه السلام من القبائل العربية القديمة التي كانت تقيم في المنطقة الممتدة بين عمان وحضرموت في جنوب الجزيرة وفي المنطقة المعروفة بالأحقاف وتشير الآيات التي تحدثت عنهم إلى أنهم كانوا يدينون بالوثنية ويشركون مع الله آلهة أخرى ، فكان هود يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وكان ردهم عليه : ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ [الأعراف : ٧٠] .

---

(١) (الثعالبي) أبو منصور : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص ١٠) .

والآية دليل صريح على أن عادًا لم يكونوا يجهلون اللّه ولم ينكروا معرفتهم به ، وإنما كان اعتراضهم على عبادة اللّه وحده ، على التوحيد لا على وجوده أو الإيمان به وكان الثموديون مثل قوم عاد يؤمنون باللّه وبوجوده ولكنهم أشركوا معه غيره من الآلهة التي ورثوا عبادتها عن آبائهم ، فأرسل اللّه إليهم صالحًا ليدعوهم إلى التوحيد ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٧٣]

فردوا عليه مؤكدين تشبثهم بتعدد الآلهة ﴿ قَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ ۖ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود : ٦٢] ، ثم جاء إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام إلى الحجاز وأقاما في مكة حيث بنيا الكعبة ، وكان مجيئهما إلى تلك المنطقة عاملًا أساسيًا في نشر التوحيد الخالص بين القبائل التي كانت تقيم في الحجاز . وديانة إبراهيم عليه السلام كانت تقوم على دعامتين .

أولاهما : توحيد اللّه وإفراده بالعبادة : ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٩] .

ثانيتهما : مجموعة من الشرائع يتقرب بها المرء إلى ربه أهمها الحج وشعائره ، وضروب أخرى من العبادة كالصوم والصلاة ومكارم الأخلاق (١) .

وتعدد الديانات في الجزيرة جعل الجاهلي يتذبذب بين دين يدعوه إلى التوحيد وآخر يدعوه إلى الشرك ، ولكن ذلك لا يتنافى مع معرفته باللّه معرفة حقيقية يجدها بعد ذلك في القرآن الكريم حين يدعوه محمد ﷺ إلى عبادة اللّه ، يسمع تلك الآيات التي تدعوه إلى عبادة اللّه الذي يعرفه ، اللّه الخالق الرازق ولكنه يقدم له مفهومًا أكثر وضوحًا ورسوخًا ولا مجال للتذبذب فيه كما يصحح له في سياقات أخرى عقائد باطلة أو شوائب اختلطت بمعرفته باللّه .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ ﴾ [الأعراف : ١٩٤] .

﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ ﴾ [يونس : ١٠٦] .

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ

---

(١) (عكود) وداعة محمد الحسن : الشعر الديني في العصر الجاهلي (ص ٣٨ ، ٤٠) .

يُؤْفَكُونَ ۞ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠، ٣١] .

وهنا يقدم القرآن تصورًا كاملًا عن اللّٰه سبحانه فهو الواحد الأحد . والذي يشرك معه غيره مصيره جهنم ، وهو الخالق الرازق ملك السموات والأرض ، يبعث النبيين ويهدي من يشاء ، والمغفرة والرحمة من اللّٰه والنصر من عنده سبحانه ، ولا يصيب الإنسان شيء إلّا بإذنه ، وله ﷻ كمال القدرة والعظمة والعزة ، وإليه يتوجه الإنسان بجميع أنواع العبادة ويصرفها له سبحانه .

وهذه مفاهيم عرفها الجاهلي ووضحها القرآن وأكد صحتها ثم جاء بمفاهيم جديدة كالهجرة في سبيل اللّٰه والجهاد في سبيله ، والاعتصام به والتوكل عليه سبحانه ، والإنابة إليه والإيمان به وبملائكته وكتبه ورسله والإيمان بالقدر ، وعقاب اللّٰه شديد وثوابه عظيم ، واللّٰه يحب عباده المتقين ولا يظلم عنده أحد .

﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓاْ أَوْ مَاتُواْ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [الحج: ٥٨] .

﴿ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ﴾ [الحج: ٧٨] .

وللّٰه الأسماء الحسنى والصفات العليا التي لا يشبهه فيها أحد من خلقه فهو سبحانه الواحد الصمد الأول والآخر والظاهر والباطن ، الحق السلام ، اللطيف ، الخبير ، السميع ، البصير ، العليم ، العظيم ، البر ، الحفيظ .

والقرآن يذكر مع كل اسم من هذه الأسماء لفظ اللّٰه الذي انفرد به سبحانه بينما تسمى البشر بالأسماء الأخرى .

وقد ذكر ذلك الرازي في كتابه الزينة ، فقد عقد فصلًا بعنوان : « انفراده تعالى باسم اللّٰه » قال فيه : « قال بعض العلماء : اسمه اللّٰه ؛ لأنه تفرد بهذا الاسم ، فلم يسم بهذا الاسم شيء من الخلق ، ولم يوجد هذا الاسم لشيء من الأشياء ، ووجدنا غيره من أسمائه الحسنى نعوتًا وصفات لهذا الاسم الواحد ، وإنما جاز أن يقال : لها أسماء وهي صفات ونعوت ؛ لأن النعت يقوم مقام الاسم ويكون خلفًا له ، فهذا الاسم مسؤول على الأسماء كلها ، أعني اللّٰه ﷻ وإليه تنسب الأسماء كلُّها ، قال اللّٰه ﷻ : ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] ، فنسب إلى هذا الاسم

الأسماء كلها ، والبر والفاجر انقادا له بهذا الاسم كرهًا أو طوعًا ، وتسمى الناس بسائر الأسماء ولم يتسموا بهذا الاسم الواحد وهو اللّٰه (١) .

لقد نقل القرآن عقل الإنسان إلى معرفة باللّٰه أوضح ، وعمّق دلالة هذا اللفظ في الأذهان ، وأصبحت التصورات المرتبطة به لا تحدها حدود ولا تقع تحت حصر ، ولا يمكن للإنسان أن يجمع في ذهنه جميع هذه التصورات في وقت واحد ، وهذا ما يدعوني إلى القول بحدوث رقي في دلالة هذا اللفظ فبعد أن كان يدل على إله يحق للبشر أن يشركوا معه غيره في العبادة . أو يقاربوا بينه وبين البشر في صفاته أو يجعلوه ثالث ثلاثة أو يقسموا به وبغيره ، تجلت دلالة اللفظ واضحة فاللّٰه الواحد الأحد الفرد الصمد لا شريك له في ملكه وليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

* * *

(١) (الرازي) أبو حاتم أحمد بن حمدان : الزينة في الكلمات الإسلامية العربية (١٢/٢) .

ثانيا نماذج مختارة لمواد من المعجم التاريخي للغة العربية ومصادرها

كلمة لا بد منها (مغامرة محسوبة) :

منذ ثلاث سنوات وفي أبريل من عام ٢٠٠٤م تشرفت بالانضمام إلى عضوية هيئة المعجم التاريخي للغة العربية ، وهي هيئة أنشأها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية لوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وطُلب إليّ آنذاك وضع تصور لمنهج هذا المعجم . وبعد ستة شهور من البحث المضني المتواصل فيما كُتب عن المعجم التاريخي ، وفي المعاجم التي سبق وضعها كالمعجم الإنجليزي والمعجم الفرنسي قدمت إلى الهيئة تصوري لهذا المنهج في مذكرات تتناول كل مذكرة منها عنصرًا من عناصره .

(انظر ص ١٧٤ – ١٩٤)

وبعث الأمين العام للاتحاد أ . د . كمال بشر بهذه المذكرات إلى أعضاء الهيئة لدراستها وإبداء الرأي فيها . وقد بادر بعض الأعضاء بكتابة تقارير ضافية فيها ، وقد راجعت هذه التقارير ، وكتبت عن ملاحظات أصحابها تقريرًا مفصلًا . وقد وافق أعضاء الهيئة على التقرير وشكلوا لجنة رباعية لاستكمال دراسة الموضوع .

(انظر ص ١٩٥ – ٢٠٠)

بذل أعضاء اللجنة الرباعية جهودًا عظيمة فيما كُلفوا به ، وكتب أعضاؤها بحوثًا علمية ضافية في قضايا المعجم التاريخي . وقد عرّفت بهذه البحوث في هذا الكتاب ، وعلقت عليها .

(انظر ص ٢٠٥ – ٢٤٢)

وقد رأيتُ – وهذا تقديري الخاص – أن البحوث التي قدمها أعضاء اللجنة بدأت من حيث بدأ العمل في وضع منهج المعجم ، ولم تراع ما سبق الموافقة عليه من عناصره ، ومن ثم لم يتحقق تقدم كبير أو اتفاق واضح في تحديد المنهج .

وقد اشتد الخلاف وطال بين أعضاء اللجنة فيما طرَحْتُه من قضايا ، وانتهى الاجتماع الذي عقد بالشارقة في ٢٠٠٦/١٢/١٨م بتقرير يصف ما حدث ، ويطلب استكمال العمل في اجتماعات قادمة بالقاهرة .

وطلب إليّ الأمين العام أ . د . كمال بشر تقريرًا عن عمل اللجنة ، وتقدمت به ، واقترحت فيه الاكتفاء بما أنجزته اللجنة الرباعية ، وإرجاء البت في منهج المعجم إلى ما بعد تشكيل اللجنة العلمية التي ستكون – بناءً على لائحة النظام الأساسي للهيئة – مسؤولة عن وضع المعجم . وقد وافق أعضاء لجنة المعجم على التقرير ، ويجري الآن – فيما أتوقع – تشكيل اللجنة المذكورة .

ومنذ وَضَعْتُ المذكرات الأولى عن منهج المعجم التاريخي ، وبعد استظهار كل ما كتب عنه – وهو كثير نافع – قرّ في ضميري أن الجدل في هذا الموضوع سيطول ما دام الحديث واقعًا في إطار البحث النظري فحسب ، فلم يجرؤ أحد من الذين تحدثوا أو كتبوا على تقديم نموذج لمادة من مواد المعجم المقترح إنجازه ؛ ولهذا صرفت جهدي ووقتي لهذا العمل أو لهذه المغامرة التي تحيط بها العقبات من كل النواحي .

ولقد جعلت – الدراسات الإيتمولوجية في اللغات الهند وأوربية ، والدراسات التاريخية والمقارنة بين اللغات اللاتينية والجرمانية – وضع معجم تاريخي لهذه اللغات عملًا ممكنًا ، فظهر معجم أكسفورد التاريخي للإنجليزية ، والمعجم التاريخي للغة الفرنسية ، بل وظهرت معاجم تاريخية أخرى .

على حين لم تتوافر مثل هذه الدراسات الضرورية في اللغة العربية ، وهذه أعظم العقبات . وعلى أية حال قلت لنفسي ليكن لي شرف المحاولة وأجر الريادة أصبت أو أخطأت .

قدمت النماذج الآتية على مراحل .

طرحت المجموعة الأولى الخاصة بالكلمات (قطار وذرة وسياسة) على مائدة مؤتمر الشارقة في محاضرة بعنوان (المعجم التاريخي للغة العربية : منهج وأمثلة) وفي مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة المخصص للمعجم التاريخي طرحت مثالين آخرين في محاضرة بعنوان (وأمثلة أخرى للمعجم التاريخي) أرَّخت فيها للكلمتين (زُنّار) و (ترجمان) . واختصصت هذا الكتاب بأمثلة ثلاثة ؛ هي : (وزير ووزارة ، وحاجب وحجابة ، وحكومة) .

وضعت أمامي ، وأنا أبحث عن هذه الكلمات في بطون ما توافر لدي من مصادر ، ما نشر عن منهج معجم أكسفورد ، وترجمة مقدمة المعجم التاريخي للغة الفرنسية ، وبعض أمثلة منه ، وشاركت بعض تلامذتي في ترجمة مواد من معجم أكسفورد ، كما وضعت أمامي كل ما عَلَّق به أعضاء المجمع والباحثون على ما قدمته عن منهج المعجم وأمثلته .

ومع ما سبق أقدم الملاحظات الآتية :

● النماذج أو الأمثلة التي قدمتها وأقدمها ما هي إلّا مادة صالحة لاستغلالها في تحرير مدخل في المعجم التاريخي المزمع إنجازه ، أو لاختبار المنهج المقترح ، ولوضع كراسة العمل فيه ، فليست إذًا نموذجًا لمدخل من مداخله .

● النماذج أو الأمثلة مستخلصة من نصوص ، تصلح أن تكون مدونة صغرى ، تعد مثلًا في تنوعها وشمولها للمدونة الكبرى المقترحة للمعجم .

(انظر قائمة المصادر والمراجع المصاحبة للنماذج) .

● استرشد البحثُ بالمدونات المتوافرة ، وبالمصادر المعالجة إليكترونيًا كنقطة بداية . واختار البحث من بين مئات من الأمثلة والشواهد ما يصلح لأن يكون شاهدًا ودالًّا على المقصود موثقًا من مصادر ورقية محققة .

● ولم يقف الرجوع عند الذي أمدتني به المصادر الإلكترونية ؛ لأنها في الحقيقة ليست جامعة ، بل رجعت إلى الفهارس اللغوية المصاحبة لبعض دواوين الشعر العربي وللدواوين نفسها ، ولعديد من المصادر التاريخية .

● تنتمي النصوص المستشهد بها إلى عصور اللغة العربية الخمسة المتفق على اعتمادها من لجنة المعجم ، وهي نصوص أدبية : شعرية أو نثرية . وثمة نصوص أخرى علمية من مصادر تاريخية أو فلسفية أو جغرافية عربية أو مترجمة .

● قائمة المصادر والمراجع التي سجلتها في عقب النماذج ليست وحدها ما رجعت إليه ، فثمة عشرات من المصادر والمراجع رجعت إليها ، ولم أجد ضرورة للإشارة إليها .

● النماذج أو الأمثلة – كلمات ، وقد كان المنهج يقتضي أن ينطلق المدخل من الجذر إلى مشتقاته ؛ وذلك لأن معالجة المداخل – بهذه الطريقة – يتطلب إحاطة أوسع بكل الاستعمالات المعروفة في المصادر ، وهذا عمل لا يمكن لفرد أن يقوم به ، ولا تتوافر لي متطلباته .

• اختياري للكلمات المقدمة في هذه الأوراق كان يهدف إلى التمثيل بصور متعددة من التغيرات قد تكون راجعة إلى مبنى الكلمة أو معناها ، أو باستعمالها أو هجرانها أو بغير ذلك من الصور التي يُعنى المعجم التاريخي ببيانها . وسوف ترون ذلك واضحًا في الصفحات التالية المخصصة لهذا الموضوع .

عالجت النماذج أو الأمثلة على النحو الآتي :

١ – صدَّرْتُ الحديث عن الكلمة المدروسة بتعريف موجز لجوانبها اللغوية : الشكلية والدلالية ، وتطورها اللغوي .

٢ – الشواهد الشعرية التي وردت فيها الكلمة تنتسب إلى العصور الخمسة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، مبتدئًا بأقدم نص ورد في المصادر المعتمدة على النحو الآتي .

• يذكر صاحب الشاهد ، مع تحديد سنة ولادته ووفاته ما أمكن ذلك ، وحين يتعسر ذلك يذكر منتسبًا إلى عصره . ويذكر مصدر الشاهد في السطر التالي له من ديوانه أولًا أو من مجموعته الشعرية ، أو من غير ذلك من المصادر .

• قد تذكر بعض المعلومات عن مناسبة النص أو تفسير بعض غريبه .

٣ – عدد الشواهد مرتبط بأمرين :

• أن تكون ممثلة لكل العصور .

• أن تكون دليلًا على معنى محدد يكشف التغير أو الثبات الحادث للكلمة .

٤ – قد أَفْصِل أحيانًا بين الشواهد ، وأجعلها في مجموعتين المجموعة الأولى للاستعمال الحقيقي والثانية للمجازي كما فعلتُ مثلًا مع كلمة : قطار وذرة وسياسة .

وقد خالفت هذا النظام في الكلمات الخمسة التالية لطبيعة المادة من حيث سعتها وتنوعها ، فلم أتمكن – مع ذلك – من فصل الاستعمالين .

٥ – لا أكتفي بمدلول الكلمة في الاستعمال العام ، فإذا ما كان لها مدلول خاص في علم بعينه أو فن بعينه ذكرت ذلك ، وحددت المدلول وما حدث له من تغير في مجاله ، كما فعلت مثلًا مع :

• (ذرة) في علم الكلام والفلسفة .

- (سياسة) في المصطلح الفقهي .
- (سياسة) في المصطلح الفلسفي .
- (حكومة) في المصطلح الفقهي .

٦ - قد يتطلب الأمر تأريخًا لمدلول الكلمة لا من خلال النصوص فحسب ، بل من خلال تفسيرات أو كتابات عنها . وهذا يلقي ضوءًا عظيمًا على تاريخها اللغوي من خلال النصوص .

فكتبت عن الموضوعات الآتية :

- الزنار في التاريخ .
- الترجمان في التاريخ .
- الوزير والوزارة في التاريخ .
- الحجابة في التاريخ العربي .
- نظام الحكم عند العرب - الحكومة في التاريخ العربي .

وقد عالجت هذه الموضوعات تاريخيًا بتتبع مدلول الكلمة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث من كتابات المؤرخين والفلاسفة والفقهاء والأدباء ؛ كالطبري والمسعودي والفارابي وابن سينا وابن خلدون والمقريزي والقلقشندي وابن إياس والجبرتي ... إلخ .

وهكذا نتبين تاريخ الكلمة من خلال النصوص المؤلفة المنسوبة إلى العصر ، ومن خلال الكتابات التي كتبت حوله ، ولا شك في أن الجمع بين هذين الأمرين سيكون بالغ الأهمية في تأليف أو تحرير مداخلها في المعجم التاريخي للغة العربية .

٧ - وقفت في الاستشهاد بنصوص من العصر الحديث عند النصف الأول من القرن العشرين ؛ لأن اللغة العربية بعد تلك الفترة اتسع استعمالها وتنوعت مصادرها في العلوم والفنون والصحافة وأجهزة الإعلام ووسائل الحياة العصرية من مأكل وملبس ومشرب ... إلخ . ومن ثم حدث تطور هائل في مدلولات الألفاظ ، وظهرت ألفاظ واختفت ألفاظ مما لا يمكن لفرد مثلي أن يتعقبه ويسجله . ويتطلب الأمر قيام اللجان العلمية للمعجم ومباشرتها لعملها .

وإليك هذه النماذج المختارة :

١ - قطار

• القِطار جمع قَطْر ، وهو المطر ، والقطر : ما قطـر من الماء وغيره ، واحدته قطرة ، والجمع قِطار (انظر اللسان والتاج) .

• والقطار جمع من الإبل ونحوها يتبع بعضها بعضًا في نسق . (انظر اللسان والتاج) .

• والقطار مجموعة من مركبات السكة الحديد تجرها قاطرة (انظر المعجم الوسيط) .

أ - قطار من الماء :

يبدو لي أن هذا المعنى هو أقدم معاني (قطار) وأقدم ما عثرت عليه من شعر الجاهليين في هذا المعنى :

• قول المُمَزَّق العبدي (ت٣٥ق . هـ .) :

وأصبح لا يشفي غليل فؤاده قطارُ السحاب والرحيقُ المُرَوَّق

(المفضليات ص ٤٣٢)

• وقول بشر بن أبي خازم (ت ٢٢ق . هـ .) :

يُفَلِّجن الشفاه عن أقحوان جلاه غِـبُّ ساريةٍ قطـارُ

(المفضليات ص ٣٣٩)

ومما توافر لدينا من شواهد من الشعر في العصر الإسلامي إلى العصر الحديث :

• يقول أبو ذؤيب الهُذَلِي (ت٢٧هـ) :

لمن طَلَلٌ بالمُنتـضى غير حائل عفا بعد عهدٍ من قطار ووابل

(ديوان الهذليين ١٤٠/١)

• يقول أبو تمام (ت٢٣١هـ) :

وكنتُ أعلم علمًا لا كِفاء له أن ليس كلُّ قطار يُنبتُ العُشُبا

(ديوانه ٢٤٢/١)

● ويقول ابن المعتز (ت٢٩٦هـ) :

ونُؤْيٍ ترامى فوقه الريح بالسَّفا مَحَتْه قطارٌ مرةً وجنوبُ

(ديوانه ص٤٧)

● ويقول الملك الأمجد (ت النصف الثاني من القرن السادس الهجري) :

فسقى قطارُ المُزْن لا بل جودُه الهامي منازلَ زينبٍ وربابِ

(ديوانه ص ١٢١)

ب - قطار من ناس أو إبل :

جاء في الحديث « أن النبي ﷺ أتى قبر طلحة بن البراء في قطار بالعَصَبة فصفَّ وصَفَفْنا خلفه » العصبة : موضع بقباء .

(ويحمل على الإبل وعلى الناس) :

(تهذيب الكمال ٥٤٩/٦)

وفي كتب الحديث « أن سفيان الثوري لما بلغه مَقْدِم الأوزاعي خرج فلقيه بذي طُوى فحلَّ البعير من القِطار » .

(الجرح والتعديل ٢٠٧/١)

وفي العصر الإسلامي وفيما بعده يكثر استعمال القطار في نسق من الإبل ونحوها من النوق والخيل والبغال والحمير والنمل ... إلخ .

● ومن ذلك قول أبي نُجيم العِجليّ (ت١٣٠هـ) :

وانْحَتَّ من حرشاءِ فَلْجٍ خَرْدَلُهْ وأقبل النملُ قِطارًا تَنْقُلُهْ

(حرشاء : نبات) . (اللسان ق . ط . ر)

● ويقول ابن الرومي (ت ٢٨٣هـ) :

لولا صروف الاختيار لأعنقوا لِهَوًى كما اتسقت جمالُ قطار

(ديوانه ٩١١/٣)

● ويقول كعب بن مشهور :

طوامِسَ يعلوها القتام كأنها قطار نبيط من خراسان صادرُ

(النبيط : جيل يسكن سواد العراق ، وهم الأنباط)

● ويقول أبو نواس (ت ١٩٨هـ) :

وحُمّلان أبناء السبيل تراهُم قطارًا إذا راحوا أمام قطارِ

(ديوانه ١/٥٠٤)

● ويقول بكر بن خارجة :

كأنَّ تقاطُرَ الأشجار فيه إذا غسَق الظلامُ قطارُ نوق

● ويقول ناصح الدين الأرجاني (ت ٥٤٤ هـ) ، (فاطمي) :

كم من قطار لها خلف القطار لهم تَشتَنُّ والعيسُ والحادي على سَنَن

(تَشتَن : تمضي العيس في طريقها . ديوانه ص ٣٩٦)

ومما صرف إلى المجاز :

● يقول أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) :

سلك النجدَ في قطار المنايا قـطـريٌّ ونجـدةٌ وشـبـيـبُ

(يعني قطري بن الفجاءة ، ونجدة بن عويمر وشبيب بن يزيد الشيباني من الخوارج) .

(اللزوميات ١/١١٩)

● ويقول ابن قلاقس يهنئ ولدي الداعي عمران بن سبأ صاحب عدن (ت٥٦٧هـ) :

هل في قطار النصر نَسْرٌ واقع أو في مسالحه سِماك أعزل

(ديوانه ص١٩٧)

● ويقول ابن سهل الأندلسي (ت٦٤٩هـ) :

عَودُه في الأصحاب عودُ نُضـار وسجاياه إن سمحن قِطارُ

(ديوانه ص ١٢٦)

● ويقول الحيص بيص الأمير شهاب الدين أبو الفوارس (ت ٥٧٤ هـ) :

فرَدَّ قطار الجود مني مدائحٌ تَـحَلّـى بها جودٌ تظلّم عاطِلُه

(ديوانه ٣/١٤١)

ومما حمل على المجاز ولا يتسع المقام لشواهده كاملة :

● قطار المتهجدين .

(المنثور لابن الجوزي)

- قطار النقلة لحديث رسول الله .

(وفيات الأعيان ، لابن خلكان)

- الجوزاء قطار :

وحتى ترى الجوزاء كأنها قطار وحتى الشعرى كأنها نار

- قطار التائبين .

(المدهش لابن الجوزي)

- الكلمات تنثال انثيال القطار على صفحات الأزهار .

(نفح الطيب للمقري ، ٥٠٠/٢)

- طارت قصائده كل المطار وتغنى بها راكب الفلك وحادي القطار .

(نفح الطيب للمقري ، ١٣٩/٦)

جـ - قطار السكة الحديد :

ظهر هذا المعنى لكلمة (قطار) عندما مُدَّت السكة الحديد في مصر من القاهرة إلى الإسكندرية في الأعوام ١٨٥٢م ، ١٨٥٤م . ١٨٥٦م .

وأقدم ما عثرت عليه في مصادري ما كتبه رفاعة الطهطاوي عن السكة الحديد في كتابه (مناهج الألباب) ١٨٦٩م مستخدمًا كلمة (الوابور) للقطار ، يقول في ذلك شعرًا :

العقلُ في الوابور حار نبغي الجوابَ ولا يَحير
يجري على عجل كبار في رسم شكل مستدير

(مناهج الألباب ص١٢٥ ، ١٢٦)

ويكتب علي مبارك (ت ١٨٩٣م) عن السكة الحديد في كتابه (علم الدين) ١٨٨٣م مقالًا ضافيًا يذكر فيه القطار ويسمي القاطرة التي تجره (باخرة) .

(علم الدين ٨٨/١ ، ٨٩ ، ١٠٧)

ويذكر الرافعي في كتابه (عصر إسماعيل) أن السلطان عبد العزيز حين زار مصر سنة ١٨٦٣م ركب القطار من الإسكندرية إلى القاهرة ، وقد تملكه العجب ؛ لأنه لم يكن قد رأى القطارات في حياته من قبل .

(عصر إسماعيل ٧٩/١)

قطار في الشعر العربي الحديث :

جرى الشعراء المحدثون على ما جرى عليه أسلافهم من استعمال (القطار) بمعنى قطرات الماء . وفي ذلك يقول أحمد شوقي (ت ١٩٣٢م) :

وكأنما طوفان نوح ما نَرى　　　والفُلْكُ قد مُسِخت حثيث قطار

ويقول خليل مطران يشكر السيدة هانم شعراوي (ت ١٩٤٩م) :

ينبوع إحسانٍ وبِرٍّ جرى　　　أصفى وأنقى من قطار الندى

(ديوانه ٣٨٧/١)

بيد أن ظهور قطار السكة الحديد قد أثار قرائحهم . ولم يفتهم أن يتحدثوا عنه ، ومن طريف ذلك أن بعضهم سماه قطار النار .

يقول نجيب الحداد (ت ١٨٩٩م) :

لنا غِنًى عن قطار السحبِ منسجمًا　　　ولا غِنى عن قطار النار مضطرما

ويقول نسيب أرسلان (ت ١٩٣٧م) :

وأجرى سفينَ البحر في اللُّجِّ منسجما　　　ومشى قطار النار في البيد يهذف

ويقول علي الجارم (ت ١٩٤٩م) :

سِرْ يا قطارُ ففي فؤادي مِرْجل　　　يُزْجيك بين متالعٍ وبطاح

(ديوانه ص ٤٨٢)

ومما حمل على المجاز في العصر الحديث :

قطار الرحمة ، قطار السعادة ، قطار التنمية ، قطار العمر ، وفاته القطار ، وفاتها قطار الزواج .

* * *

٢ – ذرة

● **على الحقيقة** : نملة أو جزء صغير من مادة .

● **على المجاز** : الغاية في الصغر .

● **في المصطلح العلمي** : أصغر جزء في عنصر ما ، يمكن أن يدخل في تفاعلات كيميائية .

أ - على الحقيقة :

١ – الذرة : النملة .

٢ – الذرة : جُسيم يُرى في شعاع الشمس الداخل من النافذة .

٣ – الذرة : جزء صغير من مادة ، ذرة ملح أو دقيق أو فلفل .

وفي التاج واللسان : قيل لصغار النمل وللمنبث في الهواء من الهباء الذرُّ ، واحدته ذرَّة ، والذرُّ صغار النمل واحدته ذرَّة ، قال ثعلب : إن كل مائة منها زِنة حبة من شعير فكأنها جزء من مائة .

والذرة : ما يُرى في شعاع الشمس الداخل في النافذة . وقيل : الذرة ليس لها وزن .

وفي الأساس : وذرُّ الملح على اللحم ، والفلفل على الثريد فرقه فيه .

وأقدم ما لدينا من شواهد على هذه الدلالة قول امرئ القيس (ت٨٠ق هـ) :

من القاصرات الطرف لو دبَّ مُحْوِلٌ　　　من الذرِّ فوق الإتْبِ منها لأثّرا

(ديوانه ص ٦٨)

في القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء: ٤٠] .

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [يونس: ٦١] .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] .

مثقال ذرة : وزن ذرة (نملة أو هباءة) وقد تنصرف إلى المجاز (الدلالة المعنوية : ذرة ظلم ، ذرة علم ، ذرة خير أو شر) .

وفي تفسير الطبري : عن ابن عباس في قوله : ﴿ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ﴾ قال : رأس نملة حمراء ، وقال يزيد بن هارون : زعموا أن هذه الذرة الحمراء ليس لها وزن .

(تفسير الطبري ٣٦٠/٨ ، ٣٦١)

وفي الكشاف : الذرة : النملة الصغيرة ، وفي قراءة عبد الله : مثقال نملة ، وعن ابن عباس أنه أدخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال : كل واحدة من هؤلاء ذرة ، وقيل :كل جزء من أجزاء الهباء في الكورة ذرة .

(الكشاف ٢٦٨/١)

في الحديث النبوي :

- « ثم يخرج من النار من قال : لا إله إلا الله ، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة » .

(صحيح البخاري ١٥٠/١)

- وفي حديث آخر : « .. من كان في قلبه ذرة أو خردلة من إيمان » .
- وفيه أيضًا : « فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة » .

(وتفسير الذرة في الأحاديث السابقة على المعنيين الحسي والعقلي) .

ب - على المجاز :

الذرة : الغاية في الصغر وخفة الوزن وقلة الرجحان .

وفي القرآن الكريم :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾ [النساء : ٤٠] .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨] .

(والمعنى : وزن ذرة من ظلم ، ووزن ذرة من خير أو شر ، وفسرت - أيضًا - على الدلالة الحسية وزن ذرة ، أي نملة أو هباءة تظهر في شعاع الشمس) .

الذرة في الشعر العربي حتى العصر الحديث :

ومما توافر لدينا من شواهد على استعمال (الذرة) من شعراء عصور اللغة العربية حتى العصر الحديث :

● يقول حسان بن ثابت (ت ٥٤هـ) :

لم تفُتْها شمسُ النهار بشيء غير أن الشباب ليس يدوم
لو يدِبُّ الحَوْليُّ من ولد الذَّرِّ رِ عليها لأندبتها الكلوم

(الجاحظ : البيان والتبيين ٦٨/٤)

● يقول الطِّرِمَّاح (ت ١٠٥ هـ) يهجو بني تميم :

ولو جمعتْ يوما تميم جموعها على ذرَّةٍ معقولة لاستقلت

(ذرة معقولة : نملة مشدودة بالعِقال ، استقلت : نهضت لقتال تميم) .

(ديوانه ، ص ٦٤)

● ويقول العباس بن الأحنف (ت١٩٩ ، ١٨٨ هـ) :

ووالله ما في القلب مثقالُ ذرَّةٍ لأخرى سواها إن قلبي لفي شُغل

(ديوانه ، ص ٢٨٨)

● ويقول أبو نواس (ت ١٩٠ ، ١٩٥هـ) :

كيف مواتاةُ من عليه أهونُ من ذرةٍ حياتي

(ديوانه ٢٠١/١)

● ويقول ابن الرومي (ت٢٨٣هـ) :

من ذَرَّةٍ ذَرَّةٍ جَرادِقُه تخفى على العين فهي مُلْتمسُه

(الجرادق جمع جَرْدق وجَرْدقة ، وهي الغليظ من الخبز) **(ديوانه ١١٧٥/٣)**

وصار لا يعلقُها ذرَّةٌ تُعلم إلّا فضلة المائدة

(يعني الدجاج . ديوانه ٧٥٩/٢)

● ويقول كُشاجم (ت ٣٦٠ ، ٣٥٠هـ) :

قالوا أبو أحمدٍ يبني فقلتُ لهم كما بنت ذرةٌ بيتًا من الشَّذَق

(الشَّذَق : شجر ذو ساق واحدة قوية . ديوانه ، ص ٢٩٠)

• ويقول تميم بن المعز (ت ٣٧٤هـ) :

وما نقصتْ من وزن حِلْمك ذرَّةٌ بخطب ولا حلت لصبرك من عقد

(ديوانه ص ١١٠)

• ويقول الشريف العقيلي - فاطمي - (منتصف القرن الخامس) :

تمتعتُ فيه من غزال مهفهف بما لم أكن في ذرةٍ منه أطمع

(ديوانه ص ١٩٨)

• ويقول :

ولا تطلبنْ مني من الصبر ذرَّةً فلست أُرى بالصبر ما ذر شاق

(ما ذر شارق : ما ظهرت الشمس) (ديوانه ص ٢١٤)

• ويقول أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) :

وليس على قدر سؤال فإنني أرى أن قدري دون مقدار ذرة

• ويقول ابن الفارض (ت٦٣٢هـ) :

هي النفسُ إن ألقت هواها تضاعفت قواها وأعطت فعلها كلَّ ذرة

(ديوانه ص ١٥٨)

يشاهِدُ مني حُسْنَها كلُّ ذرةٍ بها كل طرف جال في كلِّ طرْفة

(يشاهد حسنَ المحبوبة كلُّ ذرةٍ مني : لمح بها كل عين في كل لمحة)

(ديوانه ص ١٢٧)

• ويقول محيي الدين بن عربي ، وهي أول قصيدة ظهرت من قلبه على لسانه (ت ٦٣٨ هـ) :

أنا نور النور قد برزت بوجودي ذرةُ الظُّلَمْ

(ديوانه ص ٢)

• ويقول ابن النبيه (ت ٧٤٥هـ) :

لم يطق حمل ذرةٍ وهْو عن حمـ ـل القناطير ليس بالمغلوب

(ديوانه ص ٤٢٨)

• ويقول ابن الجيَّاب الغرناطي (ت ٧٧١هـ) :

تحسب الطودَ ذرةً من حجاه وترى البحرَ قطرةً من بنانه

● ويقول القطب الجيلي (مملوكي) (ت) :

أُعِد الثـرى رملًا مثاقيلَ ذرةٍ وأُحصي غزير القطر وهي هوامع
وجسمي للأجسام روحٌ مُدَبِّر وفي ذرة منـــه الأنـامُ جوامع

(قصيدة النادرات العينية ص ١٢١ ، ١٢٢)

من شواهد استعمال الذرة في العصر الحديث :

● يقول محمود قابادو (ت ١٨٧١م) (تونس) :

ما ذرةٌ في الكون إلّا أنت مر كزُها وأنت محيطها المترفع

(ديوانه ٩٨/٢)

● يقول البارودي (ت ١٩٠٤م) :

فلا تطلُبَنْ في الناس مثقال ذرة من الودِّ أُمُّ الوُدِّ في الناس هابلُ

(ديوانه ، ٦٩/٢)

● ويقول حافظ إبراهيم في رحلته إلى إيطاليا بحرًا (ت ١٩٣٢م) :

إنما أنت ذرة قد حوتها ذرة في فضاء ربي تدور

(ديوانه ٢٢٨/١)

● ويقول :

وإن شاء شاهَدَ في ذرةٍ عوالمَ لم تَحْيَ فيها سُدى

(ديوانه ٢٦٢/١)

● ويقول جميل صدقي الزهاوي (١٩٣٦م) :

هذه الأرض ذرة قد توارت عن عيون النجوم في تيهاء

● يقول معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م) :

ولو الشمسُ ضوعفت ألف مرة لم تكن في أثيره غير ذرة

● ويقول صالح الشرنوبي (ت ١٩٥١م) :

قل له إن قدرت ما أنت في الكون سوى ذرة من الذرات

(ديوانه ص ٣٥٧)

الذرة مصطلحًا في علم الكلام والفلسفة :

كان المفكرون القدماء من اليونان والهنود والعرب يبحثون منذ زمان بعيد في

ماهية المادة وفيما تتألف منه الأجسام .

وهم قد اختلفوا في غاية هذا البحث ، فمنهم من حاول من ورائه تفسير ظواهر الطبيعة بمعرفة العناصر الأولى التي تتألف منها ، كما فعل بعض فلاسفة اليونان ، ومنهم من حاول إثبات عقائد دينية أيضًا كما فعل بعضُ فلاسفةِ العرب .

فأما بعض فلاسفة اليونان فقد ذهبوا إلى أن الجسم يتألف من أجزاء صغيرة لا تنقسم ، وحاولوا تعيين خصائصها ومنهم ديمقريط (٤٦٤- ٣٧٠ ق . م) ، وأنكر ذلك من فلاسفة اليونان مفكرون مثل أرسطو (٣٨٤-٣٢٢ق . م) .

(د . أبو ريدة ، مذهب الذرة ، ص : ب)

« والغالبية العظمى من متكلمي الإسلام أخذت بمذهب الجوهر الفرد أو مذهب الذرة في تعبيرنا الحديث ، وتتردد في كتبهم العبارات : الجزء الذي لا يتجزأ ، والجزء الواحد ، والجوهر الواحد ، الذي لا ينقسم ، كما استعملوا لفظي الجزء والجوهر باختصار » .

(س . بينيس مذهب الذرة ص ٤)

ومن ذلك قول الأشعري (ت ٣٢٤هـ) : زعموا أن الجزء الذي لا يتجزأ جسم يحتمل الأعراض ، وقوله : وعن النظام (ت ٢٢١ ، ٢٣١هـ) أن الجزء لا يجوز عليه الحركة والسكون » .

(مقالات الإسلاميين ٣١٦/١)

« وقد جرى بعض العلماء على القول بأن مذهب الإسلاميين في الجوهر الفرد يشبه مذهب اليونانيين ، ديمقريطس من ناحية وأبيقور من ناحية أخرى » .

(انظر : بينيس مذهب الذرة ص ٩٣،٩٤)

ويؤكد ذلك بعضُ المستشرقين ، بأن الألفاظ العربية التي استخدموها في النصف الأول من القرن التاسع الميلادي هي الألفاظ المترجمة عن اليونانية ، فإن اللفظين العربيين اللذين استخدما للتعبير عن الذرات وهما « لا يتجزأ » و« لا ينقسم » هما ترجمة للفظين اليونانيين *ατομον* و *αδιαιοετον* .

واستعمال لفظ « جوهر » Substance بمعنى (ذرة) atom يعكس أيضًا عبارة أرسطو عن ديمقريطس بأنه كان يُصَيِّر جواهر الأعظام التي لا تتجزأ » .

(هاري آ . ولفسون ، فلسفة المتكلمين ص ٦١٣ ، ٦١٤)

وأول من أشار إلى أن الجزء الذي لا يتجزأ عند القدماء هو الذرة atom عند

العلماء المحدثين هو المستشرق الفرنسي ماسينيون (ت١٩٦٢) في محاضراته بالجامعة المصرية القديمة عام ١٩١٢م / ١٩١٣م .

وقد استخدم المستشرق الألماني بينيس عبارة (مذهب الذرة) للحديث عن مذهب الفلاسفة العرب في الجزء الذي لا يتجزأ ، وترجم الدكتور أبو ريدة كتابه عام ١٩٣٧م .

الذرة مصطلحًا في علم الطبيعة والكيمياء في العصر الحديث :

« تفترض النظرية الذرية atomic theory التي افترضها (دالتون) (١٧٦٦-١٨٤٤م) أن العناصر تتكون من جسيمات غاية في الصغر ولا تقبل التجزئة وتسمى ذرات .

وقد نجح (دالتون) في معرفة الوزن النوعي للذرات ، وتحليلِ المركبات الكيميائية ، ومعرفة التركيب الذري لكل الجسيمات .

وقد نجح (نيلس بور) (١٨٨٥ - ١٩٦٢م) في تصوير الذرة من الداخل بأنها مكونة من إليكترونات تدور في مدارات ثابتة حول النواة . وبهذه النظرية نجح في تصوير ذرة الهيدروجين .

وترجع فكرة الذرة إلى الفيلسوف اليوناني ديمقريطس (٤٦٠ - ٣٧٠ق.م.) ، رأى أن العالم يتكون من شيئين : فراغ لا مادة فيه ، ومادة تملأ الفراغ ، وأن هذه المادة تتكون من جسيمات بالغة الصغر (ذرات لا تتجزأ) لا ترى بالعين ، والذرات كلها متجانسة من جهة النوع ، ولكنها مختلفة في الشكل ، والحجم ، والوضع ، والترتيب في الأجسام المختلفة ، وأن التغير في المادة وتنوع الموجودات في العالم راجع إلى اتحاد أو تفـرق تلك الجسيمات أو (الذرات) كما أن هذه الذرات في حركة دائمة أبدًا لا تنقطع ، وفي أثناء حركتها قد تتجاور أو تتفاعل أو حتى يصدم بعضها بعضًا ، وينتج عن اصطدامها مواد جديدة » .

(د . أحمد زويل ، عصر العلم)

وفي عام ١٨٧١م يستعمل إلياس بقطر كلمة ذرة لتقابل المصطلح atome ومن الطريف - وفقًا لما توافر لنا من مصادر- أن المستشرق الفرنسي (ماسينيون) وفي عام ١٩١٢-١٩١٣م تحدث عن مفهوم الذرة في العلم الحديث . ونقل إلى العربية - ربما لأول مرة - أن نظرية أفوجادو عام ١٨١١م تنصب على أقل جزء من العنصر يمكن دخوله في تركيب كيماوي . وأن نظريات أكثر حداثة قد ظهرت فيما

بعد عن انهدام الجزيء وانهدام الذرة ... إلخ .

(محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية ص ٥٩ ، ٦٠)

ولم يتوافر لدي – حتى الآن– مصادر لاستعمال مصطلح (ذرة في الفترة التي تلت محاضرات (ماسينيون) ١٩١٢–١٩١٣م حتى بداية الأربعينيات .

وفي (المقتطف) عام ١٩٣١ ج ٧٨ مقال بعنوان (القوى المذخورة في الذرة) ، وفي عام ١٩٣٢م ظهرت عدة مقالات بعنوان (تركيب الذرة وحلها) ج٨١ ، و (تحطيم الذرة وإطلاق قوتها) ج٨١ ، و(بعد تحطيم الذرة) ج٨١ .. ثم توالت بعد ذلك مقالات عدة حتى عام ١٩٥١م حيث ظهر مقال بعنوان (علاقة البروتون والكهرب بالذرة) ج ١١٨ و (الذرة والإنسان) ج ١١٨ .

* * *

٣ - سياسة

- على الحقيقة : سياسة الدواب .
- على المجاز : سياسة الناس أو الأمور .

أ - على الحقيقة :

في أساس البلاغة هو يسوس الدواب ، وهو من ساستها وسُوَّاسها ، وفي اللسان والتاج : والسياسة فعل السائس ، وهو من يقوم على الدواب ويروضها (يُوَطِّئها ويذللها ويعلمها السير) .

وأقدم ما توافر لدينا من شواهد على هذا المعنى :

عن أسماء بنت أبي بكر تتحدث عن زوجها الزبير بن العوام : « كنت أعلف فرسَه ، وأكفيه مؤونته وأسوسه » .

وفي رواية : « وكان له فرس ، وكنت أسوسه ، ولم يكن من الخدمة شيء أشدُّ عليَّ من سياسة الفرس » مسند الإمام أحمد بن حنبل .

ب - على المجاز :

وفي أساس البلاغة « هو يسوس الرعية ، ويسوس أمرهم ويُسَوِّس أمرهم » ، وفي اللسان والتاج : ومن المجاز يقال : سُوِّس فلان أمر الناس - على ما لم يسم فاعله - إذا صُيِّر ملكًا أو مَلَك أمرهم . والسياسة : القيام على الشيء بما يصلحه .

وأقدم ما توافر لدينا من شواهد في المجاز :

- قول حُرْقة بنت النعمان بن المنذر (جاهلية) :

فبينا نسوس الناسَ والأمرُ أمرُنا   إذا نحـن سُـوقة نتنصـف

(نسوس الناس : ندبر أمرهم بما نريد ، فطاعتنا واجبة وأحكامنا نافذة ، إذا نحن

سوقة نتنصف : صِرنا سوقة نخدم الناس)

(شرح ديوان الحماسة للزوزني ص ١٢٠٣)

• وقول خُراشة بن عمرو العبسي (جاهلي) :

فلا قوم إلّا نحن خيرٌ سياسةً وخيرٌ بَقِـيَّاتٍ بَقِـينَ وأوّلا

(المفضليات ، ص ٤٠٥)

• وقول جُمعة بنت الخُسّ الإيادية (جاهلية) :

إذا المرء لم يسْطِع سياسة نفسه فإن به عن غيرها هو أعجز

• وفي الحديث النبوي :

« كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبيٌّ خَلَفَه نبي »

صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، أي : تتولى أمورهم كما تفعل الأمراء والولاة بالرعية .

(النهاية لابن الأثير)

« السياسة » في الشعر العربي حتى العصر الحديث :

وفي الشعر العربي بداية من عصر بني أمية حتى العصر الحديث شواهد كثيرة لاستعمال كلمة (سياسة) يعسر حصرها ، وقد جمعنا منها ما يقرب من مائتي بيت ، وهذه أمثلة منها :

• يقول مجنون ليلى (ت٧٠ هـ) :

يسوس وما يدري لها من سياسة يريد بها أشياء ليست تريدها

• ويقول الجاحظ (ت٢٥٥هـ) :

وليس في الأرض عمل أكدُّ لأهله من سياسة العوام ، وقد قال الهُذَليُّ (أموي غالبًا) :

وإن سياسة الأقوام فاعلم لها صَعْداء مطلبها طويل

(الحيوان ٢/٩٤)

• ويقول أبو تمام (ت٢٣١هـ ، ٨٤٦م) :

ساس الجيوش سياسة ابن تجارب رمقته عينُ المُلْك وهو جنين

(ديوانه ٣/٣١٧)

● ويقول :

لقد ساسنا هذا الزمان سياسة ... سُدًى لم يسسها قطُّ عبدٌ مُجَدَّع

(ديوانه ٣٢٤/٢)

● ويقول ابن الرومي (ت٢٨٣هـ ، ٨٩٦م) :

رأيت بالأمس ما راق من عديـد وعُدَّه
ومـن سياسة مُلك أصبحت تهديه قصده

(ديوانه ٦٧٧/٢)

● ويقول البحتري يمدح المعتمد على الله (ت٢٨٤هـ ، ٨٩٧م) :

لقد وجدنا لك إذ سُستنا ... سياسة الحاني علينا الشفيق

(ديوانه ١٤٦٢/٣)

● ويقول أبو فراس الحمداني يمدح سيف الدولة (ت٣٥٧هـ) :

وساسا أمور المسلمين سياسةً ... لها اللهُ والإسلام والدين شاكر

(يعني سيف الدولة وناصر الدين أخاه) . (شعر أبي فراس الحمداني ص ٨٨)

● ويقول تميم بن المعز الفاطمي (ت٣٧٤هـ ، ٩٨٤م) :

ورثـت سـيـاسـة مَـهْـدِيِّـهـا ... وحزت شجاعة منصورها

(ديوانه ص ١٦٧)

● ويقول :

وســتـهـم بـحـكـم الآراء ... سـيـاسـة الـوالـد لـلأبـنـاء

(ديوانه ص ١٧)

● ويقول أبو العلاء المعري (ت٤٤٩هـ) في حكام عصره :

يسوسون الأمور بغير عقل ... وينْفُـذ أمـرهم فيقال ساسة
فأف من الحياة وأف مـــني ... ومـــن زمن رئاسته خساسة

(اللزوميات ٨٩٣/٢)

● ويقول :

إذا الرئاسة لم تُعَنْ بسياسة ... عقلية خَطِئَ الصوابَ السائسُ

(اللزوميات ٨٨٧/٢)

• ويقول ابن زُريق البغدادي (كان كاتبًا في بغداد ٤٢٠هـ) :

أعطيتُ ملكًا فلم أحسن سياسته وكل من لا يسوس الملك يَنْزعُه

• ويقول لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) :

تحوط أمورَ الملك منك سياسة حباها من اللطف الإلهي تدبير

• ويقول ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) :

أعدت إلى مصر سياسة يوسف وجددت فيها من شَمِيِّك موسما

• وفي الأدب العربي قصيدة فريدة تعرف بأنجم السياسة ، نسبها عبد الله كنون إلى أبي محمد عبد الله محمد بن عيسى بن المالقي (ت٥٧٤هـ) والقصيدة - مع مطلعها في المدح والنصح - تُلم بمجمل قواعد تدبير الملك وأصول السياسة وتعليلها وبيان حكمتها ، ويشير إليها بقوله :

هاذي السياسة لاحت بعض أنجمها ما كل نجم رصدناه قصدناه

(مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، البحوث والمحاضرات د ٣٩/ص ٣٢٨)

ويجري الشعر في العصر المملوكي والعثماني في المجال السابق نفسه . وغالب الأبيات في المديح .

فالممدوح يسوس الناس سياسة العدل ، واللطف ، والحكمة ، والحلم ، والحزم والتدبير ، والترغيب والترهيب ... إلخ ، وسياسة الحاني الشفيق والوالد للأبناء ، والراعي الصالح ... إلخ .

وتُشَبَّه سياسةُ الممدوح بسياسة الأنبياء والملوك المشهورين والخلفاء الراشدين ، فهي تشبه سياسة موسى في قومه ، وسياسة كسرى والإسكندر ، وأنوشروان وساسان ... إلخ .

السياسة في الشعر العربي الحديث :

وفي الشعر العربي الحديث شواهد لا حصر لها لاستخدام كلمة (سياسة) ؛ منها :

• يقول محمود سامي البارودي (ت١٩٠٤م) :

وخلّنا من سياسة درجت بين أناس قلوبهم وَغِرة

يقضون أيامهم على خطر فبئس عقبى السياسةِ الخطرة
(ديوانه ١/ ٤١٠)

● ويقول ولي الدين يكن في رجال العصر الحميدي (ت١٩٤٩م) :
بغالٌ تسوس الأُسْدَ شر سياسة وما ساد أُسْدًا قبل ذاك بغال
(ديوانه ص ٤٢)

● ويقول أحمد شوقي (ت١٩٣٢م) :
بني سورية اطرحوا الأمـــاني وألقوا عنكم الأحلام ألقوا
فمن خِدع السياسة أن تُغَرّوا بألقاب الإمـــارة وهي رق
(ديوانه ص ٢٧٢)

● ويقول جميل صدقي الزهاوي (ت١٩٣٦) :
يا شرق إن الناس ليس يضرهم شيء كمثل سياسة التفريق .
(ديوانه ص ٢٧٨)

● ويقول معروف الرصافي (١٩٤٥م) :
فأوطانكم لن تستقل سياسةً إذا أنتم لم تستقلوا بها فكرا
(ديوانه ص ٥١)

● ويقول :
ولكننا نخشى الجلاء ونتّقي سياسة حكم يأخذ القوم بالقهر
(ديوانه ص ٤٣٢)

● ويقول علي الجارم (ت ١٩٤٩م) :
سياسة حقد أين من نفثاتها لعابُ الأفاعي أو سمومُ العقارب
(يعني سياسة أوروبا في ضرب فتوح محمد علي بالشام) . (ديوانه ص٤٣)

تأصيل مصطلح سياسة :

من الواضح أن كلمة « سياسة » كلمة عربية من جذر عربي هو (س و س) ، بيد أن هذه الكلمة في العصر المملوكي اختلطت بها كلمة تشبهها إلى حدٍّ ما نطقًا ومعنًى ، وفي هذه الكلمة أقوال :

١ - قال الخفاجي (ت ١٠٦٩) في شفاء الغليل : سياسة قيل هو معرّب (سه يسا)

وهي لفظة مركبة أولاهما أعجمية والأخرى تركية ، فـ (سه) بالفارسية : ثلاثة ، و (يسا) بالمغولية : الترتيب ، فكأنه قال التراتيب الثلاثة ، وسببه على ما في (النجوم الزاهرة) أن (جنكزخان ت ٦٢٤هـ،١٢٢٧م) ملك المغول قسم ممالكه بين أولاده الثلاثة ، وأوصاهم بوصايا ألَّا يخرجوا عنها ، فجعلوها قانونًا ، وسموها بذلك ، ثم غيروها فقالوا : سياسة .

(شفاء الغليل س و س)

٢ – يتحدث المقريزي (ت٨٤٥هـ) عن نظام الحُجَّاب الذي ابتدعه المماليك :
وكانت أحكام الحُجَّاب أولًا يقال لها حكم السياسة وكانت تختص بما بين الأجناد من مخاصمات واختلافهم في أمور الإقطاعات ثم اتسعت مطامع الحجاب ومالأهم الحكام وأصبحوا يحكمون في كل أمور الناس شرعية أو مدنية فكانت نكالًا على الناس جميعًا ، وهي لفظة شيطانية لا يعرف أكثر أهل زماننا اليوم أصلها ، ويتساهلون في التلفظ بها وليس ما يقوله أهل زماننا في شيء من هذا ، وإنما هي كلمة مغولية أصلها (ياسة) ، فحرفها أهل مصر وزادوا بأولها سينًا فقالوا سياسة ، وأدخلوا عليها الألف واللام فظن من لا علم عنده أنها كلمة عربية ، وما الأمر فيها إلَّا ما قلت .

ويفصل المقريزي أحكام الياسا التي جاء بها (جنكزخان) وهي أحكام قاسية تحكم بالقتل لأوهن الأسباب ، وبكل أسف جرى بعضها على أيدي الحجاب والحكام في هذا العصر ، وكانت أحكامًا جائرة ظالمة .

ويبرئ المقريزي كلمة سياسة العربية مما لحق بها من معانٍ خاصة بالياسا ، ويقول :

« وجعل (جنكزخان) حكم الياسا لولده (جغتاي) ، ولما مات التزم مَنْ بعده من أولاده وأتباعهم حكم (الياسا) كالتزام أول المسلمين حكم القرآن ، وجعلوا ذلك دينًا لم يعرف عن أحد منهم مخالفته بوجه ، فلما كثرت وقائع التتر في بلاد المشرق والشمال وبلاد القبجاق ، وأسروا كثيرًا منهم وباعوهم تنقلوا في الأقطار ، واشترى الملك الصالح نجم الدين أيوب جماعة منهم سماهم البحرية ، ومنهم من ملك ديار مصر ، وأولهم المعز أيبك – ثم كان لقطز منهم الواقعة المشهورة بـ (عين جالوت) ، وهزم التتار وأسر منهم خلقًا كثيرًا صاروا بمصر والشام ، ثم كثرت الوافدية في أيام الملك الظاهر بيبرس وملؤوا مصر والشام ، وخُطب للملك بركة بن

جوشي بن جنكيزخان على منابر مصر والشام والحرمين .

وغُصت أرض مصر والشام بطوائف المغول ، وانتشرت عاداتهم بها وطرائقهم . هذا وملوك مصر وأمراؤها وعساكرها قد ملئت قلوبهم رعبًا من (جنكزخان) وبنيه ، وامتزج بلحمهم ودمهم مهابتهم وتعظيمهم ، وكانوا إنما ربوا بدار الإسلام ولقنوا القرآن وعرفوا أحكام الملة المحمدية فجمعوا بين الحق والباطل ، وضموا الجيد إلى الرديء ، وفوضوا لقاضي القضاة كل ما يتعلق بالأمور الدينية من الصلاة والزكاة والحج ، وناطوا به أمر الأوقاف والأيتام ، وجعلوا إليه النظر في الأقضية الشرعية كتداعي الزوجين وأرباب الديون ونحو ذلك . واحتاجوا في ذات أنفسهم إلى الرجوع لعادة (جنكزخان) والاقتداء بحكم (الياسا) فلذلك نصبوا الحاجب ليقضي بينهم فيما اختلفوا فيه من عوائدهم والأخذ على يد قومهم وإنصاف الضعيف على مقتضى ما في (الياسا) ، وجعلوا إليه مع ذلك النظر في قضايا الدواوين السلطانية عند الاختلاف في أمور الإقطاعات لينفذ ما استقرت عليه أوضاع الديوان وقواعد الحساب »

(المقريزي ، المواعظ والاعتبار ٣٥٩/٣ ، ٣٦٠ ، بارتولد ، الدول الإسلامية ص ٤٩٧-٥٠١ ، وانظر الزبيدي ، تاج العروس (يسق) ، وانظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ٣٠٥/٤-٣١٢ ، ٤٧٤) .

السياسة في المصطلح الفقهي :

أقدم ما توافر لدينا عن السياسة مصطلحًا فقهيًا ما ورد في « الأحكام السلطانية » لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت٤٥٠هـ) يقول :

« الإمامة العامة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا ... وأما الإمارة الخاصة فهو أن يكون الأمير مقصور الإمارة على تدبير الجيش وسياسة الرعية ، وحماية البيضة ، وليس له أن يتعرض للقضاء والأحكام ولجباية الخراج والصدقات » .

وتعكس أبواب الكتاب نظام الحكم الإسلامي ومسؤوليات من يقوم بإحدى وظائفه ، وهذه هي :

- في عقد الإمامة .
- في تقليد الوزارة .

- في تقليد الإمارة على البلاد .
- في تقليد الإمارة على الجهاد .
- في الولاية على حروب المصالح .
- في ولاية القضاء .
- في ولاية المظالم .
- في ولاية النقابة على ذوي الأنساب .
- في الولايات على إقامة الصلوات .
- في الولايات على الحج .
- في الولايات على الصدقات .
- في الولايات على الفيء والغنيمة .
- في الولايات على الجزية والخراج .
- فيما تختلف أحكامه من البلاد .
- في إحياء الموات واستخراج المياه .
- في أحكام الإقطاع .
- في وضع الديوان وأحكامه .
- في أحكام الجرائم .
- في أحكام التعزير .
- في أحكام الحسبة .

ومن الواضح أن هذه الأبواب تجمع أحكام الشريعة والأحكام المدنية معًا .

ويستخدم ابن تيمية (ت٧٢٨هـ) مصطلح (السياسة الشرعية) في كتابه « السياسة الشرعية » ، ويعني به ما على الراعي والرعية من حقوق وواجبات مستندًا في ذلك إلى القرآن وسنة الرسول وسنة أصحابه . وتعكس أقسام الكتاب وأبوابه هذا الفهم .

فالكتاب من قسمين : القسم الأول : أداء الأمانات ، وهو من بابين : أحدهما : الولايات والثاني : الأموال ، والقسم الثاني : الحدود والحقوق ، وهو من بابين :

حدود الله وحقوقه ، والحدود والحقوق التي لآدمي معين .

ويتحدد الفرق بين السياسة الشرعية (الدينية) والسياسة المدنية (العقلية) بوضوح عند ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) ؛ إذ يرى أن الحكم لا بد أن يُرجع فيه إلى قوانين سياسية مفروضة يسلمها الكافة وينقادون إلى أحكامها ، وإذا خلت الدولة من مثل هذه القوانين لم يستتب أمرها ولم يتم استيلاؤها .

ويقسم القوانين إلى قسمين ، فإذا كانت مفروضة من الله بشارع يقررها ويشرّعها ، كانت سياسية دينية نافعة في الحياة الدنيا والآخرة .

ثم يحدد مفهوم الخلافة التي ترجع إليها مصالح العباد الأخروية والدنيوية ، يقول : « والخلافة هي حمل الكافة على مقتضى النظر الشرعي في مصالحهم الأخروية والدنيوية الراجعة إليها ؛ إذ أحوال الدنيا ترجع كلها عند الشارع في اعتبارها بمصالح الآخرة ، فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا به » .

(مقدمة ابن خلدون ٥٦٢ - ٥٦٤)

وقد شاع بين الفقهاء منذ وضع الماوردي كتابه إطلاق العبارات الاصطلاحية « الأحكام السلطانية » أو « السياسة الشرعية » و« السياسة المدنية » مترادفة ، وبينهم اختلاف في حق الحاكم في وضع قوانين سياسية لتدبير أمور الناس ، فذهب الحنفية والمالكية والحنابلة إلى أن للسلطان سلوك السياسة في تدبير أمور الناس وتقويم المعوج وفق معايير وضوابط ولا تقف السياسة على ما نطق به الشرع .. وذهب الشافعية إلى أن السياسة يجب أن تكون في حدود الشريعة لا تتعداها .

الموسوعة الفقهية (سياسة)

والشائع في كتبهم أن السياسة هي القانون الموضوع لرعاية الآداب والمصالح وانتظام الأموال .

بيد أن من معانيها التي لحقتها ، معنى العقوبة ، والعقوبة عندهم عقوبة مقدرة شرعًا ، وهي الحدود والقصاص ، وعقوبة غير مقدرة شرعًا ، وهي التعزير ، وهي ما يطلق عليه السياسة ، ومن ثم يرون أن السياسة فعل شيء من الحاكم يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي .

الموسوعة الفقهية (سياسة)

السياسة في المصطلح الفلسفي :

أقدم استعمال نعرفه لكلمة (سياسة) عند الفلاسفة ما جاء في ترجمة عبد الله بن المقفع (ت١٤٢هـ) لمقدمة (فرفريوس الصوري) المعروفة بإيساغوجي أو المدخل .

● يقسم ابن المقفع الحكمة أو الفلسفة إلى قسمين : العلم والعمل .

يقول عن العمل : « وهو التدبير والسياسة ، وهو ثلاثة أقسام : سياسة العامة ، كسياسة الأمصار والكور ، وسياسة الخاصة كسياسة الرجل أهل بيته ، وسياسة خاصة الخاصة كسياسة الرجل على أخلاقه وأعماله » .

(منطق أرسطو ص ٢ ، ٣)

● وعنه أيضًا في ترجمة كليلة ودمنة :

« وضَمَّنه – أيضًا – ما يحتاج إليه الإنسان من سياسة نفسه » .

(سياسة نفسه ، أي تدبير أمره وإحسان النظر فيه) . (ص ٥٤)

● ونجد المعنى نفسه عند ابن بهريز (ت٢٥٢هـ) في ترجمته لإيساغوجي .

« والعملُ ثلاثة أقسام ، فمنه السياسة العامة ، وسياسة الخاصة وسياسة المرء نفسه ، وكل واحد منها ينقسم إلى أربعة أقسام : أحدهما : وضع السُنن ، والثاني : فصل القضاء ، والثالث : الاحتراس كيلا يغتالونا ، والرابع : المجاهدة لهم إن هم كاشفونا » .

(منطق أرسطو ص١١٠)

● وعند حديث الفارابي أبي نصر (ت٣٣٩هـ) عن العلم المدني الذي يدرس أصناف الأفعال والسنن الإرادية وعن الملكات والأخلاق والسجايا والشيَم يقول :

« وتلك [يعني الأفعال والسنن ... إلخ] ليست تتأتى إلَّا برياسة يمكن معها تلك الأفعال والشيم والملكات والأخلاق في المدن والأمم ، ويجتهد في أن يحفظها عليهم حتى لا تزول ، وأن تلك الرياسة لا تتأتى إلَّا بمهنة وملكة يكون عنها أفعال التمكين فيهم ، وأفعال حفظ ما مكن فيهم عليهم ، وتلك المهنة هي الملكية والملك أو ما شاء الإنسان أن يسميها ، والسياسة هي فعل هذه المهنة » .

(إحصاء العلوم ص ١٠٣)

● ويلخص الخوارزمي (ت٣٨٠ أو ٣٨٧هـ) معارف عصره في تعريف الفلسفة

العملية ، فيقول : هي ثلاثة أقسام ، أحدها : تدبير الرجلِ نفسه أو واحدًا خاصًا ، ويسمى علم الأخلاق ، والقسم الثاني تدبير الخاصة ، ويسمى تدبير المنزل ، والقسم الثالث تدبير العامة ، وهو سياسة المدينة والأمة والملك .

(مفاتيح العلوم ص١٣٢)

● وقريب من ذلك ما ذكره ابن سينا (ت٤٢٨هـ) ، يقول :

وأما الفلسفة العملية فإما أن تتعلق بتعليم الآراء التي تنتظم باستعمالها المشاركة الإنسانية العامية ، وتعرف بتدبير المدينة وتسمى علم السياسة ، وإما أن يكون ذلك التعلق بما تنتظم به حالُ الشخص الواحد في زكاء نفسه ، ويسمى علم الأخلاق ، وجميع ذلك إنما تُحَقَّق صحة جملته بالبرهان النظري وبالشهادة الشرعية ، ويُحقق تفصيله وتقديره بالشريعة الإلهية .

(الشفاء : المنطق ١ - المدخل ص ١٤)

● وفي القرن الثالث والرابع الهجريين تنتشر كلمة السياسة بين الكتاب والحكماء عنوانًا لكتب أو رسائل ، وقد كان كتاب (السياسة) لأفلاطون وأرسطو متداولين في هذا العصر ، ومنها على سبيل المثال : كتاب الرسالة الكبرى في السياسة ، وكتاب سياسة العامة ، وهما للكندي (ت٢٥٠هـ) ، وكتاب السياسة الصغير والسياسة الكبير لأحمد بن الطيب السرخسي (ت٢٨٦هـ) ، وكتاب السياسة لقُسطا بن لوقا (ت٣٠٠هـ) ، وكتاب السياسة لقدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) ، هذا بالإضافة إلى ما كتبه الفارابي :

١ - رسالة في السياسة .

٢ - سياسة المدينة ، طبع حيدر آباد بعنوان كتاب السياسات المدنية .

٣ - كتاب الألفاظ الأفلاطونية وتقويم السياسة الملوكية والأخلاق .

سياسة في العصر الحديث :

وأقدم ما توافر لدينا لاستعمال كلمة السياسة في مطلع النهضة العربية الحديثة ما ورد في كتاب عجائب الآثار للجبرتي (ت١٢٤١هـ - ١٨٢٥م) .

● ورد من بين شروط الصلح بين الفرنسيين والعثمانيين والإنجليز : « لينتخب رجلٌ لينهي المخاصمات المذكورة بحسب قواعد السياسة البحرية السالكون عليها بلاد الإنجليز » .

(عجائب الآثار ١٤٢/٥)

• وردت عبارة مدبر سياسة الأحكام الشرعية فيما أحدثه الجنرال (مينو) في ترتيب الديوان على عهده فقلد (القومسير فوريه) وكيلًا له في الديوان باسم (مدبر سياسة الأحكام الشرعية) .

(عجائب الآثار٥/٢٢٥)

وتكررت العبارة في ٥/٢٢٥ حين قال :« إن الكلام في هذا وأمثاله [يعني الالتزام ونحوه] ليس من وظيفتي فإني حاكم سياسة الشريعة لا مدبر أمر البلاد » ولعله يقصد أن منصبه تشريعي لا تنفيذي ، وأن الأحكام الشرعية هي الأحكام القانونية التي شرعها الديوان .

وكان صاحب الفضل الأوفى في استعمال كلمة (سياسة) وتضمينها معنى الكلمة الفرنسية politiqe رفاعة الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) فقد استعملها كذلك في (تخليص الإبريز) ١٨٣٤م ، وفي (مناهج الألباب) يفصل القول في معناها ويقول : « إن الأصول والأحكام التي بها إدارة المملكة تسمى فن السياسة الملكية ، والبحث في هذا العلم ودوران الألسن فيه ، والتحدث به ، والمنادمة عليه في المجالس والمحافل ، والخوض فيه الغازيتات ، كل ذلك يسمى (بوليتيقة) ، أي سياسة ، وينسب إليه فيقال (بوليتيقي) ، أي سياسي ، فالبوليتيقة هي كل ما يتعلق بالدولة وأحكامها وعلاقتها وروابطها » .

(مناهج الألباب ط٢ ص٣٥٠)

وقريب مما سبق ورد في التعريفات الشافية (٢/٦٩) .

وثمة كتاب ظهر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر للشيخ حسين المرصفي (١٨١٠ - ١٨٩٠) يعد وثيقة سياسية هامة في تحديد المفاهيم السياسية في العصر الحديث هو (رسالة الكلم الثُّمان) وفي هذه الرسالة يعرف المرصفي بالمصطلحات الثمانية الآتية : « الأمة والوطن والحكومة والعدل والظلم والسياسة ، والحرية والتربية » .

ويعرف السياسة بأنها : (تدبير شؤون الناس ، ومن شأنها تحديد الأعمال وتقدير القيم وإلزام الكل بالعمل ، ثم يذكر أن لكل إنسان حظًّا من السياسة باعتباره راعيًا ومسؤولًا عن رعيته ، وهو ما أسماه بالسياسة الخاصة ، أما السياسة العامة فهي تختص بجماعة من الناس أوتوا نصيبًا أوفر من العلم والحلم والفهم والعزم) .

(رسالة الكلم الثمان ص ١١٩)

ومن أكثر المفكرين والسياسيين أهمية في استعمال كلمة سياسة بالمعنى المعروف بالكلمة الفرنسية politique في نهاية القرن التاسع عشر خير الدين التونسي (ت١٨٩٠م) مؤلف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) والذي ظهرت طبعته الأولى ١٨٦٧م يحكي فيه تجربته السياسية في تونس والأستانة .

ويرى خير الدين أن على علماء الشريعة أن يتبصروا في سياسة أوطانهم واعتبار الخلل الواقع في أحوالها الداخلية والخارجية ، وإعانة أرباب السياسة بترتيب تنظيمات منسوجة على منوال الشريعة معتبرين في ذلك جلب المصالح ودفع المضار ، ويستشهد على ضرورة هذا التعاون بتعريف الشيخ محمد بيرم الأول للسياسة الشرعية بأنها ما يكون الناس معه أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ؛ وإن لم يضعه الرسول . بل ويستشهد بقول ابن الجوزي : « إن إمارات العدل إذا ظهرت بأي طريق كان فهناك شرع الله » .

(انظر : أقوم المسالك ص٢٤٢)

والحرية هي ضمان نجاح التنظيمات السياسية ، ويشرح خير الدين مفهوم الحرية في الفكر السياسي الأوروبي ، فيقول : « إن لفظ الحرية يطلق في عرفهم بإزاء معنيين :

أحدهما : يسمى الحرية الشخصية ، وهو إطلاق تصرف الإنسان في ذاته وكسبه مع أمنه على نفسه وعرضه وماله ومساواته لأبناء جنسه لدى الحكم .

والثاني : الحرية السياسية ، وهي تطلب الرعايا التداخل في السياسات الملكية والمباحثة فيما هو الأصلح للمملكة .

ويحصل هذا عند الأوروبيين بانتخاب الأهالي طائفة من أهل المعرفة والمروءة تسمى بمجلس نواب الأمة » .

(أقوم المسالك ط٢ ص ٢٤٤)

وفي عام ١٨٧٠م ينشر بمصر معجم إلياس بقطر الفرنسي العربي وفيه :

سياسة ، سلوك politique .

(معرفة الحقوق الواجبة على الأمم واصطلاحات الدول بين بعضها ، وتدبير أمور المملكة) .

وبانتشار الصحافة والمنتديات الخطابية يذيع استعمالها بين الأدباء والسياسيين فيما

ينشرونه في الصحف أو يتحدثون به في المحافل .

فأحمد بن فارس الشدياق (ت١٨٨٧م) يستخدمها كثيرًا في مقالاته التي كان ينشرها في صحيفته (الجوائب) بالمعنيين اللذين أشار إليهما رفاعة : العلاقات بين الدول حربًا أو سلمًا والعلاقات بين أجهزة الدول فيما يتصل بأحوال الرعية .

(كنز الرغائب ١/١٠١ ، ٢/١٦٤،١٦٥)

ويستعملها كذلك أديب إسحق (١٨٥٩ – ١٨٨٥م) ؛ إذ يتحدث عن الحرية السياسية ويعرفها بأنها الفعل الذي تجيزه القوانين ، بل يشير كذلك إلى ما لحق كلمة السياسة والسياسي من تغير في معناها ؛ إذ تستعمل – أيضًا – بمعنى الكذب والمراوغة .

(الدرر ١ ص١٣١)

أنشأ جمال الدين الأفغاني (ت١٨٩٧م) جمعية (العروة الوثقى) بباريس ، وهي جمعية إسلامية عالمية هدفها إعادة عزة الإسلام ومجده ، والعمل على تطهير عقائده مما شابها ، وتحرير العالم الإسلامي من ذل الاستعمار وعبوديته . وكانت جريدة (العروة الوثقى) التي ظهرت في مارس ١٨٨٤م لسان هذه الجمعية ، وكانت تحمل فكر الأفغاني وأسلوب محمد عبده وعباراته .

وترددت كلمة (السياسة) وما اشتق منها وما تألف في أغلب صفحاتها . ومن أمثلة ذلك ما جاء في العدد الأول في بيان (لماذا صدرت الجريدة ؟) :

- تُنَبِّه بأن التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فإن فُقد التكافؤ لم تكن الرابطة إلّا وسيلة القوي لابتلاع الضعيف .
- لا تَهِنْ في تبليغ الشرقيين ما يمسهم من حوادث السياسة العمومية وما يتداوله السياسيون في شؤونهم .
- وتُراعي في جميع سيرها تقوية الصلات العمومية بين الأمم وتمكين الألفة في أفرادها وتأييد المنافع المشتركة بينها والسياسات القويمة .

(العروة الوثقى ص ٧ ، ٨)

وقد حمل الأفغاني حملات شعواء على سياسة إنجلترا في الهند ومصر والسودان ، وسياسة الأوروبيين في ممالأتها .

ومن أمثلة ذلك :

- هذا أسلوب من السياسة الأوروبية ... أخذت به الشرقيين لتنال مطامعها فيهم (ص٤٦) .
- إن الحكومة الإنجليزية بالتواء سياستها وتذبذبها وضعت من شرف إنجلترا . ص١٨١ .
- من الجهل أن يظن سياسي في المسألة المصرية أنها مصرية فحسب ... إنما هي مسألة أوروبية .
- ليس للإنجليز حق شرعي ولا أصل سياسي ولا رغبة عامة من أهالي القطر المصري (ص٢٥٠) .
- يجتهد الإنجليز لإقلاق الخواطر ليقدموا ما يكون من هذا عذرًا لدى الدول لتطويل مدة إقامتهم بالقطر المصري لعلهم يجدون من تقلبات السياسة الأوروبية فرصة للحلول الأبدي (ص٢٥٢) .

« وفي مقال طريف لعبد الله نديم (١٨٤٥ - ١٨٩٦م) في جريدته (الأستاذ) بعنوان (تربية الأبناء) يتحدث عن أهمية تربية أبنائنا تربية سياسية ، ويشير إلى ما عليه حال الناس في أوروبا من ترابط وتعاون وإن توزعت أهواؤهم حول المشارب السياسية والمذاهب الدينية ، وإلى تربية أبنائهم وإعدادهم لكي يكونوا مستعدين للإدارات ومؤهلين للسياسات ، ويشيد بمعرفة علماء الدين في أوروبا بالسياسة ، وينكر على علمائنا جهلهم بها مع أنهم أحق الناس بالاشتغال بها لحاجة أولي الأمر إلى مشورتهم في الأمور السياسية ، وليس في نصوص الشريعة ما يمنع من الاشتغال بها بل - كما يقول - : كلُّ العلوم الشرعية من قواعد السياسة ، فإن أبواب البيوع والزروع والوقف ، والحرب والسلم والجنايات والشهادات والحقوق والقسمة وغيرها كلها من أصول السياسة ، ومن درس العلوم الكثيرة لا يعز عليه دراسة القوانين والمعاهدات الدولية والأخبار اليومية .. » .

(الأستاذ ص ٢٠٤ - ٢٠٧ / ١٨٩٢م)

ويتحدث عن أهمية الجرائد في توعية الشعب بالسياسة : « فضل الجرائد على العامة كفضل المعلمين على الخاصة ، فإن السياسية منها ناقلة للأخبار ، منبهة إلى ما فيه النفع العام من أوجه الإصلاح والنجاح ، مترجمة للعظماء وأعمالهم جامعة للأمة

على وحدة بها تعظم الممالك وتتقدم المعارف والتجارة والآداب ، فلها صوت الحادي أمام الأمة .

(الأستاذ ص ٢٠٠٨ ، ١٩٩٢م)

ويقول في موضع آخر : « وقد صار للجرائد في مصر والشام شأن وأي شأن ، فتربت بعباراتها الأفكار ، وتعلمت الأمة كثيرًا من الأصول السياسية وخاضت في بحار المذكرات الدولية » .

(الأستاذ ص ١٩٩٢/٣٨٧م)

ومن العبارات التي تتردد على صفحات الأستاذ :

« أثارت الخواطر وكدرت السياسة ... تترك للحكومة الأعمال السياسية والتصرف فيها .. لم تكسب إنجلترا إلّا فتور السياسة بينها وبين الدولة العلية ودول أوروبا .. قوة المركز السياسي مرجعها انضمام أطراف المملكة وخلوها من الاضطراب ... إلخ .

وتتردد كلمة (سياسة) وما هو منها بسبب في كتاب (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) الذي ألفه المفكر العربي والإسلامي الكبير عبد الرحمن الكواكبي (١٨٤٨ - ١٩٠٢) .

وترتبط الكلمة عنده بقوة بمفهوم الاستبداد الذي يعرف بأنه : تصرف فرد أو جمع في حقوق قوم بالمشيئة وبلا خوف من تبعة .

ويشير إلى أنه صفة للحكومة المطلقة العنان فعلًا أو حكمًا التي تتصرف في شؤون الرعية كما تشاء ، بلا خشية حساب أو عقاب محققين » .

(طبائع الاستبداد ، ص ١٨)

ثم إنه قد وضع كتابه لينبه الناس إلى داء الشرق الدفين وهو الاستبداد السياسي ، يقول : « وحيث إني قد تمحص عندي أن أصل هذا الداء هو الاستبداد السياسي ، ودواؤه بالشورى الدستورية » .

(طبائع الاستبداد ، ص ٨)

ويربط الكواكبي بين الاستبداد الديني والسياسي ، يقول : « ما من مستبد سياسي إلى الآن إلّا ويتخذ له صفة قدسية يشارك بها اللّه أو تعطيه مقامًا ذا علاقة مع اللّه . ولا أقل من أن يتخذ بطانة من خدمة الدين يعينونه على ظلم الناس باسم اللّه » .

(طبائع الاستبداد ص٢٩ ، ٣٠)

٤ – زُنَّار

زُنار : ج زنانير و زُنَّارة ج زُنارات .

زُنِّير : لغة في زُنار .

والزُّنار : ما يلبسه الذميّ يشده على وسطه .

والزنار : ما يتزنر به أهل الذمة (عن الخليل في العين) .

والكلمة من اليونانية ζωνάριον زوناريون ، وفي الآرامية : زونرا أو زنرا ، ومنها انتقلت إلى العربية زُنَّار .

وقد استعمل الأقباط المصريون الكلمة اليونانية (زوناريون) وعدوا هذه القطعة من الملابس من ملابس الكهنوت .

الزُّنار في الشعر العربي في العصر الجاهلي :

أقدم ما عثرنا عليه من الشواهد قول عَدِي بن زيد العِبادي : (ت ٣٥ ق ، هـ ٥٩٠م)

رُبَّ نـارٍ بِـتُّ أرمُـقـهـا　　　تَـقـضِـم الـهـنـديَّ والـغـارا

عـنـدهـا ظـبـي يـؤرِّثُـهـا　　　عـاقِـدٌ في الخَصْـرِ زُنَّـارا

(ديوانه ص ١٠٠)

في العصر الإسلامي :

لم نجد له شاهدًا .

في العصر العباسي :

- قال أبو نواس (ت ١٩٨ هـ) :

حتى إذا نقلت كاساتِها خُرِدٌ　　　من بين ذي قُرطُق أو ذاتِ زُنَّار

(القُرطُق : قَباء ، ثوب يلبس فوق الثياب ، وهو معرب كُرتَة) . **(ديوانه ٤٢٣/١)**

• قال ابن المعتز (ت ٢٩٦ هـ) :

وزانه من بني العِباد رشًا بالجيد والمقلتين سَحّار
ابن نصارى يدينُ دينَهم حَدَّثَ عنه بذاك زُنّار

(ديوانه ص ٢٢٩)

• وقال السري الرفّاء (ت ٣٦٦هـ - ٩٧٦م) :

والنحرُ والخَصْر منه قد قُسِما بين صليب وبين زُنّار

(ديوانه ص ٢٨٤)

• وقال ابن وكيع التِّنّيسي (ت ٣٩٣هـ - ١٠٠٣م) :

قد غيَّب الزُّنارَ دقةُ خَصْرِه حتى ظننّاه بلا زُنّار

(ديوانه ص ٦٠)

• وقال أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ - ١٠٥٧ م) :

لا ينزلنَّ بأنطاكِيةٍ وَرِعٌ كم حَلَّل الدينَ عقْد الزنانير

(ديوانه ٧٣٩/٢)

وأساء ناكحُ زوجة نَصرانة قطعت - لأجل نكاحها - زُنّارها

(ديوانه ٦٩٢/٢)

كم مسلمٍ عَبَد الهوى فوجدته فيما يُحِلُّ كعاقد الزُّنّار

(ديوانه ٧٨٣/٢)

• وقال ابن خفاجة (ت ٥٣٣ هـ - ١١٣٨ م) :

لَبِس المجَرَّ على السواد فخلتُه مُتَنزها قد شدَّ من زُنّار

(ديوانه ص ١٥٩)

• وقال الشريف العقيلي (ت قبيل منتصف القرن الخامس) في فتًى من رهبان دير في مصر :

ما أحسنَ الزُّنارَ في خصرِه يا لك من خَصْرٍ وزنارِ

(ديوانه ص ١٤٤)

• وقال أبو عبد الله بن الحداد (الأندلسي) ، (ت ٤٨٠ هـ) لحبيبة يدعوها نُويرة :

وفي معقد الزنّار عقدُ صبابتي فمن تحته دِعْص ومن فوقه غصن

(الشعر الأندلسي ، بيريس ص ٢٥٢ ، وانظر الذخيرة ٦٩١/١)

● وقال ابن الخناط الأعمى (ت ٤٣٧ هـ) :

كم بتُّ فيك على اللذات معتكفًا والليلُ مُدَّرِعٌ ثوبًا من القار
كأنه راهب في المِسْحِ ملتحفٌ شدَّ المَجُدُّ له وسطًا بزنار

(نفح الطيب ، للمقري ، ٥٠٣/١)

وثمة شواهد أخرى تجري هذا المجرى في العصر المملوكي والعثماني واختفت الكلمة في العصر الحديث ، فلم نجد له شاهدًا .

الزُّنَّار في التاريخ العربي :

كان المسيحيون في الشرق يعدون المِنطقة أو الزنار من الملابس الكهنوتية ، وكان رجال الإكليروس يمتدحون هذه القطعة الموقرة من الملابس ، وربما عدها مسيحيو الغرب من مميزاتهم وأطلقوا عليهم (مسيحيو المنطقة أو الزنار) .

وأقدم ما عثر عليه من رسوم هذه القطعة يعود إلى القرن الثامن الميلادي ، وهو حزام ذو حواف ومشبك ؛ ولهذا يرى (بتلر) أن استخدام هذه القطعة في الكنيسة القبطية أقدم من استخدامها بكنائس الغرب المسيحي وما زالت هذه القطعة مستخدمة في الكنائس الشرقية والغربية على السواء .

(الكنائس القبطية ، بتلر ج٢ ص ٨٨ ، ١٠٢)

ومن الطريف أن بتلر يشير إلى أن ارتداء المنطقة كأداة للتمييز المدني بين ملابس المسيحيين والمسلمين في مصر قد انتهى منذ عهد بعيد فإنه حتى اليوم يلبسها المسلمون والمسيحيون على السواء ، فإنك تجد في الحياة اليومية في القاهرة الآن كبار التجار أو الشيوخ الموقرين يرتدونها مع عباءة مفتوحة طوليًا من الأمام .

(الكنائس القبطية بتلر ج ٢ ص ١٠٣)

تثار قضية الزنار كلباس مميز للنصارى واليهود والمجوس بظهور الإسلام وبانتشاره في البلاد التي تدين بالنصرانية واليهودية والمجوسية .

وكانت المطالبة بشد الزنار في كثير من الأحيان مرتبطة بحالات الحرب والفتن والاضطرابات والتي قد تتطلب التمييز بين المسلمين وغيرهم ممن هم تحت الحكم الإسلامي .

وأقدم نص لدينا يذكر فيه لفظ الزنار أو الزنانير .

● ما ورد في كتاب الخراج لأبي يوسف (١١٣ - ت ١٨٢ هـ) :

« لا يُترك أحد منهم يتشبه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته ، وأن يؤخذوا بأن يجعلوا في أوساطهم الزنارات » وقد فسر أبو يوسف المقصود بالزنار بأنه « مثل الخيط الغليظ يعقده في وسطه كل واحد منهم » وفسر الغرض من ذلك بقوله : « حتى يُعْرَف زُيهم من زي المسلمين » .

(الخراج ، لأبي يوسف ص ١٢٧)

● وكان شد الزنار أو المِنطقة معروفًا بين أقباط مصر قبل الفتح الإسلامي :

ويذكر عبد الله بن أبي الحكم أن عمر بن الخطاب (حكم من ١٣ : ٢٣هـ) كتب إلى عمرو بن العاص أن يُظْهر أهلُ الذمة مناطقهم ويَجُزُّوا نواصِيَهم . ولا يدعونهم يتشبهون بالمسلمين في لَبُوسهم .

(فتوح مصر وأخبارها ص ١٥١ ، ويعرف هذا بعهد عمر)

ولهذا العهد العمري - الذي يتشكك بعض المؤرخين في نسبته إلى عمر بن الخطاب - صيغ متقاربة وردت في مختلف المراجع .

(انظر تاريخ دمشق ، لابن عساكر ج١ ص ١٤٩ ، ١٧٨)

وفي كتاب الأم للإمام الشافعي (ت ٢٠٥ هـ) نموذج لعهد مقترح يكون بين المسلمين وأهل الذمة ، وهو يكاد يطابق عهد عمر ، يقول فيه : وعليكم أن تلبسوا الزنانير من فوق جميع الثياب والأردية وغيرها حتى لا تخفى الزنانير ... »

(الأم ، كتاب الجهاد والجزية ، باب إذا أراد الإمام كتاب صلح ج ٥ ص ٤٧٣)

ولم يكن ثمة تشددٌ في إجراء هذا الشرط ، وكثيرًا ما كان يُتغاضى عنه ، وفي عهد عمر بن عبد العزيز (حكم ٩٩ - ١٠١هـ) كتب إلى عامل له بألّا يدع صليبًا إلّا كُسر ، ولا يركبن يهودي ولا نصراني على سَرْج ... إلخ وفُسِّر كتابه بأنه قد ذُكر له أن كثيرًا ممن قِبَله من النصارى قد راجعوا لبس العمائم وتركوا المناطق على أوساطهم .

(الخراج لأبي يوسف ص ١٢٨)

« وفي سنة ١٩١ هـ أمر الرشيد (خ ١٧٠ - ١٩٣ هـ) بهدم الكنائس بالثغور ، وكتب إلى السندي بن شاهك يأمره بأخذ أهل الذمة بمدينة السلام بمخالفة هيئتهم هيئةَ المسلمين في لباسهم وركوبهم » .

(تاريخ الرسل والملوك للطبري ٨/٣٢٤)

« وفي سنة ٢٣٥هـ أمر المتوكل (خ ٢٣٢ - ٢٤٧هـ) بأخذ النصارى وأهل الذمة كلهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير ، وركوب السروج بركب الخشب ... »

(تاريخ الرسل والملوك للطبري ٣٢٤/٨)

وفي ترجمة حنين بن إسحق المترجم والطبيب (ت ٢٦٤ هـ) يقول ابن أبي أصيبعة : « وخدم حنين بالطب المتوكل ، وحظي في أيامه ، وكان يلبس زُنارًا ..

وقد حوكم في عهد المتوكل لأمور تنال من عقيدته النصرانية ... وقد أوجب الأساقفة اللعنة عليه ، فلعن سبعين مرة بحضرة الملأ من النصارى وقُطع زُنَّاره ... » .

(عيون الأنباء ص ٢٦٢ ، ٢٦٤)

« ويبدو أن قطع الزنار كان متعارفًا عليه رمزًا للخروج من النصرانية ، كما كان الحال في ارتدائه رمزًا للانتساب إليها » .

(وانظر في ذلك - أيضًا - ما ذكره أبو العلاء المعري)

وفي أيام الحاكم بأمر الله (حكم ٣٧٦هـ - ٤١١هـ) اشتد على النصارى بعد أن سخط على وزيره عيسى بن نسطورس النصراني ، يقول المقريزي في أحداث سنة ٣٩٥هـ « .. قرئ سجل في الجوامع بأمر اليهود والنصارى بشد الزنار - ولبْس الغيار ، وشعارهم السواد شعار الغاصبين العباسيين ... » .

اتعاظ الحنفا للمقريزي (٥٣/٢) ، والمواعظ والاعتبار للمقريزي (٣٩٩/٤)

وقد تكرر هذا أيام الفاطميين ، فكان لا يسمح لأهل الذمة باستخدام المسلمين في الأعمال الحقيرة ، وفُرض عليهم الزنار حول أوساطهم ، وحمل الصلبان أو القرامي بزنة خمسة أرطال في أعناقهم .

هامش (٢) اتعاظ الحنفا (٥٣/٢)

وفي أحداث سنة ٦٨٢هـ يقول المقريزي : وكانت النصارى في أيام الملك المنصور قلاوون (حكم ٦٨٧ - ٦٨٩هـ) يركبون الحمير بزنانير في أوساطهم ... فلما مات الملك المنصور وتسلطن ابنه الملك الأشرف خليل (س ٦٨٩ - ٦٩٣ هـ) خدم الكتابُ النصارى عند الأمراء الخاصكية ، وقووا نفوسهم على المسلمين ، وترفعوا في ملابسهم وهيئاتهم .

ويمضي المقريزي في رواية لأحد الكتاب النصارى في ذلك .

(المواعظ والاعتبار ٤٠٢/٤)

« وفي أحداث سنة ٧٠٠ هـ يقول المقريزي : وقد حضر القضاة الأربعة وناظروا النصارى واليهود ، فأذعنوا إلى التزام العهد العمري ، وألزم بطركُ النصارى طائفةَ النصارى بلبس العمائم الزرق وشد الزنار في أوساطهم ... » .

(المواعظ والاعتبار ٤/٤٠٤)

ويبدو أن الأحداث السابقة بما صاحبها من نفوذ للكتاب النصارى وما يتعرض له بعض عامة المسلمين من أذاهم - تفاقمت في عام ٧٢١هـ في عهد الناصر بن قلاوون حيث وقعت الفتنة الكبرى بين المسلمين والنصارى ، والتي كادت نيرانها تعصف بمدينة مصر والقاهرة كلها .

(انظر المواعظ والاعتبار ٤/٤٢٥ - ٤٣٣)

يقول عنها المقريزي وكانت هذه الخطوب الجليلة في مدة يسيرة قلما يقع مثلُها في الأزمان المتطاولة ، هلك فيها من الأنفس وتلف فيها من الأموال ، وخُرِّب من الأماكن ما لا يمكن وصفه لكثرته ، ولله عاقبة الأمور .

(المواعظ والاعتبار ٤/٤٣٣)

وفي العصر العثماني كان يُطلب إلى أهل الذمة أن يرتدوا ملابس خاصة ومنها القلانس والزنانير تميزهم عن المسلمين ، ولم يكن ارتداء هذه الملابس في حد ذاته مُهينًا ولم تكن أجهزة الدولة حريصة على إلزامهم بذلك إلّا في أحوال خاصة .

(المجتمع المصري تحت الحكم الإسلامي ، ميكل ونتر ، ص ٣١٥)

وثمة أحداث وقعت دفعت بعض الحكام إلى التشدد في ارتداء الزي الخاص بأهل الذمة في السنوات ١٥٨٠م ، ١٥٩٦م ، ١٧٢٦م ، ١٧٥٠ ، ١٧٥١ م .

ولعل آخر حادثة ذكرت في هذا المقام وقعت عام ١٧٨٦ م ١٢٠٠ هـ يقول الجبرتي : نودي على طائفة النصارى بألّا يركبوا الدواب ، ولا يستخدموا المسلمين ، ولا يشتروا الجواري والعبيد ، ومن كان عنده شيء من ذلك باعه أو أعتقه ، وأن يلزموا زيهم الأصلي من شد الزنّار والزنوط .

(عجائب الآثار ٣/١٧٦)

وعند هذه الحادثة اختفت هذه الكلمة في مراجعنا ، ولم أجد لها ذكرًا لا في شعر ولا في نثر .

* * *

٥ - ترجمان(*)

ترجم	الترجمان	الترجمة
	❖ المفسر للسان .	❖ التفسير .
❖ ترجم عن اللسان فسّر كلامه بلسان آخر .	❖ الناقل للكلام من لغة إلى أخرى .	❖ النقل من لغة إلى لغة أخرى .
		❖ سيرة الشخص وأخلاقه .
❖ ترجم لِفلانٍ : ذكر ترجمته أي عرّف به ، وذكر سيرته .	❖ ج : تراجم وتراجمة .	❖ عنوان الفصل أو الباب في الكتاب .
❖ ترجم اللسان : ترجم عنه	❖ دليل السائح (دوزي) .	❖ سطور تكتب في أعلى الرسالة يذكر فيها اسم كاتب الرسالة واسم من كتب إليه (دوزي عن المقري) .
❖ ترجم الكتابَ : نقله من لغة إلى أخرى .		
❖ ترجم الكتابَ : قسمه إلى أبواب وفصول (دوزي) .		❖ لقب يشير إلى صاحب المكان يحدد به علاقته بالكاتب مثل المخلص ، الفقير إلى عطفك .
❖ جعل له عنوانًا (دوزي).		

تأصيل كلمة ترجمان (ت ر ج م) :

(في العبرية Targém تَرْجِيمْ : تَرْجَمَ من لغة إلى أخرى ، فَسرَ . وفي الآرامية Targem تَرْجِمْ : تَرجَمَ ، فَسَّرَ ، وَعَظَ . ومنه Targäm تَرْجمَانْ . وفي الحبشية Targuama تَرْجُومَ . وفي الأكّديّة Targumänu ترجمان) .

(*) وهي بفتح التاء وضمها .

الترجمان في الشعر العربي : في العصر الجاهلي :

وردت كلمة الترجمان في الشعر العربي مفردة وجمعًا .

● وأقدم شاعر استعملها هو الأسود بن يعفر (نحو ٢٢ ق . هـ - ٦٠٠ م) ، فقد وردت في شعره جمعًا نادرًا (تراجيم) :

حتى تناولها صهباءَ صافيةً   يرشو التُّجارَ عليها والتراجيما

(قال العلامة عبد السلام هارون : يريد التراجمة ؛ لأن باعة الخمر عجم يحتاجون إلى من يُفْهِم الناسَ كلامَهم) .

(المفضليات ص ٤١٨)

في العصر العباسي :

● وقال عوف بن مُحَلِّم الخزاعي :

إن الثمانين وبلغتها   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

(الأمالي ، للقالي ١/٥٠)

● وقال المتنبي (ت ٣٥٤ هـ - ٩٦٥م) يذكر جيش الروم :

تَجمَّع فيه كلُّ لِسْنٍ وأُمةٍ   فما تُفْهِمُ الحُدَّاثَ إلا التراجمُ

(الحُدَّاث : جمع حادث بمعنى متحدث) .

(شرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري ٣/٤٢٧)

● وقال الوأواء الدمشقي (ت ٣٧٥هـ تقريبًا) :

ما إن تلجلجَ منطقي عن حُجَّتي   إلا وذكرك ترجمانُ لساني

(ديوانه ٢٣٨)

● وقال أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ) :

حبستُ كتاب العينِ في كل وِجهةٍ   فخذ حَذَرًا من ترجمان المفجَّعِ

(اللزوميات ٢/١٠٤٣)

في العصر الأندلسي :

● وقال ابن حمديس (٥٢٧هـ - ١١٣٣م) :

مَنْ بِشْرُه تَرْجمَ عن جوده   والجودُ في البشر له ترجمان

(ديوانه ص ٥٠٧)

في العصر المملوكي :

• وقال ابن النبيه يمدح الملك الأشرف موسى (ت ٦١٩ هـ - ١٢٢٢م) :

لا تسل العاشق عن حاله فدمعه عن قلبه ترجمانْ

(ديوانه ص ١٦١)

في العصر الحديث :

• وقال إسماعيل صبري يهنئ الخديو عباس الثاني (١٩٢٣م) :

لا تسأل المالكَ عن مُلكه فعدله عن ملكه ترجمان

(ديوانه ص ٦٨)

• وقال علي الجارم (ت ١٩٤٩م) :

وما الشعرُ إلا ترجمانٌ مُخَلَّدٌ يقصُّ على الأجيال مجدًا مخلدا

(ديوانه ص ٧٨)

الترجمان في التاريخ :

كان للتراجمة على الدوام شأن هام في العلاقات التجارية والسياسية بين الدول الإسلامية والشعوب الأجنبية ، وبدأ نشاط هؤلاء التراجمة يظهر على صفحات التاريخ بشكل واضح مع الفتوح الإسلامية ، وقد قاموا آنذاك بدور كبير في أثناء المعارك وفي التباحث والمعاهدات .

وقد كان للعرب قبل الإسلام علاقات قوية بالفرس والروم ، وكان لسكان الحيرة وغسان وقائع حربية وتعاقدات سياسية واقتصادية بالدولتين كان للتراجمة دور فيها .

وكان للعِباديين - وهم قبائل عربية تنصرت - دورٌ كبير في البلاط الفارسي ، وكانوا يقومون بالترجمة والكتابة .

وعلى سبيل التمثيل لا الحصر كان عَدِيُّ بن زيد الشاعر (٣٥ ق هـ - ٥٩٠ م) يختلف إلى كُتَّاب الفارسية مع ابن لأحد المرازبة ، فتعلم الكتابة والكلام بالفارسية حتى خرج من أفهم الناس بها وأفصحهم بالعربية ... وكان عَدِي أولَ من كتب بالعربية في ديوان كسرى ، بل إن كسرى أرسله إلى ملك الروم بهدية ... ولما أتاه عدي بها أكرمه وحمله إلى عماله على البريد ليريه سعة أرضه وعظيم ملكه ...

(الأغاني ، للأصفهاني ٢/١٠٢)

● ولعل من أقدم الأخبار التي عثرنا عليها عن التراجمة قبل الإسلام خبرَ أبرهة حين نزل مكة ليهدم البيت ، يقول الخبرُ : إنه لقي عبد المطلب جدَّ النبي وسيدَ قريش ، فلما رآه أبرهةُ أكرمه ، فقال له الترجمان : الملك يقول : ما حاجتك ؟ قال : حاجتي مائتا بعير أصابها . فقال أبرهة للترجمان : قل له قد كنت أعجبتني حين رأيتك ، وقد زهدت فيك ؛ لأني جئتُ لهدم بيت هو دينك ودين أبائك ! جئتَ ما تكلمتَ فيه وتكلمتَ في الإبل ... إلى آخر الخبر .

(آثار البلاد وأخبار العباد ، للقزويني ٢١/١)

● وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتبه من الوحي ، وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ أمره أن يتعلم كتاب اليهود ، يقول زيد : كتبت للنبي كتبه ، وأقرأتُه كتُبهم إذا كتبوا إليه » .

(كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري ، صحيح البخاري ١٢/٩ ، ٩٤)

● وقد أرسل (هرقل) إلى أبي سفيان وبعض تجار قريش بالشام فأتوه وهم بإلياء ، فدعاهم في مجلسه ، وحوله عظماء الروم ، ثم دعاهم ودعا بترجمانه ، فقال : أيكم أقرب نسبًا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي ، فقال أبو سفيان : أنا أقربهم به نسبًا ... ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل عن هذا الرجل ... « والحديث طويل انظره في (صحيح البخاري (٤/١ ، ٥ ، ٦) » .

ويعقد البخاري بابًا بعنوان (باب ترجمة الحكام ، وهل يجوز ترجمان واحد) وفيه : قال أبو جمرة : كنت أترجم بين ابن عباس وبين الناس » وأنهاه بقوله : وقال بعض الناس : لا بد للحاكم من مترجمين .

(صحيح البخاري ٩٤/٩)

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ كثرت الفتوح ، وتلاقى العرب بجيوش الفرس والروم ، ووقعت وقائع شارك فيها التراجمة ، ومن ذلك :

● دعا رستم بالمغيرة فجاءه حتى جلس على سريره ، ودعا رستم ترجمانه - وكان عربيًا من أهل الحيرة يُدعى عَبود - فقال له المغيرة : ويحك يا عبود ! أنت رجل عربي ؛ فأبلغه عني إذا تكلمتُ كما تُبلغني عنه إذا كلمني .

(تاريخ الرسل والملوك للطبري ٥٢٤/٣)

● وعن حال الأسرى من الفرس يوم القادسية يقول الطبري : وجعل أهل فارس يسوؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم ، فلما دخلوا (وفد العرب) على يزدجرد

أمرهم بالجلوس ، وكان سيئ الأدب ، فكان أول شيء دار بينه وبينهم أن أمر الترجمان بينه وبينهم فقال : سلهم ما يسمون هذا الأردية ؟

(تاريخ الرسل والملوك ٤٩٨/٣ أحداث سنة ١٤هـ)

« وأرسل عمرُ بن الخطاب النعمانَ بن مُقَرّن لفتح أصفهان ، وأرسل النعمانُ المغيرةَ ابن شُعبة إلى ملكهم ، وهو يقال له : ذو الجناحين ... وقام بين يديه وجعل يكلمه والترجمان يترجم بينهما » .

(مروج الذهب للمسعودي ٦٧/٣)

● ومن هذا القبيل « أن عمر بن عبد العزيز (حكم ٩٩ - ١٠١هـ) بعث وفدًا إلى ملك الروم في أمر من مصالح المسلمين ... فلما دخلوا عليه ، إذا ترجمان يفسر عليه ، وهو جالس على سرير ملكه ، والتاج على رأسه ، والبطارقة عن يمينه وشماله والناس على مراتبهم بين يديه » .

(مروج الذهب للمسعودي ١٨/٤ ، ١٩)

● ومنه أيضًا : « أخبرني شِبْل الترجمان قال : حين نزل الرشيد على هِرَقْلة وفتحها ، فرأيت ببابها حجرًا منصوبًا مكتوبًا عليه باليونانية ، فجعلت أترجمه والرشيد ينظر » .

(مروج الذهب للمسعودي ٥٨/٢)

وكان للتراجمة دور كبير في الرحلات التي قام بها المسلمون في العصر العباسي ، ومن أشهر هذه الرحلات رحلة ابن فضلان (ت ٣١٢ هـ - ٩٢٤م) التي قام بها إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة عام ٣٠٩هـ - ٩٢١م ، وكان يصطحب معه في كل بلد يزوره مترجمًا أو يجد عند ملوكها من يترجم له .

وقال هذا الرجل يومًا على لسان الترجمان : قل لهذا العربي ألربنا ﷻ امرأة ؟

« فقلت للترجمان : سل بعضهم ما حجتهم في هذا » .

« وقد حدثني ترجمان الملك أن سنديًا سقط إلى هذا البلد » .

(رحلة ابن فضلان ص ٣٩ ، ٧٠)

ويحكي الشريف الإدريسي عن رحلة سلام الترجمان إلى أرض خفتاخ وأرض التركش وسد يأجوج ومأجوج مبعوثًا من الخليفة الواثق (حكم ٢٢٧ - ٢٣٢هـ) ليعرف أخبار السد الذي بناه ذو القرنين .

(نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي ٩٣٥/٢ ، ٩٣٦)

ولعل أهم الأدوار التي أداها التراجمة دورهم العظيم في نقل علوم الفرس والهند واليونان إلى العربية .

ومن أهم هؤلاء التراجمة عبد الله بن المقفع (ت ١٤٩هـ) .

يقول ابن أبي أصيبعة عن (برزويه) : إنه هو الذي جلب كتاب كليلة ودمنة من الهند إلى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ملك الفرس ، وترجمه له من اللغة الهندية إلى الفارسية ، ثم ترجمه في الإسلام عبد الله بن المقفع الخطيب من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية .

وكان ابن المقفع قد ترجم أيضًا من كتب أرسطو طاليس كتاب قاطيغورياس ، وكتاب باريميناس ، وكتاب أنا لوطيقا ، وترجم مع ذلك المدخل إلى كتب المنطق المعروف بإيساغوجي .. وعبارته في الترجمة سهلة ، قريبة المأخذ .

(عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، ص ٤١٣)

ومن أقدم التراجمة وأهمهم حنين بن إسحق (ت ٢٦٤هـ) .

وقد ترجم حنين لجبرائيل بن بختيشوع أقسامًا من كتب جالينوس وهو أول من نقل شيئًا من علوم الروم إلى اللسان السرياني ، وقد كان حنين يجيد السريانية واليونانية ، وكان مبرزًا في العربية .

ومن فضول القول أن نعرض هنا لأسماء هؤلاء التراجمة وما ترجموه فهذا يخرج عن هدفنا ، ونشير فحسب إلى أن كلمة الترجمة كان يراد منها النقل ، وابن النديم يعقد بابًا واسعًا لأسماء النقلة من اللغات إلى اللسان العربي ، وكان بعض المترجمين يلقب بالترجمان أو الناقل ، ومن ذلك قال فثيون الناقل ، ويوسف الناقل ، وخالد الترجمان .

(الفهرست للنديم ص ١٨٣ ، ٣٨١)

وتتحدث دائرة المعارف الإسلامية عن العلاقات التجارية بين المدن أو الدول المسيحية والحكام المسلمين لدول البحر المتوسط .

« وكانت الصفقات التجارية جميعًا لا تكاد تتم إلا بوساطة هؤلاء التراجمة الذين كانوا يؤلفون غالبًا نوعًا من النظام الطبقي ، وكانت أقوالهم حجةً في كل مكان ، وكانت تُجبى مكوس خاصة على البضائع التي يتم تبادلها عن طريقهم ، وكانت السلطة المحلية تنتخب هؤلاء التراجمة في بادئ الأمر . وهم إما مسلمون أو نصارى أو يهود ، وكان يوكل أمر كل تجارة أجنبية إلى واحد منهم في بعض الجهات » .

(دائرة المعارف الإسلامية [ترجمان])

وكتب إليَّ المؤرخ الدكتور حسنين ربيع :

كان التراجمة أو المترجمون في المواني المصرية في عصر سلاطين المماليك حلقةً هامة بين الفندق الذي ينزل فيه التجار الأوروبيون وقنصلهم من جانب ، والجهات المصرية المسؤولة من جانب آخر . وكان المترجم معتمدًا من دواوين سلطنة المماليك وموضع ثقة بين الأطراف المتعاملة معه .

وتلقى وثيقتان تجاريتان من مدينة البندقية ترجعان إلى سنة ٨٢٦هـ – ١٤٢٣م وسنة ٨٩٥هـ – ١٤٩٠م أضواءً كاشفة على أهمية التراجمة في العلاقات التجارية بين مصر والمدن التجارية الإيطالية وكان تَغْري بردي كبير التراجمة عند السلطان قانصوه الغوري ... وكان يتولى ترجمة الرسائل الواردة إلى السلطان بلسان فرنجي إلى العربية .

وكان سلاطين المماليك الجراكسة يتخاطبون بينهم باللغات التركية والشواهد كثيرة على ذلك .

(انظر : بدائع الزهور لابن إياس ٣٦٨/٢ ، ٣٨٧)

ويتحدث ابن إياس عام ٩٢٤ هـ عن أحد أمراء بني عثمان كان يجلس بالصالحية وحوله جماعة من الإنكشارية ، وكان لا يُقْضي أمرٌ من الأحكام الشرعية حتى يُعرض عليه ، فكان يقف بين يديه الشاكي والمشتكي ويخاطبونه بترجمان بينهما عن أمر الشكاة .

(بدائع الزهور ٢٤٤/٥)

ويقول عن عام ٩٢٢ هـ وفي ذلك اليوم خُطب باسم السلطان سليم شاه على منابر مصر والقاهرة ، وقد ترجم له بعض الخطباء .

(بدائع الزهور ١٤٨/٥)

« وفي عام ٩٢٦هـ يقول ابن إياس : ... رسم ملك الأمراء بأن مشاعليًا ينادي في القاهرة بالعربي وآخر ينادي بالتركي بالأمان والاطمئنان والبيع والشرى » .

(بدائع الزهور ٣٦٩/٥)

وعند نزول الفرنساوية إلى مصر أصبح للتراجمة دور كبير في الاتصالات التي كانت تقع بين المصريين والفرنسيين .

● وكان مع الحملة عدد كبير من التراجمة الفرنسيين يقول الجبرتي : وكان منتور هذا ترجمان ساري عسكر ، وكان لبيبًا مستبجرًا ، ويعرف اللغات التركية والعربية والرومية والطلياني والفرنساوي .

(عجائب الآثار ١١٥/٥)

وفي أثناء محاكمة سليمان الحلبي كان ترجمان ساري عسكر العام يقوم بترجمة المحاكمة وإجراء المساءلة .

يقول الجبرتي : وقد وقَّع الترجمان « لوماكا » على محضر التحقيق .

(عجائب الآثار ، ٢٠٠/٥ ، ٢٢٠)

● وكان يحضر الديوانَ وكلاء ومباشرون من الفرنسيين ومترجمون .

(١٠٠/٥ ، ١٢٣)

وكان التراجمة الفرنسيون يصحبون بونابرتة وغيره من قواده الكبار .

(عجائب الآثار ، ١٥٩/٥)

● وكان من بين التراجمة تراجمة من الشوام والمغاربة .

(عجائب الآثار ، ١٤/٥)

* * *

٦ – وزير وزارة

قيل في اشتقاق الوزير من :

● الوَزَر : الجبل المنيع ، والملجأ والمعتَصم ؛ لأن الخليفة يعتمد عليه ويلجئ إليه الأمور .

● الوِزْر : الحِمْل الثقيل ؛ لأنه يَزِر عن السلطان أثقال ما أسند إليه من تدبير المملكة ، أي يحمل عنه .

● الموازرة : أي المعاونة ، من وازره على الأمر : عاونه وقوّاه ، وصار له وزيرًا .

● والوزير : خاصة الملك الذي يُعينه بالرأي ويعاونه في تدبير الأمور .

● والوزير : رجل الدولة الذي يختاره رئيس الحكومة للمشاركة في إدارة شؤون البلاد مختصًا بجانب منها .

الوزارة بكسر الواو وفتحها :

● عمل الوزير .

● جماعة من رجال الحكم .

الوزير والوزارة في الشعر العربي :

في العصر الجاهلي :

لم أجد له شواهد فيما رجعت إليه من دواوين الشعر الجاهلي .

في العصر الإسلامي :

تتردد كلمة (وزير) بين شعراء هذا العصر :

● فهذا العباس بن مرداس (ت ١٨هـ) يقول في غزوة حنين إنه وزير للنبي وتابع له :

فإن تَبْتغي الكفارَ غير ملومةٍ   فإني وزيرٌ للنبيِّ وتابعُ

(ديوانه ص ١٠٧)

• وجبريل وزير النبي ، يقول حسان بن ثابت يرثي حمزة (ت ٥٤ هـ) :

غـداةَ جـبـريـلُ وزيـرٌ لـه　　　نِعم وزيرُ الفارس الحاملِ

(ديوانه ص ٢٢١)

• وحمزة وزير له أيضًا ، يقول حسان :

فإنَّ أباكِ الخير حَمْزَةَ فاعلمي　　　وزيرُ رسول اللّهِ خير وزير

(ديوانه ص ٢١٩)

• بل إن النبي نفسه وزير ، يقول كعب بن مالك يرد على ضرار بن الخطاب في يوم الخندق (ت ٥٠ هـ) :

وكان لنا النبيُّ وزير صدق　　　به نعلو البريةَ أجمعينا

(ديوانه ٢٧٩)

• ويقول – أيضًا – يذكر إجلاء بني النضير :

وغسَّانُ الحـــماةُ مؤازروه　　　على الأعداء وهو لهم وزير

غداةَ أتاهم في الزحفِ رَهْوًا　　　رسولُ اللّه وهو بهم بصير

(غسَّان يعني الأنصار) (ديوانه ص ٢٠٤)

وعلى قلة ما توافر لنا من أمثلة لاستعمال كلمة (وزير) في الشعر في عصر بني أمية نجد استعمالًا طريفًا للعَرْجي عبد اللّه بن عمر الأموي (ت ١٢٠هـ) يقول :

وزيرٌ لها إبليسُ في كل حاجةٍ　　　لها عندما تَهْوِي له يتمثَّلُ

(ديوانه ص ٣٠٣)

فليس الوزير خاصًا بجبريل وغيره من الملائكة ولا بأهل الرأي والمشورة والخير ، بل إنه إبليس مثال الشر الذي تستخدمه هذه المرأة لقضاء حوائجها .

في العصر العباسي :

ولأن الوزارة كان لها شأن بعيد التأثير في بداية عهد بني العباس ، فقد اتسع استعمال كلمة (الوزير) اتساعًا عظيمًا ، وقد بلغت الوزارة أبهى عصورها وأبلغ آثارها فيما أسماه ابن طباطبا (الدولة البرمكية) وقال : اعلم أن هذه الدولة كانت غُرَّة في جبين الدهر .

• وفيها يقول أبو نواس :

سلامٌ على الدنيا إذا ما فقدتم بني برمك من رائحين وغاد

(الفخري ص ١٧٨)

• وقال سَلْم الخاسر (ت ١٨٦هـ) :

إذا ما البرمكي غدا ابن عشر فـهـمّـتُـه وزيـر أو أمـيـر

• وقال منصور النمري (ت ١٩٠هـ) يمدح يحيى بن خالد البرمكي :

ولو عُلِمتْ فوق الوزارةِ رتبةٌ تُنال بمجدٍ في الحياة لنالَها

(يواقيت المواقيت ، للثعالبي ، ص ٤٢)

• وقال البحتري (ت ١٨٤هـ) يمدح عبيد اللّٰه بن خاقان :

وزيرُ مُلْك تمت كفايتُه فلم يَهِن حزمُه ولا جَلدُه

(ديوانه ٢/٧٣٥١)

ولم تكن الوزارة خيرًا لكل من تولاها ، فلم ينج إلا قليل منهم من المصادرة والقتل . يقول الشاعر حبيبات الكوفي في فتك المنصور (خ ١٣٦ - ١٥٨هـ) بوزيره أبي سليمان المورياني (١٥٤هـ) بعد أن تبين له خيانته في ضيعة كان قد أوهمه بشرائها واستثمارها :

قد وجدنا الملوك تحسد من أعـ ـطته طوعًا أزمة التدبير

ثم يحكي قصتهم مع أبي سلمة الخلال ويقول :

أسوء العالمين حالًا لديهم من تسمَّى بكاتب أو وزير

(الفخري ، لابن طباطبا ص ١٥٨)

وقد مدح الشعراء الوزراء وطمعوا في نوالهم وأسبغوا عليهم آيات المجد والفخر ، ومن ذلك :

• قال بشار يمدح عقبة بن سَلْم (ت ١٦٧هـ) :

وزيرُ أمير المؤمنين وسيفُه إذا نفخ الشيطان في أنف حاسد

(ديوانه ٨٢/٣)

• وقال السيد الحميري (ت ١٧٣هـ) :

وكان لأحمدَ الهادي وزيرًا كما هارون كان وزير موسى

(ديوانه ص ١٢)

• وقال مروان بن أبي حفصة يمدح جعفر بن يحيى البرمكي (ت ١٨٢هـ) :

وزيرٌ إذا نابَ الخليفةَ حادثٌ أشار بما عنه الخليفة يصدر

(ديوانه ص ٥١)

• وقال العباس بن الأحنف في أثناء سيره مع الرشيد إلى خراسان (ت ١٩٢ أو ١٩٨هـ) :

أنا في عسكرٍ لخير إمام زانه ربه من أمير أو وزير

(ديوانه ص ٢٢١)

• وقال أبو تمام (ت ٢٣١هـ) يمدح الوزير محمد بن عبد الملك الزيات (ت٢٣٣ هـ) ؛ وكان قد توزر للمعتصم والواثق والمتوكل ، وقتله المتوكل غِيلة :

وزيرُ حق ووالي شرطة ورَحًى ديوانِ ملكٍ وشِيعيٌّ ومحتسب

(ديوانه ٢٥٢/١)

وكما أكثر الشعراء في مدح الوزراء أكثروا في هجائهم ، ومن ذلك :

• قال أحد الشعراء في هجاء أحمد بن عمار بن شاذي (توزر ٢٢١ هـ) ، وقد كان وزيرًا للمعتصم (خ ٢١٨ - ٢٢٧هـ) :

سبحان ربي الخالق البارئ صرتَ وزيرًا يا ابن عمارِ

وكنت طحانًا على بغلةٍ بغير دكـــانٍ ولا دارِ

(الفخري ، لابن طباطبا ص ٢١٣)

• وقال آخر في الوزير أحمد بن الخصيب (توزر ٢٤٧ هـ) للمنتصر (خ ٢٤٧- ٢٤٨هـ) ، وقد كان فيه حدة وطيش ، فقد ركل برجله أحد أرباب الحوائج :

قل للخليفة يا ابن عم محمدٍ أشكلْ وزيرَك أنه ركّـال

قد نال من أعراضنا بلسانه ولرجله عند الصدور مجال

(الفخري ، لابن طباطبا ص ٢١٨)

• وقال يوسف بن محمد شاعر طاهر بن الحسين يهجو الفضل بن الربيع بن يونس وزير المنصور هجاءً مقذعًا نختار منه بيتًا :

أضاع الخلافة غِشُّ الوزير وحمقُ الأمير وجهلُ المشير

(كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري ، ص ٢٩٣)

وفي عهد المقتدر (خ ٢٩٥ - ٣٢٠هـ) بلغ اضطراب الحكم غاية عظيمة .. وتولى

الوزارة وزراء غير أكفاء ، وصل أغلبهم إليها بالمال .. ولقد تولى الوزارة في عهده أربعة عشر وزيرًا ، منهم من وزر ليوم أو يومين ، ومنهم من تولى الوزارة غير مرة .

● يقول ابن بسام علي بن محمد البغدادي (ت ٣٠٢ هـ) :

تحمل أوزارَ البريةِ كلها وزيرٌ بظلم العالمين يجاهرُ

● ويقول :

كم من وزيرٍ قد رأيت مُعظَّمًا أضحى بدار مذلةٍ وهوانِ

● ويقول في أبي علي بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان (توزر ٢٩٩ هـ) :

وزير ما يُفيق من الرقاعة يُوَلِّى ثم يعزل بعد ساعة

ويُدْني من تَعَجَّل منه مالٌ ويُبعد من توسل بالشفاعة

(الفخري ، لابن طباطبا ص ٢٤١)

● وقال تميم بن المعز يمدح الخليفة العزيز بالله ٣٣٨هـ (ت ٣٧٤هـ) :

فَدُم لأبي المنصور يا مُلْكُ سالما فليست عليك الدائرات تدور

لأنـك بالمُـلْك العـزيزِ ممَتَّعٌ وأن له يعقـوب فيـك وزير

(يريد يعقوب بن يوسف بن كِلّس وزيره) . (ديوانه ص ١٤٤)

● وقال مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) يمدح عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب :

أضحى وزيرُ الدينِ ذا مَغْرَمِ وزارةُ الدنيـا وتعـذيـبُ

(ديوانه ١١٨/١)

● وقال يمدح الوزير شرف الدين أبا سعد :

وزير مُلْكٍ خلت في عدل سيرته صحيفة المُلْك من إثم وأوزار

(ديوانه ٥٣/٢)

ولم يختلف حديث الشعراء عن الوزراء مدحًا أو قدحًا في عهد المماليك .

● قال سِبْط بن التعاويذي (ت ٥٨٣هـ) :

وزير أبى الدنيا بعين مُجَرِّبٍ يرى أن كسب الحمدِ أَجْدَى وأعود

(ديوانه ١١٨ هـ)

● وقال ابن زمرك (ت ٧٩٥هـ) :

هذا وزير الغربِ عبد آبقٌ　　　لم يُلْف غيرَك في الشدائد من وَزَر

(ديوانه ص ٦٧)

● وقال عبد الكريم البسطي (ت ٨٩٧هـ) :

وزيرٌ أميرٌ شدَّ بالمُلْك أزره　　　وحاجِبُ سلطان له الحُجْب يَجْنَحُ

ولم أجد فيما رجعت إليه من دواوين الشعراء في العصر العثماني ما يخرج عما مثلنا به من شواهد في العصور السابقة .

في العصر الحديث :

تتردد كثيرًا كلمة وزير ووزارة بين شعراء هذا العصر في المدح والهجاء في المناسبات السياسية والاجتماعية ، ومن ذلك :

● قال محمود قابادو (ت ١٨٧١م) :

حتى ترى أحفادهم ما منهمُ　　　إلا بدستِ وزارة دستور

● وقال رفاعة الطهطاوي (ت ١٨٧٣) يذكر الخديو إسماعيل وولده محمد توفيق :

للعدل قد شد الإزار　　　وتوفيقه نعم الوزير

(ديوانه ١٢٥)

● وقال محمود سامي البارودي (ت ١٩٠٤م) :

فكم أميرٍ بحسن الحظ مبتهجٌ　　　وكم وزيرٍ بكأس البشرِ مخمور

(ديوانه ٣٣٤/١)

● وقال أحمد محرم (ت ١٩٤٥) :

وزير الأمنِ مات الناس خوفًا　　　وضَجّت مصر حولك بالشكاية

(ديوانه ص٥٠٢)

● وقال معروف الرصافي (ت ١٩٤٥م) :

وماذا عسى يُجْدِي سقوط وزارة　　　إذا لم تقم أخرى على العدل والصدق

(ديوانه ص ٣٩٨)

الوزير والوزارة في التاريخ العربي :

في العصر الجاهلي :

النظام الملكي عند العرب :

عرف الغساسنة والمناذرة نوعًا من النظام الملكي متأثرين بنظام الفرس والروم ، ويظهر أن ملوك الحيرة كانوا يستوزرون الوزراء يستشيرونهم في الأمور ، بل إن بعض الدارسين يرى أن كلمة (وزير) كلمة فارسية قديمة Vichir بمعنى صاحب الرأي الحاسم .

(وانظر معجم الدولة العثمانية ، حسين مجيب المصري)

وفي العمدة أن (زُرارة بن عدس) كان من عمرو بن هند (حكم من ٥٦٣ – ٥٧٨ ق . م) كالوزير له .

(العمدة لابن رشيق ٢/٢١٦)

ومن الوظائف التي عرفت بين ملوك الحيرة وظيفة (الرِّدافة) ، وهي أسمى وظائف حكومتهم ، وقيل : الرِّدف هو الذي يجلس على يمين الملك ، فإذا شرب الملك شرب (الردف) قبل الناس .. وإذا غزا الملك قعد الردف في موضعه ، وكان خليفته على الناس حتى ينصرف .. ويقال : إن أرداف الملوك بمنزلة الوزراء في الإسلام ، والردافة كالوزراء .

ثمار القلوب ، للثعالبي (ص١٨٤) ، ولسان العرب ، لابن منظور (ردف)

وكانت الرِّدافة في الجاهلية لبني يربوع ؛ لأنه لم يكن في العرب أحد أكثر إغارة على ملوك الحيرة منهم ، فصالحوهم على أن جعلوا لهم الرِّدافة ، ويكفُّوا عن أهل العراق الغارة .

- قال جرير وهو من بني يربوع :

رَبعنا وأردفنا الملوك فظَلَّلوا   وِطابَ الأحاليبِ الثُّمامَ المُنَزَّعا

(ربعنا : أخذنا ربع الغنيمة ، وِطاب : جمع وطب اللبن)

لسان العرب (ردف)

- وقال لبيد (ت٤١هـ) :

وشَهِدْتُ أَنْجِيَةَ الأُفاقةِ عاليًا   كَعْبِي وأردافُ الملوك شهودُ

(الأُفاقة : موضع بالحيرة ، أَنْجِية واحده نَجِيٌّ ، والنَّجِيُّ القوم المجتمعون للمناجاة) .

(شرح ديوان لبيد ، ص ٣٥)

في العصر الإسلامي :

كان النبي ﷺ يشاور أصحابه ويفاوضهم في مهماته العامة والخاصة ، ويخص مع ذلك أبا بكر بخصوصيات أخرى حتى كان العرب الذين عرفوا الدول وأحوالها في كسرى وقيصر والنجاشي يسمون أبا بكر وزيره ، ولم يكن لفظ (الوزير) يعرف بين المسلمين لذهاب رتبة الملك بسذاجة الإسلام ، وكذا عمر مع أبي بكر ، وعلي وعثمان مع عمر » .

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٧)

وفي القرآن الكريم : ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝ هَٰرُونَ أَخِي ۝ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي ﴾ [طه: ٢٩ - ٣٢] .

وفي تفسير الزمخشري : « الوزير من الوِزْر ؛ لأنه يتحمل عن الملك أوزاره ومؤنه . أو من الوَزَر ؛ لأن الملك يعتصم برأيه ، ويُلْجئ إليه أموره ، أو من المؤازرة وهي المعاونة ... والأَزْر القوة وأَزَره : قوّاه ، أي أجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك وذكرك .. » .

(تفسير الكشاف للزمخشري ص ٤٣٢)

وخالفه ابن حيان فيما ذكره في ﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ [طه: ٣١] فقال : ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴾ : يريد التدبير والمساعدة لا المشاركة في النبوة .

(تفسير البحر المحيط ٢٣٩/٦ ، ٢٤٠)

وروي عن النبي ﷺ أحاديث يذكر فيها لفظ (الوزير) .

« إذا أراد الله جل جلاله بملك خيرًا قيّض له وزيرًا صالحاً ؛ إن نسي ذكّره ، وإن نوى خيرًا أعانه ، وإن أراد شرًا كفّه » .

(سنن النّسائي ١٥٩/٧)

« ما من نبي إلا له وزيران من أهل السماء ، ووزيران من أهل الأرض .. فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل ، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبو بكر وعمر » .

(سنن الترمذي ٢٧٢/٩)

وبعد وفاة النبي ﷺ اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ، وتكلموا في الإمارة .

وتكلم أبو بكر فقال : ... نحن الأمراء وأنتم الوزراء ، فقال حبابُ بن المنذر :

لا ، واللهِ لا نفعل ، منا أمير ومنكم أمير ، فقال أبو بكر : لا ، ولكنا الأمراء وأنتم الوزراء .

(صحيح البخاري ، باب فضائل أصحاب النبي ٨/٥)

وقريب منه ما جاء في (تاريخ الطبري) وفيه : وقال أبو بكر .. فنحن الأمراء وأنتم الوزراء ، لا تُفتاتون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور » .

(لا تفتاتون : لا يُفْعل الأمرُ دون مشورتكم) . (تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢٢٠/٣)

ولما اتسعت الفتوح الإسلامية ، وضَمَّت بلادًا لها تراثها ونظمها الإدارية ، وأخذت الأموال تتدفق على المدينة اقتضت هذه الحالة تدوين الدواوين على مثال دواوين الفرس والروم ، وكان عمر أول من دوَّن الدواوين فوجد ديوانًا للجند وآخر للخراج ... وكان يقوم بكل ديوان كاتب أو عامل عمله أقرب ما يكون إلى عمل الوزير . ومع انتشار كلمة الكاتب فإن كلمة (الوزير) كانت مستخدمة أيضا .

يقول الجهشياري : ولما رفع ضبة بن مُحْصَن الغَنَري والمتظلمون على أبي موسى ظلاماتهم إلى عمر وشكوه قالوا : وزيره له غلام ختَّار (غدَّار) .

(كتاب الوزراء والكتاب ص ١٨)

ولما استفحل الملك في عهد بني أمية : ظهر المشاور والمعين في أمور القبائل والعصائب واستئلافهم ، وأطلق عليه اسم (الوزير) وكانت الوزارة في عهدهم أرفع رتبهم ، وكان النظر للوزير عامًا في أحوال التدبير والمفاوضات وسائر أمور الحمايات والمطالبات وما يتبعها من النظر في ديوان الجند وفرض العطاء وغير ذلك .

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٨)

« يقول الجهشياري : إن عبد الحميد كان من أشأم كاتب على وجه الأرض ؛ لأنه لما تقلد وزارة مروان لم يقتصر شؤمه على إتلافه فقط حتى أزال دولة بني مروان جملة » .

(كتاب الوزراء والكتاب ص ٨٣)

« والوزارة لم تتمهد قواعدها وتتقرر قوانينها إلا في دولة بني العباس فأما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ، ولا مقررة القوانين ، بل كان لكل واحد من الملوك أتباع وحاشية ، فإذا حدث أمرًا استشار بذوي الحِجَى والآراء الصائبة ، فكل منهم يجري مجرى وزير ، فلما ملك بنو العباس تقررت قوانين الوزارة ، وسمي الوزير وزيرًا ، وكان قبل يُسمى كاتبًا أو مشيرًا » .

(الفخري في الآداب السلطانية لابن طباطبا ص ١٣٦)

في العصر العباسي :

« ولما جاءت دولة العباس ، واستفحل الملك ، وعظمت مراتبه وارتفعت ، عظم شأن الوزير ، وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد . وكان يتولى ديوان المحاسبات وشؤون الجند ، والنظر في القلم والمراسلات لصون أسرار السلطان ... إلخ ، فصار اسم الوزير جامعًا لخطتي السيف والقلم وسائر معاني الوزارة والمعاونة ، حتى لقد دُعي جعفر بن يحيى بالسلطان أيام الرشيد إشارة إلى عموم نظره وقيامه بالدولة » .

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٣٨)

ذكر القضاعي وغيره أن أول من لقب بالوزارة في الإسلام أبو سلمة حفص بن سليمان الخلَّال ، وزير أبي العباس السفَّاح أول خلفاء بني العباس ، ولم يكن ذلك قبله ، ثم جرى الأمر على ذلك في اتخاذ الخلفاءِ الوزراء إلى انقراض الخلافة ببغداد بقتل التتار المستعصم في سنة ست وخمسين وستمائة » .

(صبح الأعشى للقلقشندي ٢٧٣/٣)

وكان إبراهيم الإمام يكتب إلى الدعاة بخراسان ، ومنهم أبو سلمة فنهض بالأمر ... ثم ظهر بالكوفة وسَلَّم الناسُ إليه الرئاسة وسموه (وزير آل محمد) ودبر الأمور ، وأظهر الإمامة الهاشمية ، ولم يسم الخليفة . وكذلك كان يسميه أبو مسلم . ولما مات إبراهيم الإمام لقي أبو سلمة رجالًا من شيعة عليٍّ – رضوان اللَّه عليه – فناظرهم على نقل الأمر إلى ولد علي ، وكتب إلى ثلاثة نفر ليعقد الأمر لأحدهم ، ولما علم السفاح بما انتواه أبو سلمة تلطف له ، وكتب إلى أبي مسلم يعلمه بما عزم عليه أبو سلمة ... ولما قرأ الكتاب فطن لغرض السفاح فأرسل قومًا من أهل خراسان فقتلوه .

(كتاب الوزراء والكتاب للجهشياري (ص٨٣ – ٨٨) . الفخري لابن طباطبا ، ص ١٣٨)

يقول الطبري : ولما قُتل أبو سلمة الخلال (١٣٢هـ) ، وهو أول وزير لبني العباس قال فيه سليمان بن مهاجر البجلي :

إن الوزيرَ وزيرُ آل محمد   أَوْدَى فمن يَشْناك كان وزيرا

(تاريخ الرسل والملوك للطبري ٤٥٠/٧)

وكان خالد بن برمك من رجال الدولة العباسية ، استوزره السفاح ... وكان يعمل عمل الوزراء ، ولا يسمى وزيرًا تطيرًا مما جرى لأبي سلمة ، ولما تولى أبو جعفر

المنصور أقره على وزارته ثم وزر له أبو أيوب المورياني .. بيد أنه لم يسلم من غدر المنصور فنكبه وقتله ١٥٣هـ . وفي ذلك يقول حبيبات الشاعر الكوفي :

شرب الكأسَ بعد حفص سليمـــ ـــان ودارت عليه كف المدير

ثم وزر للمنصور الفضل بن الربيع .. ولم يزل وزيرًا له إلى أن مات المنصور (ت ١٥٨هـ) وقد قام الفضل بأخذ البيعة للمهدي وقتله الهادي (١٧٠هـ) .

وفي خلافة المهدي ظهرت أبهة الوزارة بسبب كفاءة وزيره أبي عُبيد الله معاوية ابن يسار ، فإنه جمع له حاصل المملكة ورتب الديوان ، وقرر القواعد ، وكان كاتب الدنيا وأوحد الناس حذقًا وعلمًا وخبرة ، وقد مات أبو عبيد الله سنة (١٧٠هـ) .

(الفخري ، لابن طباطبا ، ص ١٦٣)

ولما جلس الرشيد على سرير الملك استوزر يحيى بن خالد بن برمك وكان كاتبه ونائبه ووزيره قبل الخلافة ، فنهض يحيى بأعباء الدولة أتم نهوض ، وسد الثغور ، وتدارك الخلل ، وجبى الأموال وعمَّر الأطراف ، وأظهر رونق الخلافة وتصدى لمهمات المملكة .

(الفخري ، لابن طباطبا ، ص ١٧٩)

« وقد نكب الرشيد البرامكة ، وقيل في ذلك كلام طويل ، لعل أهمه أن أعداءهم مثل الفضل بن الربيع ما زالوا يسعون بهم إلى الرشيد ويذكرون له استبدادهم بالملك واحتجانهم الأموال حتى أوغروا صدره فأوقع بهم » .

(الفخري ، لابن طباطبا ، ص ١٩١)

« وفي عهد المأمون بلغت الوزارة مبلغًا بعيدًا في العظمة ، وكان وزيره الفضل بن سهل يؤمَّر مع الوزارة ، وهو أول وزير أُمِّر ، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير . ولقبه المأمون (ذا الرئاستين) ومعنى ذلك رياسة الحرب ورياسة التدبير » .

(كتاب الوزراء والكتاب ، للجهشياري ، ص ٣٠٥ ، ٣٠٦)

« ثم لما جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان ... انقسمت الوزارة حينئذ إلى وزارة تنفيذ ، وهي حال ما يكون السلطان قائمًا بنفسه وإلى وزارة تفويض ، وهي حال ما يكون الوزير مُسْتَبِدًّا عليه ، واستمر الاستبداد ، وصار الأمر للملوك العجم وتعطل رسم الخلافة ، ولم يكن لأولئك المتغلبين أن ينتحلوا ألقاب الخلافة ، فتسموا بالإمارة والسلطان ... وتركوا اسم الوزارة إلى من يتولاها للخليفة

في خاصته .. ولم يزل الشأن عندهم إلى آخر دولتهم » .

(مقدمة ابن خلدون ص٦٧٣ ، وانظر الأحكام السلطانية ، للماوردي ص ٢٦)

الوزارة في عهد بني بويه :

وفي أيام الراضي (ت ٣٢٩ هـ) ضعف أمر الخلافة العباسية ، وكانت فارس في يد علي بن بويه ، وأصفهان والجبل في يد أخيه الحسن بن بويه ، والموصل وديار بكر وديار ربيعة ومضر في أيدي بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج ثم في أيدي الفاطميين . والأندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الأموي (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) وخراسان والبلاد الشرقية في يد نصر بن محمد الساماني .

(الفخري ص ٢٥٣)

يقول المسعودي : وغلب على الأمر ابن بويه الديلمي ، والمطيع في يده لا أمر له ولا نهي ، ولا خلافة تعرف ولا وزارة تذكر ، وقد كان جعفر بن يحيي بن شيرزاد يدبر الأمر بحضرة الديلمي قيمًا بأمر الوزارة برسم الكتابة ولم يخاطب بالوزارة .

(مروج الذهب للمسعودي ٢٥٩/٥)

ويقول ابن طباطبا : استولت دولة بني بويه على الخلافة (٣٣٤هـ) فعزلت الخلفاء ودولتهم ، واستوزرت الوزراء وصرفتهم ، وانقادت لأحكامهم أمور بلاد العجم وأمور العراق ، وأطاعتهم رجال الدولة باتفاق .

وكان عماد الدولة أول ملوكهم ثم ملك منهم واحد وراء واحد حتى انقضت دولتهم ، وفي أيام عز الدولة بن جلال الدولة ، أفضت الحرب بينه وبين (كاليجار) إلى هزيمة هرب في إثرها وأقام بشيراز ومات ٤٤١هـ وعليه انقرض ملكهم .

(الفخري لابن طباطبا ص ٢٥٢)

وكان يطلق على كل أمير من أمراء بني بويه (أمير الأمراء) .

يقول القلقشندي : « وتلقب بالسلطان ملوك بني بويه فمن بعدهم من الملوك السلاجقة وغيرهم وهلم جرًّا إلى زماننا » .

(صبح الأعشى ٤٤٩/٥)

ومن وزرائهم خارج بغداد ركن الدولة ابن العميد (ذو الكفايتين ، ومؤيد الدولة والصاحب بن عباد) .

الوزارة في الدولة الطولونية والإخشيدية :

وعندما استقل أحمد بن طولون بحكم مصر في إطار الخلافة العباسية ، وأصبح المتصرف في شؤون البلاد ، وضم إليه برقة والشام ، كان يشرف على أعمال الدولة بنفسه ، ويستطلع أحوال الرعية ، ولم يتخذ وزيرًا ، بل استعان بكاتبه أحمد بن محمد الواسطي الذي كان يعمل عمل الوزراء وإن لم يتلقب بألقابهم .

وفي عهد خمارويه بن أحمد بن طولون علا شأن علي بن أحمد المادرائي حتى صار إليه النظر في جميع أمور مصر ، وربما اتخذ لقب الوزير .

وعندما تقلد الإخشيد أمور مصر استوزر أبا محمد المادرائي ٣٢٨ هـ وجعل له التدبير في مصر والشام والرملة ، واستعان به أيضًا كافور ٣٣٦ هـ واستخدمه فترة .

ولعل أشهر وزير في مصر قبل الفتح الفاطمي هو أبو الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات الذي ظل وزيرًا حتى فتح جوهر الصقلي مصر .. وقد أخلص جعفر للإخشيد وعاونه ، كما خدم خلفاءه من بعده حتى أصبح وزيرًا له لا وزيرًا للخليفة .

(الوزارة والوزراء في العهد الفاطمي ، محمد حمدي المناوي ص ٢٣ – ٢٥)

الوزارة في عهد الفاطميين :

يقول القلقشندي في موضوع الوزارة عند الفاطميين : وهي أرفع وظائفهم وأعلاها رتبة ، واعلم أن الوزارة في الدولة الفاطمية كانت تارة تكون في أرباب السيوف ، وتارة في أرباب الأقلام . وفي كلا الجانبين تارة تعلو فتكون وزارة تفويض تضاهي السلطنة الآن أو قريبًا منها ، ويعبر عنها حينئذ بالوزارة ، وتارة تنحط فتكون دون ذلك ، ويعبر عنها حينئذ بالوساطة . وأول من خوطب بالوزارة منهم يعقوب ابن كِلس وزير العزيز . ولقبه بالوزير الأجل ٣٦٧ هـ ، وهو من أرباب الأقلام وعلي ابن فلاح وكان يدعى وزير الوزراء . وأول وزرائهم من عظماء أرباب السيوف بدر الدين الجمالي وزير المستنصر وآخرهم صلاح الدين يوسف بن أيوب .

(صبح الأعشى ٤٧٨/٣)

وربما ولي الوساطة بعض النصارى كعيسى بن نسطورس في أيام العزيز وفي أيام الحاكم .

(اتعاظ الحنفا ، للمقريزي ٦/٢ ، ٩٣)

الوزارة في عهد الأمويين بالأندلس :

« تولى عبد الرحمن الداخل ، صقر قريش ، من أمراء بني أمية أمر بلاد الأندلس عام ١٣٨هـ وتوالى بعده في إمارتها هشام الأول (١٧٢هـ) فالحكم الأول (١٨٠هـ) إلى أن تولاها عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠هـ) ، وأول من تسمى بأمير المؤمنين ، عندما التاث أمر الخلافة بالمشرق واستبد موالي الترك على بني العباس وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبعة عشر وثلاثمائة فتلقب بألقاب الخلافة » .

(نفح الطيب ، للمقري ٣٥٣/١)

وفي خلافة بني أمية بالأندلس استعمل الناس لفظ (الحاجب) وربما أطلقوه على من قام مقام الخليفة في الأمر .

يقول ابن خلدون : وأما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ، ثم قسموا خطته أصنافًا وأفردوا لكل صنف وزيرًا ، فجعلوا لحسبان المال وزيرًا ، وللترسيل وزيرًا ، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيرًا ، وللنظر في أحوال أهل الثغور وزيرًا ، وجُعل لهم بيتٌ يجلسون فيه على فرش منضدة لهم ، وينفذون أمر السلطان هناك ، كل فيما جعل له ، وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم ارتفع عنهم بمباشرة السلطان في كل وقت ، فارتفع مجلسه عن مجالسهم وخصوه باسم الحاجب ، ولم يزل الشأن هذا إلى آخر دولتهم ، فارتفعت خطة الحاجب ومرتبته على سائر الرتب حتى صار ملوك الطوائف ينتحلون لقبها ، فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب .

(مقدمة ابن خلدون ص ٦٤٠)

« وكان الناصر لدين الله (خ ٣٠٠ - ٣٥٠ هـ) قد استحجب عبد الملك بن شهيد ، وأهدى إليه ابن شهيد هديته المشهورة المتعددة الأصناف ... وزاد الناصر وزيره هذا حظوة واختصاصًا ، وأسمى منزلته على سائر الوزراء جميعًا ... وسماه ذا الوزارتين ... وهو أول من تسمى بذلك بالأندلس » .

(نفح الطيب ، للمقري ٣٥٦/١)

وكان الحكم الثاني المستنصر بالله (تولى ٣٥٠ هـ) قد استوزر له محمد بن أبي عامر ، ونقله إلى وزارته ، وفوض إليه أموره فاستقل . ولما توفي الحكم بويع لهشام ابنه ، ولقب المؤيد (تولى ٣٦٦ هـ) عظم أمر ابن أبي عامر وغلب على المؤيد ومنع

الوزراء من الوصول إليه إلا نادرًا ... ولما تم له الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر قعد على سرير الملك .. وتسمى بالحاجب المنصور ، ومحا رسم الخلافة بالجملة ، ولم يبق لهشام المؤيد من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء على المنابر ، وكتب اسمه على السكة والطرز .

وهلك المنصور أعظم ، ما كان ملكًا وأشد استيلاءً سنة أربع وتسعين وثلاثمائة ، وكان يطلق عليه الملك الأعظم ، ولما توفي المنصور خلفه بعده ابنه عبد الملك المظفر أبو مروان فجرى على سنن أبيه في السياسة والغزو ، ومات سنة ٣٩٩هـ فخلفه أخوه عبد الرحمن وتلقب بالناصر لدين الله ، وجرى على سنن أخيه وأبيه في الحجر على الخليفة المؤيد والاستبداد عليه ... بل إنه طلب إلى هشام المؤيد أن يوليه عهده فأجابه إلى غرضه .. وقد نقم عليه أهل الدولة ذلك .. وكان في ذلك حتفه وانقراض دولته .. وفي غيبته بايعوا محمد بن هشام أمير المؤمنين .. وعاد عبد الرحمن الحاجب بن المنصور ، فقبض عليه واحتزت رأسه ، وحملت إلى المهدي .

(نفح الطيب ، للمقري ١/٣٩٠-٤٢٦)

وانقطعت الدولة الأموية من الأرض .. وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف .. واستقل أخيرًا بأمرها منهم ملوك استفحل أمرهم وعظم شأنهم ... ومن أشهرهم بنو عباد ملوك أشبيلية وغرب الأندلس الذين منهم المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ) الشهير الذكر ، ومنهم بنو جهور كانوا بقرطبة في صورة الوزارة حتى استولى عليهم المعتمد بن عباد .

(نفح الطيب ، للمقري ١/٤٣٨)

الوزارة في عصر المماليك :

« ثم جاءت دولة الترك أخيرًا بمصر ، فرأوا أن الوزارة قد ابتذلت بترفع أولئك عنها ودفعها لمن يقوم بها للخليفة المحجور ، ونظره مع متعقَّب بنظر الأمير ، وصارت الوزارة مرؤوسة ناقصة ... وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يسمى عندهم بالنائب لهذا العهد ، واختص اسم الوزير عندهم بالنظر في الجباية » .

(المقدمة ، لابن خلدون ٢/٦٤٣)

« وفي نظام الحكم في الدولة الأيوبية يقول القلقشندي : واعلم أن الدولة الأيوبية لما طرأت على الدولة الفاطمية وخلفتها في الديار المصرية خالفتها في كثير من ترتيب

المملكة ، وغيرت غالبًا معالمها ، وجرت على ما جرت عليه الدولة الأتابكية ، عماد الدين زنكي بالموصل ، ثم ولده الملك العادل نور الدين محمود ومن معه » .

(صبح الأعشى ٤/٥)

« وفي هذه الدولة أصبح النائب يقوم بوظيفة الوزير ... ويحكم ما يحكم فيه السلطان ... وهذه رتبة لا يخفى ما فيها من التميز .. وهو يتولى أمور التقاليد والتواقيع والمناشير ، ومراجعة نواب المماليك .. بل وتعيين أرباب الوظائف الجليلة ، مثل الوزارة وكتابة السر ... إلخ ، وهو - كما يقول القلقشندي - سلطان مختصر بل هو السلطان الثاني » .

(صبح الأعشى للقلقشندي ٤/١٦ ، ١٧)

« ويرى ابن فضل الله العمري أن الوزارة لما حدثت عليها النيابة تأخرت وقعد بها مكانها حتى صار المتحدث فيها كناظر المال ... » .

(صبح الأعشى للقلقشندي ٤/٢٨)

وفي عهد السلطان محمد بن قلاوون ألغي منصب الوزارة ، ووزع مهماتها إلى ناظر المال ، وشادّ الدواوين ، وناظر الخاص ، وكاتب السر .. ثم ما لبثت الوزارة أن عادت إلى ما كانت عليه من الاقتصار على التحدث في المال ..

(صبح الأعشى ، للقلقشندي ، ٤/٢٩)

بيد أن الإمام أبا شامة المؤرخ يشير إلى وظيفة محدثة غير ما سبق وهي الأستدارية .. والتي قد يتولاها الوزير أو تستقل عنه .

(بدائع الزهور لابن إياس ٢/٤١٥)

وقد يجمع الشخص الواحد بين الوزارة وغيرها من المهام مثل نظر الخاص ... أو كتابة السر . والأستدارية ... إلخ .

(بدائع الزهور ، لابن إياس ١٧٥ ، ٢/٥٨ ، ٢/٤١٢)

وقد انحط قدر الوزارة جدًا ، وتبهدل هذا المنصب إلى الغاية - كما يقول ابن إياس - بتقرير محمد البباي في سنة ٨٦٨ هـ .

« وكان البباي أصله طباخًا ... وكان أميًا لا يقرأ ولا يكتب ، وفي كلامه غرثلة وعنده عترسة ، فلما رآه السلطان سدًادًا قرره في نظر الدولة ، ثم قرره في الوزارة » .

وقال فيه بعض الشعراء :

قالوا الباي قد وَزَر فقلت كلا لا وزر
الدهر كالدولاب لا يدور إلا بالبقر

وكان ظالمًا غشومًا ... واستمر في ظلمه وعسفه حتى أغرقه الله عند خليج الزربية سنة ٨٧٠ هـ .. وكانت وزارته من غلطات الزمان » .

(بدائع الزهور ، لابن إياس ٤١٥/٢ ، ٤١٦)

أما وظيفة (الاستدار) فكانت الإشراف على الواردات الخاصة بالسلطان المملوكي ، ويشرف على كل من بالقصر من خدم ... إلخ .

وقد زادت أهمية هذه الوظيفة في حكم الظاهر برقوق عندما عين الأمير جمال الدين محمود استادارًا فقد فوض إليه النظر في أمور الدولة المالية ، فكان اختصاصه كاختصاص الوزير وناظر الخاص جميعًا .

(تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل ، د . أحمد السعيد)

الوزارة في العصر العثماني :

وفي عام ٩٢٢هـ - ١٥١٧م هزم العثمانيون المماليك في الريدانية في شمال القاهرة ، وأعدم السلطان طومان باي بطريقة بشعة ، وتعقب العثمانيون المماليك بالذبح والمصادرة ، بيد أنهم في نهاية الأمر رأوا أن يبقوا عليهم .. فأصدر السلطان سليم عفوًا عنهم ، وولي حكم مصر خاير بك الذي كان نائب حلب ومنح رتبة (بكلربكي) ملك الأمراء ، وبقي كذلك حتى وفاته ٩٢٨هـ .

أما آخر الخلفاء العباسيين بمصر المتوكل بن المستمسك يعقوب فقد أجبر على الذهاب إلى إسطنبول ، وبذلك طويت صفحة الخلافة العباسية بمصر ، وطويت معها صفحة الدور الذي كانت تقوم به مصر مركزًا للعالم الإسلامي ، وأصبحت مصر متبوعة للسلطان العثماني .

(وانظر : بدائع الزهور ، لابن إياس ١٨٥/٥ ، ٢٩٢ ، ٢٢٩ ، ٢٠٧/١٧٦)

وخلف خاير بك في حكم مصر مصطفى باشا عديل السلطان سليمان وفي عام ٩٢٨هـ - ١٥٢٥م جاء إلى مصر إبراهيم باشا الصدر الأعظم الشهير في حكومة سليمان واستعاد السلطة العثمانية من بعض الباشاوات المتمردين ... وفي

أثناء إقامته أصدر (قانوني نامة) لتقنين نظام الحكم في مصر ، وظلت هذه القوانين سارية مدة ثلاثة قرون .

وكانت قمة الإدارة منصب الوالي أو الباشا والذي كان يشار إليه في بداية حكم العثمانيين بملك الأمراء ، وكان يعاونه (ديوان) وضع على غرار الديوان العالي بإسطنبول ، وهو نائب السلطان في حكم البلاد وكانت مدة ولايته في الغالب سنة ما لم يصدر فرمان بتجديدها .

أما كلمة الوزير فتشير في الدولة العثمانية إلى أعلى موظف فيها رتبةً ، وله الكفاءة الإدارية والعسكرية ، وكان للدولة العثمانية في أول نشأتها وزير واحد . وفي عهد السلطان مراد الثاني (تملك عام ١٤٢١م) منح رتبة الوزير (شاهين باشا ... إلخ) ثم تلقب بالوزير الأعظم ، ووجد في الديوان السلطاني سبعة وزراء إضافة إلى (الصدر الأعظم) ، وفي عهد السلطان سليمان القانوني عين بعض ولاة الولايات وزراء (جوبان باشا) في مصر .

(معجم الدولة العثمانية « وزير » للدكتور حسين مجيب المصري)

ويرادف كلمة (وزير) (ناظر) في كثير من الأوقات ، واعتبارًا من عهد السلطان محمود الثاني أطلقت هذه الكلمة على من يتولى الوزارة وعبارة (الصدر الأعظم) تعني رئيس الحكومة في الدولة العثمانية ، وله الجدارة في إدارة شؤون الدولة والوكالة عن السلطان في أثناء شغله وظيفة وزير ، والصدر الأعظم هو من يتلو السلطان في منزلته وحيثيته ، ويدون ما يصدر السلطان من قرارات ، وله رئاسة الديوان السلطاني إلى جانب رئاسته للوزراء .

(معجم الدولة العثمانية ، للدكتور حسين مجيب المصري)

ومع تكرار تمرد الجنود في مصر بدأت سلطة الباشا تضعف .. وفي أثناء القرن السابع عشر انتقلت السلطة الفعلية من الباشوات العثمانية إلى الأمراء (البكوات) المماليك ، وفي أوائل القرن الثامن عشر عظم نفوذ البكوات المماليك ، وصار لرئيسهم الذي يختارونه زعيمًا لهم ويلقبونه (شيخ البلد) - النفوذُ الذي لا يعُارض ... وعبث المماليك بالولاة ، وكانوا يعزلون من لا يرضون عنه . ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك علي بك الكبير (ت ١٧٧٣م) الذي كاد يستقل بمصر ، بيد أن محاولته فشلت ، وخلفه في مشيخة البلد محمد بك أبو الدهب (ت١٧٧٥م) .

وقد كان لفظ (الوزير) مستعملًا في المغرب ، وقد كتب محمد بن عبد الوهاب الغساني (ت ١١١٩هـ) ، وقد كان آنذاك سفيرًا لمولاي إسماعيل وسفيره إلى ملك إسبانيا كارلس الثاني ملك إسبانيا كتابًا أسماه (رحلة الوزير في افتكاك الأسير) عن سفارته إلى إسبانيا لمفاداة الأسرى المسلمين بها (١٦٩٠م ، ١٦٩١م) .

(رحلة الوزير في افتكاك الأسير ، تحقيق ألفرد البستاني)

استمر إطلاق كلمة الوزير على الولاة الذين كانت ترسلهم الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر ، ومن أمثلة ذلك :

- وتولى الوزير المكرم علي باشا حكيم ... ولايته الثانية ١٧٥٥م ، وكانت ولايته الأولى ١٧٤٠م .
- وفي ١٧٧٣م وصل الوزير خليل باشا والي مصر .

(تاريخ الجبرتي ، ٣١٩/١ ، ٢٥٩ ، ٥٩١/٢)

الوزارة في العصر الحديث :

وفي بداية سيطرة محمد علي باشا على ولاية مصر ، وفي عام ١٨٠٦م وصل إلى مصر مبعوث عثماني بخروجه من مصر وبتوجهه لتوليه ولاية سلانيك ، يقول الجبرتي : وقد اجتمع المشايخ عند عمر مكرم وكتبوا عريضة ينادون بالإبقاء على الصدر الأعظم محمد علي باشا ، ويذكرون فيها أن العداوة تطاولت بين الوزير محمد علي باشا والأمراء المصريين .

(تاريخ الجبرتي ٢٠/٨)

ويذكر الجبرتي في أحداث ١٨١٦ م : ومات المقر المخدوم أحمد باشا الشهير بطوسون ابن حضرة الوزير محمد علي باشا ، مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور وما أضيف إليها .

(تاريخ الجبرتي ٤١٠/٨)

واستهل المحرم يوم الاثنين ووالي مصر وحاكمها الوزير محمد علي باشا ... ووزيره لاظ المعروف بكتخدا بك ، وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره .

(تاريخ الجبرتي ٤٤٤/٨)

وقد كانت عبارة (الوزير الأعظم) أو (الوزير) شائعة في خطاب الباشا محمد علي ، فالطهطاوي في مقدمة رحلته (تخليص الإبريز) يقول : وأتوسل إلى الحضرة

العلية ... الوزير الأعظم ... الحاج محمد علي باشا » .

(تخليص الإبريز ص ٣٩)

« تتردد كلمة (وزير) في حديث رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز) عن : تدبير الدولة الفرنسية ، وقد اختار الكلمة في مقابل الكلمة الفرنسية Ministre يقول : وأما الوزراء فمنهم وزير الأمور الداخلية ثم وزير الحرب ... إلخ .

ثم يقارن النظام الفرنسي بالمعمول به في مصر ويقول : ووزير الأمور الداخلية نظير الكتخدا بير مصر ووزير الخزينة نظير الخازندار ... إلخ » .

(تخليص الإبريز ، للطهطاوي ص ٢٢٨)

ويترجم إلياس بقطر في معجمه ١٨٧١م الكلمة الفرنسية ministre بوزير .

ويتحدث خير الدين التونسي ت ١٨٩٠م في كتابه (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) ، والذي صدر أول مرة عام ١٨٦٧م عن مسؤولية الوزراء في فرنسا أمام مجلس الوكلاء (النواب) ويحدد اختصاصاتهم وعلاقاتهم بكل تنظيمات الدول وقد سبق أن تحدث في أول مقدمته عن فكرة الوزارة عند الماوردي وضرورتها في سياسة الدولة .

(انظر ص١٦٣ ، ٢٥٥)

« وفي المغرب وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر كان الجهاز المخزني (أي الحكومي) يتكون فقط من السلطان ومن الصدر الأعظم الذي كان في الوقت نفسه مستشارًا ومنفذًا لأوامر السلطان ... إلخ ، ولم يعرف المغرب وجود وزراء مستقلين بالمهام الموكولة إليهم ، إلا بداية من عهد السلطان محمد بن عبد الرحمن (١٨٥٩- ١٨٧٣) ويكتب الصفّار (ت١٨٨١م) كاتب السفير المغربي عبد القادر أشعاس ومصاحبه في رحلته إلى باريس ١٨٤٥م عن نظام الحكم في باريس - كما فعل الطهطاوي من قبله - إن السلطان وحده لا يستقل بأمور الرعية كلها ... واتخذوا عدة أناس سموهم وزراء ، وكلفوا كل واحد بأمر خاص وجعلوا نظره قاصرًا عليه وهم تسعة وزراء ، وزير الخزانة والأمور الخارجية والأمور الداخلية » .

(رحلة الصفار ، تحقيق سوزان ميلار ، ص ٢١٦ . ومظاهر يقظة المغرب الحديث ، محمد المنوني ، ص ٣٠ - ٩٢)

« وحين استقر الوضع في مصر لمحمد علي واستقل بحكمها أصدر عديدًا من القوانين

الأساسية تحيط بنظام الحكومة واختصاصات كل مصلحة من مصالحها . ولعل من أهمها القانون الذي ينظم مجلس الشورى الذي ألفه محمد علي ١٨٢٩م » .

(عصر محمد على ، للرافعي ص ٥٢١)

بيد أن أهمها هو (قانون السياستنامة) الصادر في يوليه ١٨٣٧م والذي يحدد مسؤولية المستخدمين في المصالح الأميرية ، واختصاصات الدواوين .

(تاريخ الحياة النيابية في مصر في عهد ساكن الجنان محمد علي (٤/٦ ، ٤٤ ، ٧٠)

وفي عهد الخديو إسماعيل صدر أمر عال بتأسيس هيئة النظارة الجديدة ووظائفها في أغسطس ١٨٧٨م إلى دولتلو نوبار باشا وفي خطاب نوبار باشا وردت عبارة رئيس مجلس النظار ثم أسماء النظارات المشكلة للمجلس ؛ وهي : ناظر الخارجية ، ناظر الحقانية ، ناظر الداخلية ، ناظر الجهادية ، ناظر الأوقاف ، وناظر الأشغال العمومية ، وناظر المالية .

(النظارات والوزارات ، فؤاد كرم ص ٧٣ - ٧٧)

وفي هذا الأمر الصادر بالفرنسية مصحوبًا بترجمته ورد :

« Ministres du conse'l وترجمتها (مجلس النظار) و ministre وترجمتها (ناظر) ، وقد استمرت نظارة نوبار حتى فبراير ١٨٧٩م .

وظلت كلمة (الناظر) و (النظارة) مستعملتين في المكاتبات الرسمية حتى عام ١٩١٤م حين صدر الأمر الآتي في عهد السلطان حسين كامل بناءً على ما عرضه رئيس مجلس الوزراء أمرنا .. بتعيين وزراء .. » .

ومنذ هذا التاريخ اختفت (النظارة) و (الناظر) ومجلس النظار لتحل محلها الوزارة والوزير ومجلس الوزراء .

(النظارات والوزارات ص ١٨٩)

* * *

٧ - حاجب وحجابة

الحاجب :

● العظم الذي فوق العين بلحمه وشعره ، وقيل : الشعر النابت على العظم المذكور ؛ لأنه يحجب عن العين شعاع الشمس ، ج : حواجب وحواجيب .

● ومن كل شيء : حرفه .

● الجانب .

● ومن الشمس : قرنها ، وهو ناحية من قرصها حين يبدأ في الطلوع .

● المانع أو الحائل أو الساتر .

● البواب بعامة ، وقد يختص بالملك وغيره من أهل السلطة والثراء ، ج : حَجَبة وحُجَّاب .

● علم لرئيس قبيلة كبرى : حاجب بن زرارة .

● أصبح مثلًا للصراع بين القبائل ، وموضوعًا للفخر والهجاء بين الشعراء .

● من يعمل بوظيفة الحاجب في نظام الحكم .

الحجابة :

● عمل الحاجب بعامة .

● سدانة الكعبة بخاصة

● وظيفة خاصة في نظام الحكم .

الحاجب والحجابة في الشعر العربي :

العصر الجاهلي :

من أقدم ما وصلنا من شعر الجاهليين :

● قال المهلهل بن ربيعة (٩٤ ق . هـ) :

وبكرٌ لها ظهرُ العراقِ وإن تشأْ يَحُل دونها من اليمامة حاجبُ

(ديوانه ص١٠٦)

● وقال عنترة (ت ٢٢ ق . هـ) يذكر عبلة ويشبه حاجبها بالنون وثغرها بزهر الأقحوان :

له حاجبٌ كالنون فوق جفونه وثغرٌ كزهر الأُقحوانِ مُفَلَّجُ

(ديوانه ص ٤٢)

● وقال قيس بن الخطيم (ت ٢ ق . هـ) :

تبدتْ لنا كالشمس تحت غمامةٍ بدا حاجب منها وضنَّت بحاجبِ

(يريد أظهرت جانبًا من وجهها) (ديوانه ص ٣٥)

وقد كثر في شعر الجاهليين حديث الشعراء عن أيام العرب وعن أبطالهم فيها ، وكان لحاجب بن زُرارة قصب السبق فيه ، وكان مَعْرِضًا للفخر من قوم وللهجاء من قوم آخرين :

● قال بشر بن أبي خازم (ت ٢٢ ق . هـ) :

ففضضن جمعَهم وأفلت حاجب تحت العَجاجة في الغبار الأقْتَم

(ديوانه ص ١٨٢)

فمن حاجب هذا ؟

« حاجب بن زرارة بن عدس بن عبد الله بن دارم التميمي ، كانت له مكانة عند النعمان بن المنذر أبي قابوس (٥٨٥ - ٦١٣م) ، وكان النعمان أعظم ملوك المناذرة ، وكان معاصرًا لهرمز الرابع ، وكسرى أبرويز ، وهو صاحب يوم طِخْفة ، وكان بينه وبين بني يربوع ، وسببه أن (ردافة) ملوك الحيرة كانت في بني يربوع لعتّاب بن هَرْمِيّ ، فمات عتاب وابنه عوف صغير ، فقال حاجبه : إنه صبي والرأي أن تجعل الرادفة في غيره ، وكان قد سألها حاجب بن زرارة الدارمي لقومه من دارم ، فطلب النعمان من بني يربوع أن يجيبوا إلى ذلك فامتنعوا ، فبعث إليهم جيشًا كثيفًا فيه ابنه قابوس وقوم من سراة الناس ومن صنائعهم ، وناس من تميم فاقتتلوا ، وانهزم جيش النعمان » .

(معجم البلدان لياقوت (طخفة) والعرب قبل الإسلام ، جرجي زيدان ص ٢٣٦ - ٢٣٩)

وفي طِخفة يقول زيد بن عمر بن قيس بن عتاب :

وهـم ملكوا الأملاك آلَ مُحرِّق وزادوا أبا قابوسَ رُغمًا على رغم

وقادوا بكَرْهٍ من شهابٍ وحاجب رؤوسَ مَعَدٍّ في الأزِمَّة والخُطـم

(المؤتلف والمختلف للآمدي ص ٤٨ ، ومعجم البلدان لياقوت في « طخفة »)

في العصر الإسلامي :

ومما جاء في شعر الشعراء في العصر الإسلامي :

- قال أبو الطمحان القيني (ت ٣٠ هـ) :

له حاجب عن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب

- وقال حسان بن ثابت (ت ٥٤ هـ) يهجو الوليد بن المغيرة :

فما لكَ في الركنين حقُّ حجابةٍ ولا لك في صِهْرِ الرسول نصيبُ

(ديوانه ص ٣٥٢)

وقد استمرت النزعة القبلية ظاهرة في الشعر في عهد بني أمية وكثر التفاخر والتهاجي بزعماء القبائل ، وكان حاجب بن زرارة فارس هذه الأشعار ، ومن ذلك :

- قال عامر بن الطفيل (ت ١١ هـ) :

أسرنا حاجبًا فثوى أسيرًا ولم نترك لأسرته سَواما

(لم نترك لأسرته سوامًا : احتزنا ماله ولم نترك لهم شيئًا) . (ديوانه ص ١١٣)

- وقال لبيد بن ربيعة (ت ٤١هـ) يفخر ببني جعفر :

يرعون منخرقِ اللديد كأنهم في العزِّ حاجب وشهاب

(منخرق اللديد : منعرج السيل ، شهاب قوم من بني يربوع ، وفيهم منعة وعز)
(ديوانه ص ٢٣)

- وقال النابغة الجعدي (ت ٥٠ هـ) :

فإن يكن حاجبٌ ممن فخرتَ بهم فلم يكن حاجبٌ عَمًّا ولا خالا

(كيف يحق لمن هو من بني عامر أن يفاخر بحاجب بن زرارة وهو من تميم ، ديوانه ١٢٦)

• قال مسكين الدارمي (ت ٨٩ هـ) لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت في منافرة ، ويفخر بقومه من تميم :

كفاني حاجب ، كسرى وقومًا ... هم البيض ذوو السبالِ

(ديوانه ص ٨٦)

• وقال الأخطل (ت ٩٠ هـ) يهجو جريرًا :

أتسعى بيربوعٍ لتدرك دارمًا ... وفيمَ ابن ثُفْر الكلب من بيت حاجبِ

(ديوانه ص ٢٨٠)

• وقال :

بنو دارم عند السماء وأنتـــم ... قَذَى الأرض أَبْعد بينما بين ذلكِ

وكان مـــنهم حاجب وابن عمه ... أبو جنـــدل والزيدُ زيدُ المعاركِ

(أَبْعد : أي ما أعظم هذا البعد) . **(ديوانه ٢٧٥)**

• وقال الفرزدق (ت ١١٠ هـ) يفخر بآبائه :

ومنا الذي أحيا الوئيد وغالبٌ ... وعمرٌو ومنا حاجب والأقارعُ

(الوئيد : جد الفرزدق ، وغالب : أبوه ، وعمرو : عمرو بن عدس ، وحاجب : حاجب بن زرارة ، والأقارع : آل الأقرع بن حابس) .

(ديوانه ٤١٨/١)

في العصر العباسي :

ومما ورد من شعر في عهد بني العباس فيما مضى من معانٍ :

• قال بشار (ت ١٦٧ هـ) :

وصاحبٍ ليس يصافي الندي ... يسوس مُلْكًا وله حاجب

(يعني يعقوب بن داود الوزير) . **(ديوانه ٢٢٧/١)**

• وقال يمدح حمدة أم محمد :

غلبتك أم محمد بدلالها ... والملكُ يُمْهَدُ للأعزِّ الغالبِ

واهًا بأم محمدٍ ورسولها ... ورُقادِ قَيِّمها وسكرِ الحاجبِ

(ديوانه ١٦٧/١)

• قال العباس بن الأحنف (ت ١٩٢هـ) :

فَشُحِّي دموعًا هاملاتٍ كأنها لها آمرٌ بالفيضِ من تحت حاجب

(ديوانه ص ٥٥)

• وقال البحتري (ت ٢٨٤هـ) :

لك بالباب حاجب كالح الوجه ساهم
كلما جئت زائرًا قال لي أنت نائم

(ديوانه ص ٢١٣٤)

• وقال يهجو سعد النوشري وكان حاجبًا للوزير صاعد :

يا حاجب الوزراء إنك عندهم سعدُ ولكن أنت سعد الذابح

(سعد الذابح من نحوس الكواكب) . (ديوانه ص ٤٦٢)

• وقال ابن الرومي يهنئ عبد الله بن عبد الله بالمهرجان (ت ٢٨٣هـ) :

وتجلَّى على السرير جبينٌ ذو شعاع يحول دون العِيان

فله منه حاجب قد حماه كل عينٍ ترومه بامتهانِ

(ديوانه ٢٤٩٧/٦)

• وقال يشكو إلى القاسم بن عبيد الله من حجابه :

ومن شيم الحُجَّاب أن قلوبهم قلوبٌ على الأحرار أقسى من الصخر

(ديوانه ٩١٠/٣)

• وقال :

وأمسى المسا والغيمُ للبدر حاجب وإشراق شمسِ الراحِ يُغني عن البدر

(ديوانه ١١٥١/٣)

• ويجمع المتنبي (ت ٣٥٤ هـ) حاجب على حواجيب ويقول :

أفدي ظباءَ فلاةٍ ما عَرفن بها مضغَ الكلامِ ولا صبغَ الحواجيب

(شرح ديوان أبي الطيب للمعري ٤٧/٤)

• وقال مهيار الديلمي (ت ٤٢٨هـ) يعزي أبا الحسين النهرواني عن ابنتين له توفيتا في مدة قريبة .

تراه يصادي حاجب الشمس عنهما لوَ انَّ الردى ما أحرز الشيء هائبُهْ

يحـــوطهما ما اسطاعَ وحف جناحه شعارهما دون التـراب ترائبـــه

(ديوانه ص ٧٤)

● وقال ابن دَرّاج القسطلي (ت ٤٢١ هـ) يمدح يحيى بن المنصور :

إن راق حاجبُها (فيحيى) حاجبٌ ورث الحجابة والرياسة والده

(حاجبها : يعني الشمس ، ويحيى هو الممدوح) .

(ديوانه ٣٥٦)

● وقال في المنصور بن عامر الحاجب :

فحَجَّبَ منه المُلْكَ أكرمُ حاجب وقاد جنود النصر أكرمُ قائد

(ديوانه ص ٥٤٦)

● وقال ناصح الدين الأرجاني (ت ٥٤٤ هـ) :

أَذَمَّتْ لنا سلمى عشية سَلَّمت علينا لتوديع بإيماء حاجب

(ديوانه ص ٤٧)

● وقال المعتمد بن عباد (ت ٤٨٨ هـ) :

أَتُحجب عني والفؤاد يُحبها لقد عز محجوبٌ تمناه حاجب

أروم فؤادي في الغرام لينثني وكيف وما دون الأبيةِ حاجب

● وقال الشريف العقيلي (توفي منتصف القرن الخامس) يذكر الهلال :

أو ما ترى حسن الهلال كأنه لما تبدّى حاجب قد شابا

(ديوانه ص ٥٥)

● وقال سبط بن التعاويذي (ت ٥٥٣هـ) يعاتب فخر الدين محمد بن المختار نقيب مشهد الكوفة :

وازدحمت في الباب أتباعكم ما بين فراشٍ إلى حاجب

(ديوانه ٤٥)

في العصر المملوكي :

ومما ورد من الشعر في هذا العصر :

● قال الشاب الظريف (ت ٦٨٨ هـ) :

فكم حاجب يلقاك من دون أعينٍ ومن أعينٍ تلقاك من دون حاجب

فساروا فيا لله كــم مــن حبائل ... تعيد قلوبًا من عيــون الحــواجب

(ديوانه ص ١٧)

- وقال ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ) :

أيا حاجب السلطان زانك حاجب ... وأغناك في الهيجاء عن قوس حاجب

وتترد المعاني التي سبقت في العصور السالفة في الشعر في العصر العثماني ولم أجد جديدًا يستشهد به .

الحاجب والحجابة في الشعر العربي في العصر الحديث :

لم نجد فيما رجعنا إليهم من شعراء العصر الحديث استعمالًا يختلف عما سبق من استعمالات ، وإن كنا نلمح انتشار كلمة حاجب بمعنى المانع ، وحاجب العين ، وحاجب الشمس ، ومن يقوم بالحجابة عن أولي الأمر ، وهذه بضعة شواهد على ذلك :

- يقول أحمد بن فارس الشدياق (ت ١٨٨٧م) :

وما تزدهيه العينُ إن جلّ حسنها ... وليس له عن سائل العرف حاجب

- ويقول حافظ إبراهيم (ت ١٩٣٢ م) :

لاح منها حاجب للناظرين ... فَنَسُوا بالليلِ وضَّاح الجبين

(ديوانه ٢٠٧/١)

- ويقول خليل مطران يخاطب عباس حلمي الثاني (ت ١٩٤٩م) :

إذا لم يكن في دولة العلمِ حاجبٌ ... أميرَ النُّهى إذْنًا فإني مخاطبٌ

(ديوانه ١٦٩/١)

- يقول أحمد محرم (ت ١٩٤٥م) :

نريدُ فيأبى الظالمون ونشتكي ... فيحجبنا منهم عن العدل حاجب

الحجابة في العصر الجاهلي :

« كان للحجابة عند الغساسنة الذين مارسوا نوعًا من الحكم الملكي شأن كبير ويظهر أن ملوك الغساسنة والمناذرة كانوا قد تطبعوا بطباع الروم والفرس وأخذوا عنهم أبهة الحكم فحجبوا أنفسهم عن رعيتهم مخالفين بذلك العرف العربي » .

(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ٢١٥/٥)

وكان للنعمان بن المنذر (ملك العرب ت ٥٨٥ - ٦١٣م) حاجب يدعى (عصام بن شهر) من قبيلة جَرْم .

ويحكي النابغة (ت ٧ هـ) قصة له مع عصام هذا ؛ إذ بلغه أن النعمان اشتد مرضه فرغب في زيارته ، وكان النعمان قد حجبه لما بلغه من أمر المتجردة ، وكان عصام حاجب النعمان إذا أراد الدخول منعه ، فقال النابغة :

فإني لا أُلام على دخـولٍ ... ولكن ما وراءك يا عصامُ ؟
فإن يهلكْ أبو قابوسَ يهلكْ ... ربيعُ الناسِ والشهرُ الحرامُ

(ديوانه ص ١٠٥)

وعلماء اللغة يذكرون أن الملك الذي يحجب الناس عنه يقال له (الحصير) أي المحبوس عن الناس .

انظر لسان العرب وتاج العروس (ح ص ر)

بيد أن (الحجابة) و (الحاجب) كان لهما شأن آخر مع عرب الحجاز الذين لم يمارسوا نظامًا للحكم كالنظام المعروف لدى الغساسنة والمناذرة .

الحجابة في قريش :

كانت العرب تطوف بالبيت ، وكانت قريش تقوم بخدمة الحجيج في مطعمهم ومشربهم وإقامتهم . وقد ابتنى قُصَيٌّ بن كِلاب دارًا بمكة ، وهي (دار الندوة) ، وفيها كانت قريش تقضي أمورها .

وقد عقد قُصَيٌّ لعبد الدار الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة وقال له : لا يدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها ، ولا يُعقد لقريش لواء لحربهم إلا أنت بيدك ، ولا يشرب رجل بمكة ماء إلا من سقايتك ... إلخ .

والحجابة هي سدانة الكعبة وتولى حفظها والإمساك بمفاتيحها .

(السيرة النبوية ، لابن إسحق ، باب حديث الأحبار ص ٧٣ ، وتاريخ الرسل والملوك ، للطبري ٢٥٩/٢ ، ٢٦٠) .

وظل هذا معمولًا به حتى عهد النبي ﷺ .

الحجابة في عهد الرسول وعهد الراشدين :

« ولم يكن للنبي ﷺ حاجب يحجب الناس عنه ، وكان يوجب على من يرغب

في لقائه أن يستأذن ، قال النبي ﷺ : « **الاستئذان ثلاث ، فإن أُذن لك ، وإلا فارجع** » وفي تفسير ذلك قال عليه الصلاة والسلام : « **الأُولى إذن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عَزْمة ، إما أن يأذنوا وإما أن يرجع** » .

وطلب عليه الصلاة والسلام أن يُعَلِّم الناسُ الاستئذان عليه فيقولون : السلامُ عليكم ، أأدخل ؟

(العقد الفريد لابن عبد ربه ٨٢/١)

بيد أن الرسول ﷺ أوصى من يضطلع بأمر الولاية ألا يحتجبوا عن الناس ، وكان عمر إذا استعمل عاملًا شرط عليه شروطًا منها ألا يتخذ حاجبًا ، وأوصى عماله قائلًا : إياكم والحجابَ .

وكتب إلى معاوية وهو بالشام قائلًا : إياك والاحتجابَ دون الناس .

(رسائل الجاحظ ، رسالة في الحجاب ، ٣٣/٢)

« وكان موضوع الحجابة في عهد الخلفاء الراشدين - كما يقول القلقشندي - حفظُ باب الخليفة والاستئذان عليه ، لا التصدي للحكم في المظالم - كما هو الآن - وذكر القُضاعي في (تاريخ الخلائف) ما يقتضي أن الخلفاء لم تزل تتخذ الحُجّاب من لدن الصديق ﷺ فمن بعده » .

(صبح الأعشى ٢٧٣/٣)

« ووظيفة الحجاب في أصل الوضع عبارة عمن يبلغ الأخبار من الرعية إلى الإمام ، ويأخذ لهم الإذن منه ، وهي وظيفة قديمة الوضع كانت لابتداء الخلافة ، فقد ذكر القُضاعي في (عيون المعارف) أن لكل خليفة حاجبًا من ابتداء الأمر وإلى زمانه ، فذكر أنه كان حاجب أبي بكر الصديق ﷺ (شديدًا) مولاه ، وحاجب عمر (يرفأ) مولاه ... إلخ » .

(صبح الأعشى للقلقشندي ٤٤٩/٥ ، ٤٥٠)

« ولما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه كان أول شيء بُدئ به في الدولة شأن الباب وسده دون الجمهور بما كانوا يخشونه على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم ، كما وقع بعمر وعلي ومعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم ، مع ما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم بهم عن المهمات ، فاتخذوا من يقوم بذلك وسموه الحاجب » .

(مقدمة ابن خلدون (٦٣٨/٢)

« وكان لمعاوية حاجب يحجب الناس عنه ، ويوقت لهم موعد لقائه بهم » .

(انظر : قصة عبد العزيز بن زُرارة الكلابي في عيون الأخبار لابن قتيبة ٨٢/١)

« وقد استأذن أبو الدرداء على معاوية فحجبه فقال : من يغش أبواب الملوك يقم ويقعد ».

(العقد الفريد لابن عبد ربه ٨٣/١)

« وقال زياد لحاجبه : وليتك حجابتي وعزلتك عن أربع : هذا المنادي إلى اللّه في الصلاة والفلاح فلا تُعوجنه عني ، ولا سلطان لك عليه ، وطارق الليل فلا تحجبه ، فشرٌ ما جاء به ، ولو كان خيرًا ما جاء في تلك الساعة ، ورسول الثغر فإنه إن أبطأ ساعة أفسد عمل سنة ، فأدخِله عليَّ ، وإن كنت في لحافي ، وصاحب الطعام ، فإن الطعام إذا أريد تسخينه فسد » .

(صبح الأعشى ٤٥٠/٥ ، ورسائل الجاحظ ٣٦/٢)

الحجابة والحاجب في العصر العباسي :

« وأصبح للحجابة شأن عظيم في دولة بني العباس ، وإن كانت مرؤوسة للوزير ، ومن ذلك أن الرشيد صرف محمد بن خالد بن برمك عن حجابته وقلدها الفضل ابن الربيع سنة تسع وسبعين ومائة ... ولم تكن الحجابة خاصة بالخلفاء والأمراء فحسب ، بل كان للوزراء وذوي الشأن وسراة الناس حجاب . يروي إسحق بن إبراهيم الموصلي أن جعفر بن يحيى خلا في منزله يومًا وحضر ندماؤه وكنت فيهم .. وتقدم إليَّ الحاجب بحفظ الباب إلا من عبد اللّه كاتبه . وغير ذلك كثير » .

(انظر : الكتاب والوزراء للجهشياري ص ٢١٢ ، ٢٣٣ ، ٣٩٢)

الحجابة في المغرب والأندلس :

« أما دولة بني أمية بالأندلس فأنفوا اسم الوزير في مدلوله أول الدولة ، ثم قسموا خطته أصنافًا ، وأفردوا لكل صنف وزيرًا ، فجعلوا لحسبان المال وزيرًا وللترسيل وزيرًا .. وأفرد للتردد بينهم وبين الخليفة واحد منهم .. وخصوه باسم الحاجب .. فارتفع أمر الحاجب ومرتبته فأكثرهم يومئذ يسمى الحاجب » .

(مقدمة ابن خلدون ٦٤/٢)

« ولما جاءت دولة الموحدين بعد ذلك ... اتبعوا دولة الأمويين فاختاروا اسم الوزير لمن يحجب السلطان في مجلسه ويقف بالوفود والداخلين على السلطان عند الحدود ... ورفعوا خطة الحجابة عنه ما شاؤوا ، ولم يزل الشأن كذلك إلى ذلك العهد » .

(مقدمة ابن خلدون ٦٤٠/٢)

ويقول أيضًا : « ومعنى الحجابة في دولنا بالمغرب الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته » .

(العبر ٤١٨/٧)

« وأما بنو أبي حفص بإفريقية ، فكانت الرياسة في دولتهم لوزير الرأي والمشورة .. وكان له النظر في الولايات والعزل وقود العساكر والحروب .. واحتاج السلطان إلى (قهرمان) خاص بداره في أحواله .. من رزق وعطاء وكسوة .. في المطابخ والاصطبلات وسموه باسم الحاجب »

(مقدمة ابن خلدون ٦٤٢/٢)

« وكانوا في الدولة الفاطمية بالديار المصرية يعبرون عنه بصاحب الباب » .

(صبح الأعشى للقلقشندي ٤٥٠/٥)

« وكان ثمة أكثر من حاجب ، وربما عين من يرأسهم ، ويقال له حاجب الحجاب » .

(اتعاظ الحنفا ، للمقريزي ٧٥/٣)

الحاجب والحجابة في العصر المملوكي :

« وأما في دولة الترك بالمشرق ، فيسمون هذا الذي يقف بالناس على حدود الآداب في اللقاء والتحية في مجالس السلطان والتقديم بالوفود بين يديه (الدويدار) ويضيفون إليه استتباع كاتب السر وأصحاب البريد المتصرفين في حاجات السلطان بالقاصية وبالحاضرة ، وحالهم على ذلك لهذا العهد » .

(مقدمة ابن خلدون ٦٤٠/٢)

« وأما دولة الترك بمصر فاسم الحاجب عندهم موضوع لحاكم من أهل الشوكة وهم الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة ، وهم متعددون وهذه الوظيفة عندهم تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة على الإطلاق .. وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم وإجبار من أبى الانقياد للحكم ، وطورهم تحت طور النيابة » .

(مقدمة ابن خلدون ٦٤٣/٢)

ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن إياس :

يقول : « وأمر الظاهر برقوق بإبطال ما كان يعمل في ذلك اليوم ورسم للحجاب ووالي القاهرة بأن يتوجهوا إلى أماكن المتفرجات ويقبضوا على من وجدوه من

العوام .. فضربوهم بالمقارع وربما قطعوا أيدي جماعة منهم .. » .

(بدائع الزهور ٢/١ ص ٣٦٥)

« بيد أن الأمر لم يستمر طويلًا على اختصاص الحجاب بالأمراء والجند ... وصار الحاجب اليوم اسمًا لعدة جماعة من الأمراء ينتصبون للحكم بين الناس .. ويحكمون في كل جليل وحقير من الناس سواء أكان الحكم شرعيًا أو سياسيًا ... إلخ » .

(المواعظ والاعتبار للمقريزي ٣٥٧/٣) ، وانظر (سياسة) وانظر في ترتيب وظائف الدولة ومنها الحجابة في حكم السلطان برقوق .

(بدائع الزهور لابن إياس ٢/١ص ٥١٠)

الحاجب والحجابة في العصر العثماني :

ليس لدينا مادة واسعة عن استعمال هاتين الكلمتين في العصر العثماني وقد كانت وظيفة الحاجب الذي يقوم على باب الحكام أو سراة الناس ويعلن عن حضورهم ، ويوسع الطريق لمحافلهم معروفة .

يقول الجبرتي عن على بن تاج الدين أحد العلماء والأدباء وكان له بالوزير المرحوم على باشا ابن الحكيم التام زائد .. ولما تولى الوزير توليته الثانية سنة ١٧٥٧م أغدق عليه ما لا يوصف .. وصار يركب في موكب حافل تقليدًا للوزير .. ورتب لنفسه كتخدا وخازندارًا ومصرفًا وحاجبًا على عادة الأمراء .

(عجائب الآثار ٣٥٥/٢)

في العصر الحديث :

ويبلغ الحال بوظيفة الحاجب الغاية في الهبوط حتى يكون في ترتيبه من الوظائف الدنيا في المجتمع المصري ، حيث يقوم بحكم وظيفته بتنظيم دخول المتقاضين إلى قاعة المحكمة وخروجهم ، وبالمناداة على أطراف النزاع والشهود الذين يحل دورهم للمثول أمام المحكمة ، كما ينفذ تعليمات هيئة المحكمة بإعلان انعقاد الجلسة ورفعها .

انظر في ذلك معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية (حاجب ، وتشريفة)

* * *

٨ - حكومة

حَكَم بالأمر وعليه يحكُم ، حُكْمًا .

الحكومة : الحكم ، وردُّ الرجل عن الظلم .

والحكومة : ما يحكم به الحاكم . وجمعها : حكومات ، ويقال : هو يتولى الحكومات ويفصل الخصومات .

والحكومة : الحادثة أو الواقعة (موضع الخصومة أو الحكم) .

الحكومة (في الفقه) ما يوجبه الحاكم في أرش الجنايات فيما ليس فيه دية معلومة .

والحكومة : نظام سياسي يختاره شعب ما لتنظيم شؤونه ، قائم على جهاز يحتكر مشروعات استخدام السلطة في صياغة القرارات وتنفيذها .

والحكومة : جماعة من رجال الدولة يختارهم (رئيس الوزراء) ليكونوا مسؤولين عن سياسة الدولة وإدارتها .

نظام الحكم عند العرب في العصر الجاهلي :

المجتمع العربي الجاهلي بدو وحضر ، أهل وبر وأهل مدر ، يتساوى في ذلك عرب العراق وعرب الشام وعرب جميع أنحاء جزيرة العرب . وفي كل مجتمع من هذين المجتمعين نشأ نظام من أنظمة الحكم يناسب كل بيئة منهما . وصارت (الرئاسة) قاعدة الحكم عند أهل الوبر و(الملكية) أو (رئاسة المدن) أداة الحكم عند أهل المدر .

وقد نشأ الحكم الرئاسي في البوادي والأرضين الفقيرة الماء ، فلا يمكن أن تنبت بها ممالك كبيرة لعدم توافر مستلزمات المعيشة والتجمع الكبير فيها . لهذا صارت حكوماتها حكومات (رئاسات) رئاسة قبيلة أو أحلاف .

(المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، جواد علي ١٨٨/٥)

ويُعبر عن سكان القرى والمدن بأهل أو آل ، فيقال : أهل مكة مثلًا ، ويراد به قُطانها . وهؤلاء يمثلون مدينة مستقلة بشؤونها قائمة بإدارة أمورها ، والحال في مكة ويثرب يجعلنا أمام نظم تقوم على أسس قبلية وعقلية قبلية ، فالقرية في الواقع قبيلة مستقرة تمركزت في مكان واحد ، وقد تمسكت بنظم تفرع القبيلة والعصبية » .

(المفصل ١٧٩/٥ ، ١٨٠)

أما النظام الملكي فيمثل فيه (الملك) الرئيس الأكبر في مجتمعه .. وقد تلقب بالملك ملوكُ العربية الجنوبية ، وتلقب بها ملوك الحيرة وملوك آل غسان وملوك كِندة ، بل طمع فيه أمراء وسادات قبائل ، أعجبهم فلقبوا أنفسهم به .

ومع ذلك فإننا مع الدكتور جواد علي في تحفظه باستعمال كلمة (حكومة) ، فهو يرى أنها تستعمل في هذا السياق على سبيل المجاز ، فلم يكن للمدن حكومات بالمعنى المفهوم من الحكومة في الزمن الحاضر ، أي رئيس مفروض على المدينة بحكم الوراثة أو بحكم القوة ، أو رئيس منتخب من أبناء المدينة أو سادتها أو أشرافها لأجل معلوم أو لأجل غير معلوم .

ولم يكن لهذه المدن موظفون تناط بهم أعمال معينة لقاء أجر محدد ، وليس لها مؤسسات ثابتة لضمان الأمن وللقضاء بين الناس ... إلخ ، وفقًا لقوانين وأهداف محددة .

(المفصل ، جواد علي ٢٤٦/٥)

الحكومة في التاريخ العربي :

وقد رجعنا إلى عدد من كتب التاريخ فقلما وجدنا هذه الكلمة مثل الكامل في التاريخ .. وغيره ، ومن القليل الذي وجدناه :

● ومما ورد في كتاب الكامل في التاريخ يحكي فيه ابن الأثير عن سليمان النبي وذهاب ملكه ، وفي كلام بينه وبين إحدى زوجاته ، قالت له : « إن أخي بينه وبين فلان حكومة ، وأنا أحب أن تقضي له ، فقال : أفعلُ ... » .

(والكلمة هنا بمعنى خصومة أو قضية)

● « وكان قد تكلم في قاضي القضاة في أيام أبي سعيد ، وذكر أن أمور الناس ناقصة في حكوماته ، وأن له غلمانًا قد استحوذوا على الحكم » .

(اتعاظ الحنفا للمقريزي ٢٠٤/٢)

• وفي السلوك لمعرفة دول الملوك ، يتحدث المقريزي في أحداث ٥٨٤ هـ عن أن الشمس والقمر والمريخ والزهرة وعطارد ... إلخ ، اجتمعت في برج الميزان فاجتمع المنجمون كلهم وحكموا بأمور تحدث كانقلاب الأرض وموت الحيوان وسقوط الأشجار ... إلخ .

ويعلق قائلًا : وكان معظم هذه الحكومة عن بلاد الروم ... « والكلمة هنا بمعنى الخبر أو القضية أو الواقعة » .

وتترد كلمة (حكومة) في الحديث النبوي بمعنى الحكم والقضاء ، ومن ذلك :

• بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن ، فقلت : إنك تبعثني إلى قوم أسنّ مني ، فكيف القضاء فيهم ؟ فقال : « **إن الله سيهدي قلبك ويثبت لسانك** » ، قال : فما تعاييت في حكومة بعدُ .

(المسند الجامع ، السيد أبو المعاطي النوري)

وقد حكم النبي ﷺ في أمور عرضت له ، وكان حكمه يسمى حكومة ، ومن أمثلة حكمه .

• أنه حكم بين اليهود في قضايا : وقد تضمنت هذه الحكومة أمورًا ؛ منها : الحكم بالقسامة ... والقتل .

(زاد المعاد ، لابن قيم الجوزية ج ٥)

• وأنه حكم في رجل عضّ يد رجلٍ فنزع يده من فيه فوقعت ثناياه ... .

(زاد المعاد ، ج ٥ فصل في قضائه)

وتجيء كلمة الحكومة بمعنى الحكم في قضية التحكيم التي جرت بين علي بن أبي طالب ﷺ ومعاوية بن أبي سفيان ، ومن ذلك .

• وقدم معن بن يزيد ... وتحدث في استبطاء إمضاء الحكومة فأمر على بإنفاذ الحكومة .. « يعني لقاء أبي موسى بعمرو بن العاص للحكم بما يقضي به كتاب الله » .

(تاريخ الرسل والملوك ، للطبري ٦٦/٥)

• ولما بلغ عليًا ما كان من أبي موسى وعمرو قال : إني كنت قد تقدمت إليكم في هذه الحكومة ، ونهيتكم عنها فأبيتم إلا عصياني . فكيف رأيتم عاقبة أمركم إذ أبيتم عليَّ .

• وبعث الخوارج إلى عليٍّ يقولون : إن تبت من حكومتك ، وشهدت على

نفسك بالكفر بايعناك .

(مروج الذهب ، للمسعودي ١٥٢/٣ ، ١٥٦)

مفهوم الحكومة في العصر الحديث :

ولعل الكلمة قد تداولتها الألسنة والأقلام منذ دخول الفرنسيين إلى مصر وخروجهم منها . وفي خطاب أرسله ساري عسكر (منو) قرأه الترجمان على مشايخ الديوان في ١٨٠١/٨/٦م : ... وإن لم تقدروا لتنظيم أهالي البلد بالهدي والطاعة منه لحكومة الفرنساوي .. ، وفي الخطاب تكررت العبارة (الحكومة الفرنساوية) .

(عجائب الآثار ، للجبرتي ، ٢٩٥/٥)

وبولاية محمد علي حكم مصر وبقيامه بتنظيم أحوالها وإنشاء قوانين ومؤسسات حديثة بدأ استعمال الكلمة يدور على الألسنة والأقلام .

يقول محمد علي في خطابه إلى البيك الكتخدا عند إنشاء المجلس العالي ١٨٢٤م : « لقد كان دأبنا إزاء كل ما يتعلق بالمصالح المصرية ، وتقضى حكمة الحكومة بتنظيمه .. أن نتجنب عند البت فيه الانفراد برأينا » .

(تاريخ الحياة النيابية في مصر في عهد محمد علي ، محمد خليل صبحي ٣/٦)

وفي قانون السياساتنامة الذي صدر ١٨٣٧م : تنحصر أمور الحكومة المصرية بأجمعها في ستة دواوين .

(السابق ٤٤/٦)

وفي مقدمة كتاب الطهطاوي لـ (مواقع الأفلاك) والذي ترجمه في أثناء إقامته بالسودان ١٨٥١ - ١٨٥٤م يقول : قد تقلدتُ بعناية الحكومة المصرية في عصر المدة المحمدية العلوية بوظيفة تربية التلاميذ ... إلخ ، ويقول أيضًا : إنه عَرَّب كتبًا وصحح مترجمات وتوفق حسن تمثيلها في مطبعة الحكومة .. (ص ٤٢٣) .

ويقول علي مبارك : وجلس بعده على تخت الحكومة المصرية ١٨٤٨م أكبر أولاده المرحوم إبراهيم باشا .. وولي بعده ابن أخيه عباس باشا حلمي (من ١٨٤٨- ١٨٥٤م) ابن طوسون بن محمد علي بعد أن تنقل في ولايات الحكومة المصرية .

(الخطط التوفيقية ١٩٣/١)

ويترجم بقطر في معجمه ١٨٧١م الكلمة الفرنسية gouvernement بحكومة . ويذكر أيضًا المعنى الأقدم أي القضاء بالشيء لصاحبه .

وفي العصر الحديث في المغرب (مراكش) نجد كلمة (مخزن) ترادف كلمة حكومة تقول سوزان ميلار نقلًا عن المنوني في كتابه (مظاهر يقظة المغرب الحديث) : إلى حدود الأربعينات من القرن التاسع عشر كان الجهاز المخزني في مستوياته العليا بسيطًا إلى حدٍّ بعيد ؛ حيث كان يتكون من السلطان ومن الصدر الأعظم ... .

(رحلة الصفار إلى فرنسا ، هـ ٣ ص ٣١٦)

ويذكر (دوزي) من معاني المخزن : الحكومة والدولة ، ومن معانيها أيضًا بلاط الأمير ، وفرساس الدولة .

(تكملة المعاجم العربية خزن)

وفي عام ١٨٨١م يصدر الشيخ حسن المرصفي (١٨١٠ - ١٨١٥م) (ت ١٨٩٠م) كتابه الكلم الثُّمان ، وفيه يعرف الحكومة بأنها قوة تحصل من اجتماع طائفة من الأمة ، لإمضاء مقتضيات الطبيعة على نحو يقرب من رضاء الكافة .

(الكلم الثمان ، ص ١٠٩)

ولعل هذا التعريف هو أول تعريف علمي للحكومة في العصر الحديث ويحدد الغرض من قيامها بقوله : هو حماية الوطن مما يريد به السوء ، وتأمين أهله من تعدي بعضهم على بعض ، وإعانة كلٍّ على حفظ حقه والانتفاع به حتى يظهر في الجميع السرور والفرح والرضا .

(الكلم الثمان ص ١١٣)

ويعرف أحمد تيمور (١٨٧١ - ١٩٣٠م) الحكومة بأنها مجموع رجال الدولة ، ووزراؤها وأميرها ، وهي من مصطلحات الدواوين ، ولا نظن استعمالها قبل محمد علي .

(معجم تيمور الكبير حكومة)

مصطلح حكومة في الفقه الإسلامي :

قال الأزهري في تعليقه على حديث « في أرش الجراحات الحكومة » : معنى الحكومة في أرش الجراحات التي ليس فيها دية معلومة . ويفسر ابن الأثير ذلك

بقوله : أن يُجرح شخص في موضع من بدنه جراحة تشينه ، فيقيس الحاكم أرشها بأن يقول : لو كان هذا المجروح عبدًا غير مشين بهذه الجراحة كانت قيمته مائة مثلًا ، وقيمته بعد الستين تسعون فقد نقص عشر قيمته ، فيوجب على الجارح عُشْر دية الحر ؛ لأن المجروح حر .

ويجري ذلك المعنى - أيضًا - في البيوع ، فالحكومة هي ما يأخذه المشتري من البائع إذا اطلع على عيب في المبيع .

وهكذا يطلقه الفقهاء على الواجب الذي يقدر في أمر ليس فيه مقدار معين من المال .

لسان العرب ، وتاج العروس (حكم) والنهاية في غريب الحديث والأثر في (أرش) و (حكم)

الحكومة في الشعر العربي في العصر الجاهلي :

لعل أقدم ما وصلنا من شعر الجاهليين يستعمل كلمة (الحكومة) بمعنى الحكم والقضاء في أمر من الأمور قول عوف بن الأحوص (وقد حضر يوم جَبَلَة ٧٠ ق هـ) . في خلاف بين بعض بني جعفر وبني أبي بكر :

أُقِرُّ بحكمكم ما دمتُ حيًّا وأُلْزَمُه وإن بُلِغَ الفناءُ

فإنك والحكومةَ يا ابنَ كلب عليَّ وأن تُكَفِّنني سواء

(وابن كلب رجل عرض له أن يفعل به فعلًا يعدل قتله) . (**المفضليات ، ص ١٧٤**)

في العصر الإسلامي :

مما ورد من شعر في هذا العصر :

● قال الأعشى (ت ٧ هـ) :

ولِمثل الذي جمعتَ لِرَيْبِ الدْ دَهر يأبى حكومةُ المُقتال

(يعني لا يَنفُذُ حكومةُ من يحتكم عليك من الأعداء ، المُقتال : المفتعل من قال)
لسان العرب ، لابن منظور (حكم)

● وقال عامر بن الطفَيل (ت ١٠ هـ) :

وإني سوف أُحكم غير عادٍ ولا قَذِعٍ إذا التُمِس الجوابُ

حكومةَ حازم لا عيب فيها إذا ما القومُ كظَّهم الخِطابُ

فإن لنا حكومةَ كلِّ يـوم ... يُبِينُ في مفاصله الصوابُ

(قَذِع : من يشتم غيره بقبيح الكلام ، كظهم : غَلَبهم) (ديوانه ص ٢٠)

● وقال عامر بن الطُّفيل للنابغة (ت ١٨هـ) في قصة حدثت بينهما :

ألا مَنْ مُبْلِغٌ عني زيـادًا ... غداةَ القاعِ ، إذ أَزِف الضِّرابُ

فرد عليه النابغة بقوله :

فإن يك عامرٌ قد قال جهلًا ... فإن مَظِنةَ الجهـلِ الشبابُ

فكن كأبيك أو كأبي بـراءٍ ... توافقْك الحكومةُ والصـوابُ

(أبو براء : عم عامر بن الطفيل) .

(ديوانه ، ص ١٠٩)

● وقال حسان بن ثابت (ت ٥٤ هـ) :

رضيتُ حكومة المِرْقالِ قيس ... وما أَخْسَسْتُ إذ حَكَّمْتُ خالي

(المِرْقال : يعني قيس بن سعد بن عُبادة ، وكان شريفًا ، وهو من بني ساعدة ، وأُم حسان من بني ساعدة) .

(ديوانه ص ٢٧٦)

ومما ورد من شعراء بني أمية :

● قال جرير (ت ١١٠ هـ) :

يـاذا العباءَةِ إنَّ بِشْرًا قد قَضَى ... أن لا تَجوزَ حكومةُ النشوانِ

فدعوا الحكومةَ لستم من أهلها ... إن الحـكومةَ في بني شيبانِ

(ديوانه ١٠١٢/٢)

● وقال الفرزدق يفخر (ت ١١٤ هـ) :

وجَدي عِقـالٌ من يكن فاخرًا به ... على الناس يرفع فوق من شاء مَرْفقا

وعَمي الذي اختارت مَعَدٌّ حكومةً ... على الناسِ إذْ وافـوا عكاظَ بها معا

(ديوانه ٤٠٢/١)

● وقال الطِّرماح (ت ١٢٥ هـ) :

وحـكمٍ من جَديلةَ قيصرِيٍّ ... يباعدُ في حـكومة او يواتي

يريك هدى الطريق ولا تَعَنّى ... وقد يشفي العَمَى خُبْرُ الدهاةِ

(ديوانه ص ٢٦)

في العصر العباسي :

• قال البحتري (ت ٢٨٤ هـ) يعاتب المروزي ، ويذكر في عتابه ما ينبغي أن يتوافر فيمن يحكم بين الناس :

لا حكمَ إلا من تُقىً وتواضع ... أوْ لا فإن الحكم ليس بنافعِ

وكذا الحكومةُ من أئمة هاشمٍ ... منْ لَدُن أولهم إلى ذا التاسع

• ثم يقول :

إلا يجوز لـــديه حكمٌ عـــادلٌ ... إلا بعدلِ شهادة من قاطــع

أوْ لا فقدْ جارت حكومة حكمه ... وكذاك فعلُ الخاطئ المتتابع

(ديوانه ١٣٣٦/٢)

• وقال ابن الرومي (ت ٢٨٣ هـ) :

أفيما يفيدُ الشيبُ من واعظِ النُّهَى ... وفاءٌ بهذا في حكومة زير ؟

(ديوانه ٩٩٨/٣)

• وقال ابن هانئ الأندلسي يمدح الخليفة المعز لدين الله (ت ٣٦٢ هـ) :

وقد أكثروا فاحكم حكومةَ فيصلٍ ... ليعرف ربٌّ في القريض ومربوبُ

(ديوانه ص ٤٠)

• وقال أبو الفتح البُسْتي (ت ٤٠١ هـ) :

ونحن أناس لا نذلُّ لجانف ... علينا ولا نرضى حكومة حائف

(ديوانه ص ١٢٣)

• وقال مهيار الديلمي (ت ٤٢٨ هـ) :

بأيِّ حكومةٍ وبأي عدلٍ ... أُصابُ من القريضِ ولا أُصيبُ

(ديوانه ١١٤/١)

• وقال أبو العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) :

وللزمان على أبنائه أبدًا ... حكومةٌ لا يردُّ الحكمَ راشيها

(اللزوميات ١٦٨٠/٣)

ولم أجد فيما جمعته من أشعار في العهد المملوكي والعثماني ما يضيف جديدًا إلى معانيها الواردة في الأشعار السابقة .

في العصر الحديث :

وفي عهد محمد علي يظهر المدلول الحديث لكلمة (حكومة) كنظام لحكم الدولة وإدارة شؤونها ، وكهيئة من مختصين منوط بهم أعمال محددة ، وتتردد الكلمة منذ ذلك الحين في أشعار الشعراء آنذاك .

● ولعل أقدم ما وصلنا من ذلك قول محمود سامي البارودي في محمد توفيق باشا حين عين ناظر النظار (١٨٣٨ - ١٩٠٤م) :

وكيف لا تبصرُ قصدَ الهدى حكومةٌ أنت لها ناظر

(ديوانه ٦٩/٢)

● وقال أحمد شوقي (١٨٦٨ - ١٩٣٢م) في وداع اللورد كرومر :

اليومَ أخلفَتِ الوعودَ حكومةٌ كنا نظنُّ عهودها الإنجيلا

(ديوانه ص ٢٨٥)

● وقال - أيضًا - عن حكومة الرسول ﷺ وكيف كانت مثلًا لكل حكومة :

ورسمت بعدك للعبادِ حكومةً لا سوقةٌ فيها ولا أمراء

(ديوانه ص ١٩٥)

● وقال جميل صدقي الزهاوي (١٨٦٣ - ١٩٣٦م) :

فتقوم فيها بالسدادِ حكومةٌ وتزول عنها دولةُ الأوغاد

● وقال أحمد محرم (١٨٧٥ - ١٩٤٥م) :

ألم تر كيف صار البغيُ دينًا لكل حكومة وبكل مصر

● وقال معروف الرصافي (١٨٧٥ - ١٩٤٥م) :

حكومة شعبنا جارت وصارت علينا تستبدُّ بما أشارت

فلا أحدًا دعته ولا استشارت وكل حكومة ظلمت وجارت

* * *

المعجم التاريخي

للغة العربية

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

● آثار البلاد وأخبار العباد : القزويني ، مكتبة الدراسات الشعبية ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر ، ٢٠٠٣م .

● إتحاف الحنفا : المقريزي ، تحقيق : د . جمال الدين الشيال ، و د . محمد حلمي أحمد ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر .

● إحصاء العلوم : الفارابي (أبو نصر) ، تحقيق : عثمان أمين ، دار الفكر العربي ، مصر ، ١٩٤٩م .

● الأحكام السلطانية : الماوردي ، دار الفكر ، بيروت ، ٢٠٠٢م .

● الأستاذ (مجلة) : عبد الله النديم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤م ، مع دراسة تحليلية للدكتور عبد النعيم الجميعي .

● الأصمعيات : الأصمعي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر .

● الأغاني : أبو الفرج الأصفهاني ، دار الكتب المصرية .

● أقوم المسالك في معرفة أصول الممالك : خير الدين التونسي ، دراسة وتحقيق : د . معن زيادة ، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٨٥م .

● الأمالي : أبو علي القالي ، القسم الأدبي ، دار الكتب المصرية .

● الأم : الشافعي ، تحقيق : د . رفعت فوزي ، دار قباء .

● بدائع الزهور : ابن إياس ، تحقيق : محمد مصطفى ، سلسلة الذخائر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● البيان والتبيين : الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر .

● تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي ، نسخة مصورة ، دار الفكر العربي ، بيروت .

● تاريخ الحياة النيابية في مصر في عهد محمد علي : محمد خليل صبحي .

● تخليص الإبريز في تلخيص باريس : رفاعة الطهطاوي ، مع دراسة : د . محمود فهمي حجازي ، دار الفكر العربي .

● تفسير البحر المحيط : أبو حيان ، دار الفكر ، بيروت .

● تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، تحقيق : محمود شاكر

وأحمد شاكر ، دار المعارف ، مصر .

- تفسير الكشاف : الزمخشري ، دار المعرفة ، بيروت .
- تكملة المعاجم العربية : دوزي ، ترجمة : د . محمد سليم النعيمي ، وزارة الثقافة بالعراق ، بغداد ، ١٩٧٨م .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، مصر .
- الحيوان : الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر .
- الخراج : أبو يوسف ، تحقيق : أحمد شاكر ، ١٩٢٨م .
- خزانة الأدب : البغدادي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الخطط التوفيقية : علي مبارك ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- الدرر ، أديب إسحق ، القاهرة ، ١٨٥٥م .
- الدول الإسلامية : ستانلي لين بول ، مكتب الدراسات الإسلامية ، دمشق .
- ديوان أبي فراس الحمداني ، شرح وتقديم : عباس عبد الساتر ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ديوان ابن الحداد الأندلسي (٤٨٠هـ) ، جمع وتحقيق : منال منيزل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
- ديوان ابن حمديس ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .
- ديوان ابن رشيق القيرواني ، د . صلاح الدين الهواري ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٦م .
- ديوان ابن سهل ، قدم له : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٠م .
- ديوان ابن الفارض ، تحقيق : د . عبد الخالق محمود ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٨٤م .
- ديوان ابن قلاقس ، تحقيق : سهام الفريح ، مكتبة المعلا ، الكويت ، ١٩٨٨م .

● ديوان ابن قلاقس ، راجعه وضبطه : خليل مطران ، مطبعة الجوائب ، ١٩٠٥م .

● ديوان ابن النبيه ، تحقيق : عمر محمد الأسعد ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ١٩٦٩م .

● ديوان ابن هانئ ، دار صادر ، بيروت ، د . ت .

● ديوان ابن وكيع التِّنِّيسي ، د . حسين نصار ، مكتبة مصر ، ١٩٦٠م .

● ديوان أبي تمام ، شرح : الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م .

● ديوان أبي الفتح البستي ، تحقيق : د . محمد المرسي الخولي ، دار الأندلس ١٩٨٠م .

● ديوان أحمد شوقي ، تحقيق وتبويب وتعليق : د . علي عبد المنعم عبد الحميد ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان .

● ديوان الأخطل ، تحقيق : أنطوآن صالحاني ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٨٩١م .

● ديوان إسماعيل صبري ، أحمد الزين ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٨م .

● ديوان الأعشى الكبير ، شرح وتعليق : د . محمد محمد حسين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤م .

● ديوان امرئ القيس ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٠م .

● ديوان أوس بن حجر ، تحقيق : د . محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .

● ديوان البحتري ، تحقيق : حسن كامل الصيرفي ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٣م .

● ديوان بشر بن أبي خازم ، د . عزة حسن ، دمشق ، ١٩٦٠م .

● ديوان جميل صدقي الزهاوي ، تحقيق : د . محمد يوسف نجم ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٧٢م .

• ديوان حافظ إبراهيم ، أحمد أمين ، الإبياري ، الزين ، الهيئة المصرية ، ١٩٨٠م .

• ديوان الحيص بيص ، شهاب الدين أبي الفوارس ، تحقيق : مكي السيد جاسم ، وزارة الإعلام ، العراق ، ١٩٧٥م .

• ديوان الخليل ، دار مارون عبود ، بيروت ، ١٩٧٥م .

• ديوان الرصافي ، تحقيق مصطفى السقا ، دار الفكر العربي ، ١٩٥٣م .

• ديوان رفاعة الطهطاوي ، جمع ودراسة : د . طه وادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٩م .

• ديوان زهير بن أبي سلمى ، برواية ثعلب ، دار الكتب المصرية ، ١٩٤٤م .

• ديوان سبط بن التعاويذي ، مرجليوث ، المقتطف ، ١٩٠٣م .

• ديوان السري الرفاء ، ناهد جعفر ، دار صادر ، ١٩٩٦م .

• ديوان الشاب الظريف ، شمس الدين محمد بن سليمان ، المكتبة الأهلية ، بيروت .

• ديوان الشريف العُقيلي ، د . زكي المحاسني ، دار إحياء الكتب العربية .

• ديوان صالح الشرنوبي ، تحقيق : د . عبد الحي دياب ، أحمد كمال زكي ، دار الكاتب العربي ، القاهرة .

• ديوان طرفة بن العبد ، تحقيق ودراسة : د . علي الجندي ، دار الفكر العربي .

• ديوان عامر بن الطفيل ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٩م .

• ديوان علي الجارم ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٩٩٠م .

• ديوان عنترة بن شداد ، شرح : د . يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت .

• ديوان عمرو بن قميئة ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، معهد المخطوطات العربية ١٩٦٥م .

• ديوان الفرزدق ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠م .

• ديوان قبادو ، جمعه الشيخ : أبو عبد الله السيد محمد السنوسي ، تونس ، ١٨٧٩م ، والدار التونسية ، ١٩٧٣م .

• ديوان قيس بن الخطيم ، تحقيق : ناصر الدين الأسد ، دار العروبة ، ١٩٦٢م .

● ديوان كعب بن مالك ، سامي مكي العاني ، مكتبة النهضة ، بغداد ، ١٩٩٦م .

● ديوان لسان الدين بن الخطيب ، تحقيق : د . محمد مفتاح ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ١٩٨٩م .

● ديوان محرم ، جـ١ و جـ٢ ، تحقيق : محمود أحمد محرم ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، ١٩٨٨م .

● ديوان محمود سامي البارودي ، تحقيق : علي الجارم ، محمد شفيق معروف ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٢م .

● ديوان محيي الدين بن عربي ، مطبعة بولاق ، ١٨٥٥م .

● ديوان الملك الأمجد بهرام شاه الأيوبي ، تحقيق : د . غريب محمد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩١م .

● ديوان مهلهل بن ربيعة ، إعداد : طلال ، دار صادر ، ١٩٩٦م .

● ديوان مهيار الديلمي ، القسم الأدبي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٥ .

● ديوان النابغة الجعدي ، تحقيق : د . واضح الصمد ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٩٨م .

● ديوان النابغة الذبياني ، تحقيق : محمد أبو الفضل ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٩٠م .

● ديوان الهذليين ، القسم الأدبي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٥م .

● ديوان الوأواء الدمشقي ، سامي الدهار ، دار صادر ، ١٩٩٣م .

● ديوان ولي الدين يكن ، دراسة : أنطوان الجميل ، مطبعة المقتطف ، ١٩٢٤م .

● رحلة ابن فضلان ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠٦م .

● رحلة الصفّار إلى فرنسا ، تحقيق : سوزان مولار ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، المغرب ، ١٩٩٥م .

● رحلة الوزير في افتكاك الأسير : تحقيق : ألفرد البستاني .

● رسائل الجاحظ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجي ، مصر .

● رسالة الكلم الثمان : حسن المرصفي ، تحقيق : د . أحمد زكريا الشلق ، مركز

وثائق تاريخ مصر المعاصر ، ١٩٨٤م .

- زاد المعاد : ابن القيم الجوزية .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، المقريزي ، تحقيق : د . زيادة ، القاهرة ١٩٥٩م .
- سنن الترمذي ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٩٧٤م .
- سنن النسائي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٤م .
- شرح ديوان أبي الطيب المتنبي : أبو العلاء المعري ، تحقيق : د . عبد المجيد دياب ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٩٢م .
- شرح ديوان الحماسة : الزوزني ، نشره أحمد أمين وزميلاه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٧م .
- شرح ديوان علقمة الفحل ، تحقيق الشيخ أبو شنب ، الجزائر .
- شرح ديوان لبيد بن ربيعة ، تحقيق : د . إحسان عباس ، وزارة الإعلام ، الكويت ، ١٩٨٤م .
- شعر المثقب العبدي ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ١٩٥٦م .
- شعر مروان بن أبي حفصة ، جمع وتحقيق : د . حسين علوان ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٧٣م .
- شعراء النصرانية ، جمعه وصححه الأب لويس شيخو ، طبع بيروت ، ١٨٩٠م .
- شفاء الغليل : الخفاجي ، المطبعة الوهبية ، ١٣٨٢هـ .
- الشفاء : ابن سينا ، تحقيق : محمود قاسم ، راجعه : إبراهيم مدكور ، دار الكاتب العربي ، د . ت .
- صبح الأعشى : القلقشندي ، القسم الأدبي ، دار الكتب المصرية .
- صحيح البخاري ، دار الشعب ، مصر ، ١٣٧٨هـ .
- صحيح مسلم بشرح النووي ، مكتبة الرياض الحديثة .
- طبائع الاستبداد : عبد الرحمن الكواكبي ، نشر : د . أسعد الكواكبي ، ط٢ ،

حلب ، ١٩٥٧م .

• عجائب الآثار في التراجم والأخبار : عبد الرحمن الجبرتي ، تحقيق : د . عبد الرحيم عبد الرحمن ، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٣م .

• العرب قبل الإسلام ، جورجي زيدان ، دار الهلال بمصر .

• العروة الوثقى (مجلة) ، تحقيق : صلاح الدين البستاني ، دار العرب للنشر ، ط٢ ، ١٩٩٣م .

• عصر إسماعيل : عبد الرحمن الرافعي ، دار المعارف ، مصر .

• عصر العلم : د . أحمد زويل ، الأهرام .

• عصر محمد علي : الرافعي ، دار المعارف ، مصر .

• العقد الفريد : ابن عبد ربه ، نشره أحمد أمين وزميلاه ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٧٣م .

• علم الدين : علي مبارك ، نسخة مصورة عن نسخة مطبعة جريدة المحروسة بالإسكندرية ، ١٨٨٢م .

• العمدة : ابن رشيق القيرواني ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ١٩٦٣م .

• عيون الأخبار : ابن قتيبة ، القسم الأدبي ، دار الكتب المصرية ، ١٩٣٠م .

• عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ابن أبي أصيبعة ، شرح وتحقيق : د . نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت .

• فتوح مصر ، لأبي الحكم ، مصور عن الطبعة الأوروبية ١٩٧٤م .

• الفخري في الأحكام السلطانية : ابن طباطبا ، شركة الكتب العربية ، مصر ، ١٣١٧هـ .

• فلسفة المتكلمين ، هاري . أ . ولفنسون ، ترجمة د . مصطفى لبيب عبد الغني ، المجلس الأعلى للثقافة ، ٢٠٠٥م .

• الفهرست : ابن النديم ، ضبط وشرح وتعليق : د . يوسف علي طويل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م .

● قصيدة النادرات العينية : عبد الكريم الجيلي ، مع شرح النابلسي ، تحقيق وتعليق : يوسف زيدان ، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٨٨م .

● الكامل في التاريخ : ابن الأثير ، المطبعة المنيرية ، ١٣٣٨هـ .

● كتاب الوزراء والكتاب : الجهشياري ، تحقيق : مصطفى السقا وآخرين ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٣٨م .

● الكنائس القبطية : ألفرد بتلر ، ترجمة إبراهيم سلامة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .

● كنز الرغائب : أحمد فارس الشدياق ، مطبعة الجوائب ، ١٢٨٨هـ .

● لزوم ما لا يلزم : أبو العلاء المعري ، شرح نديم عدي ، دار طلاس ، دمشق ، ١٩٨٦م .

● المؤتلف والمختلف : الآمدي ، تحقيق : د . ف كرنكو ، مكتبة القدسي ، ١٩٨٢م .

● المجتمع المصري تحت الحكم الإسلامي : ميكل ونتر ، ترجمة : د . عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠١م .

● مجمع الأمثال : الميداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد .

● محاضرات في تاريخ الاصطلاحات الفلسفية العربية : لويس ماسنيون ، تحقيق : د . زينب الخضيري ، المعهد العلمي الفرنسي ، ١٩٨٣م .

● مذهب الذرة : بينيس ، ترجمة : د . محمد عبد الهادي أبو ريدة .

● مروج الذهب : المسعودي ، تحقيق : شارل بلا ، منشورات الجامعة اللبنانية ، بيروت ، ١٩٦٥م .

● معجم البلدان : ياقوت ، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

● مفاتيح العلوم : الخوارزمي ، تحقيق : فلوتن ، ليدن ، ١٨٩٥م .

● المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د . جواد علي ، جامعة بغداد ، ١٩٩٣م .

● المفضليات : المفضَّل الضَّبِّي ، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار المعارف ، مصر .

- مقالات الإسلاميين : الأشعري ، تحقيق محيي الدين عبد الحميد .
- مقدمة ابن خلدون ، تحقيق : د . علي عبد الرحمن وافي ، الهيئة العامة للكتاب ، ٢٠٠٦م .
- مناهج الألباب : رفاعة الطهطاوي ، نسخة مصورة عن نسخة مطبعة شركة الرغائب ، ١٩١٢م .
- منطق أرسطو : ابن المقفع ، مقدمة وتصحيح : محمد تقي دانش ، طهران ، ١٣٥٧هـ .
- المواعظ والاعتبار : المقريزي ، مكتبة الآداب ، مصر .
- مواقع الأفلاك ، ترجمة : رفاعة الطهطاوي ، دار الكتب المصرية ، ٢٠٠٢م .
- الموسوعة الفقهية ، وزارة الأوقاف بالكويت .
- النظارات والوزارات : فؤاد كرم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢ ، ١٩٩٤م .
- نفح الطيب ; المقري ، تحقيق : د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٨م .
- النهاية : ابن الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي ، دار الفكر ، بيروت .
- الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي : د . محمد حمدي المنياوي ، دار المعارف ، مصر
- وفيات الأعيان : ابن خلكان ، د . إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٨م .
- يواقيت المواقيت : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق : د . النبوي شعلان ، دار قباء ، ٢٠٠٤م .

ومن المعاجم الثنائية التي رجعنا إليها :

- The Dictionaire Franoçis-Arabe par Ellious Bocthor, Caire, 1971.

* * *

المعجم التاريخي للغة العربية

خاتمة المطاف

أولاً : التغير اللغوي وطبيعته .

ثانيا : قصة المعجم التاريخي بين الأمل والعمل .

ثالثا : صناعة المعجم آليًا .

أولا التغير اللغوي وطبيعته

التغير اللغوي هو انتقال شكل لغوي ما من حالة إلى حالة أخرى في مبناه أو في معناه . والمعجم التاريخي يختص بتسجيل ما يحدث للأشكال اللغوية من تغير ، وتحديد الزمن والمكان الذي وقع فيه ، وغير ذلك مما يُعد تغيرًا (كالمستوى الاجتماعي للكلمات والأساليب) بدقة ووضوح .

وقد كان الاهتمام بتاريخ اللغات والمقارنة بينها - والذي بلغ غايته في القرن التاسع عشر - مُظْهِرًا الكثير من التغيرات التي أصابت عددًا من لغات العالم وبخاصة اللغات الهندو أوروبية واللغات السامية . وكان ذلك ممهدًا لظهور المعجم التاريخي في إنجلترا وفرنسا .

وقد شُغل اللغويون بتحديد مفهوم التغير اللغوي بعامة والدلالي بخاصة ، وببيان مظاهره وأسبابه . وثمة تقسيمات عديدة تتضمنها بحوثهم كالتقسيم النفسي القائم على وجود أربعة مظاهر : المشابهة بين المدلولين ، والعلاقة بين المدلولين ، والمشابهة بين اللفظين والعلاقة بين اللفظين ، والتقسيم المنطقي القائم على وجود خمسة مظاهر : تعميم الدلالة وتخصيصها ، ورقيها وانحطاطها وتغير مجال الاستعمال .

ولا يتسع المقام للحديث عن هذين التقسيمين وعما يتضمناه من مظاهر ، وعما يقدماه من أمثلة ، ولكنني أشير إلى أن العمل بالمعجم التاريخي يتطلب معرفة واسعة بكل ما قيل عن التغير ؛ ولأن العمل فيه لم يبدأ بعدُ فلا مجال لترجيح تقسيم على آخر أو الجمع بينهما ، وسوف تجدد اللجنة العلمية المسؤولة عن إنجازه ما تراه مناسبًا لتحقيق الهدف منه .

بيد أن لي ملاحظة ناتجة عن التعامل مع النماذج الثمانية التي أقدمها في هذا الكتاب ، وعما دار حول حديثي عن بعضها من نقاش في مؤتمر الشارقة ، وفي مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

طلب إليَّ أحد الحاضرين أن أحدد طبيعة التغير الدلالي ، ومدى وضوحه ؛ لأنه يرى أن التغير في الأمثلة المطروحة (زنار) و (ترجمان) غير واضح .

وأقول فيما طلبه السائل ورآه :

اجتمع اللغويون القدماء والمحدثون على مثال قديم للتغير الدلالي ، وهو الكلمة (صلاة) . قال ابن فارس : كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم وقرابينهم ، فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ، ونسخت ديانات وأبطلت أمور ، ونقلت من اللغة ألفاظ عن مواضع إلى مواضع أخرى ... فمما جاء في الإسلام الصلاة ، وأصله في لغتهم الدعاء .. والوجه في لفظ الصلاة .. أن يقال في الصلاة اسمان ؛ لغوي وشرعي ، ويذكر ما كانت العرب تعرفه ثم ما جاء به الإسلام .

(الصاحبي ص ٧٨ – ٨٦)

وقد كان للعرب في الجاهلية حياة دينية بها آثار مسيحية ويهودية ووثنية . ومن العبادات التي تقربوا بها إلى المعبود الأعظم : الصلاة والصوم والحج والعمرة .

وقد وردت كلمة صلاة بمعنى الدعاء في شعر للأعشى (ت ٧ هـ) .

لها حارس ما يبرح الدهرَ بيتَها إذا ذبحت صلى عليها وزمزما

صلى عليها : باركها وأثنى عليها . (ديوانه ٥٥/٤)

ووردت كذلك كشعيرة دينية مقرونة بشعيرة أخرى هي الحج في شعر لأبي قيس ابن الأسلت . (ت ١ هـ) .

فقوموا فصلوا ربَّكم وتمسحوا بأركان هذا البيت بين الأخاشب

(اللسان صلى)

ووردت كذلك كشعيرة معروفة بين رهبان النصارى في بيت منسوب لأمرئ القيس مقرونة بشعيرة أخرى هي الصوم .

لها مقلة لو أنها نظرتْ بها إلى راهب قد صام لله وابتهل

لأصبح مفتونًا مُعَنًّى بحبها كأن لم يَصُم لله يومًا ولم يُصَلِ

(ديوانه ٤٦٧)

واتفق القدماء والمحدثون على أن الكلمة قد تغير معناها أو انتقل بظهور الإسلام وفرض الصلاة . وقد جاءت الكلمة في القرآن بمعنى الرحمة والدعاء والتعظيم .

وحدد الحديث الشريف هيئاتها وأواقتها .

الجديد إذًا أن الصلاة أصبحت عبادة مفروضة بهيئات مخصوصة من قيام وركوع وسجود وتشهد .. في أوقات محددة وبشروط مخصوصة .

فالتغير هنا ليس انتقالًا من معنًى إلى معنًى آخر يختلف عنه تمامًا ، بل تغير في مكون أو أكثر من مكونات معنى اللفظ ، فالمعنيان بينهما مكونات مشتركة ، فالصلاة عند الجاهليين وعند المسلمين عبادة ودعاء وتقرب إلى المعبود ، ويتميز اللفظ في الإسلام بما حددناه من مكونات .

وهكذا الحال في كل ما وجدناه من أمثلة التغير .

ولنأخذ مثالًا مما درسناه :

(الترجمان) كلمة آرامية تعني من يفسر الكلام من لغة إلى لغة أخرى . وقد استعملته العرب في جاهليتها بهذا المعنى ، وكذا في عصور اللغة الأخرى حتى العصر الحديث ، وتصرفت العرب في الكلمة فاشتقوا منها أفعالًا فقالوا : ترجم ويترجم وصفات : مترجِم ومترجَم ومصدرًا : ترجمة .

وقد جرى الاستعمال – عبر الزمن – بمعانٍ جديدة ، فأصبحت تعني من يكتب سيرة شخص أو أشخاص ، ومن يكتب كتابًا ويقسمه إلى أبواب وفصول ... إلخ ما فصلناه في موضعه من الكتاب فالتغير هنا نوعان :

الأول : لفظي ؛ لأنه مقترض من لغة أخرى ، وللتصرف فيه بالاشتقاق ، ومعاملته معاملة الكلمة العربية .

الثاني : دلالي ، يتمثل فيما أضيف إلى معناه من معانٍ .

هذا بالإضافة إلى استعماله استعمالًا مجازيًا ، وإلى تفنن الشعراء والأدباء في تضمينه إيحاءات وظلالًا دلالية طريفة . (انظر ص ٣٢٣ ، ٣٢٤) .

وثمة تغيرات سجلتها فيما قدمته من النماذج أشير هنا فحسب إلى أن من التغير اللغوي استعمال كلمة كانت مهجورة أو هجران كلمة كانت مستعملة ، ومنه تغير في نظرة المجتمع إلى مدلول الكلمة والحكم عليه بالرقي أو الانحطاط .

ونقدم الآن ملخصًا وافيًا يكشف عما حدث للكلمات الثمانية التي أرخنا لاستعمالها في هذا الكتاب .

مظاهر التغير اللغوي في النماذج الثمانية :

فالكلمة (قطار) تعني الآن مجموعة من مركبات السكة الحديد تجرها آلة جر (قاطرة) ، وكانت تعني في أقدم استعمال لها (في شعر الممزّق العبدي ت ٣٥ ق هـ) قطرات من مطر السماء ، أو جماعة من الإبل أو غيرها من الدواب والحشرات (قطار من إبل) (قطار من نمل) ... إلخ .

وظل هذان المعنيان مستعملين حتى العصر الحديث ؛ بيد أن الكلمة في رحلتها عبر هذا الزمن قد استعملت استعمالات مجازية عديدة ، ومن تلك الاستعمالات : قطار من النبيط (الأنباط) قطار من المحبوسين ، قطار أبناء السبيل ، قطار المتهجدين ، قطار نقلة الحديث ... ومنها قطار المنايا ، وقطار النصر ، وقطار الجود ... إلخ .

وظهرت السكة الحديد بمصر من عام ١٨٥٢ - ١٨٥٦م وظهرت معه كلمة (الوابور) و(القطار) و(قطار النار) واستقر الأمر في النهاية لكلمة (قطار) ، وتبارى الشعراء والأدباء في الحديث عن هذه الآلة العصرية ، واستعملوها على الحقيقة وعلى المجاز ، ومن استعمالها في المجاز : قطار السعادة ، قطار الرحمة ، قطار التنمية ، قطار العمر .. وقالوا أيضًا : فاته القطار ، وفاتها قطار الزواج ... إلخ .

والكلمة (ذَرَّة) تعني الآن مفهومًا علميًا حديثًا في مجال الفيزياء والكيمياء (أصغر جزء من عنصر ما يمكن أن يدخل في تفاعلات كيميائية) .

وكانت تعني في أقدم استعمال لها النملة أو جزءًا صغيرًا من مادة ، جاء هذا في شعر لامرئ القيس (ت ٨٠ ق هـ) .

واستعملها القرآن للدلالة على شيء بلغ الغاية في الصغر ، وفي خفة الوزن ، وقلة الرجحان .

واستمر استعمالها في معناها الحسي (النملة ، الهباءة ، وجزء صغير من مادة : ذرة ملح أو دقيق) ، وفي معناها المجازي (الغاية في الصغر وفي خفة الوزن وقلة الرجحان) - حتى العصر الحديث .

وتسابق الشعراء - عبر تاريخها - في استعمالاتها المجازية ، ومن ذلك : ذرة حب ، ذرة حِلم ، ذرة متعة ، ذرة جمال للنفس ، ذرة ظلمة (في مقابل النور عند

بعض الصوفية) ذرة عقل .. إلخ وفي عصر ازدهار العلوم ، عصر بني العباس ظهر مصطلح (ذرة) عند الفلاسفة المسلمين يعنون بها : الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ ، وقد انتقل إليهم هذا المعنى من الفلاسفة اليونان . وقد ظهرت الكلمة بمفهومها العلمي الحديث في عام ١٨٧١م استعملها إلياس بقطر في معجمه ترجمة للكلمة atome ، بيد أن المستشرق الفرنسي ماسينيون استعملها في محاضراته في جامعة القاهرة التي ألقاها ١٩١٢ ، ١٩١٣م ، وتحدث عن مفهومها العلمي الحديث وعن مفهومها عند الفلاسفة المسلمين .

وتبارى الشعراء المحدثون في استعمال كلمة (ذرة) استعمالات شعرية فريدة . فالإنسان ذرة في الكون ، وهو مع ذلك مركزها ، والإنسان ذرة تدور في فضاء الله ، والذرة عوالم لها نظامها ، والأرض ذرة بين النجوم ، والشمس - لو ضوعفت ألف مرة - ذرة في الأثير ... إلخ .

والكلمة (سياسة) تعني الآن مفهومًا اجتماعيًا حديثا له عدة معانٍ عامة وخاصة تتصل بالسلوك ونظم الحكم والإدارة ، وكانت تعني في أقدم استعمال لها : تربية الدواب وترويضها ، والقيام على أمور الناس وحكمهم .

وبالمعنيين جاء استعمالها في الحديث النبوي الشريف ، ونتبين الاستعمالات الآتية في رحلة الكلمة من عصر بني أمية حتى العصر الحديث :

فالممدوح يسوس الناس سياسة العدل واللطف والحكم والحلم والحزم والتدبير والترغيب والترهيب .. وسياسة (الحاني الشفيق ، والوالد للأبناء ، والراعي الصالح ... إلخ) وتُشَبَّه سياسةُ الممدوح بسياسة الأنبياء والملوك المشهورين والخلفاء الراشدين ، فهي تشبه سياسة موسى في قومه ، وسياسة كسرى والإسكندر ... بل سياسة المهدي (في شعر الشيعة) ... إلخ .

بيد أن جانبًا آخر طرقه الشعراء وهو الجانب السلبي فالساسة يسوسون الأمور بغير عقل ، ومنهم من يفرط فيما أُعْطِي من ملك ولا يحسن القيام به فينزع عنه ... إلخ ونجد الجانب الإيجابي للسياسة والسياسيين خافتًا على حين نجد السلبي للسياسة صارخًا في الشعر الحديث : ساسة قلوبهم وَغِرة ، سياسة بغال تحكم الأسود ، السياسة خدعة ، سياسة التفريق ، سياسة القهر ، سياسة الحقد ... إلخ .

وعند البحث في أصل كلمة سياسة كشفت لنا مصادرنا عن قصة طريفة ،

فالكلمة عربية صليبة - ما في ذلك شك - من جذر عربي (س و س) بيد أنها في العصر المملوكي اختلطت بها كلمة تشبهها شكلًا وترادفها في المعنى على نحو من أنحائه .

فعندما ظهر جنكيز خان (ت ٦٢٤هـ ١٢٢٧م) واجتاحت جيوشه جزءًا كبيرًا من بلاد المسلمين ، قسم ممالكه بين أولاده الثلاثة ، وأوصاهم بوصايا ألَّا يخرجوا عنها ، فجعلوها قانونًا وسموها (ياسه) ثم غيروها فقالوا (سياسة) وقال المقريزي إن الكلمة مغولية أصلها (ياسة) حرفها أهل مصر وزادوا بأولها سينًا وقالوا سياسة .

وانتشرت الكلمة بمدلولها الذي حدده جنكيزخان في مجموعة قوانين لا علاقة لها بالشريعة الإسلامية ، وبكل أسف حكم بها بعض حكام مصر وحجابها فكانت نكالًا على الناس جميعًا .

وكلمة (سياسة) مصطلح فقهي شهير ، تعني السياسة الشرعية ، أي ما على الراعي والرعية من حقوق وواجبات وفقًا لما في القرآن والسنة ، يستوي في ذلك مصالح العباد ، دنيوية وأخروية .

وهي - أيضًا - مصطلح فلسفي شاع بين فلاسفة العرب ومتكلميهم حين عرفوا فلسفة أرسطو وفلسفة إفلاطون وهي تعني في مجملها : تدبير الرجل نفسه ، وتدبير الخاصة أو المنزل ، وتدبير العامة وهو سياسة المدينة والأمة والملك .

والكلمة (زنَّار) ما يلبسه الذمي يشده على وسطه كلمة يونانية الأصل زوناريون ، انتقلت إلى الآرامية (زونرا) أو (زنرا) ومنها انتقلت إلى العربية (زُنَّار) وكانت تطلق على قطعة من الملابس يرتديها الكهنة قبل الإسلام وانتقلت الكلمة إلى القبطية ، وعدها الأقباط من ملابس الكهنوت .

وأقدم استعمال للكلمة ورد في شعر عدي بن زيد العبادي (ت ٣٥ ق هـ) يصف فتاة تعقد على خصرها زنارًا .

واستعملت في عصور اللغة العربية حتى نهاية العصر العثماني بهذا المعنى ما تلبسه الفتيات أو الغلمان يشددن به خصورهن النحيلة - بالإضافة إلى الإشارة إلى الرهبان ، والرمز به لمن يدين بالنصرانية ، وإذا كان لبس الزنار رمزًا لمن يتدين بالنصرانية فإن قطعه رمز للخروج منها .

وللزنار تاريخ طويل فقد عرفه الأقباط ربما قبل القرن الثامن الميلادي - وعده العرب منذ الفتح الإسلامي أداة للتمييز بين المسلمين وأهل الذمة منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب فقد ورد في عهده أن يجعلوا في أوساطهم الزنَّارات .

واستمر استعماله لهذا الغرض في عهد بني العباس ، بيد أن الحكام ما كانوا يتشددون في وجوبه إلَّا في فترات الحروب والفتن . وكان آخر العهد به ما حدث من وقائع فتنة في نهاية القرن الثامن عشر ، وبعدها اختفت الكلمة في المصادر التاريخية التي رجعنا إليها ، ومن ثم لم نجدها لا في شعر ولا في نثر منذ بداية العصر الحديث حتى اليوم .

والكلمة (ترجمان) سامية الأصل ، عرفتها العبرية والآرامية والحبشية ، وأخذتها العربية من الآرامية .

وقد وردت جمعًا في شعر للأسود بن يعفر (ت ٢٢ ق هـ) وانتشر استعمالها منذ عرفتها العربية حتى اليوم .

وتنوعت أشكالها اسمًا وفعلًا ووصفًا ، وتنوع معناها أيضًا ، وأصبحت الترجمة - بمرور الأزمان - تعني : التفسير ، وسيرة الشخص وأخلاقه ونسبه ، وعنوان الفصل أو الباب من كتاب ، وما في أعلى الصفحة من ذكر اسم كاتب الرسالة والمكتوب إليه ، وتقسيم الكتاب إلى أبواب وفصول ... إلخ .

وفي الشعر كثير من هذه المعاني ، فالناس تختلف لغاتهم ولا يفسرها إلَّا التراجمة ، والذكرى ترجمان ، والجود ترجمان ، وترجمان الأشواق ، وحال العاشق ترجمان ، والعدل ترجمان ، والشعر ترجمان ... إلخ .

وكانت وظيفة الترجمان معروفة عند العرب في العصر الجاهلي ، وكان بعض العبادين يعملون بالترجمة في بلاط الفرس ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك ويقرأ على النبي كتبهم .

وأدى التراجمة من العرب وغيرهم دورًا عظيمًا في زمن الفتوح ، والحروب ، وعقد الصلح والمعاهدات ، بل كان لهم دور في الحياة الاقتصادية في البيع والشراء لا يقل أهمية عن دورهم في الحياة السياسية .

وبالترجمة عرف العرب علوم اليونان والفرس والهند ، ولم يكن النقلة أو التراجمة

مجرد ناقلين للعلوم فحسب ، بل كان منهم علماء في المنطق والفلسفة والطب والفيزيقا .. وقد قامت نهضة مصر في العصر الحديث على ترجمة العلوم الحديثة ، وكان لرفاعة الطهطاوي وتلاميذ مدرسته أوفى نصيب فيها .

وكلمة (الوزير) كلمة عربية أصلية جذورها (وزر) وكانت تعني في أقدم استعمال لها الجبل والملجأ والمعتصم ، ثم استعملت لمن يعين الملك أو الزعيم على أمره .

وقد استعملها العرب في الجاهلية بهذين المعنيين ، وجاء الإسلام فاستعملها على النحو نفسه ، ومما ورد في الشعر قول العباس بن مرداس (ت ١٨هـ) إنه وزير للنبي وتابع له ، وحسان (ت ٥٤ هـ) يقول : جبريل وزير للنبي ، وحمزة أيضًا وزير له ، وكعب بن مالك يقول : النبي وزير ، وغسان (يعني الأنصار) وزير .

وكان للوزير في عهد بني العباس شأن عظيم ونفوذ واسع وبلغت الوزارة في عهدهم أبهى عصورها .

وتسابق الشعراء في مديح الوزراء فيحيى بن خالد البرمكي نال رتبة الوزارة ، ولو كان ثمة رتبة فوقها لنالها ، والبحتري يمدح عبيد الله بن خاقان بالكفاية والحزم والجلد ، وأبو تمام يمدح الوزير الزيات بأنه وزير حق ووالي شرطة ورحى ديوان ومحتسب ... إلخ .

وكما تسابق الشعراء في مديح الوزراء تسابقوا - أيضًا - في هجائهم فأحد الشعراء يقول عن أحمد بن عمار إنه كان طحانًا على بغلة بغير دكان ولا دار ... والشاعر يوسف بن محمد يتهم الفضل بن الربيع بالفساد الخلقي وبالغش ... إلخ .

وعلى أية حال كانت تتبلور في أشعارهم صفات الوزير إيجابًا وسلبًا ، وفي قصائدهم تاريخ لهذا العهد في مختلف نواحيه . وفي العصور المتتالية لعصر بني العباس لم يختلف الشعراء عما ورثوه من المدح إذا أعطوا ومن الهجاء إذا منعوا .

أما تاريخ الكلمة فطويل طريف متقلب تقلب هذه الوظيفة وموقعها من نظم الحكم التي عرفها العرب والمسلمون .

وقد كان لبعض رؤساء القبائل الكبرى مكانة في بلاط الفرس ، وكانوا يُشَبَّهون بالوزراء ، ومن الوظائف التي عُرفت بين ملوك الحيرة وظيفة (الردافة) والردف هو

الذي يجلس على يمين الملك ... وإذا غزا قعد في موضعه ، وهو خليفته على الناس حتى يعود . وقال المؤرخون إن أرداف الملوك في الجاهلية بمنزلة الوزراء في الإسلام .

وكان الناس في عهد النبي ﷺ يسمون أبا بكر وزيره ؛ لأنه كان يستشيره في أمور الناس ويُعينه في مهماته العامة والخاصة .

والقرآن يتحدث عن دعاء موسى ربه أن يجعل هارون أخاه وزيرًا له يشد أزره ويشاركه في تدبير الأمور .

ونتبين مفهوم الوزير واضحًا في هذه الفترة حين اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة وتكلموا في الإمارة فقال أبو بكر : ... نحن الأمراء وأنتم الوزراء . وفسر أبو بكر مهمة الوزراء بقوله : « لا تُفتانون بمشورة ولا نقضي دونكم الأمور » . فالإمارة إذًا حكم وتصرف وتدبير وقيادة ، والوزارة رأي ومشورة ومعاونة .

وفي عهد بني أمية استعان خلفاؤهم بوزراء يستشيرونهم ويستعينون بهم في أمور القبائل والعشائر .

والوزارة لم تتمهد قواعدها إلا في عهد بني العباس ... فقد صار لها قوانين وتقاليد أخذوها من الفرس ، وعظمت مرتبة الوزير وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد .. وصار اسم الوزير جامعًا لخطتي السيف والقلم وسائر معاني المؤازرة والمعاونة ، ولما جاء في الدولة العباسية شأن الاستبداد على السلطان ... وصار الأمر لملوك العجم وتعطل رسم الخلافة هبط شأن الوزراء ، وأصبح الوزير وليس له إلا ما يتصل بأمر الخليفة .

وفي خلافة بني أمية بالأندلس استعمل الناس لفظ (الحاجب) وربما أطلقوه على من يقوم مقام الخليفة في الأمر ، وقسموا خطة الوزارة أقسامًا ، جعلوا وزيرًا لحسبان المال ووزيرًا للترسيل ، وللنظر في حوائج المتظلمين وزيرًا ... إلخ .

وفي عصر المماليك ابتذل أمر الوزارة وصارت مرؤوسة ناقصة ، وصار صاحب الأحكام والنظر في الجند يحكم فيما يحكم فيه السلطان ويسمى عندهم بالنائب ، واختص الوزير بالنظر في الجباية .

وكان للخليفة في هذا العصر دور تشريفي لا غير فالأمر كله بيد السلطان ثم من ينيبه عنه ، ثم الوزير .

وعادت للوزارة مكانتها في العصر العثماني ، وتشير كلمة الوزير عندهم إلى أعلى موظف فيها رتبةً ، وله الكفاءة الإدارية والعسكرية وقد يتعدد الوزراء ، ومن ثم يلقب كبيرهم بالصدر الأعظم . ويرادف كلمة (الوزير) في بعض عهودهم بمصر وغيرها من بلاد دولتهم كلمة (الناظر) وكان الوالي الذي تبعث به الدولة إلى أقاليمها يسمى وزيرًا . وكان محمد علي في بداية حكمه يسمى وزيرًا أو وزيرًا أعظم وحين استقر الوضع لمحمد علي في مصر أصدر عديدًا من القوانين تحدد وظائف الدولة واختصاص كل مصلحة من مصالحها .

وفي عهد الخديو إسماعيل صدر أمر عالٍ بتأسيس هيئة النظارة (الوزارة) برئاسة نوبار باشا الذي أطلق عليه ناظر النظار وحددت أسماء النظارات ، بناظر الخارجية ، وناظر الحقانية ، وناظر الأوقاف ، وناظر الجهادية .. إلخ .

وظلت كلمة (الناظر) و(النظارة) مستعملتين حتى عام ١٩١٤م حين صدر أمر السلطان حسين كامل بتعيين مجلس للوزراء يتألف من عدد منهم : وزير الخارجية ووزير الأوقاف ... إلخ .

ومنذ هذا التاريخ اختفت (النظارة) و(الناظر) لتحل محلهما (الوزارة) و (الوزير) .

وكلمة (الحاجب) كانت تعني في أقدم استعمال لها : العظم الذي فوق العين وشعره ، ومن كل شيء جانبه ، ومن الشمس قرنها ، والمانع والحائل ، وعلمًا على زعيم قبلي يدعى حاجب بن زرارة ، وعلى من يتولى حجابة البيت .

وأقدم استعمال لها بمعنى المانع في شعر للمهلهل بن ربيعة (ت ٩٤ ق . هـ) وبمعني حاجب الإنسان في شعر لعنترة (ت ٢٢ ق) يشبه حاجب حبيبته بالنون . واستعملت علمًا في شعر لعامر بن الطفيل (ت ١١هـ) .

وكان للحاجب في عهد بني العباس مكانة عالية لقربه من الخليفة والوزراء وقيامه بتنظيم الدخول عليهم ، وتسابق الشعراء الذين حال الحاجب بينهم وبين ممدوحيهم في هجائه أقذع الهجاء .

ومضى الشعراء في عصور الشعر التالية فيما تناوله شعراء بني العباس باستعمال (الحاجب) بمعانيه الحقيقية والمجازية حتى العصر الحديث .

وتاريخ (الحجابة) تاريخ طويل طريف ، وكان لها شأن كبير عند ملوك الغساسنة الذين تطبعوا بطباع الفرس وأخذوا عنهم أبهة الحكم فاصطنعوا الحجاب ليحجبوهم عن الناس .

وكانت قريش تقوم بخدمة الحجيج في مطعمهم ومشربهم وإقامتهم ، وعقد قُصَيٌّ لعبد الدار الحجابة واللواء والندوة والسقاية والرفادة . والحجابة : هي سدانة الكعبة وتولي حفظها والإمساك بمفاتيحها .

ولم يكن للنبي ﷺ حاجب يحجب الناس عنه ، وكان يوجب على من يرغب في لقائه أن يستأذن .

ووظيفة الحاجب قديمة الوضع كانت لابتداء الخلافة ، فكان لكل خليفة من الراشدين حاجب يبلغه الأخبار عن الرعية ، ويأخذ لهم الإذن منه .

ولما انقلبت الخلافة إلى الملك وجاءت رسوم السلطان وألقابه ... بُدئ بالباب وسده دون الجمهور بما كانوا يخشونه على أنفسهم من اغتيال الخوارج وغيرهم ... وما في فتحه من ازدحام الناس عليهم وشغلهم عن المهمات ، فاتخذوا من يقوم بذلك وسموه (الحاجب) .

وكان للحجابة شأن عظيم عند بني العباس ، واحتجب الخلفاء والوزراء والأمراء بل وسراة الناس ووظفوا حجابًا يقومون على أبوابهم .

وبلغت وظيفة الحاجب غاية رفعتها عند بني أمية في الأندلس ومعناها عندهم : الاستقلال بالدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته ، وكان للمنصور بن عامر الحاجب مكانة تعدل مكانة الخليفة ، بل إنه محا رسم الخلافة بالجملة ولم يبق لهشام المؤيد الذي تولى ٣٦٦ هـ ، من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على المنابر وكتب اسمه على السكة .

وفي عصر المماليك كان الحاجب حاكمًا من أهل الشوكة من الترك ينفذ الأحكام بين الناس في المدينة ، وهم متعددون ، وهذه الوظيفة تحت وظيفة النيابة التي لها الحكم في أهل الدولة على الإطلاق ، وللحجاب الحكم فقط في طبقات العامة والجند عند الترافع إليهم ، وإجبار من أبى الانقياد للحكم .

وفي العصر العثماني أصبح دور الحاجب القيام على باب الحكام أو سراة الناس ،

ويعلن عن حضورهم ويوسع الطريق لمحافلهم .

وفي العصر الحديث انحدر حال الحاجب إلى أدنى الدرجات الوظيفية حيث يقوم بالوقوف على أبواب كبار الموظفين أو بتنظيم دخول المتقاضين إلى قاعة المحكمة وخروجهم ، أو المناداة على أطراف النزاع والشهود ... إلخ .

والكلمة (حكومة) كلمة عربية كانت تعني الحكم أو القضاء في خصومة ، ورد الرجل عن الظلم ، وقد تطور معناها بتطور نظم الحكم والإدارة في المجتمعات العربية ، فهي تعني الآن : النظام السياسي الذي يختاره شعب ما لتنظيم شؤونه ، ويقوم على جهاز يحتكر مشروعات استخدام السلطة في صياغة القرارات وتنفيذها ، ويعنى كذلك جماعة من رجال الدولة يختارهم (رئيس الدولة أو رئيس الوزراء) ليكونوا مسؤولين عن سياسة الدولة وإدارتها . وأقدم استعمال لها ورد بمعنى الحكم في شعر لعوف بن الأحوص (حضر يوم جبلة ٧٠ ق . هـ) .

وقد تناول الشعراء الكلمة بمعانيها السابقة في مختلف عصور اللغة العربية ، حتى العصر الحديث ، وفي العصر الحديث تحدث الشعراء عن الحكومة بمعنى النظام السياسي وبمعنى جماعة الحكم .

وعرف العرب في الجاهلية نظامًا من نظم الحكم ، فعرفوا النظام الملكي في اليمن وتلقب بالملك بعض ملوك الحيرة وغسان . أما سكان القرى والمدن في الحجاز فعرفوا نظامًا قبليًا رئاسيًا .

وترد كلمة (حكومة) كثيرًا بمعنى الحكم في الخصومات في الحديث النبوي الشريف ، وجاءت كذلك في قضية التحكيم التي جرت بين علي ومعاوية .

ولعل أول تطور لها حدث مع دخول الحملة الفرنسية وتردد عبارة (الحكومة الفرنساوية) في المنشورات التي كانت تنشرها الحملة على المصريين .

وعندما استقل محمد علي بحكم مصر واستقرت أحوال البلاد بدأت كلمة (الحكومة) بمعناها الحديث كنظام للحكم أو كجماعة تحكم تتردد في قوانينه ، عند إنشاء المجلس العالي ١٨٢٤م ، وفي قانون السياستنامة الذي صدر ١٨٣٧م وفي غير ذلك من القوانين .

وكانت ترادفها في المغرب كلمة (المخزن) .

وبانتشار الصحافة ، وما كتبه الطهطاوي وعلي مبارك وحسن المرصفي عن نظم الحكم في الغرب وعند المسلمين بدأت تتحدد المعاني الحديثة لكلمة (الحكومة) وأصبحت تكافئ المصطلح الإنجليزي (government) .

وللكلمة معنى اصطلاحي فقهي ، فيطلقه الفقهاء على أرش الجراحات ، وفي البيوع - أيضًا - على الواجب الذي يقدر في أمر ليس فيه مقدار معين من المال .

* * *

ثانيا

قصة المعجم التاريخي
بين الأمل والعمل

نص منشور إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩٣٢م على أن من أغراض المجمع أن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثًا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها .

وقدَّم عضو المجمع المستشرق الألماني أ . فيشر تقريرًا مفصلًا عن المعاجم الأوروبية التاريخية ، وأوضح للأعضاء حاجة العربية إلى معجم تاريخي ، وشرح لهم في بحث له طريقة العمل فيه . وافق الأعضاء على التقرير ، وشرع المجمع يعد العدة لوضعه .

أعلن فيشر أنه وضع خطة لمعجم تاريخي ، وجمع جزءًا كبيرًا من مادته في جذاذات ، وأنه يسعده أن يهب المجمع جذاذاته ، وقدم للمجمع نموذجًا لمعجمه هو الثلث الأول من مادة (أخذ) مشفوعًا بمراجعه ورموزه ودليل المراجعة ، ونوقش النموذج مناقشة مستفيضة واتخذ المجمع قرارًا باستضافة فيشر لحين إنجاز المعجم وبتأليف لجنة لمعاونته ومراجعة معجمه .

ومضت اللجنة تؤدي عملها إلى أن سافر فيشر إلى ألمانيا ١٩٣٩م ، وقامت الحرب العالمية ، ولم يعد إلى مصر ثانية ، وتعذر مواصلة العمل . وكان فيشر قد أعد مقدمة المعجم وجزءًا منه حتى آخر مادة (أبد) .. وقد نهض المجمع بطبعها عام ١٩٦٧م أما بقية الجذاذات التي جمعها فكان مصيرها إلى ركن قصي في مخزن للمرتجعات في المجمع .

ومع أهمية ما نشر من معجم فيشر فإنه لا يعد معجمًا تاريخيًا بالمعنى المتداول بل هو - كما قال - : (معجم كبير للغة العربية الفصحى في العصر الجاهلي وفي القرون الثلاثة الأولى للإسلام) .

وبوفاة فيشر ١٩٤٩م توقف العمل بالمعجم ، وفي عام ١٩٦٤م يعتذر الدكتور إبراهيم مدكور عن النهوض بوضع المعجم التاريخي للغة العربية لأن أسبابه لا تتوافر للمجمع ، وصرف جهده إلى تأليف المعجم الكبير . والمعجم الكبير – وإن استشهد أحيانًا بالشعراء المولدين والمحدثين ، ورتب شواهده ترتيبًا تاريخيًّا – ليس معجمًا تاريخيًّا بحال من الأحوال .

وفي عام ١٩٨٩م تعقد (جمعية المعجمية) بتونس ندوة تدور حول المعجم العربي التاريخي : قضاياه ووسائل إنجازه ، فيعود موضوع المعجم إلى مائدة البحث مرة أخرى . وتنجلي الندوة عن بحوث علمية هامة نشرتها الجمعية في العددين الخامس والسادس من مجلتها .

وقد كانت الندوة في تقدير منظميها خطوة في سبيل إنجاز المعجم على المستوى النظري والتطبيقي ، ووعد المنظمون بأن يكون عام ١٩٩٠م نقطة الانطلاق لوضع المعجم .

ولست أدري ماذا تم فيما شرع فيه أعضاء الجمعية من عام وعدها حتى اليوم ، ولكن الدكتور إبراهيم بن مراد رئيس الجمعية ، وعضو لجنة المعجم التاريخي للغة العربية المنبثقة عن اتحاد المجامع يتحف اللجنة ببحث علمي طريف عن (مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته على العربية) يحكي فيه قصة المعجم التاريخي بداية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وما أنجزه فيشر ... وفي النهاية يذكر ما أنجزته جمعية المعجمية وهو (مدونة معجمية مؤرَّخة للعصر الجاهلي بالشعراء وبالنصوص الشعرية خاصة ، وهي نصوص منتمية إلى أربعة قرون من حوالي ٢٠٠م إلى ٦٠٩م) .

(انظر ملخصًا للبحث ، ونموذجًا من المدونة في الصفحات من ١٦٠ ، ٢٣٤ – ٢٤٢ من هذا الكتاب)

وكان المعجم التاريخي للغة العربية مما درسه اتحاد المجامع ، وفي أبريل ٢٠٠٤م اتخذ قرارًا بإنشاء مؤسسة تابعة له (هيئة المعجم التاريخي للغة العربية) وشكل لجنة من أعضائه ، ومن بعض اللغويين من خارج الاتحاد لدراسة الموضوع .

وتلقت اللجنة أوراقًا في الموضوع من مجمع القاهرة ودمشق وعَمَّان وبغداد ، وأوراقًا أخرى من بعض اللغويين .

تبلورت الأفكار في مشروع أولي ، نوقش وعرض على لجنة المعجم فأقرته باسم (النظام الأساسي لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية) يحدد النظام هدف الهيئة والأجهزة العلمية والإدارية .. وغير ذلك مما يتصل بإنجاز المعجم وقد شرفني اتحاد المجامع باختياري عضوًا بلجنة المعجم في سبتمبر ٢٠٠٤م وشاركت في أعمال اللجنة منذ هذا التاريخ ، وكلفتني بوضع تصور لمنهج المعجم التاريخي .

قدمت تصوري بعنوان (مذكرات عن منهج المعجم التاريخي) ، وبُعث به إلى أعضاء لجنة المعجم فكتبوا عنه تعليقات إضافية ، وضعتها في اعتباري ، ووضعت عنها وعما دار حولها من نقاش تقريرًا قدمته إلى اللجنة . فأقرت النقاط التعريفية التي وردت فيه ، وتشكيل لجنة رباعية لاستكمال خطة العمل بالمعجم برئاسة الأمين العام للاتحاد أ . د . كمال بشر وبعضويتي وعضوية أ . د . أحمد بن محمد الضبيب ، وأ . د . إبراهيم بن مراد ود . علي القاسمي .

اجتمعت اللجنة في أبريل ٢٠٠٦م وقسمت العمل بين أعضائها ، واقترحت أن تجتمع في أكتوبر ٢٠٠٦م لمناقشة ما أنجز من عمل أعضائها .

وكانت مشكلة تمويل الهيئة التي ستقوم بإنجاز المعجم هي أعظم المشكلات . وقد نجح الاتحاد بمعاونة صادقة من مجمع القاهرة بكل أجهزته وقياداته في الاتصال بالشيخ الدكتور سلطان القاسمي أمير الشارقة وإقناعه بجدوى هذا المشروع العربي العظيم . واتُّفِق على تنظيم مؤتمر علمي بجامعة الشارقة لعرض المشروع للبحث والنقاش .

انعقد المؤتمر في الفترة من ١٧ - ١٨ ديسمبر ٢٠٠٦م . برعاية الشيخ الدكتور سلطان القاسمي بالشارقة ، وكان مؤتمرًا بلغ غاية بعيدة من النجاح فيما ألقي فيه من بحوث وما جرى فيه من مناقشات . وتكلل ذلك كله بإعلان سمو الأمير بتكفله بإعداد مقر دائم لهيئة المعجم بالقاهرة وبتدبير ميزانية دائمة لإنجازه .

وبهذه المنحة الكريمة من أمير الشارقة العالم الجواد قارب الحلم أن يكون حقيقة ، والأمل أن يكون عملًا .

اجتمعت اللجنة الرباعية في أثناء انعقاد جلسات المؤتمر وناقشت أعمال أعضائها مناقشة مستفيضة .

ودون الدخول في تفاصيل التقارير والبحوث العلمية والمناقشات التي نهضت بها لجنة المعجم واللجنة الرباعية (انظر في ذلك ١٦٤ : ١٧٠) ، فلي عليهما ملاحظتان أبديهما بصدق وموضوعية والرائد لا يكذب أهله .

الملاحظة الأولى : تتصل بالطريقة التي يعمل بها الاتحاد .

في تقديري أن الاتحاد – بالطريقة التي عمل ويعمل بها الآن في مشروع المعجم – لا يُتوقَّع منه – بحال من الأحوال – أن يضع المعجم التاريخي .

وحسب الاتحاد ، وحسب أعضائه ما أنجزوه من إحياء فكرة المعجم ، ووضع النظام الخاص بهيئته ، وإضفاء الشرعية عليها ، وتدبير التمويل والرعاية له . وهي أعمال جليلة تشهد بفضل أعضائه وتشيد بريادتهم .

أما وضع المعجم فهو دور آخر ، المعجم الحديث علم وصناعة ، علم يقوم على آخر ما أنجزته العلوم اللغوية من معارف ، وصناعة تقوم على متطلبات الصناعة وتقنياتها ، ويستلزم مشاركة عالية بين اللغويين وغيرهم من العلماء والخبراء في المعلوماتية والمعالجة الآلية للنصوص جمعًا وتحليلًا وتصنيفًا ونشرًا .

وما أقوله لا يغض من قدر هؤلاء العلماء أعضاء الاتحاد ، ولا يُنقص شيئًا من أعمالهم ؛ فهم أشياخنا في العلم ، وروادنا في هذا المشروع العظيم ، ولكن المرحلة القادمة تتطلب جيلًا جديدًا يتمكن – بحكم السن والطاقة والخبرة بالتقنيات الحديثة – من قيادة العمل مع مئات من العلماء والخبراء والمحررين – في مختلف العلوم ، وإدارته بنجاح .

والملاحظة الثانية : تتصل باللجنة الرباعية .

إن البحوث التي قدمها أعضاء اللجنة ، والتقارير التي وضعوها كلها أعمال علمية رفيعة المستوى والغاية من لغويين أكفاء متمرسين بالعمل اللغوي بعامة والمعجمي بخاصة . وبهذه البحوث والتقارير اتضحت معالم منهج المعجم ، وتحددت بعض عناصره .

ولكن مشكلة المشكلات أن هذه البحوث كانت غالبًا ما تبدأ بالنقطة التي بدأ بها البحث في المنهج . لقد أقرت لجنة المعجم النقاط التعريفية الواردة في التصور الذي قدمته للمنهج والذي خضع لمراجعات ومناقشات مستفيضة من أعضاء لجنة

المعجم ومنهم أعضاء اللجنة الرباعية نفسها . ومن ثم ففي تقديري أن اللجنة لم تتقدم كثيرًا في أداء مهمتها ومن أوضح الأمثلة على ذلك .

● أن لجنة المعجم استقر أمرها على تسمية عصور اللغة العربية وعددها ومسوغات هذا وذاك . فليس من الموضوعي إذًا أن تنكر هذه التسميات أو يعاد النظر فيها .

● أن الخلاف بين أعضائها كان شديدًا حول (مدونة المعجم) أتضم كل نصوص اللغة العربية في كل عصورها وأقطارها - (دعا إلى ذلك أحد أعضاء اللجنة) أم نكتفي بعينات كبيرة منها تختار بطريقة ذات دلالة إحصائية مناسبة من حيث الزمن والمكان - (وهذا رأيي) .

(انظر في تفصيل هذا الموضوع تعليقي على بحث الدكتور إبراهيم بن مراد . مفهوم المعجم التاريخي وتطبيقاته على العربية ص ٢٣٥ : ٢٤٢) .

وفي مثل ما سبق من قضايا انحصر النقاش وطال بين أعضاء اللجنة ومن ثم لم نخرج من اجتماع اللجنة بالشارقة بطائل .

وكنت أتوقع اتفاقًا على المبادئ الأساسية للمنهج بما يمكننا من مناقشة الإجراءات التنفيذية للعمل بالمعجم .

وبعد عودتي من مؤتمر الشارقة طلب إلى الأمين العام للاتحاد ورئيس اللجنة تقديم تقرير عما حدث .

قدمت التقرير أصف فيه ما حدث ، وعقبت على ذلك بقولي : وفي تقديري أن قرارات اللجنة الرباعية لم تصل إلى النتائج المتوقعة للاجتماع بناءً على المهام الموكلة إليها ، واقترحت :

١ - ضم خبير علمي في الحاسوب والمعلوماتية إلى اللجنة الرباعية لاستشارته في كل ما يتصل بهذا الجانب من العمل .

٢ - الإسراع بتأليف مجلس الأمناء ، وتعيين مدير للمشروع ، وأعضاء اللجان العلمية ورؤسائها ، حتى يكون العمل منتظمًا ، وتكون المسؤوليات واضحة ، ويكون التقييم منصفًا .

وفي ٢٠٠٧/٤/٤م قدم الأمين العام للاتحاد تقريرًا عن أعمال اللجنة الرباعية ، شكر فيه أعضاءها على ما بذلوه ، واقترح الاكتفاء بما قدم منها ، وتتسلم لجنة المعجم

كل ما قامت به من أعمال .

وفي الجلسة المنعقدة في التاريخ السابق طُلب إلى أعضاء الاتحاد وأعضاء لجنة المعجم بتسمية من يرونه ليكون عضوًا في اللجان العلمية .

ونحن إلى يومنا هذا من عام ٢٠٠٧م في انتظار ما تسفر عنه الأيام من تشكيل هذه اللجان .

* * *

ثالثا صناعة المعجم آليًا

المعجم المعاصر منظومة معقدة يتعذر فهمها وحصر ظواهرها ومتطلباتها في ظل القيود التي تفرضها الوسائل اليدوية التقليدية .

ولم تعد ميكنة المعجم باستخدام الحاسوب من قبيل الرفاهية الفنية ، بل أصبح مطلبًا ضروريًا تفرضه طبيعة العمل المعجمي المعاصر في مضمونه وتنظيمه ، وفيما يقدمه من خدمات لمستعمليه .

وهذا هو الدكتور نبيل على أحد علماء الحاسوب الكبار يقول في كتابه (اللغة العربية والحاسوب) : ... هدفنا هو إبراز حتمية ميكنة المعجم العربي وتحديد منطلقات تحديثه وتطويره (ص ٤٦٠) .

ويبين أن من أهم مراحل ميكنة المعجم وضع قاعدة بيانات أو نصوص ، يُقصد بها تخزين عينات مختارة من النصوص اللغوية يتم تجميعها من مصادر مختلفة ، وتُختار هذه العينات وفقًا للمبادئ الإحصائية السليمة ، لتجئ ممثلة للكم الهائل من النصوص المستخدمة في لغة ما .. وتعد قاعدة عينات النصوص حاليًا أحد المقومات الرئيسية لمؤازرة العمل المعجمي وترشيده ، وهي الوسيلة العملية لتلاشي انعزال المعجم عن الجماعة اللغوية (ص ٥١٤) .

ويلاحظ الدكتور نبيل ملاحظة أشرت إليها غير مرة في كتابنا هذا وهي أن ظاهرة تطور المعاني في المعجم العربي لم تحظ بما تستحقه من دراسات تحليلية وإحصائية ، وهي بلا شك مسألة يصعب التصدي لها دون اللجوء إلى إمكانيات الحاسوب الذي يستخدم لتخزين وتحليل الكم الهائل من النصوص اللازمة لتحقيق هذه المهمة (ص ٤٩٢) .

ويقول هارتمان في الموقف المعجمي في أوروبا بخاصة : مضى وقت طويل على استعمال المعجميين للحاسبات الآلية في تجميع البيانات (المدونات) الحاسوبية

النصية text corpora والتحرير (معالجة الكلمات word processing والنشر – تنضيد الحروف الطباعية typesetting (المعاجم عبر الثقافات ص ١٧٨)) . ويشير إلى ما أنجزته تقنيات الحاسوب بقوله :

تحقق أهم أثر بثورة الحاسب الآلي في مجال لسانيات المدونات الحاسوبية corpus linguistics ، فمن الممكن الآن (٢٠٠٠م) جمع كميات هائلة مهيكلة من البيانات النصية textual data ، والإفادة منها إفادة طيبة في وصف اللغة وضروبها المتعددة ، وبذلك حدثت ثورة حقيقية في هذا الحقل ، وظهرت قواعد بيانات خاصة باللغة الإنجليزية ، كما تطور استعمال المادة المعجمية في شكلها الإلكتروني (وهو ما يعرف بالمعاجم المعالجة آليًا) في الترجمة الآلية ، والذكاء الصناعي ، وغيرها من مبادرات معالجة اللغة الطبيعية عن طريق الحاسب الآلي (السابق ص ١٧٨) .

ويعد معجم كولينز كوبيلد Collins Cobuild English language Dictionary أهم وأكمل محاولة لوضع معجم لغوي إنجليزي قائم على مدونة مجموعة ومعالجة آليًا .

نجح كوبيلد – بعد تجربته المعجمية الأولى ١٩٨٧م – في صنع مدونة جديدة (٢٠٠٠م) قائمة على مجموعة من النصوص الإنجليزية التي يمكن أن يُطلق عليها (مدونة) أو (بنك) اللغة الإنجليزية . وأدخلت نصوص هذه المدونة على الحاسوب بطريقة تتيح الرجوع إليها والاستفادة منها . وكانت النصوص ممثلة حقًّا للغة الإنجليزية منطوقة ومكتوبة ، دارجة ورسمية ، بريطانية وأمريكية .

وبلغت كلمات هذه المدونة ما يزيد على مائتي مليون كلمة وكان جمع المادة المنطوقة يمثل أكبر العقبات ، والسبب في ذلك أن المحادثات المسجلة والتي تعبر عن واقع الحياة اليومية كانت تبدو في كثير من الأحوال عفوية وغير منضبطة . ومع ذلك فإن عقبات الجمع قد تم تجاوزها ، وأصبحت مادة اللغة الإنجليزية أو مدونتها متوافرة تحت سيطرة صانعي المعجم لتظهر المشكلة الكبرى في طبيعة المهام التحليلية التي يحاول كوبيلد القيام بها من خلال اختيارات سليمة ومتوازنة .

وقد نجح (كوبيلد) في تحليل مادة المدونة ومعالجتها وفقًا لمتطلبات الصناعة المعجمية وأغراض مستعملي المعجم .

(راجع مقدمة سنكير للمعجم من Viii إلى xxx)

فماذا عن الموقف في العالم العربي ؟

كتب الدكتور أحمد الضبيب بحثًا عن (النشر الإلكتروني للنصوص العربية) يهدف إلى استكشاف المدونات الإلكترونية المتاحة في الساحة الآن (٢٠٠٦م) ومدى إمكان الإفادة منها في تأليف المعجم التاريخي للغة العربية . وقد حصر الدكتور الضبيب ما توافر له منها في مجموعتين ، مجموعة أصدرتها مؤسسات رسمية أو غير ربحية ؛ مثل : الموسوعة الشعرية للمجمع الثقافي في (أبو ظبي) وموقع الورّاق ... إلخ ، ومجموعة أخرى أصدرتها مؤسسات تجارية ؛ مثل مدونة اللغة العربية (علم) التي تعدها شركة ATA .

وقد عرضتُ البحث ، وعلقتُ عليه في كتابنا هذا (انظر) تعليقًا مختصرًا يُعَرِّف بالمدونة ، وأهميتها في الصناعة المعجمية ، وعرّفت كذلك ببعض المدونات التي أنجزتها بعض الهيئات والمراكز العلمية الأجنبية أو أنجزها بعض الباحثين لنيل درجة علمية من الجامعات البريطانية ، تتميمًا للفائدة المرجوة من بحث الدكتور الضبيب .

وقد استعنت - في أثناء إعدادي للنماذج الثمانية التي قدمتها في هذا الكتاب - بنوعين من الإصدارات المتوافرة والمعالجة إلكترونيًا .

الأول : تم إدخاله على قاعدة بيانات تُخدِّم على برنامج تصفُّح يوفر مطالب متعددة للبحث في هذه القاعدة ، وفق رغبة المتصفح ؛ كالبحث باسم شاعر أو مؤلف أو عَلَم ... إلخ ، أو بالبحث بكلمة أو بجملة أو بعبارة ، أو البحث بالجذر في المعاجم .

ويفيد هذا البرنامج في تحديد نطاق البحث في نوع معين من الكتب كالتراجم والتفاسير ، وكتب الأدب والسيرة ، والمعاجم ... إلخ .

ويُمكِّن الباحث من الحصول على نسخة من النص المطلوب ، وعلى ترجمة موجزة للمؤلِّف أو لمؤلَّفه ، وقد يشير إلى الصفحة التي ورد فيها النص ، وقد اقتصرت من هذا النوع على : المكتبة الشاملة - الإصدار الثالث ، والموسوعة الشعرية - الإصدار الثالث .

والثاني : كتب تراثية : لغوية وشرعية وتاريخية وجغرافية ... إلخ ، نسخت من مصادرها بالشكل غالبًا وبغيره أحيانًا ، وهذا النوع منشور على الشبكة ويمكن تحميله

بسهولة وبسرعة ثم فكه ببرنامج الضغط وقراءته أو نسخه ، وقد رجعت أحيانًا إلى موقعين منه : مكتبة المشكاة ، وموقع الوراق .

وهذه الأعمال ليست إلا برامج تصفح لكتب أو مصنفات علمية أو أدبية مع إمكانيات للبحث ، لكنها لا تعد مدونات بالمعنى الذي أشرنا إليه غير مرة في هذا الكتاب ؛ لأن المدونة هي قاعدة بيانات ذات سعة تخزينية هائلة تشتمل على ملايين من الكلمات ، تم إدخالها وتحليلها بعدد من برامج التحليل اللغوي ، كبرامج تحليل الصوت ، والكتابة الصوتية ، والتقسيم المقطعي والتجذير والتكويد ... إلخ ، والغرض من المدونة – كما أشرنا – دراسة اللغة من عدة نواح كالنواحي الصوتية والشكلية والدلالية في اللغة ، كما تقدم معلومات إحصائية أو غير ذلك من المعلومات . وفي الجانب التطبيقي تستخدم في إنتاج معاجم أو مكانز ، وفي الترجمة الآلية وتعليم اللغات .

خلاصة القول : المدونة نصوص محللة آليًا أما الإصدارات السابقة:فهي نصوص مقروءة آليًا .

وكيف استفدت من هذه الإصدارات ، وأخص هنا – أساسًا – الموسوعة الشعرية ؟

كان البحث فيها بالكلمة المختارة (قطار) مثلًا للتعرف على ورودها في أشعار الموسوعة منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ، وعلى نسبة الأشعار إلى أصحابها ، وعلى تاريخ وَفَياتهم .

- زودتني الموسوعة بعشرات بل مئات من الأبيات المنسوبة إلى شعرائها .
- وبعد دراسة هذا الكم الكبير من الأبيات اخترت من بينها ما يصلح أن يكون شاهدًا على استعمال محدد في الشكل أو في المعنى وفقًا لخطة البحث . وأهملت ما عدا ذلك من شواهد تماثله في الصفات المطلوبة .
- رجعت إلى المصادر الورقية المتوقعة للشاهد من دواوين الشعراء أو من المجموعات الشعرية ومن كتب الطبقات .

وتوثقت من صحة النص ، وصححت ما أخطأت الموسوعة في روايته أو نسبته وقد اعتمدت في المراجعة على أصح المصادر وأدقها . ومن ثم سجلت المعلومات الخاصة بالتوثيق عقب الشاهد (الجزء والصفحة) وفي آخر البحث الخاص بالنماذج

وضعت فهرسًا للمصادر التي رجعت إليها لتوثيق النص وما يتعلق به .

• ومن المآخذ العامة التي أخذتها على الموسوعة الشعرية بخاصة أنها لا تعتمد - غالبًا - على مصادر محققة تحقيقًا علميًا ، ومن ثم قد نجد الشاهد في مصدره المتوقع (ديوانه) مثلًا وربما لا نجده لاختلاف النسخ ، وقد تختلف صورة الشاهد أيضًا من مصدر إلى مصدر ، وفي حالة إشارة الموقع إلى رقم صفحة الشاهد في المصدر قد لا نجده يوافق الترقيم في النسخة الورقية . وفي كل الأحوال اعتمدت المصدر الورقي المحقق تحقيقًا علميًا .

وثمة ملاحظات أخرى ظهرت في أثناء البحث ومنها :

• تكرار بعض الأبيات .

• قد تنسب بعض الأبيات لغير شاعر واحد ، وربما كان ذلك من عيوب المصادر نفسها .

• تأتي الأبيات معزولة عن سياقها من قصيدتها ، معراة عن الغرض الذي قيلت فيه . وقد كان من الضروري أن أوضح باختصار ما يُعين على وضوح معنى الشاهد ببيان غرض القصيدة ، وقد أذكر البيت الذي يسبقه أو يلحقه متى كان ذلك ضروريًا ، وكنت أحيانًا أفسر ما ورد في البيت من غريب .

• في أثناء البحث عن البيت من مصدره الموثق وفقًا لقافيته كنت أتصفح المصدر كله ، وكنت أرجع إلى فهارسه اللغوية متى توافرت ، وفي أغلب الأحوال كنت أجد قصورًا في تسجيل الشواهد التي وردت فيها الكلمة المختارة ، وكنت أجد أبياتًا أخرى غير البيت الوارد في الموقع ، وكنت أختار ما هو أفضل للاستشهاد .

وهذه بضعة أمثلة من الأخطاء التي وقعت فيها ، وسوف أتجاوز عن التمثيل من أخطاء الضبط ، ومع ذلك نلاحظ أن :

الأخطاء الطباعية كثيرة جدًا ، ومن أمثلتها :

قال كعب بن مالك :

وغســانُ الحُمَـةُ مـوازره   على الأعداء وهو لهم وزير

وصحته كما في الديوان :

وغـسّـان الحمـاةُ مـوازروه

ومن أخطاء النسبة :

قال قيس بن الخطيم :

تبدت لنا كالشمس تحت غمامةٍ　　　بدا منها حاجب وضنت بحاجب

والبيت في ديوانه (ص ٣٥) ، ونسبته الموسوعة - أيضًا - إلى مجنون ليلى ولم أجده في ديوانه .

وقال البحتري :

يا حاجب الوزراء إنك عندهم　　　سعد ولكن أنت سعد الذابح

والبيت في ديوانه (ص ٤٦٢) . وقد نسبته الموسوعة إلى ابن بسام .

ومن الأخطاء الشائعة الناتجة عن الاشتراك في الحروف مع اختلاف الشكل والدلالة :

الخلط بين (ذَرَّة) وهي من (ذرر) و (ذُرة) وهي من (ذرو) .

وقد وردت عدة أبيات تتضمن الكلمة (ذُرة) بين الأبيات الخاصة بكلمة (ذَرَّة) ومن ذلك :

قال أسامة الشيزري (من شعراء الدولة الأيوبية) :

رُمَّان مصر كأنه ذُرَة　　　أكله شاخص من الغُصَص

الخلط بين الكلمة (وزير) والعبارة (و + زير)

وقد وردت مع الكلمة (وزير) ما لا يقل عن عشرين بيتًا تتضمن العبارة (و + زير) وهي مؤلفة من واو العطف والكلمة (زير) التي ترد بمعنيين على النحو الآتي :

قال أبو نواس :

وليس الشرب إلا بالملاهِي　　　وفي الحركاتِ من بَمٍّ وزير

وقال الصنوبري :

فما يُثني الشرابُ على أناس　　　تعاطوها على مَثْنَي وزير

(من أوتار العود : البمّ وهو أغلظها ، والذي يليه المثْلَث على وزان مطلب ويليه المثني على مثال مَغْني والرابع هو الزير وهو أدقها) .

قال أبو العلاء المعري :

إذا هجرتْ زيرين : زير أوانس وزير غناء فهي راجية غفرا

وقال أيضًا :

ما لكم لا ترون طُرْق المعالي قد يزور الهيجاء وزير نساء

وصحة الشطر الثاني :

قد يزور الهيجاء زير نساء

(بغير الواو ، والزير الذي يكثر زيارة النساء ويحب مجالستهن ومحادثتهن) .

* * *

السيرة الذاتية للمؤلف

● ولد الدكتور محمد حسن عبد العزيز بمدينة فاقوس بمحافظة الشرقية عام ١٩٤٢م .

● وفي مدينة المنصورة استكمل حفظ القرآن الكريم وتجويده ، والتحق بمعهد المنصورة الديني ، ونال منه الشهادة الثانوية عام ١٩٦٤م . التحق بكلية دار العلوم ، ونال منها درجة الليسانس في اللغة العربية والعلوم الإسلامية بمرتبة الشرف ١٩٦٨م ، حصل على درجة الماجستير عام ١٩٧٥م وعلى درجة الدكتوراه في علم اللغة بمرتبة الشرف الأولى ١٩٧٨م . تدرج في هيئة التدريس بكلية دار العلوم جامعة القاهرة حتى نال درجة أستاذ عام ١٩٩١م .

● وللدكتور محمد حسن عبد العزيز نشاط ملحوظ في الهيئات العلمية فهو :

- عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- عضو اللجنة العلمية لهيئة المعجم التاريخي للغة العربية باتحاد المجامع العربية .
- عضو جميعة تعريب العلوم ، وجمعية حماية اللغة العربية .

● أما نشاطه في التأليف والترجمة والتحقيق فواسع ومتنوع ، وقُدر لمؤلفاته أن تُنشر غير مرة ، وأن تكون مراجع موثقة لكل الباحثين في علم اللغة .

● فمن مؤلفاته : « مدخل إلى علم اللغة » ، « سوسير رائد علم اللغة الحديث » ، « لغة الصحافة المعاصرة » ، « الربط بين الجمل في اللغة العربية المعاصرة » ، « القياس في اللغة العربية » ، « النحت في اللغة العربية » ... إلخ .

● ومن مترجماته : « العربية الفصحى الحديثة » ، « ستنكيفتش » ، « التراث اللغوي العربي » ، « بوهاس ، وجيوم ، وكولوغلي » ، « المصطلحية والمعجم التقني » ، « ساجر » .

● ومما حققه : الجزء الأول من كتاب : « ما يعول عليه في المضاف والمضاف إليه » للمحبي .

● وراجع جزءًا من : « شرح ديوان رؤبة » ، وجزءًا من : « حواشي ابن بري » .

• وله عشرات من البحوث العلمية نشرها في : مجلة اللسان العربي بالرباط ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالأردن ، ومجلة فصول ، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ومجلة كلية دار العلوم .

• شارك مشاركة فعالة في مؤتمرات علمية وندوات ثقافية في : مصر والأردن ، والكويت ، والسعودية ، وليبيا ، وتونس ، وسورية ، وقطر ، والإمارات العربية ، وترجمت بعض بحوثه التي ألقيت فيها إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية .

• أعد بمناسبة الاحتفال بالعيد الماسي لمجمع اللغة العربية كتاب : « المجمعيون في خمسة وسبعين عامًا » ، بالاشترك مع الدكتور مهدي علام ، وكتاب : « الفهرس الموضوعي للبحوث اللغوية المجمعية » ، « نشرة إليكترونية وورقية » .

• وللدكتور محمد حسن عبد العزيز نشاط أكاديمي ملحوظ ؛ فقد دَرَّس في عدد من الكليات الجامعية بمصر ، ودرس بكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز ، وبكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى بالسعودية ، وبكلية الآداب بجامعة الكويت . ومن إسهاماته في هذا المجال : وضع مناهج اللغة العربية بكليات التربية بجمهورية مصر العربية ، وإعداد ثلاثين محاضرة في علم اللغة العربية لطلاب الراسات العليا بجامعة طيبة بالمدينة المنورة . (وهي ميسورة للباحثين بموقع الجامعة) .

• وله جهد مشهود في الإشراف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه في كل الجامعات التي درَّس بها ؛ أثمر هذا الجهد عن مدرسة لغوية أثْرَت حياتنا اللغوية ببحوث عالية القيمة في اللغة العربية – تاريخها ، وخصائصها ، وقضاياها المعاصرة – قامت على منهجية لغوية حديثة ، مع استخدام الأساليب الإحصائية وتقنيات الحاسوب .

• يعكف – هذه الأيام – على : متابعة العمل في تحديث المعجم الوسيط في نشرته الرابعة ، وعلى : تطوير منهجية العمل بالمعجم التاريخي ، وعلى : إعداد منهجية لمعجم حاسوبي للغة العربية للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

رقم الإيداع

٢٤٦١ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولي I.S.B.N

977-342-609-2

(من أجل تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم . . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

نشكر لك اقتناءك كتابنا : « المعجم التاريخي للغة العربية » ورغبة منا في تواصلٍ بنَّاء بين الناشر والقارئ ، وباعتبار أن رأيك مهمٌّ بالنسبة لنا ، فيسعدنا أن ترسل إلينا دائمًا بملاحظاتك ؛ لكي ندفع بمسيرتنا سويًّا إلى الأمام .

* فهيًا مارس دورك في توجيه دفة النشر باستيفائك للبيانات التالية :-

الاسم كاملًا : .... الوظيفة : ....

المؤهل الدراسي : .... السن : .... الدولة : ....

المدينة : .... حي : .... شارع : .... ص.ب: ....

هاتف : ☐☐☐☐☐☐☐ / ☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐☐ : e-mail

- من أين عرفت هذا الكتاب ؟

☐ أثناء زيارة المكتبة ☐ ترشيح من صديق ☐ مقرر ☐ إعلان ☐ معرض

- من أين اشتريت الكتاب ؟

اسم المكتبة أو المعرض : .... المدينة .... العنوان ....

- ما رأيك في أسلوب الكتاب ؟

☐ ممتاز ☐ جيد ☐ عادي (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في إخراج الكتاب ؟

☐ عادي ☐ جيد ☐ متميز (لطفًا وضح لِمَ) ....

- ما رأيك في سعر الكتاب ؟ ☐ رخيص ☐ معقول ☐ مرتفع

(لطفًا اذكر سعر الشراء) .... العملة ....

عزيزي انطلاقًا من أن ملاحظاتك واقتراحاتك سبيلنا للتطوير وباعتبارك من قرائنا فنحن نرحب بملاحظاتك النافعة . . . فلا تتوانَ ودوِّن ما يجول في خاطرك : -

....

....

....

....

دعوة : نحن نرحب بكل عمل جاد يخدم العربية وعلومها والتراث وما يتفرع منه ، والكتب المترجمة عن العربية للغات العالمية - الرئيسية منها خاصة - وكذلك كتب الأطفال .

عزيزي القارئ أعد إلينا هذا الحوار المكتوب على e-mail:info@dar-alsalam.com

أو ص.ب ١٦١ الغورية - القاهرة - جمهورية مصر العربية

لنراسلك ونزودك ببيان الجديد من إصداراتنا

(من أجل تواصل بنَّاء بين الناشر والقارئ)

(من أجل تواصل بنَّاء بين الناشر والقارئ)

عزيزي القارئ الكريم :

نشكرك على اقتنائك كتابنا هذا ، الذي بذلنا فيه جهدًا نحسبه ممتازًا ، كي نخرجه على الصورة التي نرضاها لكتبنا ، فدائمًا نحاول جهدنا في إخراج كتبنا بنهج دقيق متقن ، وفي مراجعة الكتاب مراجعة دقيقة على ثلاث مراجعات قبل دفعه للطباعة ، ويشاء العلي القدير الكامل أن يثبت للإنسان عجزه وضعفه أمام قدرته مهما أوتي الإنسان من العلم والخبرة والدقة تصديقًا لقوله تعالى :

﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ (النساء : ٢٨)

فأخي العزيز إن ظهر لك خطأ طباعي أثناء قراءتك للكتاب فلا تتوان في أن تسجله في هذا النموذج وترسله لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقة ، وبهذا تكون قد شاركت معنا بجهد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعًا في سيرنا نحو الأفضل .

الخطأ	رقم الصفحة	السطر

شاكرين لكم حسن تعاونكم . . ،

دار السلام

المعجم التاريخي للغة العربية

ديوان للعربية يضمُّ بين دَفَّتيه ألفاظها وأساليبها، ويبين تاريخ استعمالها أو إهمالها، وتطور مبانيها ومعانيها عبر العصور والأصقاع، ويقدم مدخلاً لُغويًا وفكريًا للحضارة العربية والإسلامية.

هذا الكتاب

- أول كتاب في اللغة العربية عن معجمها التاريخي من خلال الوثائق التي تسجل ما دار حوله من بحوث وتقارير، والنماذج التي يقدمها المؤلف لمادته وللمنهج المقترح وللإجراءات المتخذة لمعالجتها.
- يقوم بعرض وتقييم أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة تقييمًا موضوعيًا بخصوص المعجم التاريخي منذ إنشاء المجمع (١٩٣٢م) وحتى الآن، مع إطلالة على نموذجين للمعاجم التاريخية هما: معجم أكسفورد والمعجم التاريخي للغة الفرنسية.

كما يقدّم عرضًا لنماذج ثمانية اختارها المؤلف، هي: قطار، وذَرَّة، وسياسة، وزُنّار، ووزير، وحاجب، وحُكومة، وترجمان، مستخلصة من نصوص لغوية موثقة من الشعر والنثر تنتمي إلى عصور اللغة العربية من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث، وتكشف عما حدث لمبانيها ومعانيها من تغير، وتوضح ما اتُّخذ في علاجها من إجراءات، مع قائمة بأهم المصادر والمراجع المعتمدة في استخلاص مادته وتفسيرها.

هذا الكتاب

- ثمرة عمل علمي متواصل لمؤلفه منذ ثلاثة عقود، وزبدة تجربة معجمية ثرية بمجمع اللغة وبلجنة المعجم التاريخي باتحاد المجامع العربية.
- رسالة إلى كل عربي محب للعربية يتطلع إلى أن يكون لها معجم تاريخي كغيرها من اللغات العالمية الكبرى.

الناشر

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

القاهرة - مصر - ١٢٠ شارع الأزهر - ص.ب ١٦١ الغورية

هاتف: ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ - ٢٥٩٣٢٨٢٠ - ٢٤٠٥٤٦٤٢

فاكس: ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢+)

الإسكندرية - هاتف: ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس: ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣+)

email:info@dar-alsalam.com

www.dar-alsalam.com